هذا شرح الشيخ شهاب الدين
احمد المسعودي الحنفي
على الاربعين النووية
رحمهما الله
امين

كيلكح

هذا الشرح اسمه (الدر الرصين المستخرج من
بحر الاربعين) للعلامة ابي عبد الله محمد بن شهاب الدين ابي
العباس احمد المشهور بالمسعودي الحنفي من علماء اواخر
القرن الثامن شبه عليه ذلك كاتبه محمد عمر الحوصاني الدرعزبي

وقفت هذا الكتاب الست زبيده
واختها الست امونه اولاد عبد الرحمن
شلبي غفر الله لهما وللمسلمين على طلبة
العلم بالجامع الازهر في سادر قا اليمن
الله تعالى على السبكي عفى الله عنه
وسامحه والمسلمين امين وقفا صحيحا
لا يباع ولا يوهب فمن بدله بعد ما سمعه
فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع
عليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الحمد لله
المحمود بكل لسان المخضوع لكلمته وعظمته في كل زمان
ومكان الموفق من يشاء من عباده لاتباع السنة الشريفة
والقرآن الباعث الينا من اصفيائه سيد الانس والجان
محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب المنسوب الى عدنان
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ما اختلف المنوال
وتعاقب الجديدان اما بعد فان الله تعالى وله
الحمد وفق من شاء من عباده للاشتغال بالسنة
الكريمة والبحث عن اسرار فوايدها العظيمة
والعناية باستخراج دررها المكنونة المكتومة وذلك
من عنايته تعالى بمن وفقه لذلك من عباده فلفزع
كل من وفقه لذلك فيه سعيه واجتهاده وان من
اجل الكتب فيه نفعا واعظمها خطرا ووقعا كتاب
الاربعين في اصول الاسلام وقواعد الدين تاليف
الشيخ الامام ابي زكريا محيي الدين عمدة الحفاظ وحجة
اهل التقوى احسن الله اكرمهم نزوله وجعل مثواه
جنة الفردوس واعلى بها منزلة كتاب الاربعين
فيه من الفوايد ما لا يحصى ومن المعاني الغريبة
ما لا يستقصى وكيف لا وهو قطرات من بحار زاخرة
من كلام من اولى اعلى المراتب في الدنيا والاخرة
صلوات الله تعالى عليه وزاده شرفا لديه
وقد كتبت عليها هذا التعليق وجمعت فيه

ما رايته

ما رايته في الشرح ودريته من كتب الاسلام زيادة
على قدر الفتوح فد اشتمل على نفايس الفوايد
وفرايد القلايد فوايد انسية واسرار قدسية
ومعاني لغوية واعاريب نحوية ومهمات فقهية
ونكت حديثية ولطايف صوفية فليشق الناظر
فيه انه نزهت اليه عرايس وليلتقط من درره
نفايس والله تعالى الموفق والمعين على خاتمته
بخير امين والشروح التي نقلت منها الموضوعة
عليه هو شرح الطوفي الحنبلي وهو امام عالم
بالمنقول والمعقول وشرح الشيخ تاج الدين ابن الفاكهاني
الاسكندري وهو ايضا امام مبرز في علم الحديث
والاحكام وشرح ابن فرح الاندلسي وهو شرح نفيس
ثم اضفت الى ذلك من شرح مسلم للشيخ محيي الدين
النووي المولف ومن كتاب المفهم لشرح مختصر
مسلم للامام العلامة الحجة ابي العباس احمد ابن عمر
القرطبي الكبير شيخ ابي عبد الله محمد القرطبي المفسر
وهو كتاب بحر درر وغدير من غاص فيه اقتبس
جواهر واتقن فوايد ونوادر رحم الله مولفه
ونقلت في هذا الشرح ايضا من شعب البيهقي
والحليمي والقشيري ومن الشفا للقاضي عياض
اليحصبي ومن مناقب الصحابة للحافظ ابي عمر
ابن عبد البر المسمى بالاستيعاب ومن كلام
المتقدمين والمتاخرين ما تيسر جمعه وعظم

نفعه والله اسأله ان ينفعني به والمسلمين انه
الميسر والمعين قال المولف رضي الله عنه الحمد لله
رب العالمين قال بعض المفسرين الحمد هو الثنا
بالجميل على جهة التفضيل فقوله بالجميل يخرج الثنا
بغيره وقوله على جهة التفضيل يخرج الثنا بالجميل
على سبيل التهكم والاستهزا وقال الكواشي الحمد
الثنا بالفضيلة بمعنى المدح لكنه اخص منه لان
الحمد يكون بما في الانسان من الخصال الجميلة
والمدح بما فيه ومنه باختياره وبغير اختياره
تقول حمدته لعلمه وشجاعته ومدحته تطول
قامته وسماحة وجهه كقوله تعالى وزاده بسطة
في العلم والجسم قال والحمد اعم من الشكر لان الشكر
لا يقال الا في مقابلة النعمة والحمد يقال في مقابلة
النعمة وغيرها تقول حمدته لاحسانه الي وحمدته
لعلمه وشكرته لاحسانه الي فالشكر حمد وليس
المدح حمدا انتهى وقال ابن الانباري هو مقلوب
المدح فالحمد الثنا على ما هو به من اوصاف الجلال
والكمال والشكر ثنا على ما هو منه من اوصاف
الانعام والافضال والحمد يشملهما انتهى وقال بعض
المفسرين الحمد والشكر لكل واحد منهما اعم
من الاخر من وجه وذلك لان الحمد هو ذكر الشخص
باوصافه الجميلة والشكر هو المكافاة على الاحسان
او يذكره باوصافه الجميلة او يفعل بقوم مقامه

بالقلب

بالقلب او باعتقاداته الحسنة وبعض انواع الشكر
حمد وهو الثنا باللسان وبعض انواع الحمد شكر
وهو الثنا عليه باوصافه الجميلة لان احسان سبق
وبعض انواع الشكر ليس حمدا وهو المكافاة على
الاحسان بفعل القلب والجوارح وهذا هو حقيقة
الاعم من وجه واما الحمد والمدح فهما مترادفان والثنا
اعم منهما لانهما لا يكونان الا في الخير اما اثبات صفات
كمال او سلب صفة نقص والثنا قد يكون في الخير
والشر وقال الطبري الحمد والشكر بمعنى واحد
قال ابن عطية وهو غير مرضي وقيل الشكر ثنا على
الله تعالى بافعاله وانعامه والحمد ثنا على الله تعالى
باوصافه وهذا اصوب من الذي قبله والتنبيه
على فضيلة الحمد روى ابو محمد عبد الغني ابن سعيد
الحافظ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا قال العبد الحمد لله قال الله تعالى صدق
عبدي الحمد لي وروى مسلم عن انس ابن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب
الشربة فيحمده عليها وروى ابن ماجه عن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما
الذي اعطي افضل مما اخذ وفي نوادر الاصول للترمذي

عن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لوان الدنيا كلها بحذافيرها في يد رجل من امتي ثم قال
الحمد لله كانت الحمد لله افضل من ذلك فسره الترمذي
قال لان الدنيا كلها فانية وهذه الكلمة من الباقيات
الصالحات وروي ابن ماجة عن عبد الله بن عمر
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حدثهم ان عبدا
من عباد الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك
وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف
يكتبانها فصعدا الى السما فقالا يا ربنا ان عبدا من
عبادك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله
وهو اعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي قالا يا ربنا انه
قد قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم
سلطانك فقال الله لهما اكتباها كما قال عبدي حتى
يلقاني فاجزيه بها وفي الصحيح والحمد لله تملا
الميزان وسبحان الله والحمد لله تملان او تملا
ما بين السما والارض قال ابن عطية واختلف
العلما ايهما افضل فقول العبد الحمد لله رب العالمين
او قول لا اله الا الله فقالت طايفة قول العبد الحمد
لله رب العالمين افضل لان في ضمنه التوحيد الذي
هو لا اله الا الله ومعنى قوله الحمد لله توحيد وحمد
وفي قوله لا اله الا الله توحيد فقط واحتجوا بما
روي من حديث ابي هريرة وابي سعيد ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله

كتب

كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيية
ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة
وحط عنه ثلاثون سيية وقالت طايفة لا اله الا الله
افضل لانها تدفع الكفر والاشراك وعليها يقاتل الخلق
وقد قال عليه الصلاة والسلام مفتاح الجنة لا اله
الا الله قال ابن عطية بعد ان اختار هذا القول
والحاكم بذلك قول النبي صلي الله عليه وسلم افضل
ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده
لا شريك له انتهى وقال ابن عباس رضي الله عنه
الحمد لله كلمة كل شاكر وان ادم عليه السلام قال
حين عطس الحمد لله وقال الله تعالى لنوح فقل
الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقال
ابراهيم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحاق وقال في قصة داود وسليمان الحمد
لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين
وقال لنبيه وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وقال
اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال شفيق
ابن ابراهيم تفسير الحمد لله على ثلاثة اوجه
احدها اذا اعطاك الله شيا تعرف من اعطاك والثاني
ان ترضى بما اعطاك والثالث ما دام قوته في جسدك
ان لا تعصيه فهذه شرايط الحمد الرب من التربيه

والتربية لتبليغ الشئ الى كماله من التدريج وقال ابن
عيسى المفسر الرب المالك للشئ من الادمي وجه يصح
ملكه منه ويستعمل لغير الله مضافا ولا يجوز استعماله
مطلقا الا لله والرب السيد والرب المالك ايضا
العالم عند الزجاج اسم لما خلقه الله تعالى في الدنيا
والاخرة وقيل العالم الدنيا وما فيها قال ابن عباس
العالمون الملايكة والجن والانس وقيل العالمون
اسم للعقلاء وغيرهم من السموات والارض وما
فيهما جمع جمع السلامة للمشاركة وقيل العالم اسم
لاشياء مختلفة لا واحد له من لفظه واشتقاقه
من العلم وقيل من العلامة وقيل اهل كل زمان عالم
قال الله تعالى وفضلناهم على العالمين اي عالمي
زمانهم كذا في تفسير تاج القراء وفي تفسير الفاتحة
للامام ابي العباس الاقليشي رحمه الله وقيل كل
جنس ونوع وقيل كل ما سوى الله فاذا جمعت الكل
قلت عالمين ثم اضفت ذلك الى الله تعالى فقلت رب
العالمين او خالق العالمين فقد اتيت بكل موجود
ابدعه الله تعالى في الوجود من ذرة العرش الى
قاعدة الثرى فاذا نظر العبد في العوالم المصنوعة
استدل على ان لها صانعا صنعها وسيرها ابدعها
وهو ربها والهها ففي كل شئ له شاهد يدل على انه
واحد وعوالم الله سبحانه لا تحصى كثرة ولا يعلم عددها
الا هو سبحانه وتعالى وقد روي عن النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم انه قال ان لله ثمانية عشر الف عالم
الدنيا منها عالم واحد والدنيا بالاضافة الى الاخرة
كنقطة في البحر وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما الدنيا في الاخرة الا كما يضع احدكم اصبعه السبابة
في اليم فلينظر بما ذا يرجع وقد جعل الله سبحانه وتعالى
الجنة على عظمها تحت العرش والعرش سقفها والعرش
من عوالم الله سبحانه وتعالى العظيمة وكذلك ذكره
الله تعالى في كتابه العزيز فقال رب العرش العظيم
ورب العرش الكريم وقد خرج البزار في مسنده
عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة
في فلاة وفضل الكرسي على السموات السبع كفضل
الفلاة على الحلقة وروي عطاء عن ابن عباس
قال خلق الله العرش من لولوة صفراء تتلون
كل يوم الف مرة وخلق حول العرش الف سرادق
من لولو وجوهر كل سرادق مسيرة الف عام
كل سبح الله تعالى وتقدسه وفي رواية مقاتل
ابن سليمان جعل الله جل جلاله للعرش اربعة اركان
وجعل بين كل ركن وركن لولوا وجوهرا لا يعلم عددها
الا الله سبحانه وتعالى الكثير من نجوم السما وتراب
الارض وورق الشجر وليس لطول العرش ولا لعرضه
منتهى لا يعلمه احد الا الله جل جلاله وتحت العرش
الما الذي قال الله فيه وكان عرشه على الما وهو

بحر عظيم لا يعلم مقدار عظمته الا الله تعالى وقد خرج
ابو داود في سننه من حديث جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن
ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعمائة عام وقال عبد الله ابن عمر وحملة
العرش ثمانية ما بين مقدم عين احدهم الى موخره
مائة سنة وبين ملائكة حملة الكرسي وحملة
ملائكة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون
حجابا من نور وسبعون حجابا من نار غلظ كل حجاب
خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترقت ملائكة الكرسي
من نور ملائكة العرش ومناقب الذين يحملون
العرش ناشئة في العرش ولكل واحد منهم اربعة
اوجه وجه امامه ووجه خلفه ووجه عن يمينه
ووجه عن يساره وما بين الوجوه الى الاقدام
عيون تنظر الى الجسد كله والاقدام ناشئة في
اسفل الارضين وخرج الترمذي عن ابي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط
ما فيها قدر اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله تعالى لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
الى الصعدات تجئرون الى الله عز وجل انتهى ما نقلته
من كلام الاقليشي قال المؤلف رحمه الله قيوم

السموات

السموات والارضين قال ابو عبيدة القائم الدائم
الذي لا يزول وقال القائم بامر الخلق وقيل العالم
بالاشياء كما تقول هذا يقوم بهذا الكتاب اي هو عالم
به وبزنته فيعول من قام به وفيه اربع لغات قيوم
بتشديد الياء وقيوم بالهمز وقيم وقيام وفي قراءة عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه الحي القيام وفي صحيح مسلم
اللهم لك الحمد انت قيام السموات قال القشيري وسمي
القيوم في وصفه انه المدبر المتولي لجميع الامور
التي تجري في العالم قال الله تعالى افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت ثم قال عرف انه القيوم بالامور
استراح عن كد التدبير وتعب الاشتغال وعما تش
براحة التفويض فلن يضنك بكبيرة ولم يجعل للدنيا
بقلبه كبير قيمة يحكى عن الطرماح انه قال كنت عند
الحسين ابن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهما اذ جاءه
سايل فسأله شيئا فاعطاه نعليه فقلت يا ابن بنت
رسول الله اسأل احد بعباده فقال اسكت يا طرماح
فانا استحي من الله ان اسأله فيعطيني ثم لا اعطي من
يسألني وحكي عن بعضهم انه قال من اهتم للخبز فليس
له عند الله قدر وانما قال ذلك لانه اذا علم انه القائم
بتدبير الامور لا ينبغي له ان يهتم للخبز ولا لغيره
ولهذا قل من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره
وقال الاكابر ان جميع كرايم الدنيا والعقبى عند الله انما
من تبتغه عند سلطان ومن سأل من سلطان الوقت

ان يهب منه بنتة واحدة فقد صغرت همته وفي هذا
المعنى ما يحكى عن الشيخ ابي محمد البسطامي تلميذ الشيخ
ابي يزيد انه قال كنت عند ابي يزيد فقال لي ان من
اوليا الله تعالى يأتي يمر بنا فقم بنا نستقبله فخرج
فلقيناه في باب بسطام اذا بابراهيم ابن اشد الهروي
نسلم عليه ابو يزيد وقال له علمت ان الله تعالى قد شهد
مني مقال ابراهيم ولو شفعك في جميع الخلق ما كان
بكثير فانه شفاعة في قطعة طين قال فتعجب
ابو يزيد من قوله قال المولف رحمه الله هو رب
المخلايق اجمعين المدبر هو الذي يدبر امر الخلق
قال الكواشي يدبر الامر يقضي امر الخلايق برزقهم
في الدنيا وحسابهم في العقبى وقال في القاموس
التدبير النظر في عواقب الامور وفي تفسير
ابن عبد السلام يدبر الامر اي يقضيه وحده
او يامر به ويمضيه واذا علم العبد ان له مدبرا
يدبر عليه اي قاض فوقه يقضي عليه وحده
ويمضي عليه القضا وحده فلا يطمع العبد بتدبير
نفسه بل يسال الله حسن التدبير اي حسن
القضا عليه كما قال

يا من يقول للشيء كن فيكون ما يراه وما يدبره
اذا اشكل الامر فارجع اليه من يدبر منه ما لم تره
تكن بين يخطف يعتبك المخوف ويلطف يهون ما تقدره
اذا كنت تجعل ممقتي الامور ومالك حول ولا مقدره

فقيم

فقيم العنا وعمي ما الاسي ومر الحذار وفيم الشره
قال المولف رحمه الله بعثت الرسل صلوات الله
عليهم الى المكلفين لهدايتهم وبيان شرايع الدين
بالادلة القطعية والمعجزات البراهين نبه الله
تعالى على بعث الرسل بقوله كان الناس امة واحدة
اي على الكفر في احد التاويلات فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين اي مبشرين لمن اطاعه بالجنة
ومنذرين لمن عصاه بالنار وقال تعالى رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
اي لئلا يقول المكلفون يوم القيامة انا ركبت فينا
الشهوات وسلطت علينا الهوى فلو ذكرنا مذكرا
وبينا منه ما يحسن الطاعة ويضر المعصية
لانقدنا اليه فاراد الرب سبحانه وتعالى ان يقطع
الاعذار ببعث الرسل وانزال الكتب فبعث الرسل
مبشرين ومنذرين وايدهم بالمعجزات القطعية
لئلا يدعي هذا المنصب الكريم كل مبطل زعيم ولعلمه
تعالى بانكار المنكرين وتوهم ما هذا الا بشر مثلكم
يا كل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فايدهم
بالمعجزات مجعل للكل نبي معجزة باهرة بجنس ما يدعيه
اهل زمانه كما ايد موسى عليه السلام لما بعثه في زمن
السحرة بالعصاة التي تلقف ما يافكون فعلم السحرة
ان هذه معجزة ليست من جنس السحر وانت
مع العالم مستريح ومع الجاهل تعبان واول من امن

به هم لعلمهم الجازم المطابق هذا الذي جابه ليس من
جنس ما يقرنونه من السحر والمخرقة فهو لا قد
انتفعوا بعلم السحر فاياك وان تفادي شيأ من العلوم
وبعث الله عبده المسيح عليه السلام في زمن الغالب
على اهله الطب فجاء بابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى
فبهرهم بما جابه وبعث الله سيدنا محمدا صلى الله
عليه وسلم في زمان الغالب على اهله الفصاحة فاتاهم
بالقرآن العظيم المعجزة الكبرى الذي حير الالباء واخرس
الفصحاء وقهر الكبقا فلم احدا يتصدر للاتيان بما يوازيه
او يدانيه احد من فصحائهم ولم يهضد بمقدار اقصر
سورة منه ناهض من بلغائهم فعلمنا انه قول خالق
القوى والقدرة ولا يشبهه قول البشر فيخبرهم بذلك
مما اتى الله تعالى من الايات وايده به من المعجزات
الباهرات قال المولف رحمه الله احده على جميع
نعمايه واسأله المزيد من فضله وكرمه واشهد
ان لا اله الا الله الواحد القهار والكريم الغفار
الواحد الذي لا تسمة لذاته والله غير متبعض الثمار
الذي هو قهر الملك فهم مقهورون له لا يتصرفون
الا باذنه كما يصرفهم فيما يصدر فهم فيه وقهرهم بالموت
وبغير ذلك من انواع القهر والكريم هو الذي شرفت
ذاته يقال فرس كريم اي شريف والكريم ايضا
الذي وصفه الكرم وهو الاحسان والانعام قال
الله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات

وما في

وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الغفار
الغفر في اللغة هو الستر ومغفرة الله تعالى للعبد
ستره وعفوه ومن ايات الرجا قوله تعالى ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما كانه قال من افنى عمره في الذنوب وافنى
حياته في الخلاعات والهي يشابه في البطالات ثم ندم
قبل الوفاة وجد من الله العفو عن السيات لان
قوله ثم يستغفر الله كانه قال ثم لم يتب في الحال
ولكن في اخر العمر وقيل ان رجلا كان يقول الهي
ابطات الهي ابطات فهتف به هاتف لم تبطا وانما ابطا
من مات ولم يتب وقوله تعالى من يعمل سوءا اخبارا
عن الفعل وقوله ثم يستغفر اخبارا عن القول
كانه قال الذين لا تهم حالة وتوبتهم قاله ولقد سهل
عليك الامر من رضي عنك بقالة وقد علمت ثم انظر
كيف قال في قوله يجد الله غفورا رحيما طلبوا المغفرة
فوجدوا الله وهذه نكتة لم يعقل ليس العجب
من السيارة حيث طلبوا الماء فبشروه فوجدوا
يوسف انما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد
الله قال المولف رحمه الله تعالى واشهد
ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله محمد سهل
من الحمد يعني انه عليه الصلاة والسلام يحمد
الله تعالى كثيرا كما في صفته محمده اهل السما
واهل الارض وقال حسان

وسق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
والرسول من جا بشرع مبتدا والنبي من جا بشرع
مقدرا والحبيب من احبه غيره فهو محب ومحبوب
وحبيب فعيل بمعنى مفعول والمحبة في الاصل من
احب البعير اذا برك ولزم مكانه فهو امر يلزم القلب
المحب فلا يبرح منه وقيل صفا بين المتحابين ماخوذ
من قولهم هباب الانسان لبياضها وصفايها وقيل
غير ذلك ومحبة الله تعالى لعبده مجاز عن ارادته
ايصال الخير والنفع له والخليل هو الذي يتخلل القلب
كما قال قد تخللت سلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
واجمع اهل الطريق فيما ذكره القاضي ابو المعالي بتثي
دله على ان مقام المحبة اشرف من مقام الخلة فلهذا
خص محمد بالحبيب وذكر وا بينهما فروقا منها ان
الخليل يانس بذكر خليله وان بعد كما قال الخليل الذي
خلقني فهو يهدين والحبيب ثم ربي فتدلى والخليل
سال فقال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل
له يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والخليل
طمع في المغفرة فقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين الاية والحبيب قيل له ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر والخليل طلب ان يذكر
اسمه بعده فقال واجعل لي لسان صدق في الاخرين
والحبيب ابتدى بقوله ورفعنا لك ذكرك والخليل طلب
الجنة فقال واجعلني من ورثة جنة النعيم والحبيب

ابتدى

ابتدى بانا اعطيناك الكوثر والخليل اقسم بالله تعالى
فقال وتالله لاكيدن اصنامكم والحبيب اقسم الله
به فقال لعمرك والخليل استرزق فقال وارزق
اهله من الثمرات والحبيب كفي الطلب فقيل له نحن
نرزقك وتمام ذلك مستوف في كتاب القاضي ابو المعالي
رحمه الله قال المولف رحمه الله تعالى افضل
المخلوقين هذا مذهب الجمهور ولقوله تعالى واذ
قلنا للملايكة اسجدوا لادم والمسجود له افضل
من الساجد وعلم ادم الاسماء كلها والعالم افضل
مما لا يعلم ذلك واذا ثبت فضل ادم على الملايكة ثبت
فضل محمد صلى الله عليه وسلم عليهم لقوله صلى
الله عليه وسلم انا سيد الناس ويبسط هذا بحله
اصول الدين قال المكرم بالقران العزيز المعجزة
المستمرة على تعاقب السنين هذا من خصايص
هذا النبي الكريم الذي استاثر بها على بقية الكتب
المنزلة قال بالسنين المستمرة المستبرة للمستبرين
قال عليه الصلاة والسلام لعل احدكم يتكي على اريكته
ياتيه الامر من امري فيقول لا ادري ما وجدت في كتاب
الله اتبعه الا واني اوتيت القران ومثله معه
قال العلما القران هو المنزل للاعجاز باقصر سورة
منه او هو الكتاب المنزل على رسولنا المكتوب
في المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة
والوحي على قسمين قسم متلو وهو ما سبق ذكره

وقسم غير متلو وهو السنة ثم هي متواترة ومشهورة
واحاد وكلها نور وهدى فمن فتح الله تعالى بصيرة
قلبه ورزقه تبصيرا فيها وفهما في كتابه وسنة نبيه
فانهما الكنف المحض الذي لا شك فيه فوا عجبا من غفلتنا
عن النظر في احكام الكتاب والسنة وشغلنا بما
لا يعنينا قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو
طهرت قلوبنا ما شبعت من كتاب الله تعالى انتهى
والقرآن والسنة من كلام الله قال المخصوص بجوامع
الكلم وسماحة الدين للناس كلام في جمع الكلم وفي
البخاري هو جمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل وقوله
وسماحة الدين يعني بعثت بدين لا حرج فيه ولا امر
ولا اغلال كما قال بعثت بالحنيفية السمحة السهلة
وقال يسروا ولا تعسروا وقال ان هذا الدين يسر
واذا نظرت ما كان على الامم المتقدمة من الاصار
والاغلال علمت سماحة هذا الدين الحنيفي ويسره
قال صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين
وآلهم وسائر الصالحين صلاة الله على محمد تناوه
عليه بين ملائكته وآل النبي اتباعه على دينه
في المنشأ وسائر الصالحين من علم وعمل بعلمه
جعلنا الله منهم بفضله قياطولي لهم قال النبي
صلى الله عليه وسلم في قول المتشهدين في الصلاة
والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في

السما

السماء والارض فاعلم بها منزلة ان يكون الشخص
من قوم يسلم عليهم كل يوم من لا يحصيه الا الله
تعالى من ملك لله فرضا واجبا ونفلا ومن غير
ملك فما اسعد الصالحين جعلنا الله منهم في الدنيا
والاخرة وحشرنا معهم بحبنا لهم فان المرء مع من
احب وما احسن ما نسب الى بعض السلف
احب الصالحين ولست منهم لعلي ان انال بهم شفاعة
واكره من بضاعته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة
قال المولف رحمه الله تعالى اما بعد هذه الكلمة
قيلت فصل الخطاب الذي اوتيه داود عليه السلام
ومعناها مهما يكن من شيء فكذا ولا ستيفا الكلام عليها
محل غير هذا قال فقد روينا عن علي ابن ابي طالب
الى قوله وان كثرت طرقه هو لا الصحابة رضوان الله عنهم
ستاتي ترجمتهم متفرقة في اثنا الكتاب وظاهر
سياق المصنف له انه استشهد به على ثواب هذا
القصد الذي قصده وقد نوزع في ذلك بان المراد بالرواية
ان يروي بها بالاسناد وهذا مدفوع فان الشيخ وان
ذكر هذه الاحاديث منقطعة فله بها الى اسانيد
صحيحة متصلة فكل من وصل اربعين حديثا الى
سمع سامع كان من الملتفين صدق عليه الصلاة والسلام
انه روى له اذا كان له بها اسانيد ودخل تحت قوله
عليه الصلاة والسلام ليبلغ الشاهد منكم الغائب
قال المولف رحمه الله تعالى وقد صنف العلماء رضي

الله عنهم وفي هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات فاول من
علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك الى اخر هولاء الائمة
مناقبهم مشهورة وفضائلهم مأثورة وقد كنت رايت
ان اترجم فالوقت ضيق عن هذا وخشيت ان يهجر
الكتاب مللا للطول قال المولف رحمه الله تعالى ثم التزم
في هذه الاربعين ان تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي
البخاري ومسلم قد يشكل هذا بقوله في بعض الاحاديث
حديث حسن والحسين دون الصحيح وقد يجاب بانه
احد قسمي الصحيح لانه حجة يعمل به في الشرع الا انه
دون الاول في الرتبة كالمشهور احد قسمي المتواتر الا انه
دونه في الرتبة وقوله قبل ذلك لم يجد منها قاعدة
من قواعد الدين قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام عليه
او هو نصف الاسلام او ثلثه يوجد هذا الذي قلته فانه
لولا صحة الحديث لم يكن بهذه الصفة واشار المولف
رحمه الله تعالى بهذا الى مثل حديث انما الاعمال بالنيات
ونحوه كما قال بعض السلف عمدة الدين عندنا كلمات
اربع من كلام خير البرية اتقى الشبهات وازهد ودع
ما ليس يعنيك واعمل بنية وهذا حين الشروع في
الكلام على الاحاديث النبوية فاسئله تعالى يتمها بخير امين
الحديث الاول عن امير المومنين عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله

ورسوله

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر ومقره رواق اليمن

ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه والكلام على هذا الحديث
من وجوه الاول قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه
الله تعالى ابو حفص عمر ابن الخطاب ابن نفيل ابن
عبد العزى ابن رياح بكسر الراء المهملة بعدها ياء مثناة
ابن عدي ابن كعب القرشي العدوي يجتمع مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كعب ابن لوي اسلم
قديما وشهد المشاهد كلها انتهى وقال ابن حزم
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة
وتسعة وثلاثون انتقا منها على ستة وعشرين
وانفرد البخاري باربعة وثلاثين ومسلم باحد
وعشرين وقال الطوفي رحمه الله تعالى عمر ابن
الخطاب اول من سمي امير المومنين من الخلفا
لا مطلقا بل اول من سمي امير المومنين من المسلمين
عبد الله ابن جحش حين بعثه النبي صلى الله
عليه وسلم في سرية في اول مقدمه المدينة فقال
اصحابه ما ندعوك فقال انتم المومنون وانا اميركم
فلما وافيت اذا امير المومنين وفي سريتهم انزلت
يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية وقال
ابو الحسن رزين ابن معاوية في ايضاح المنهج لما
انصرف المسلمون من جنازة ابي بكر الصديق رضي
الله عنه صعد عمر رضي الله عليه المنبر فخطب
فقال بعد ما حمد الله بما هو اهله اما بعد

ايها الناس فاني لا اعلمكم من نفسي امرا تجهلونه انا عمر
ابن الخطاب قد علمتم انه ما كان من احد احسر مني على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامارة و الوحي
ينزل وقد قال في عليه الصلاة والسلام ان الله قد
جعل الحق على لسان عمر وقلبه و اني لم احرص على هذا
الامر ولا اردته لكن المتوفى طرحه في عنقي و ودت
بعد اجتهادي اني اتخلص من جميع ذلك كفافا لا علي
ولا لي ثم قال اما بعد فاني لا اجعل من اماني شيئا
الا من ليس لها باهل ولو كان من اهلي ولكن استعين
على ما حملني الله منها بمن اعلم منه الرغبة في التوفير
للمسلمين و الايثار لاهل الدين وان خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قد مضى وهو الذي
استثنى الله من جميع الخلق بالمدح اذ ذمهم بقوله
تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين اذ هما في الغار و قبضه الله رسوله اذا
اتقى اجله وهو عنه راض و الله عمن رضي عنه
رسوله راض وقد اوصى الي بعد الامر ولا حرص حمدي
في تصديق فراسته في ولا دين رسول الله صلى
الله عليه وسلم تاويل منامه في ثم قال الاوان الرغبة
مودية الى الامام ما ادى الامام الى الله فاذا اربع الامام
ارتعوا فعلم الناس امورا من امر دينهم ماتون ويدرون
ثم قال لنبيه وسماهم لا عرفن احدكم ياتي شيئا مما نهيت
عنه المسلمين الا ضعفت له العذاب ضعفين ثم
استغفر

استغفر الله ونزل مجدا في امره ففتح العراق كله السواد
والجبال واذربيجان والجزيرة والموصل والشام
ومصر والاسكندرية ووضع الخراج على اهل الارض
ووضع الجزية على جماجم اهل الذمة فيما فتح من البلدان
فبلغ في خلافته خراج السواد والجبال في العراق في
العام الاول مائة الف الف وعشرين الف الف ومصر
الامصار الكوفة والبصرة والجزيرة وحظين للقابل
واستقضى القضاة في الامصار ودون الدواوين
وفرض الاعطيات وهو اول من حمل الطعام في ثم
السفن من مصر في البحر الى الحابط ثم حمل من هناك
الى المدينة وهو موضع جميع ذلك بتجر وقدم عليه ابو
موسى في وفد من البصرة فكان يقدم لهم خبز الشعير
اما بسمن او بزيت او لبن او بقديد يابسة تقد
وتفلى فما كان يطيب للوفد طعامه فقال لهم والله
اني لا ارى فقيركم وكراهتكم لطعامي الا لظنون اني لا
احسن طيب العيش لكني والله اخاف ان تنقص
حسناتي ولولا ذلك لكنت اطيبكم طعاما وارفعكم عيشا
اما والله ما اجمل عن كرائم اخلاقكم وعن صلا
وصلايق مع صواب لكني اسمع الله يقول اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون
عذاب الهون وقال عبد الله ابن محمد اجتمع ناس
من المسلمين لما راوا من شدته وحصره على نفسه
فكلموا حفصة فقالوا اي ابوك الا شدة وقد بسط

الله الرزق فماله لا يبسط في هذا الغني لعياله ونفسه
فاخبرته بذلك فقال لها نصحت قومك وعششت اباك
اما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى من شدة العيش والله ما نشبع من خبز بر
ثلاثة ايام حتى لحق الله والله ما كان يبسط بالغدا
الا اضربه العشا والله كان يوقد السمر والاثنان
وما يوقد في بيانه نار ثم تبعه ابو بكر على منهاجه
فما زال يكدرها وهي تبكي حتى كادت كبدها يتفطر
فاقسمت عليه ان يسكت ثم قال اني والله اي بنية
ان استطعت لاشاركنكما في عالها الشديد لعلي ان
انال عيشها الرخي واعلمني انه انما حق نفسي واهلي
في دمتي ومالي الا في ديني وكان ابي يكتب الي عماله
في البلدان ايها الله اكتبوا الي بما يبلغكم عني واستفصوا
على ذلك اذا وافيتموني بالموسم فكتب اليه بعض
امرائه بلغنا عنك انك اتخذت توبين فنيقا وجبة
وانك اكلت بارمين بخلا وريت فكتب اليه ان
جزاك الله عني خيرا اما الثوبان فلبرد شديد
اعترائي واما الادمان فوالله لاجمعتهما ابدا لنفسي
وكان يكتب الى الناس اني لم استعمل عليكم عمالي ليضربوا
ابشاركم ويشتموا اعراضكم ويأخذوا اموالكم ولكن
ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم فمن ظلم عامله بظلامة
فليرفعها الي اقصه منه ورفع اليه رجل في عمرو
ابن العاص فقال عمر وانما اذبته لتركه ادب الله اقتصه

مني فقال عمر ومالي لا اقتصه منك وقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه قال
فدعني اقتدي منه لك ضربة ضربته بدرياربين
وهذا من تمام عدله رضي الله عنه ونظير ذلك ما ذكره
الحافظ ابو محمد بن حزم في المحلى عن ابي زرعة جرير
ابن عبد الله البجلي ان رجلا كان مع ابي موسى الاشعري
وكان ذا صوت ونكاية في العدو فغنموا فاعطاه ابو
موسى الاشعري نصف سهمه فابى ان ياخذه الا جميعا
فضربه عشرين صوتا وحلق راس نجم شعره ورجل
الى عمر فدخل عليه قال جرير ابن عبد الله وانا اقرب
الناس مجلسا من عمر فاخرج شعره فضرب به صدر
عمر وقال اجل والله لولا فقال عمر لولا ما ذا صدق والله
لولا النار فقال كنت ذا صوت ونكاية في العدو فرايت
قصته على عمر فكتب عمر الى ابي موسى ان فلانا قدم
علي فاخبرني بكذا وكذا فان كنت فعلت ذلك فعزمت
عليك ان كنت فعلت ذلك في ملا من الناس لما جلست
له في ملا من الناس حتى يقتص منك وان كنت فعلت
به في خلا لما جلست له في خلا حتى يقتص منك فقال
له الناس اعف عنه فقال لا والله لا ادعه لاحد فلما
نفذ ابو موسى للقصاص رفع راسه للسما فقال
اللهم قد عفوت عنه انتهى قال ابو محمد يعني ابن سعاوية
راى عمر يوما يمنا جريا الابل من الصدقة وقد لبس
نطعا واحتزم فيه ويده في ذنب البعير ويقول

والله اني لما يفوتني ان اسال عنك وروي ان جماعة العشرة
ارسلوا ابن عمر الى عمر ليعلمه ان بالبين جانبه شيا للناس
فاخبره فقال والله لقد البين للنا لينا حتى اني لاخشى في
اللين ولقد اشتد في امرانه حتى اخشى في الشدة فابن
المغيرة ان لها يعني الامارة فقال عبد الرحمن بل والله
او لنا بعدك مرتين وذهب وهو يكبرها وعمر رضي
الله عنه اراد عباس ليلة اني لمحفد في الاسلام على
عامة الناس وبينما هو ليلة يمسي اذ سمع امراة تقول
تطاول هذا الليل وآسود جانبه، وارقني اذ لا خليل الاعبه
مواليه لولا الله تخشى عواقبه، لحركت من هذا السرير جوانبه
ولكن تقوي الله عمن ذا تصديني، وحفظا لبعلها اذ نا مرانبه
فرجع الى الليلة التي مسترله وقد علم ان زوجها مكتئب
في الجهاد فارسل الى اوليك النفر فاتوا باجمعهم وبينا
هو ليلة اخرى يمسي اذ سمع امراة تقول
هل من سبيل الى خمر فاشربها، ام هل سبيل الى نصر ابن حجاج
فلما اصبح سال عنه فاذا هو من بني سليم فقال له
لا تكون في بلد انا بها فامر له بعطا الى البصرة وقال لولا
اني اعلم سلامتكما حملتكما وكانت الهجرة لا تفارقه
وكان اهيب في قلوب الناس ممن كان بعده وبينما هو
يمسي ليلة اذ سمع صبية يبكون وامهم قد اوقدت
تحت قدر وتقول لهم حتى ينضج ما في البرمة وليس فيها
شيء انما فيها ما قطع عمر ان يكتوا وظنت هي ان بنا موا
فاتاها وانا نستاذن عمر رضي الله عنه عليها وقال

اما

اما نقدر عيني وتطعيمهم قالت ما في البرمة الا الماء وانما
اردت عسى ان بنا موا فيخرج عن عندها وجا الى البيت
وجعل في غرارة دقيقا وشحما وشيا من ثياب ونفقة
وجا بها يحملها على رقبته ثم قال تنحي عني فتنحت عنه
فنفخ النار حتى تحلل لحيته فقالت امهم انا اكفيك فقال
والله لا ابرح حتى اسمعهم يضحكون كما سمعتهم يبكون
فاوقد لهم النار وجعل لهم عصيدة واذاب من الودك
في وسطها ولقمهم منها حتى شبعوا ثم حول صوف فروته
الى خارج ولبسها وستى بين ايديهم كانه شاة والصبية
يتعلقون به ويحكي لهم صوت المعز الى ان ضحكوا اشل
وخرج رضي الله عنه وكان يحج طول عام في خلافته ويعتمر
في رجب وقالت عايشة رضي الله عنها وقد رات
فتيانا شعثون رويدا ويتكلمون رويدا فقالت ما هولا
فقيل لها هم نساك فقالت والله عمر كان ناسكا وكان اذا
تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وكان
كل سايد الصحابة الا منه يتعلمون الورع وكان لا يعرف
فيه البرحتى يقول او يفعل ما كان متاولا وقالت
خصصه الله بفراسته فيه حتى ان الناس
الذين فتشه الله دارهم حبلت بعمر ودرت عليه
لقد جات به شجاعا وحده ذبح الكفرة وقتلهم وشرد
سبل الشيطان شد مدبر وقطعها وجمع الارض
فتحها حتى فات كلها ولقطت خيلها ثم لم تزل تتصدى
له ويابى منها ما كان فكان كما قيل

اذا اردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك فوقري مسكين
ذاك الذي حسنت في الناس طرائقه وذاك يصلح للدنيا وللدين
ومن مناقبه انه وافق الله عز وجل في كثير من القرآن
وفي صفوة الصفوة لابن الجوزي قال عمر رضي الله
عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم
قبل ان توزنوا فانه اهون عليكم في الحساب غدا ان
تحاسبوا اليوم وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية وقال للاحنف بن قيس يا احنف
من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن
اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه
ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل
ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقال لوديعة
الانصاري سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
يقول وهو يعظ رجلا لا تتهم فيما لا يعنيك واعتزل
عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من
يخشى الله تعالى ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من
فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في امرك
الا الذين يخشون ربهم عز وجل ومن كلامه كثروا
العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون من لم يعرف
الشر كان اجدر ان يقع فيه ما الحمد يا ذهب للعقول
الرجال من الطمع لا يكن حبك صلفا ولا بغضك
تلفا وامر ذوي القربات ان يتزاوروا ولا يتجاوروا
الى الله اشكو ضعف القوي وخيانة الامين ما عاقبة

امرا

احد اعصى الله فيك يا وفى من اطاعك لله تعالى فيه واحمل
امرك على احسنه فلا تظنن بكلمة خرجت من مسلم
شرا وانت تجد لها في الخير محملا وقال ابعد في سفر
اول مرحلة منه الموت وقال رضي الله عنه اللهم
قد ضعفت قوتي وكبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني
اليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوزت ذلك حتى قبض
رضي الله عنه ذكره مالك في الموطا وقال ابو محمد
رزين لما دفن اجلس عمر رضي الله عنه قام وخطب
ثم قال اني رايت كان ديكا نقرني وانا لا اراه الا لحضور
اجلي وان اقواما يامرونني ان استخلف وان الله
تعالى لم يكن ليضيع دينه ولا الذي بعث به نبيه صلى
الله عليه وسلم فان عجل بي امر فالخلافة شورى
بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عنهم راض وسمى لهم بالجنة يريد عثمان
وعليا وطلحة والزبير وسعدا وابا عبيدة فقالوا
الله الله يا امير المومنين استخلف فقال اتحمل امركم
حيا وميتا لوددت ان حظي منها ضربة علام المغيرة بالسيف
اجتمعوا اليه فقالوا اوصنا فقال اوصيكم ونفسي
بتقوى الله العظيم واني قد بينت لكم السنن وتركتكم
على الواضحة ليلها كنهارها
ودخل عليه رجل من شباب قريش فوجده يتمرغ
كتمرغ الحية وهو يقول لنفسه ويحك يا ابن الخطاب
ماذا تجاوب ربك اذا قال لك ماذا عملت فيما وليت

فقال له الرجل ابشر يا امير بشرى الله لك من صحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام وقد
بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال
اللهم اجعل الحق على لسان عمر وقلبه وقد سمعناه
يقول اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي
ثم وليت فعدلت ثم شهادة ابشر يا امير المومنين
فرفع راسه اليه وقال كيف قلت يا ابن اخي فاعاد
عليه مقالته فقال عمر رضي الله عنه راعب وراهب
الغرور من غرر تموه والله لوان لي ما طلعت عليه
الشمس لافتديت به من هول المطلع ثم قال ابن
عبد الله ابن عمر فقال انظر ما على من الدين فحسبوه
فقال ان وفى له مال العمر فاداه من اولادهم وقيل
ان ذلك الدين استلفه من مال الله تعالى لضياعة
الوافدين الذين يقدمون اليه من البلدان ثم خرج
الغلام الذي كان بشره فراه يجر ثوبه فقال له
يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك
ثم قال يا عبد الله اذهب الى ام المومنين عايشة رضي
الله عنها فقل لها عمر يقرؤك السلام ويقول لك
انا ذنين له ان يدفن مع صاحبيه في بيتك ولا تقل
امير المومنين فاني لست لهم اليوم بامير فذهب
فاذنت له فرجع فاخبره فقال اذا مت فاستاذن
ثانية فان اذنت والا فردني الى مقابر المسلمين فانها
لعل ان تكون قد استحت في حياتي وروي انه لما

طعن

طعن دخل الى بيته فدعي بقدح من لبن فشربه فنزل
من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عبد الرحمن
فقال الصلاة يا امير المومنين فقال نعم ولا حظ في الاسلام
من ترك الصلاة فقام وصلى وجرحه يثعب اي يقطر
دما فلما توفي وجي به وكان على الروضة فقيل فينا
عبد الله يريد ان يستاذن او هو يستاذن سمعوا
انفتاح القفل من غير ان يفتحه احد وقايلا يقول
من الروضة ادخلوه فدفن وكانت عايشة رضي
الله عنها رات في المنام كان ثلاثة اقمار سقطن
في حجرتها فقصتها على ابي بكر فقال لها خير ما رايت وخير
يكون سا خبرك بها وبكى فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم دفن في حجرتها قال لها اي بنية هذا احد
اقمارك وهو خيرها فلما مات هو قال لها وهذا الثاني
والذي بعدي ثالثهما فكان عمر رضي الله عنهما اجمعين
ولي الخلافة عشر سنين وخمسة اشهر وقتل وهو ابن
ثلاث وستين سنة وذلك سنة ثلاث وعشرين ومناقبه
كثيرة افرد لها ابو الفرج كتابا وانما ذكرت منها هذه
الزبدة لتقوى بها اهل الفضل والتقوى والله تعالى
الموفق والمعين على الخير الوجه الثاني قال
الاسيلي هذا الحديث يجمع عمل صحفه وجلالته
رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانفرد به عن جميع الصحابة
ورواه عن عمر رضي الله عنه علقمة ابن وقاص الليثي

تفرد به وتفرد به عن علقمة محمد ابن ابراهيم التيمي
وتفرد به عنه يحيى ابن سعيد الانصاري ومداره عليه
وهو تابعي صغير سمع انسا والسايب ابن يزيد وعبرهما
وروى عنه جماعة من التابعين واتفق العلماء على
جلالته وعدالته وحفظه واتقانه وورعه ورواه
عن يحيى اكثر من مايتين اكثرهم ثقاة ائمة فهو حديث
مشهور بالنسبة الى اخره غريب بالنسبة الى اوله
وبعض الناس زعم انه متواتر وليس كذلك لفقد
شروط التواتر في اوله ولكنه صحيح مشهور انتهى
وقال الطوفي اشتهر عن يحيى حتى رواه ائمة
الحديث الستة البخاري ومسلم واحمد وابوداود
والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم من
اصحاب الاسانيد حتى صار بسببها بالتواتر الوجه
الثالث قدم المصنف هذا الحديث لتعلقه بالطهارة
ولعله امتثل قول من قال من المتقدمين انه ينبغي
ان يبتدى به في كل تصنيف ووقع موافقا لما قال وقال
الاسنوي كان من المتقدمين من المشايخ يستحبون
تقديم هذا الحديث امام كل شيء ينشاويبدا من امور
الدين لعموم الحاجة اليه وقال الامام الشافعي
رحمه الله تعالى يدخل هذا الحديث في سبعين بابا
من الفقه وفي رواية اخرى قال يدخل في هذا
الحديث ثلث العلم وقال البيهقي رحمه الله تعالى
معناه ان كسب العبد انما يكون بقلبه ولسانه

وجوارحه فالنية احد الاقسام الثلاثة وهي ارجحها
لانها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الاخرين
ولانها كانت نية المؤمن خيرا من عمله ولان القول
والعمل يدخلهما الفساد بالرياء بخلاف النية والله
تعالى اعلم الوجه الرابع قال الشيخ تقي الدين
القشيري رحمه الله تعالى كلمة انما للحصر على ما تقرر
في الاصول فان ابن عباس رضي الله عنهما فهم الحصر
من قوله عليه الصلاة والسلام انما الربا في النسيئة
ومر عرض بدليل اخر يقتضي تحريم ربا الفضل ولم
يعارض في فهمه للحصر وفي ذلك اتفاق على انها للحصر
ومعنى الحصر فيها اثبات الحكم للمذكور ونفيه
عما عداه وهذا نفيه عما عداه مقتضى موضوع اللفظ
او هو من طريق المفهوم فيه بحث ثم قال الثالث
اذا ثبت انها للحصر فتارة تقتضي الحصر المطلق
وتارة تقتضي حصرا مخصوصا ويفهم ذلك بالقرائن
والسياق كقوله تعالى انما انت منذر وظاهر ذلك
الحصر المرسول عليه السلام في النذارة والرسول
صلى الله عليه وسلم لا ينحصر في ذلك بل له اوصاف
جميلة كثيرة كالبشارة وغيرها ولكن مفهوم الكلام
يقتضي حصره في النذارة لمن لا يؤمن وعلى كونه
قادرا على انزال ما يشاء الكفار وكذلك قوله
عليه الصلاة والسلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون
الى معناه حصره في البشرية بالنسبة الى الاطلاع على

بواطن المخصوم لا بالنسبة الى كل شيء فان للرسول صلى الله
عليه وسلم اوصافا كثيرة وكذلك قوله تعالى انما الحياة
الدنيا لعب ولهو وهو يقتضي والله اعلم الحصر باعتبار
من اثرها واما بالنسبة الى ما هو في نفس الامر فقد تكون
سبيلا الى الخيرات او تكون ذلك من باب التغليب للاكثر
في الحكم على الاقل فاذا اوردت لفظة انما فاعتبرها فان دل
السياق والمقصود من الكلام على الحصر في شيء مخصوص
فقل به وان لم يدل على الحصر في شيء مخصوص فاحمل
الحصر على الاطلاق ومن هذا قوله عليه السلام انما
الاعمال بالنيات والله تعالى اعلم بالمراد انتهى وقال
الطوفي انما يقتضي تاكيد الحكم الواقع بعدها اتفاقا
فانها هو الحصر وهو اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما
عداه نفيه للاصوليين اقوال ثالثها انها تقتضيه
عرفا لا وضعا حجة الحصر مطلقا من وجوه احدها انها
وردت في كلامهم والمراد بها الحصر فوجب ان تكون
حقيقة فيه اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة الثاني
انها وردت في غالب مواردها للحصر فوجب ان يكون
موضوعة له حملا لها على غالب مواردها الثالث
انها مركبة من ان التي هي للاثبات وما التي هي للنفي
فاقتضت انما نفي الحكم عما بعدها واثباته لغيره وهو
باطل اجماعا او اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما غيره
وهو المطلوب واعترض على الاول انها وردت
لغير الحصر فوجب ان تكون حقيقة فيه لغير ما ذكر

ثم وعلى

ثم وعلى الثاني يمنع بانها في غالب مواردها للحصر سلمناه
لكن لا نسلم ان ذلك يوجب انها موضوعة للحصر لجواز
اغلبية الاستعمال في غيرها وضعت له وعلى الثالث
بانا لا نسلم انها مركبة من ان وما بل هي كلمة موضوعة
من اصلها لذلك من غير تركيب سلمناه لكن لا نسلم
ان ما فيها للنفي اذ لها معان غير ذلك فتخصيص النفي
هنا تحكم سلمنا انها للنفي لكن لا نسلم ان معنى مفردها
اعني ان وما بعد التركيب معناها قبله لان التركيب
يغير معاني المفردات كما قولوا فانها من لود لا وليس
معناها نفي واحد احجة القائلين بعدم الحصر
من وجوه احدها انها وردت لغير الحصر كثيرا
فلتكن حقيقة فيه لما سبق الثاني انا اذا قلنا
انما قام زيد حسن ان يقال فهل قام عمرو ولو كانت
للحصر لما حسن هذا الاستفسار لانه استعلام
المعلوم ويجعل الجواب الثالث لو كانت للحصر
لاستوى قولنا انما قام زيد وقولنا ما قام الا زيد
لكنهما لا يستويان اذ الثاني اقوى من الاول الرابع
ان اسامة ابن زيد روى انما الربا في النسيئة ولم يحصر
الربا فيها بل هو ثابت في النقد والجواب عن الاول
بالمعارضة بما سبق وعن الثاني بانه انما حسن الاستفهام
لاحتمال انها استعملت في غير الحصر مجازا لا لانها ليست
تقتضي الحصر وعن الثالث بالتزام استواء القضيتين
في الحصر ولين سلمنا تفاوتهما فيه لكن لا نسلم ان انما

ليست للحصر لجواز ان للحصر قدرا مشتركا استويا
فيه واختصت احدهما بمزيد قوة فيه كما اشتركت السين
وسوف في معنى التنفيس وكان سوف اكثر تنفيسا
لكثرة حروفها فكذلك ما قام الا زيد اكثر حروفا من انما
قام زيد ولان الحصر في انما قام زيد معنوي دون ما قام
الا زيد لفظي للتصريح فيها بما والاجماع بين النفي والاثبات
للمطابقة وعن الرابع ان ابن عباس من اهل اللسان
وقد فهم من حديث اسامة الحصر وقاربه وانما ثبت
والربا في النقد عند من ذهب اليه بادلة اخر
ناسخة لمفهوم الحصر في حديث اسامة كما نسخ حديث
عمايشة ونحوه في النقا المتماثلين مفهوم حديث
انما الماء من الماء جمعا بين القايلين باقتضايها للحصر عرفي
لا وضعيا لان المواضع تغايب عنا وما يليه من التتمة
ما سبق فلا يثبت بالشك ما في عرف الاستعمال
فنحن نجدهم يبادرون عند ارادة الحصر الى انما
كما يبادرون الى تصريح النفي والاثبات بما كان الاكذا
نحو قوله انما الزايد كما في الزمار وانما يدافع عن احاسيسهم
انا وصاحبي كقولهم ولست بأكثر منهم حصى وانما العدة
للمكاثرة وقوله عز وجل وما تجزون الا ما كنتم تعملون
وانما المتكلم انه كما قال وما من اله الا الله وهو كثير
فثبت انها للحصر بعرف الاستعمال قلت الاشبه
ان انما ليست للحصر مطلقا لقوله عليه الصلاة
والسلام ما من نبي من الانبيا الا وقد اوتي من الايات

ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا
فلو كانت انما الحصر لانحصرت ايات النبي صلى الله
عليه وسلم ومعجزاته في الوحي وانتفى غيره بانتفا
النبي صلى الله عليه وسلم لحصر ما في القرآن فكنا
نحتاج في اثبات غيرها من المعجزات نحو ذلك الى نقب
لان الحصر يقول لنا انتم تثبتون لنبيكم من الايات
ما هو مصرح بنفيه ومن المعلوم ان من نفى ما يثبته
لم يسمع منه بعد ذلك اما اذا جعلت انما للاثبات المؤكد
لا يلزم هذا السؤال لانا نقول انما اراد النبي صلى الله
عليه وسلم بهذا الكلام اثبات الوحي لا نفي ما عداه وقد
ثبت له غيره من الايات ما لا يحصى وهو عليه السلام
غير منكر له فيجب القول بنبوته انتهى وقال بعض المتاخرين
اخبارا لامري انها تفيد الحصر بل تفيد تاكيد الاثبات
وهو الصحيح عند اكثر النحويين ونقله الشيخ اثير
ابو حيان في شرح التسهيل عن البصريين والله
اعلم الوجه الخامس قال الشيخ تقي الدين ما
يتعلق بالجوارح وبالقلوب هل يطلق عليه عمل ولكن
الاسبق الى الفهم تخصيص العمل بافعال الجوارح
وان كان ما يتعلق بالقلوب فعل القلوب ايضا
ورايت بعض المتاخرين من اهل الخلاف خصص
الاعمال بما لا يكون قولا واخرج الاقوال من ذلك وفي
هذا عندي بعد وينبغي ان يكون لفظ العمل يعم جميع
افعال الجوارح نعم لو كان خصص بذلك لفظة العمل

كان اقرب فانهم استعملوها متقابلين فقالوا الافعال
والاقوال ولا تردد عندي في ان الحديث يتناول الاقوال
ايضا انتهى ونعلل من خصص الاعمال بالافعال يتمسك له
بقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل اخرجوا
من النار من لا عمل خيرا قط واجمعوا على انه لا يخرج
من النار الا نفس نطقت بالتوحيد فدل ذلك على ان
العمل لا يتناول القول فتامله الوجه السادس
قال الشيخ تقي الدين قوله عليه السلام الاعمال
بالنيات لابد فيه من حذف مضاف واختلف العلما
في تقديره فالذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال
بالنيات او ما يقاربه والذين لم يشترطوها قدروا كمال
الاعمال بالنيات او ما يقاربه وقد رجح الاول بان الصحة
اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها اولى لان
ما كان اللزوم للشيء كان اقرب الى حضوره بالبال عند
اطلاق اللفظ فكان الحمل عليه اولى وكذلك قدروه انما
اعتبار الاعمال بالنيات وقد قدر ذلك بعضهم بنظائر من
المثل كقولهم انما الملك بالرجال اي تواعده ووجوده
وانما الرجال بالمال وانما الرعية بالعدل كذلك يقدر
فيه يراد به ان قوام هذه الاشياء بهذه الامور انتهى
وقال الطوفي الاعمال مبتدا وبالنيات متعلق بالخبر
المحذوف واختلف فيه فمنهم من قدره بالصحة اي
الاعمال صحيحة او عائدة بالنيات فتنحصر صحتها
وجوازها فيما اذا كانت منوية فيقتضي انه لا يصح

عمل

عمل الا بالنية الا بدليل مخصص ومنهم من قدره بالكمال
اي الاعمال كاملة بالنيات فيكون المحصور بالنية كمالها
لا صحتها ولا يلزم من ذلك انتفاء صحتها بدون النية
وكلا الامرين جائز لان الاول اظهر لقوله عليه السلام
وانما لكل امرء ما نوى الى اخر الحديث مع ما روي قبله
من قوله عليه السلام ليس للمرء من عمله الا ما نواه ولا
عمل الا بنية فان ذلك قوي جدا في ارادة حصر صحة
الاعمال بالنيات لا حصر الكمال فقط الوجه السابع
قال الشيخ تقي الدين رحمه الله قوله عليه السلام
وان لكل امرء ما نوى يقتضي ان من نوى شيئا يحصل له
ومن لم ينوه لم يحصل له فيدخل تحت ذلك ما لا ينحصر
من المسايل ومن هذا عظم اهل الحديث فقال
بعضهم يدخل في حديث انما الاعمال بالنيات ثلث العلم
فكل مسيلة خلافية حصلت فيه نية فلكان تندرج
تحت هذا عامي قدم حصر ما وقع فيه النزاع فان جاء ليل
خارج يقتضي ان المنوي لا يحصل او ان غير المنوي يحصل
وكان راجحا عمل به وخصص هذا العموم انتهى وقال
الطوفي وانما لكل امرء ما نوى اي جزاء ما نوى من خير
او شر فهو من باب حذف المضاف نحو واسال القرية
اي اهل القرية ونحوه حكي عن الامام الشافعي رضي الله
عنه انه قال يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه
ثلث يريد الابواب الكلية كالطهارة والصلاة والزكاة
والصيام والحج والطلاق ونحوها من ابواب اما المسايل

الجزئية التفصيلية فاكثر من ان تحصى ومن مشهور هذا
الباب النية شرط في الوضوء للحديث والقياس على التيمم
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يشترط واجاب عن
الحديث بان معناه كاملة بالنية ونحن نقول به ولا يلزم
نفي الصحة كما سبق وايضا فهو عام مخصوص كرد
المغصوب والامانات ونحوها فهي من الاعمال ولا نتوقف
صحتها على النية فتخصص محل النزاع بالدليل وفرق
بين الوضوء والتيمم بان الماء مطهر بطبعه فاستغنى بقوله
عن النية بخلاف التيمم وايضا نقوله عز وجل فتيمموا
صعيدا طيبا امر بالتيمم وهو القصد وهو حقيقة النية
بخلاف الوضوء فان الاية وهي اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
ليس فيها تصريح في النية ولا تعرض واجيب
عن الاول بانا قد بينا ان المحصور في النيات هي الصحة
لا مجرد الكمال والحديث عام في الوضوء وغيره ولا تخصص
له منه ولا نسلم ان الماء مطهر بطبعه لان الطهارة عبادة
لا تاثير فيها للطبع بخلاف المنوي فانه ليس بعبادة
والوضوء والتيمم طهارتان فكيف يفترقان وهذا لفظ
الشافعية في الزامهم النية للوضوء قياسا على التيمم
انتهى والحنفية رحمهم الله تعالى استدلوا بما ذكره الطوفي
ولقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي توضأ كما امرك
الله تعالى فاحاله على الاية وليس فيها ذكر النية والاعرابي
كان جاهلا بالاحكام قريب عهد بالاسلام فلو كانت فرضا
لعلمها له وهو من اقوى الحجج لهم واما ما ذكره الطوفي من

ان الما

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر ومقره برواق اليمن

ان الماء ليس مطهرا بطبعه فهو كانكار الري عند شرب الماء والشبع
عند التغذي وهو مشكل واما قوله ان الوضوء والتيمم عبادتان فكيف
يفترقان فممنوع ومستند المنع ان الوضوء وسيلة الى
العبادة وليس عبادة في نفسه ولهذا لا يصح التقرب به فلو كان
عبادة لصح كالصلاة والله اعلم واختلف العلماء في اشتراط النية
في الوضوء فاشترطها مالك والشافعي واحمد ولم يشترطها ابو
حنيفة واصحابه قال الطوفي ومسايل النية انه لو وطئ امراة اجنبية
يظنها زوجته او امته لا اثم عليه ولو وطيها يعتقدها اجنبية فاذا
هي صباحة له اثم ولو صادفة المحل المباح لمد وكذا لو شرب مباحا
يعتقده حراما اثم وبالعكس لا ياثم ولو قال لامراته انت طالق يظنها
اجنبية طلقت زوجته لصادفة الطلاق محله ولو قال لاجنبية
انت طالق وظنها زوجته اختلف فيه والاشبه طلاق زوجته
اعتبارا للنية وقيل لا تطلق لفوات المحل ولو قال لرقيقه انت
حر يظنه اجنبيا عتق عليها صادفته العتق محله وفي عكسه خلاف
العتق للنية وعدمه لفوات المحل وعلى هذا القياس ومسايل
الشريعة والحقيقة والعلامات الظاهرة والباطنة ولهذا
افتتح البخاري كتابه به مع انه لا يناسب ترجمة باب بدء الوحي
انما اراد التنبيه على تصحيح النية في الاعمال حتى قال بعضهم ينبغي
لكل باري عمل وتصنيف كتاب ان يفتتح به وقد روى ابو يعلى
الموصلي في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله عز وجل للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من
الاجر فيقولون يا رب لم نحفظ ذكر عنه ولا هو في صحفنا فيقول الله
تعالى انه نواه قلت ولهذا المعنى ونحوه قيل نية المؤمن خير من عمله

وقد ذهب بعض العلماء الى وقوع الطلاق بالنية المجردة ولزوم النذر بها اعتمادا على هذا الحديث ولا يرد عليه قوله عليه السلام ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل به لان المعفو عنه في هذا الحديث هو الخطرات والهم الضعيفة بخلاف ما عقدت عليه العزم وهم انما يوقعون الطلاق ونحوه بالنية اذا قويت وصارت عزيمة اكيدة انتهى ويؤيد هذا ما نقله الشيخ محيي الدين النووي والشيخ ابو عبد الله القرطبي ان مذهب المحققين ان الثواب والعقاب يقع على العزائم وان لم يفعل واستدلوا بما رواه الترمذي وقال الشيخ ابو الحسن رزين بن معاوية في ايضاح المنهج النيات جمع نية ومعنى النية قصد القلب بالفعل ومراده به واصله من نحو هذا في اللغة لان العرب يسمي قصدهم في سيرهم نية وكذلك يسمون العبد نية ويؤوي من اصل واحد لانهم ما كانوا يسيرون في رحلهم وظعنهم الا الى مقصد ينوونه وقصده ثم صارت النية عامة في جميع الاعمال ثم قال وان لكل امرء ما نوى اخبران كل امرء انما يجزى بنيته لا بظاهر عمله لانه قد يحسن العامل عمله في الظاهر على فساد من نيته فيه فلا يغني عنه شيأ ولا ينفعه عند الله تعالى بل يضره وقد روي في الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وانسابكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وهذا يحتمل ان يريد الاعمال الظاهرة فيكون من المقدم الذي معناه المؤخر ويحتمل ان يكون المعنى الى قلوبكم واعمالكم بها وانما اعمال القلوب النية والقصد كما قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وفي الاية الاخرى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد روي في الحديث نية المؤمن ابلغ من عمله اي هي قطب عمله ومداره لان بها يرتفع

او ينتفع

اويتضع على قدر ما ينوي عليه من صحة او سقم وقيل لبعض النساك كيف الناس عندكم فقال على قدر نياتهم قال بعض العلماء في قول النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله يعني نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى الاتساع لان كل عمل بلا نية لا خير فيه اصلا ونية الخير حالما قد يوجر صاحبه على ذلك كما روي عن بعض التابعين انه كان به الم فدخل عليه بعض اصحابه يعوده وله فقال لهم انوا وابنا حجا انوا وابنا غزوا انوا وابنا رباطا فانوا واعملوا هذا من حالنا فاهاب بانه النية على حال لا يخيب فانه وانهم يؤجرون بها وتاوله بعضهم على معنى ان المؤمن ولو بلغ في عمل الخير فلا يقنع من نفسه بذلك وهو ينوي ابدا انه يعمل من اعمال الخير اكثر من ذلك فازيد وقد قيل بذلك استحق الخلود في الدارين لان المؤمن ما ينوي انه لو عاش الدهر لكان عاملا بالطاعة وبما هو عليه من الايمان والكافر ينوي انه لو عاش الدهر لكان عاملا بما هو عليه من الكفر والطغيان في طاعة الشيطان كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك انتم بالمدينة قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا كيف وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر وقال الضرير ومما يشهد لذلك قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر مع المجاهدين الاصحاء البصراء النية قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فاستثنى اولي الضرر مما انتفى فيه استوا القاعدين والمجاهدين فاقتضى ذلك انهم مع الضرر قد يستوي من قعد منهم من جاهد اذا صحت النية في هذا

وعلم الله من القاصد انه لو قدر لكان من يضر وقد روي ان
مجاعة وقعت في بني اسرايل فمر بقطيع كثيب رمل فقال ليت لي
هذا الكثيب طعاما اتسع به لبني اسرايل فاوحى الله الى
نبي زمانه ان اعلمهم ان الله تعالى قد اعطاه هذا الاجر بقدر ما نوى
وقد تاول الحديث بعض العلما على معناه ان نية المومن في تنوير
قلبه لان النية عملها القلب فيكون ابلغ من عمله بالجوارح الظاهرة
لبعدها من القلب بقدر ما نوى وان كانت الجوارح منوطة وهو
ايضا محتمل والاول ان يحمل على العموم على ان كل عمل من اعمال
الدين لابد فيه من نية فيكون عاما في الوضوء والغسل من الجنابة
والصلاة والصيام وجميع الاعمال التي للدين وان ينوي ايضا في
التي للدنيا ان يستعين بها على امور دينه ويكون ذلك بنية صادقة
لا كاذبة ودليل صدقه فيها ان يجاوز في ذلك ما اباحه له الشرع
لان ما حظره عليه الوجه التام قال الشيخ تقي الدين القشيري
رحمه الله من كانت هجرته الى الله ورسوله اسم الهجرة على
امور الهجرة الاولى الى الحبشة عند ما اذى الكفار الصحابة الهجرة
الثانية من مكة الى المدينة الهجرة الثالثة هجرة القبايل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم الشرايع ثم يرجعون
الى اوطانهم ويعلمونهم الهجرة الرابعة هجرة من اسلم من
اهل مكة ليات الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع الى مكة
الهجرة الخامسة نهي الله عنه ومعنى الحديث وحكمه يتناول
الجميع غير ان السبب يقتضي ان المراد بالحديث الهجرة من مكة
الى المدينة لانهم نقلوا ان رجلا هاجر من مكة الى المدينة ليتزوج
امراة تسمى ام قيس ولهذا خصت في الحديث ذكر المراة دون سايل

ما ينوي

ما ينوي به الهجرة من افراد الاغراض انتهى وقال الشيخ ابو محمد
رزين بن معاوية في هذا الحديث تنبيه على فضيلة النية
وانها الاساس الذي يبنى عليه العاملون وان من طلب العلم
بنية خالصة كان منتظما في سبيل نجاة ثم قال وهذا في زماننا
مما يقل وجوده بل غلب على كثير من الناس الا من عصمه الله تعالى
طلب العلم على غير اخلاص بل للمباهاة والتقرب به ولانتهاز الدنيا
من جهته وكثر ذلك وذاع في هذا العصر بل عصور قبله وقال بعض المتاخرين
اري الناس في عصرنا لا يطلبون العلم للعمل الا مباهاة لاشكالهم
وعدة للخصم والظلم وقال ابن المبارك في ذكره يا حبذا العلم لو ان
يصاد به اموال المساكين احتلت للدنيا وله فيها حيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعد ما كنت دواليا وقد كان السلف من
الصحابة والتابعين ينهون على ظهور الفتنة من نحو هذا
في زمانهم مضلا عن زماننا هذا في اخر الاواخر وحصول العلما
وطلبة العلم على تصحيح النية والطوية واخذه عمن وجمه
من الكتاب والسنة وذلك كله في زماننا اعز من الكبريت الاحمر كما قيل
وقد كانوا اذا عدلوا قليلا فقد صاروا اقل من القليل قال فاذا
قد ايسنا من درجة العلما فينبغي ان يتعلم العلم لطلب النجاة
من النار ومن عذاب الله في الاخرة والسلامة من فتنة الدنيا
وهلكاتها وشبهها وضلالتها فاذا اخلص النية في ذلك رزقه
الله النجاة وسلمه ثم قال وطلب العلم على هذا الوجه في زماننا
صعب مرامه متوعرة طرقه متعذرة اسبابه لقلة الادلا
وفقد العلما ولتعذر القوت الحلال والاسباب المعينة على
الخير لاقتراب الزمان وفساد الاحوال الا على من اراد الله تعالى

نجاته وتيسير الطلب عليه لخفة المونة وقلة العيال ورزقه
الزهد في الدنيا ورزقه منها الكفاف ونفض له من يعلمه الطريق
انتهى وقال الامام المحقق يمن ابن رزق رحمه الله تعالى نظرت
في هذا الامر فلم ار لنا تيسيرا الا من قبل النية لاني
نظرت فوجدت الانسان لا يخلو من واحد من امرين اما
حركة او سكون وكلاهما عمل فاذا تحرك الانسان او سكن ساهيا
او غافلا كان ذلك عملا عاريا عن النية فيخرج عن ان يكون عملا
شرعيا لحديث انما الاعمال بالنيات فاذا تقرر هذا وعلم ذلك
تحصل منه ان اعظم الناس منزلة واكثرهم خيرا وبركة الواقف
مع ان نيته وحركته وسكونه ولهذا وقع الفرق بيننا وبين سلفنا
وخيار سلفنا وخيار من تقدم منا رضوان الله عليهم اجمعين لتحسين
نياتهم وتحريرها فكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة ونحن اليوم
اضاعها دنيا ما كان من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد
اصول الدين المعروفة وهذه انما هي عند المتقين منا اعني المواظبة
على هذه الافعال عندنا على اقسام فمنا من يفعلها للحمد نيا ومنا
من يفعلها عقلة ونسيانا الى غير ذلك من الامور المعارضة
في نفسها يفتقر بيان الفرق بيننا وبين سلفنا انتهى وقال
الشيخ ابو عبد الله ابن الحاج اجتهد ان تستكثر من النية
في جميع اعمالك حتى تنوي لعمل واحد نيات كثيرة فبا جتماع النيات
تزكو الاعمال وتلحق باعمال المقربين كما انه بنقضها تلحق
باعمال الشياطين كمن يقصد من القعود في المسجد التمتع
بالباطل والتفكه باعراض الناس ومجالسة اخوان اللهو
واللعب وملاحظة من يجتاز به من النسوان والصبيان

ومناظرة

ومناظرة من ينازعه من الاقران على سبيل المباهاة والمراءة
باقتناص قلوب المستمعين للكلام وما يجري مجراه وكذلك لا
ينبغي ان يغفل في المباحاة عن حسن النية فنى الخبر ان
العبد يسئل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن
فتات الطينة باصبعه وعن لمس ثوب اخيه فمثال ذلك من
يطيب يوم الجمعة يمكنه ان يقصد التنعم والتفاخر والتزويق
للنساء ويتصور ان ينوي به اتباع السنة وتعظيم بيت الله
تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الضرر عن غيره بدفع الرائحة
الكريهة وايصال الراحة لهم بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة
اذا شموا منه رائحة كريهة والى الفريقين الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله جاء يوم القيامة وريحه
اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة
وريحه انتن من الجيفة ثم ذكر ما ورد من وعيد من تعلم القرآن
لغير الله ونحوه وذلك مشهور يسأل الله تعالى ان يجعل طلبنا
للعلم مما يقربنا اليه زلفى انه ولي ذلك والقادر عليه الوجه
التاسع قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه الله تعالى المتقدر عند
اهل العربية ان الشرط والجزاء او المبتدا والخبر ابدا يتغايران وهاهنا
وقع الاتحاد في قوله من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
وجوابه ان التقدير من كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا
فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وقال الطوفي رحمه الله تعالى
قوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر
اليه ثلث اللام في لدنيا يحتمل انها للتعليل على بابها اي من كانت
هجرته لعلة دنيا او لاجل دنيا ويحتمل انها بمعنى الى اي قد كانت هجرته

الى دنيا يصيبها لانه قابله بقوله فهجرته الى ما هاجر اليه ولم يقل
فهجرته لما هاجر اليه وهذا جيد والاول اشبه وتقديره من كانت
هجرته لاجل دنيا يحصلها التهت هجرته وكانت نهاية هجرته الى
ذلك اي لا يحصل له غيره وقوله لدنيا يصيبها او امراة ينكحها يحتمل
ان هما جران فيكون المذكور كان يحبهما لما لها وجمالها فجمعهما في
التعريض به ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس
هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما ويحتمل انه عليه
السلام عرض بطالب نكاح المراة وانما ذكر المال اتفاقا لا قصدا
لقاعدة فقد زجر الناس عن قصدهم بنية الهجرة كما ذكرناه لما
سيل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته
فزاد على السبب تمهيد القاعدة اخرى وهذا من باب زيادة النص
على السبب الوجه العاشر قال الطوفي يقال لم تجد الشرط والجزا
في الجملة السابقة واختلفا هاهنا وهلا قيل من كانت هجرته لدنيا
يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها كما
قيل من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والجواب
انا تحاد الشرط والجزا خلاف الاصل وانما تحدا في قوله من كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته تبركا وتعظيما لهما بتكرار ذكرهما وكونه
ابلغ في حصول مقصود الهجرة اليهما لان من سعى الى خدمة الملك
تعظيما له اجزل عطاه من يسعى ليأخذ كسرة من ساطه بخلاف
الدنيا والمراة فانهما لا يستحقان التعظيم ولا يقصد بذكرهما تبرك
والعدول عن ذكرهما ابلغ في الزجر عن قصدهما كانه قال فهجرته الى
ما هاجر اليه وهو حقير مهين لا يجزي ايضا فان ذكر الدنيا والنكاح
المراة مما يتحلى عند عامة الناس فلو كرر ذكرهما ربما علق بقلب

بعض

بعض السامعين فيقول قد رضيت ان تكون هجرتي الى دنيا اصيبها
او امراة اتزوجها وهل العيش الا ذلك فكان قوله فهجرته الى ما هاجر
اليه اجدر بانه فاع المحذور الوجه الحادي عشر قال الشيخ تقي
الدين القشيري فرق بين قولنا من نوى شيا لم يحصل له
غيره وبين قولنا من لم ينو الشيء لم يحصل له والحديث يحتمل
الامرين اعني قوله عليه السلام الاعمال بالنيات واخره يشير
الى المعنى الاول اعني قوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه الوجه الثاني عشر
هذا الحديث اصل في الاخلاص وله مرجع الى الكتاب والسنة
اما مرجعه من الكتاب فكل اية تضمنت مدح الاخلاص او ذم
الرياء نحو وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
انه من عبادنا المخلصين ممن كان يرجو لقاء ربه الاية كالذي
ينفق ماله رياء الناس ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب الاية الذين ينفقون اموالهم رياء الناس واما مرجعه
من السنة فقوله عليه السلام يقول الله انا اغنى الشركاء عن
الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري وهو الذي اشرك
وفي رواية تركته وشركه في النار وعن ابي موسى ان رجلا قال
يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي
ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله رواه السبعة الذين
رووا حديث الاعمال بالنيات انتهى وروى ابو داود والترمذي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم
علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من

الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وعن ابي هريرة ايضا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب
الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ
منه جهنم في كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله ومن يدخله
قال القراء المراؤون باعمالهم قال هذا حديث غريب ولذا قال مالك
رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية انما هو نور يقذفه الله في
القلب وقال ابراهيم الخواص رحمه الله ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم لمن اتبع العلم واستعمله واقتدا بالسنة وان كان قليل
العلم يبين ذلك ويوضحه ما ذكره الشيخ ابو عبد الله القرطبي
رحمه الله في تفسيره عن ابي بكر الانباري باسناده عن خلف
ابن هشام البزار قال ما اظن القراء الا مرائية في ايدينا وذلك
انا رأينا ان عمر ابن الخطاب حفظ سورة البقرة في بضع عشرة
سنة فلما حفظها نحر جزورا شكرا لله تعالى قال القرطبي
وخرج الطبراني في كتاب اداب النفوس باسناده الى ابن صدقة
عمار رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او من حرثه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تماروا عوا الله فانه
من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر قالوا يا رسول
الله وكيف يخادع الله قال تعمل بما امر الله به وتطلب بغيره
واتقوا الرياء فانه الشرك وان المرائي يدعى يوم القيمة على رؤس
الاشهاد باربعة اسماء ينسب اليها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر
قد حبط عملك وبطل اجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت
تعمل له يا مخادع وحديث الثلاثة الذين اول من تسعر بهم النار
اعظم من هذا كله نسال الله تعالى فاطر السموات والارض بارئ

فطرة

فطرة الصور ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم انه ولي ذلك
والقادر عليه لا رب غيره ولا نرجو الا خيره الوجه الثالث عشر
قال الطوفي ان قيل لم قال انما الاعمال بالنيات ولم يقل انما الافعال
قلنا قال بعض العلما انما قال الاعمال بالنيات لانه لو قال انما
الافعال بالنيات لتناول افعال القلوب ومنها النية ومعرفة
الله عز وجل فكان يلزم ان لا يصح ايمان الا بالنية لكن النية
يصح ايمان اما في النية فانها لو توقفت على نية اخرى لتوقفت
الاخرى على نية اخرى ولزم التسلسل في النيات او الدور
وهما محالان واما معرفة الله تعالى فانها لو توقفت على النية مع
ان النية قصد المنوي بالقلب لزم ان يكون الانسان عارفا
بالله عز وجل قبل معرفته به وان يكون معروفا له وان يكون
العالم عارفا بالله عز وجل غير عارف به في حالة واحدة وكل
ذلك محال الحديث الثاني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
ايضا قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى آخر الحديث اللام عليه من وجوه الاول قال صاحب المفهم
بينما هي بين الظرفية زيدت عليها الالف لتكفها عن عمل ما
الذي هو الخفض كما زيدت عليها ما لتكفها عن العمل وما بعدها
مرفوع بالابتدا في اللغة المشهورة ومنهم من قال يخفضها
بعد الالف على الاصل فقال بينما معانقة الكماة ورعه يوما الشيخ
له خرى بسلقع يدوي يرفع معانقة وخفضه فتكون الالف والميم
ليستا للكف ولكن لتمكن النطق بها انتهى الوجه الثاني قوله شديد
بياض الثياب فيه دليل على تحسين الهيئة وليس ما يتجمل به عند
الدخول على العلما والملوك كان جبريل صلى الله عليه وسلم

الحديث الثاني

التي معلما للناس بحاله وقاله وفيه دليل على استحباب النظافة وفي
جامع الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله نظيف
يحب النظافة وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ الوجه الثالث انما ذا
في الثياب البيض ولم يجئ في غيرها وان كان غيرها مما يتجمل به ايضا
لان البياض من افضل الثياب لقوله عليه الصلاة والسلام
ان من خيار ثيابكم البياض فالبسوه وكفنوا فيه موتاكم الوجه
الرابع قوله شديد سواد الشعر فيه دليل على الحث على طلب في
زمن الشباب لعزائم قلب الشاب من الشر اقبل لها وقد قيل
العلم في الصغر كالنقش في الحجر الوجه الخامس قال الطوفي قوله شديد
بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر هو اشارة
الى غرابة هذه القضية لان الرجل هيئته هيئة حاضر لا يجئ عليه
امر الدين مع اجتهاده غالبا خصوصا بالمدينة وسؤاله سؤال
اعرابي وارد غير عالم بالدين وهذا خلاف حديث طلحة بن عبيد
الله قال جاء اعرابي ثائر الرأس من اهل نجد نسمع دوي صوته
الحديث اذ وصفه بصفة الاعراب الوارد بن فلم يكن في سؤاله غرابة
ولا عجب وقوله شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر فيه
مطابقة جيدة تامة وقوله ولا يعرفه منا احد فيه اشارة الى غرابة
القضية ايضا لان هيئته تقتضي انه من اهل المدينة ولو كان منها
لعرفناه او بعضنا فقد حصل فيه امارة معرفتنا له مع عدم معرفتنا
له وقوله لا يرى عليه اثر السفر المشهور في الرواية انه مبني لما لم
يسم فاعله وروي يرى بالنون قاله الاشبيلي الوجه السادس
قوله لا يعرفه منا احد يعني من اعيان الصحابة والا فالنبي صلى الله

عليه

عليه وسلم قد عرفه الوجه السابع قال الطوفي في قوله فاسند ركبتيه
يقتضي انه جلس بين ركبتيه الى ركبتيه لانه لو جلس الى جانبه
لما امكنه الاسناد ركبة واحدة من النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا جلوس المتعلمين بين يدي المشايخ للتعلم وفي الحديث كنا
نجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير
وقوله ووضع كفيه على فخذيه قال الطوفي الضمير في كفيه للرجل
وفي فخذيه يحتمل انه له ايضا وانه وضع على فخذي نفسه معتمدا
عليهما وقت السؤال ويحتمل انه للنبي صلى الله عليه وسلم وان
الرجل وضع كفيه على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم استئناسا
باعتبار ما بينهما من الانس في الاصل حين يأتيه جبريل بالتبليغ
الوحي وهذا الاحتمال ارجح انتهى وهذا الذي جعله ارجح هو المتعين
لما رواه النسائي من حديث ابي ذر وابي هريرة رضي الله عنهما
قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني
اصحابه فيجيء الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل فطلبنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان نجعل له مجلسا يعرفه الغريب اذا اتاه
فبنينا له دكانا من طين فجلس عليه انا نجلس عنده اذا قبل رجل
من احسن الناس وجها واطيب الناس ريحا كأن ثيابه لبست
ونسجت حتى سلم من طرف السماط فرد وا عليه السلام وقال
ادنوا يا محمد قال ادنه فما زال يقول ادنوا مرارا ويقول اذن
حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وذكر نحو
حديث مسلم فقيه من الفقه ابتداء الرجل بالسلام على جميع
من دخل عليه واقباله على كبير القوم فانه قال السلام عليكم
فعلم ثم قال يا محمد فخصه وفيه الاستئذان في القرب من الامام مرارا

او ان كان في موضع ماذون في دخوله وفيه جواز اختصاص العالم
بموضع مرتفع من المسجد اذا دعت الحاجة الى ذلك لضرورة تعليم
او غيره وقد بين فيه ان جبريل صلى الله عليه وسلم وعلى الملائكة
المقربين وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وعلى سائر
النبيين فارتفع الاحتمال الذي في رواية مسلم قال الاشبيلي وانما
فعل جبريل ذلك والله اعلم تنبيها على ما ينبغي للسايل من قوة
النفس عند السوال وان كان المسول ممن يحترم ويهاب وعلى
ما ينبغي للمسول من التواضع والصفح عن السايل وان تعدى
ما ينبغي من الادب والاحترام الوجه الثامن نداوه يا محمد كما
تنادية الاعراب منهي عنه شرفا له قال الله ولا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم الاية فنهى الله تعالى ممن ان
يخاطب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب فكيف
خاطبه الرجل بذلك فالجواب ان جبريل لا حرج عليه في مخاطبته
بذلك لان ذلك انما خطر على البشر وغالب خطاب جبريل له
انما وقع هكذا فيكون فيه دلالة على ان الكبير له ان يخاطب
الكبير بما ليس للصغير ان يخاطب به الكبير ويمكن ان يقال
انه قصد التهمية والتشرف قال الثاني الاشبيلي الوجه التاسع
قال الطوفي قوله يا محمد فيه جواز تسمية المتعلم شيخه والمروس
رييسه باسمه لكن قد غلب في العرف تسمية المشايخ والروساء
بالاسماء الشريفة المفخمة فينبغي اتباعه ان لا يعلم ان لا ينقص
من تسميته باسمه الاصلي ولا يكون ذلك على سبيل الوضع
فيكون ذلك هو الاولى اتباعا لهذه السنة وغيرها ولانه اقرب

الى التواضع

الى التواضع واولى بالصدق الوجه العاشر قال الطوفي فيه دليل
على ان الاسم غير المسمى لان جبريل قال ما الاسلام ما الايمان
ما الاحسان فاتى باسمايها فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم
بمعانيها ولو كان الاسم هو المسمى لما احتاج الى سوال عنه لعلمه
به ولما اجابه النبي صلى الله عليه وسلم بل كان يقول له
انك عالم بمسمى ما سالت عنه لانك عالم باسمه لتلفظك به واعلم
ان للناس في هذه المسالة اقوال احدها ان الاسم غير المسمى
كما قلنا والثاني انه هو المسمى لقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
والتسبيح انما يكون للرب عز وجل فدل على ان اسمه هو وجوابه
انه ضمن سبح معنى اذكر فكانه قال اذكر اسم ربك لقوله عز
وجل واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وعكس ذلك قوله عز وجل
واذكر ربك ضمن اذكر معنى سبح ونزه اي نزه ربك عما لا يليق
به واحتجوا ايضا بقوله عز وجل يا غلام اسمه يحيى ثم قال
يا يحيى خذ الكتاب فدل على ان الاسم هو المسمى وجوابه
ان المعنى يا ايها الغلام الذي اسمه يحيى والثالث ان الاسم
للمسمى لا هو ولا غيره هو وجوابه ان هذا لا يتحقق لان
قولنا هذا الشيء اما بمعنى انه يملكه او يستحقه او يختص
به اختصاص الموصوف بالصفة ونحوه وعلى كل تقدير فهو
يقتضي المغايرة فان ملك الشيء نفسه واستحقاقه لها
واختصاصه بها محال واعلم ان المغايرة تارة تكون بالذات
نحو زيد غير عمرو وتارة بالاحوال والصفات نحو قولنا
وجه زيد اليوم غير وجهه امس وقد دخل عمرو بغير الوجه
الذي خرج به اي حاله وصفته الان غير حاله وصفته

الذي كان والمغايرة بين الاسم والمسمى بالذات لان الاسم لفظ
محل وجوده اللسان كلفظ زيد الذي هو الزاي والياء والدال
والمسمى ذات محل وجودها الاعيان كشخص زيد الطويل المتنصب
القامة الذي هو حيوان ناطق وهذه مغايرة ذاتية بالضرورة
ثم قال ومن شبه الخصم ان الله عز وجل قال اعبدوا الله
فان عبد تم المسمى خالفتم النص وان عبد تم الاسم سلمتم انه
المسمى وجوابه انا نعبد المسمى وهو الذات التي اسمها الله
والتقدير اعبدوا المسمى او الذات التي اسمها الله وانما نع
الاشتغال وليس اعبدوا الله نصا في عبادة الاسم ولا ظاهرا
فيه ولا له عليه دلالة اصلا ومن شبههم ايضا انا لو كتبنا
الجلالة على قرطاس او ارض فان كانت هي المعبود كان
ذلك اشراكا وان كان المعبود غيرها كان كفر العبارة غير الله
عز وجل وجوابه ان الجلالة المكتوبة ملفظة والمعبود
غيرها وهو مدلولها ومسماها وهو الذات القديمة الواجبة
الوجود ولا نسلم ان عبادة غيرها عبادة غير الله عز وجل
حتى يكون كفرا الوجه الحادي عشر قوله فاخبرني عن الاسلام
قال اهل اللغة الاسلام في اللغة الاستسلام والانقياد ومنه
الاية قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وفي
الشرع ما فسر به هذا الحديث وهو الاعمال الظاهرة كالشهادتين
وباقي العبادات قال الطوفي والايمان مصدر امن ايمانا وزنه
اكرم اكراما فالهمزة الثانية في امن نظير الكاف في اكرم فاذن
امن افعل لافاعل اذ لو كان فاعل لكان مصدره نحو قاتل
قتالا وضارب ضرابا ونحوه وهو قياس مصدر فاعل الافعال

والمفاعلة

والمفاعلة الوجه الثاني عشر اختلف العلماء في الاسلام والايمان
هل هما واحد ومتغايران قال الشيخ نور الدين السمرقندي
السمرقندي بالصابوني رحمه الله تعالى في الكفاية من نظر الى ظاهر
اللفظين حكم بانهما متغايران وهو قول المعتزلة واصحاب
الظاهر ويشبههم قوله تعالى قالت الاعراب امنا الاية وكذا النبي
صلى الله عليه وسلم اجاب في سؤال الايمان بغير ما اجاب
في سؤال الاسلام فدل على ان الاسلام غير الايمان ولكن ذهب
عامة اهل السنة الى ان الايمان والاسلام واحد من حيث
الحقيقة والمعنى فان حقيقة الاسلام لا تتصور الا بالايمان
ومعنى الايمان لا يتحقق الا بالاسلام ودلالة ذكر الاسلام
لما كان عبارة عن الانقياد والخضوع فذلك لا يتصور
بدون تصديق الله تعالى في الوهيته وربوبيته والايمان
لما كان عبارة عن تصديق الله تعالى فيما اخبر على لسان
رسله فلا يتحقق ذلك بقبول امره ونواهيه فلم يتصور ان
يكون الانسان مؤمنا بالله تعالى ولا يكون مسلما في القرآن
ما يدل على اتحادهما قال الله تعالى فاخرجنا من كان فيها من
المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقال تعالى
يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وقال فان اسلموا فقد
اهتدوا وايضا فيقول ما حكم من امن ولم يسلم او اسلم
ولم يؤمن في الدنيا والاخرة فان اثبت لاحدهما حكما ليس
بثابت للاخر ظهر بطلان قوله لان الناس كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق مؤمن وكافر

ومنافق ليس فيهم رابع فالمسلم هو الذي لم يكن كافرا لانه لا يصح ان يقول من الكافرين فان قال هو المؤمن قيل مذهبه وان قال هو المنافق قيل فيكون الاسلام هو النفاق عنده فينبغي ان لا يقبل غير النفاق لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وكذا يجب ان يكون مرضيا لقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا واما الجواب عما تعلقوا به فكلام يخبر الله تعالى عن اسلامهم ولكن امرهم بانهم يقولوا اسلمنا اي استسلمنا في الظاهر مع الانكار بقلوبنا فلو كان المراد حقيقة الاسلام لكان ما اتوا به مرضيا ومعتبرا عند الله تعالى كما تلونا من الايات وبالاجماع ليس كذلك واما حديث سوال جبريل ففي بعض الروايات انه سأله عن شرائع الاسلام واجاب بما اجاب وذكر هذه الرواية ابو عبد الله بن ابي حفص الكبير عن ابيه عن محمد بن الحسن عن ابي حنيفة عن علقمة عن يحيى ابن يعمر عن ابن عمر ان جبريل سأله عن شرائع الاسلام فتكون هذه الرواية تفسيرا للرواية المطلقة الدليل عليه ان المنافقين كانوا يأتون بجميع ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في جواب الاسلام ولم ينتفعوا وعند المسلمون فعلم انه اراد بذكره شرائع الاسلام انتهى وقال القاضي ابو بكر بن الباقلاني رحمه الله زعم اصحابنا ان الايمان خصلة من خصال الدين والملة والشريعة وان الدين والشريعة والملة اعم من الايمان وزعم الخوارج وابو الهذيل العلاف ان الايمان هو الاسلام والدين والملة والشريعة وان من ترك شيئا من الدين والشريعة فانه ليس بمؤمن على الاطلاق والدين على صحة قولنا ما قدمناه ان

الايمان

الايمان هو التصديق والاخلاص بدين النبي صلى الله عليه وسلم ملته وشريعته هي جميع ما امر المكلفين بها ونهى عن تركها واذا كان ذلك كذلك علم ان الايمان خصلة من خصال الدين والملة والشريعة وان الدين والشريعة اعم انتهى وقال الاشبيلي قد دل هذا الحديث على ان الايمان والاسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا كما دل عليه حديث جبريل وغيره وهذا هو الاصل في الاسماء المختلفة ان يدل كل واحد منها على خلاف ما دل عليه الاخر غير ان الشرع قد توسع فيها فاطلق اسم الايمان على حقيقة الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس اذ قال فامرهم بالايمان ثم قال اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى وهذا يؤيد قول من ذهب الى ان الايمان هو الاسلام والله اعلم وقال الاشبيلي وقد اطلق اسم الاسلام مريدا به مسمى الاسلام والايمان بمعنى انه داخل لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وروي من حديث علي مرفوعا الايمان اعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح والاركان وهذه الاطلاقات من باب التجوز والتوسع على عادة العرب وهذا اذا تحقق زال كثير من الاشكال الناشئ من ذلك الاستعمال انتهى كلامه وقال الطوفي في هذا الحديث يقتضي تغايرهما لان جبريل سأل عنهما بسؤالين واجيب عنهما بجوابين وفسر له الاسلام باعمال الجوارح كالصلاة والزكاة والحج وفسر الايمان باعمال القلب وهو التصديق ولو كانا واحدا لكان السؤال والجواب عن احدهما كافيا عن الاخر ولكان تفسير احدهما هو عين تفسير الاخر كما لو سيل عن الخمر والعقار لكان جوابه انهما جميعا

الشراب والمسكر انتهى وفيه نظر لانه اذا ثبت انه سأله عن شرايع
الاسلام فهما متغايران اتفاقا ولا يحتاج الى هذا البحث ولا خلاف في ذلك
والله اعلم ثم قال الطرفي واحتجوا بحديث وفد عبد القيس الاحتجاج
باربعة اوجه للطرفي فيه فسادها من ادنى تامل فلا نطول بذكر الوجه
الثالث عشر قوله الايمان ان تؤمن بالله قال ان قيل هذا تعريف الشيء
بنفسه لان تؤمن مشتق من الايمان فهو كقوله الاكل ان تاكل والشرب
ان تشرب والتصديق ان تصدق فجوابه لانسلم ان هذا من باب
تعريف الشرعي اللغوي وذلك ان الايمان في اللغة هو التصديق
وفي الشرع تصديق خاص وهو التصديق بالله تعالى وما ذكره
بعده فكانه قال الايمان اللغوي شرعا هو التصديق بهذه الاشياء
والايمان الشرعي هو الايمان اللغوي بهذه الاشياء كما يقال الصلاة
شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعاء وزيادة امور اخر وهو كلام صحيح
ثم اعلم انه قد تبين من هذا الحديث ان مسمى الاسلام والايمان
لغة غير مسماهما شرعا وفيه دليل على اثبات الحقايق الشرعية
وهي من مسايل الخلاف في اصول الفقه انتهى وهذه المسئلة مسئلة
حسنة فلا بد من تقريرها فقال الشيخ شمس الدين الاصفهاني
رحمه الله في شرح مختصر ابن الحاجب الحقيقة الشرعية
هي لغة المستعمل اللفظ فيما وضع له اولا في الشرع وهي تناول المنقول
الشرعي لما يبناه والمصنوعات المبتداة وهي الالفاظ التي وضعها
الشارع بازاء المعاني المخترعة ابتداء من غير ان تنقل من اللغة اذا
عرفت هذا فنقول اختلف في وقوع الحقيقة الشرعية فقال القاضي
انها غير واقعة على معنى ان ما استعمله الشارع مجازات لغوية لم
تبلغ رتبة الحقايق والمختار عند المصنف انها واقعة على معنى انها كانت

مجازات

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر وغيره برواق اليمن
مجازات في ابتداء النقل بسبب عدم استعمالها ثم صارت حقايق شرعية
لغلبة الاستعمال واثبت المعتزلة الاسما الشرعية والدينية ايضا
على معنى انها ليست متعلقة بالحقايق اللغوية والفرق بين الاسما
الشرعية الدينية وغير الدينية عندهم ان الاسما الشرعية
اذا اجريت على الافعال الشرعية كالصلاة والصيام والزكاة والحج
تسمى غير دينية واذا اجريت على الاشارات من الفاعلين كالمؤمن
والفاسق والكافر تسمى دينية ولا فرق بين المذهب المختار وهو
المعتزلة من حيث ان الحقايق الشرعية واقعة وانما الفرق من حيث
انهم قالوا انها موضوعات مبتدات غير منقولة من الحقايق اللغوية
والمذهب بخلافه انتهى قال بعضهم واعلم ان ثمرة الخلاف فيما اذا
هذه الالفاظ في كلام الشارع مجردة عن القرينة محتملة للمعنى الشرعي
واللغوي فعلى ايهما تحمل واما في استعمال اهل الشرع بلا خلاف لكثرة
دورانها على السنتهم فصارت حقيقة عرفية وتقرير ذلك يطلب
في شرح المختصر والله اعلم الوجه الرابع عشر الصلاة في اللغة
الدعا قال الله وصل عليهم وقال الاعشى تقول بنتي وقد قربت
مرتحلا يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا عليك مثل الذي
صليت واغتمضي يوما فان لجنب المرء مضطجعا اي دعوت
وهي في الشرع اذكار معلومة وافعال مخصوصة بشروط معلومة
والاسم اللغوي جزء منها وهو الدعا والزكاة في اللغة النما والزيادة
يقال زكا الزرع والمال اذا كثر ويسمى اخذ جزء من المال زكاة لانه انما
يوخذ من الاموال النامية لانها قد نمت وبلغت النصاب ولانها
تنمي الاموال بما يحصل فيها من البركة وما يحصل لصاحبها من الثواب
والصوم في اللغة الامساك مطلقا قال الله تعالى فقولي اني نذرت

للرحمن صوما ای صمتا وهو الامساك عن الكلام وقال الشاعر
خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما
اراد بالصيام الممسكة عن الحركة وهو في الشرع الامساك عن
المفطرات من الصبح الصادق الى غروب الشمس بنية من اهله
والحج في اللغة هو القصد قال الم تعلم يا امرأ سعد اتاه تحطاني
ريب الزمان لاكبه واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت
الزبرقان المزعفرا وقال الخليل ابن احمد هو كثير القصد الى من
يعظمه وهذا البيت شاهده كذا قيل وقد ينازع في الاستدلال
من جهة ان الكثرة استفيدت من صيغة يحجون لا من بنيته
اذ المنازع كما قال التابيون تفيد التكرار وهو في الشرع زيارة
بيت الله الذي بمكة لفعل عباده مخصوصة وهو بالفتح المصدر وبالكسر
الاسم وقد يجيء في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الوجه
الخامس عشر قال الطوفي لم يقيد الحج بقوله لمن استطاع اليه
سبيلا ولم يقيد بذلك الصلاة والزكاة والصوم مع انها انما تجب
مع الاستطاعة لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وهذه
العبادات من التقوى وقوله عليه السلام اذا امرتكم بامر فاتوا
منه ما استطعتم فكان ينبغي ان يقيد الجميع بالاستطاعة اولا
يقيد واحدا منها والجواب ان الخطيب في هذا يسير وانه عليه
السلام تابع القرآن في قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا ولم يقل ذلك في خصوص غيره من العبادات
فان قيل بتعلق السؤال الى القرآن لم يقصد الحج بالاستطاعة
دون غيره قلنا لانه يتعلق بقطع مسافة وفيه مذا المشقة

من غيره الوجه السادس عشر قوله فعجبنا له يسأله ويصدقه
لان سؤاله يقتضي عدم العلم بما يسأل عنه وتصديقه للنبي صلى
الله عليه وسلم فيما اجابه يقتضي انه عالم به فكان ظاهر حاله انه
عالم بذلك غير عالم به وهو محل التعجب وانما ازال التعجب عنهم
بقوله انه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم فبين انه كان عالما في صورة
متعلم لقصد التعليم والتبيين لهم وذلك لا يعجب فيه الوجه السابع
عشر سأل بضم السين وكسر الهمزة قال في الحديث في موضعين
صدقت وفي ثالثة سكت ولم يقل صدقت فما الحكم في ذلك وجوابه
ان الترمذي رحمه الله رواه في جامعه وفيه صدقت وكذلك فعل
الراوي هنا اختصارا ويقال انه لما صدقه في البعض علم التصديق
له في الباقي فلم يخرجه ذلك الى تصديق بعد الوجه الثامن عشر
قال لا سبيل الايمان بالله ان تصدق بوجوده وانه موصوف
بصفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والارادة والكلام
والحياة والسمع والبصر وانه تعالى منزه عن صفات النقص
والعدد وانه تعالى اله واحد فرد صمد خالق لجميع المخلوقات
متصرف بما يشاء من التصرفات قال الامام ابو جعفر الطحاوي
رحمه الله نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله تعالى
ان الله تعالى واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا اله
غيره قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء لا يبقى ولا يبيد ولا يكون الا ما
يريد لا تدركه الاوهام ولا تبلغه الافهام ولا تشبهه الانام حي
لا يموت قيوم لا ينام خالق بلا حاجة رازق بلا مؤونة مميت بلا مخافة
باعث بلا مشقة لم يزل بخلقه عالما لم يكن قبلهم من صفته وكما كان
بصفاته ازليا كذلك لا يزال عليها ابدا ليس منذ خلق الخلق

استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد البارئ له معنى
الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق وكما انه محي الموتى
قبل ما احيى استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم
الخالق قبل انشائهم ذلك بانه على كل شئ قدير وكل شئ اليه فقير
وكل امر عليه يسير لا يحتاج الى شئ ليس كمثله شئ وهو السميع
البصير خلق الخلق بعلمه وقدر لهم ارزاقا وضرب لهم اجالا لم
يخف عليه شئ قبل ان يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل ان يخلقهم
وامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شئ يجري بقدرته
ومشيته تنفذ لا مشيئة للعباد الا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم
يشأ لم يكن يهدي من يشاء ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل
عدلا كلهم يتقلبون في مشيته بعدله اراد لقضايه ولا معقب
لحكمه امنا بذلك كله وايقانا ان كلا من عنده انتهى وقال الشيخ
الامام ابو نصر عبد الكريم بن هوازن رحمه الله القشيري رضي
الله عنه في رسالته اعلموا رحمكم الله ان شيوخ هذه الطائفة
بنوا قواعد امرهم على اصول صحيحة في التوحيد صانوا عقايدهم
عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف واهل السنة من توحيد
ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو احق القديم وتحققوا
بما هو نعت عقايدهم في مسايل التوحيد ذكرناها على وجه
الترتيب قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات
كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد ان الحق سبحانه
وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عالم ماجد رحيم مريد
سميع بصير متكلم بصير منكبر قدير حي احد باق صمد وانه
عالم يعلم قادر بقدرة مريد بارادة سميع يسمع بصير يبصر

متكلم

ستكلم بكلام حي بحياة باق ببقاء وله يدان هما صفتان يخلق بهما من
يشاء على التخصيص وله الوجه وصفات ذاته مختصة بذاته
لا يقال هي هو ولا هي غيار له بل هي صفات له ازلية ونعوت سرمدية
وانه احد الذات ليس بشبهة شيا من المصنوعات ولا يشبهه
شئ من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا صفاته اعراض لا
يتصور في الاوهام ولا يتقدر في العقول ولا له جهة ولا مكان ولا
يجري عليه وقت ولا زمان ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان
ولا تحصره هيئة وقد ولا يقطعه نهاية وحد ولا يحله حادث
ولا يحله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا يبصره
مدرو لا يموت ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا يغفل عن حكمه
مفطور ولا يغرب عن علمه معلوم ولا هو عاجز فتعله كيف يصنع
وما يصنع ملوم لا يقال له اين ولا حيث ولا كيف ولا ينسقح
له وجود فيقال متى كان ولا ينتهي له بقاء فيقال استوى الاجل
والزمان ولا يقال لم فعل ما فعل اذ لا علة لافعاله ويقال ما هو
اذ لا جنس له فيتميز بامارة عن اشكاله يرى لا عن مقابلة ويدرك
لا عن مماثلة ويصنع لا بمباشرة ومزاوله له الاسماء الحسنى
والصفات العليا يفعل ما يريد ويدل بحكمه الهيد لا يجري في
سلطانه الا ما يشاء ولا يحصل في ملكه الا ما سبق به القضاء
ما علم ان يكون من الحادثات اراد ان يكون وما علم انه لا يكون
مما جاز ان يكون او ان لا يكون خالق اكتساب العباد خيرها وشرها
ومبدع ما في العالم من الاعيان والاثار قلها وكثرها وارسل
الرسل الى الامم من غير وجوب عليه وتعبد الانام على لسان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالا سبيل لاحد بالكوم والاعتراض

عليه وسويد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الظاهرة
والايات الزاهرة بما ازاح به العذر واوضح به اليقين والذكر
وقامت بيضة الاسلام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بخلفائه
ثم حارس الحمى وناصره بما يوضح من حجج الدين على السنة اوليائه
عصم الامة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة
الباطل بما نصب من الدلالة واخزم ما عده من نصرة الدين
بقوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهذه تشير
الى اصول المشايخ على وجه الايجاز وبالله التوفيق انتهى
كلامه وهو بديع جدا رضي الله تعالى عنهم **الوجه التاسع**
عشر الايمان بالملائكة قال البيهقي الامام الحافظ ابو بكر احمد ابن
الحسين رحمه الله وذلك ينتظم في معنيين احدهما التصديق
بوجودهم والثاني انتزاعهم منازلهم بالثبات انهم عباد الله وخلقه
كالانس والجن مكلفون لا يقدرون الا على ما يقدرهم الله تعالى
عليه والموت جائز عليهم ولكن الله تعالى جعل لهم امدا بعيدا فلا
يتوفاهم حتى يبلغوه وان منهم رسلا الله يرسلهم الى من يشاء
من البشر وقد يجوز ان يرسل بعضهم الى بعض قال الامام ابو
عبد الله الحليمي من الناس من ذهب الى ان الاحياء العقلاء الناطقين
فريقان انس وجن وملاك احد من الفريقين صنفان اخيار
واشرار فاخيار الانس يدعون ابرارا ثم ينقسمون الى رسل وغير
رسل واشرارهم يدعون فجارا ثم ينقسمون الى كفار وغير كفار
واخيار الجن يسمون ملائكة ثم ينقسمون الى رسل وغير رسل
واشرارهم يدعون شياطين وقد عمل هذا التقسيم وجها
اخر وهو ان الجن منهم سكان ومنهم سكان السما فالذين هم سكان

السما

السما يدعون الملا الاعلى ويدعون الملائكة والذين هم سكان الارض
الجن بالاطلاق وينقسمون الى اخيار واشرار ومؤمنين وكفار
فلما امر الملائكة بالسجود لادم دخل في الجملة الملكا الاصلي والملحق
بهم غير ان مفارقته الملائكة في اصل جبلته على مفارقتهم في الطاعات
فلذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن قال البيهقي وليس
في هذا الخبر ان الملائكة صنف غير الجن لكن حديث عايشة رضي
الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت
الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق ادم مما
وصف لكم رواه مسلم قال وفي فضله بينهما دليل على انه اراد
نور الغرة بعيد نور النار قال الحليمي رحمه الله ثم الملائكة يسمون
روحانيين بضم الراء وسمى الله تعالى جبريل الروح الامين وروح
القدس وقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا فقيل ان المراد
به جبريل وقيل صنف عظيم سوى جبريل يوم يقوم وحده صفا
والملائكة ومن قال هذا قال الروح جوهر فقد يجوز ان يوكل الله
ارواحا فيجسمها ويخلق منها خلقا جلادا وقيل ان الملائكة
روحانيون بفتح الراء يعني انهم ليسوا بمصورين في الابنية ولكنهم
في وسعه وساطة وقد قيل ان ملائكة الرحمة هم الروحانيون
وملائكة العذاب هم الكروبيون سكان السما السابعة بالجملة فهم
عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا
يفترون والملائكة جواهر نورانية مقدسة عن الكدورات والغواشي
الشهوية والقضبية وهي وسايط بين الله تعالى وبين البشر
اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع منه قال ليس لله ملائكة فهو كافر

ومن قال ان الملائكة موجودون ولهم نبات الله فهو كافر والملائكة
جمع ملك اصله مالك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم
قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال
فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائك والتاء للتناسب جمع
العشرون قال البيهقي الايمان بالرسل انهم كانوا مرسلين الى الذين
ذكروا انهم ارسلوا اليهم وكانوا في ذلك صادقين والايمان بالمصطفى
هو التصديق بانه نبي الله ورسوله الى الذين بعث اليهم والى
من بعدهم من الجن والانس الى قيام الساعة والنبوة اسم مشتق
من النبأ وهو الخبر لان المراد ان هذا الموضع خبر خاص وهو الذي
يكرم الله تعالى به احدا من عباده فيتميز عن غيره بالقائه
اليه ويوفقه به لعمل شريعته بما فيها من امر ونهي ووعظ وارشاد
ووعد ووعيد فيكون النبوة على هذا الخبر والمعرفة بالمخبرات
الموصوفة والنبي هو مخبر بها فان اضاف هذا التوفيق امر
بتبليغه الناس ودعائهم اليه كان نبيا ورسولا وان لم يؤمر بالدعاء اليه كان نبيا فكل
رسول نبي وليس كل نبي رسولا لقطع الله بهم حجة العباد ان
يقولوا هلا كيف نعبد ونقولوا ركب فينا تركيب سهو
وغفلة وسلط علينا الهوى ووضعت فينا الشهوات فلو
امددتنا حين اذ اسمعونا نهيا واذا مال بنا الهوى قومنا لما كان
منا الا الطاعة او يقولوا قد كان في عقولنا حسن الايمان والصدق
والامانة ونحوها وقبح الكفر والظلم ولكنا لو علمنا انا نثاب بالطاعة
ونعاقب بالمعصية لما ان اول كلمة من البشر تكلمه عن تعليم
ووحي قال الله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها خلق الانسان علمه

البيان ثم ان كل رسول ابد بايات ايدها الله تعالى برسولها فانه يقرها
عند الرسول ولا يرسوا حقا ثم عند غيره وقد يجوز ان يخصه بآية
يعلم بها بنبوة نفسه ثم يجعل له على قوله دلالة سواها وصحبة ان
الرسل كانت امما فقد اخبر الله تعالى انه اعطى موسى تسع
ايات بينات العصا واليد البيضا والدم والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والطمس وفلق البحر فكانت العصا معجزة على السحرة
لان السحر كان علما في زمانه فبعثه الله بما يعجز به السحرة والان
الحديد له اود وسخر له الجبال والطير فكانت تسبح معه بالعشي
والاشراق واقدر عيسى على الكلام في المهد فكان يتكلم فيه كلام
الحكما وكان يحيي له الموتى ويبرئ بدعائه او بيده اذا مسح الاكمه
والابرص وجعل ان يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون
طيرا باذن الله ورفعه من بين اليهود لما اراد قتله وصلبه
فعصمه الله بذلك من ان يصلوا الى قتله والصلب اليه وكان
الطب علما في زمانه فاظهره الله بما اجراه على يده فعجز الحذاق
من الاطبا عما هو اقل من ذلك بدرجات كثيرة وان التعويل على
الطبايع والكفر ما خرج عنها باطل وان العالم كله لو قاومه بدا
ودل باظهاره ودعائه على صدقه وذكر بعض اهل العلم ان
اعلام نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تبلغ الفا منها في
القرآن العظيم وحسبك بما ذكره القاضي عياض رحمه الله تعالى
في كتابه الشفا الحادي والعشرون قوله واليوم الآخر قال
الحليمي معناه التصديق بان الدنيا منقضية وان هذا العالم
منقض منحل تركيبه وان الله تعالى يعيد الرفات من ابدان
الاموات ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها

حتى تصير هيئتها الاولى يقوم الناس كلهم لامر الله حفاتهم وصغيرهم
وكبيرهم حتى السقط الذى تم خلقه ونفخ فيه الروح فاما الذى
لم يتم خلقه ولم ينفخ فيه الروح اصلا فهو وكسائر الاموات بمنزلة
واحدة وقوله تعالى فى صفة القيامة يوم تذوبها تذهل كل
مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها الاية اراد الحوامل
اللاتى مثن باحمالهن فاذا بعثن اسقطن تلك الاحمال من
فزع يوم القيامة احياء وتتكرر عليها الموت واذا كانت الاحمال
لم ينفخ الروح فيها فى الدنيا اسقطتها يوم القيامة امواتا
كما كانت لان الحياة انما هو امارة الحياة لمن كان حيا فمات
ومن لم يكن له من الحياة نصيب فى الدنيا فلا نصيب له فى
الحياة فى الاخرة واثبت الله البعث وكتابه العزيز فى غير
اية تعالى وليس الذى خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم اولم يروا ان الله الذى خلق السموات
والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على
كل شى قدير فاذا قدر على احياء الموتى على قدرته خلق
السموات والارض التى هى اعظم جسما من الناس وقال
وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم
قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فجعل النشاة
الاولى دليلا على النشاة الاخرة لانها فى معناها ثم قال الذى
جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون فجعل
ظهور النار على قربها ونسبتها من الشجر الاخضر على نداوته
ورطوبته دليلا على جواز خلقه الحياة فى الرمة البالية
والعظام النخرة وبهذا على احياء الموتى بالارض تكون حية

تثبت

تثبت وتنمى ثم تموت فتصير الى ان لا يبقى وتبقى خاشعة
هامدة ثم تحيى وتصير الى ان تثبت وتنمى وهو سبحانه الفاعل
لحياتها وموتها ثم حياتها واذا قدر على ذلك لم يعجزه ان يميت
الانسان ويسلبه معانى الحياة ثم يرد الحياة اليه ويجعله
كما كان وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فعلم انه اخرج النطفة
من صلب الاب رهينة ثم انه يجعلها حية فى رحم الام فتخلق
من تخلق منها ويركب الحياة فيها فهذا احياء ميت فى المشاهدة
فمن يقدر على هذا لا يعجزه ان يميت هذا الخلق ثم يعيده حيا ثم
يسفل هذا المعنى سبحانه وتعالى فقال الم يك نطفة من منى تمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وقد نبهنا على ذلك بما اخبر به
عنه ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وعلى سائر النبيين احيا
الاموات وبقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها
وبقصة الحادرين من الموت وبعصى موسى عليه السلام وبقصة
اهل الكهف وبغير ذلك من الايات كقوله تعالى ان كنتم فى ريب من
البعث الاية ولا خلاف بين المسلمين فى البعث بعد الموت بعث
الاجساد والارواح والله اعلم **الثانى والعشرون** قوله وتؤمن
بالقضاء والقدر خيره وشره الشرح القضاء والقدر امران
متلازمان لا يتقدم احدهما عن الاخر فالقضاء بمنزلة الاساس
والقدر بمنزلة البناء والقدر يتعلق القضاء بالاشياء اوقاتها
الخاصة وقيل هو اخبار القدرة القديمة فى محل القدرة الحادثة
والقضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية للنظام
الموجودات على ترتيب خاص وهو احسن النظام والايمان

بالقدرة تتعلق ارادته جميع ما يجري في العالم من الخير والشر بتقدير
الله وقضائه ولكن للعباد اختيار مرتبط بالاسباب الواقعة
في المقدر فالتقدير من الله والكسب من العباد يخلق الله الاختيار
في العبد ثم يرتب عليه الفعل في الوقت الذي قدره في الازل والتقدير
والفعل يجري بان سعاد هذا الذي عليه اهل السنة كافة وذهبت القدرية
الى ان لا قدر وان الامر انف وان العبد يخلق افعاله وذهبت الجبرية
الى ان لا كسب للعبد وان فعله مضاف اليه والكلام هنا مع القدرية
خاصة واحتجوا بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين وافعل
تقتضي المشاركة في الاصل والترجيح في الوصف وايضا فان الله
امر عباده ونهاهم فلو كان الافعال بايجاد الله تعالى لكان المطيع
والعاصي هو الله تعالى وايضا فان فعل العبد لا يخلو اما ان يكون
كله من الله تعالى من غير تخلق بقدرة العبد واختياره سوى
القيام كما زعم اهل الجبر او يكون كله من العبد بايجاده واحداثه
باقداره الله تعالى اياه كما ادعينا او يكون من العبد كسبا ومن الله
خلقا كما هو مذهبكم لا وجه الى الاول لانه يكون العبد مجبورا في
افعاله وحسيد بطل الامر والنهي كما التزمتم على الجبرية ولا
وجه الى الثالث فانه يودي الى اثبات الشركة بين الله وبين
العبد فيكون الفعل مشتركا في الوجود بين الله وبين عبده
فتنفين ما قلنا ونقول اذا اراد الله ان يخلق فعلا في العبد
على اصلكم فهل يمكن العبد ان يمتنع عن ذلك ام لا فان قلتم لا يمكنه
ذلك فقد جعلتم العبد مضطرا وان قلتم نعم فقد عجزتم الله
تعالى عن خلق الفعل في عبده باعتناعه عن ذلك وانه محال
ولان من افعل العباد ما هو قبيح وسفه وايجاد القبيح قبيح

وايجاد السفه سفه اذ الايجاد فوق الاكساب وقد اتفقنا ان فعل
ذلك من العبد سفه وقبيح وذلك لا يليق بالحكمة ولان فعل العبد
مقدور العبد عندكم وان كان مقدورا للعبد لا يكون مقدورا لله تعالى
لاستحالة مقدورين واحد تحت قدرة قادرين في الشاهد وما كان
محالا في الشاهد فهو محال في الغايب ايضا كالجمع بين الضدين
فهذه معظم شبههم في المسئلة واحتج اهل السنة بالكتاب
والسنة والمعقول اما الكتاب فقوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شئ فمقتضى الاية ان ينفرد هو سبحانه بخلق الاشيا
وان يكون كل ما يسمى مخلوقا بخلقه وافعال العباد من ذلك
فتكون مخلوقة وتحقيقه ان الاية سيقت لمدح الله تعالى
بما ينفرد هو به ولا يشاركه فيه غيره لالة افتتاحها بالوحدانية
فلو شاركه غيره لبطل سياق الاية وكذلك قوله تعالى والله
خلقكم وما تعملون نصبه ان الله تعالى خلقنا ودلالة انه فاعل
اعمالنا فانه قال وما تعملون وكذلك قوله تعالى ام جعلوا لله شركا
خلقوا كخلقه الاية وكلمة ما يقع الفعل اذا ذكرت يراد بها المصدر
عند الاطلاق كما في قولهم اعجبني ما صنعت اي صنيعك وهذا مذهب
جمهور اهل اللغة كسيبويه وغيره من النحويين والدليل عليه
قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اي باعمالهم وتاول الخصم الاية ان المراد
المعمول دون العمل والمعمول هم الصنم وانه مخلوق الله تعالى فيقول
هذا التاويل لا يتقعكم على اصلكم لان الفعل عندكم والمفعول واحد
والصنم ليس بعمل العبد فلا يكون معمولا ايضا واما الفعل في الصنم
عمله فيكون حجة على الصنم واما السنة فقد يجيى ابن معمر قال كان
اول من قال في القدر معبد الجهني بالبصرة قال فانطلقنا حجا حا

انا وحميد بن عبد الرحمن الحميري فلما قدمنا المدينة وافينا عبد
الله ابن عمر وهو في المسجد فقلت يا ابا عبد الرحمن ان قبلنا ناسا
يقرون القرآن ويتفقهون العلم ويقولون ان لا قدر وان الامر
انف قال فاذا لقيت اولئك فاخبرهم اني منهم بري وانهم مني برا
والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو كان لاحدهم مثل احد ذهبا
فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره
حدثني ابو عمر ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فذكر حديث
الكتاب قال قيل لنبرى ابن عمر منهم يدل على انهم غير مسلمين
وكذلك لو انفق احدهم اي اخره مثل ذلك ما جاز لحق الكفار
والمنافقين فالجواب اختلف العلماء في تكفيرهم فمنهم تبع هذا
الاثر وهو ظاهر كلام ابن عمر وفي عقيدة الطحاوي رحمه الله
قال نبرا الى الله من كل من خالف ما ذكرنا ثم عد القدرية وقال
هم عندنا ضلال اشرار وقال الدارمي اثبت ابي بن كعب رضي الله
عنه فقلت وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني شيء لعل الله
ان يذهبه من قلبي فقال لو ان الله عذب اهل سمواته واهل
ارضيه عذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم
من اعمالهم ولو انفقت مثل احد ذهبا في سبيل الله ما قبل الله
منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ما اصابك لم يكن لك ليخطيك وما
اخطاك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا دخلت النار قال ثم
اتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك ثم اتيت حذيفة فقال ذلك
ثم اتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك قال البيهقي بعد ذكره هذا وقد دل الكتاب ثم السنة
على ان الله تعالى علم في الازل ما يكون من عباده من خير وشر

ثم امر

ثم امر القلم بما هو كائن فجرى في اللوح المحفوظ بما علم قال تعالى وكل شيء احصيناه
في امام مبين وقال ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها وقال تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا
وروينا في صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن شيء
غيره فكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض ثم ان
الله تعالى خلق الخلق على ما علم منهم وعلى ما قدره عليهم انا
كل شيء خلقناه بقدر يعني بحسب ما قدرناه قبل ان نخلقه وفي
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت
ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك
الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على امر قدره الله علي
قبل ان يخلقني قال فحج آدم موسى وعن انس قال خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر بن سنة فما ارسلني في حاجة
قط فلم تتهيأ الا قال لو قضي كان ولو قدر كان وعن انس قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى
من لم يرض بقضائي وقدري فليطلب ربا سواي وعن علي رضي
الله عنه في قوله سبحانه وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من
ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن يذكر
ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يرى ان النار حق كيف
يضحك وعجبا لمن يذكر القدر حق كيف يحزن وعجبا لمن يرى
الدنيا وتقلبها باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها والآخرة
في ذلك كثيرة يا بني معظمها ان شاء الله تعالى واذا ورد الكتاب والسنة

على ما قلنا بطلت شبههم المعقولة فانها تصادم المنقول به
والاستدلال بردها تطويل بغير فايدة قال الاشيخ من صدق
بهذه الاشياء تصديقا جازما لا تردد فيه ولا توقف كان مؤمنا
حقا وسواء كان ذلك عن براهين قاطعة او عن اعتقاد جازم
على هذا كان السلف وعليه انعقدت اجماع الصحابة والتابعين
حتى حدثت المعتزلة فقالوا لا يصح الايمان الشرعي الا بعد الاحاطة
بالبراهين السمعية والعقلية وحصول العلم بتناياها ومطاويها
ممن لم يحصل له ذلك فليس بمؤمن وتبعهم على ذلك جماعة من
المتكلمين كالباقلاني والاسفرايني والجويني في احد قوليه والاول
هو الصحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
حكموا بصحة ايمان كل من صدق بما ذكرنا ولم يعرفوا بين عوام
بيرهان او غيره ولم يأمروا اجلاف العرب بتريد النظر ولا سألوهم
عن ادلة تصديقهم ولا اخروا ايمانهم الى ان ينظروا في الادلة والبراهين
التي عرفها المتكلمين والاسلام ممن الحاد والجحد بان ان يشترط
في صحة الايمان ما لم يكن معروفا ولا معمولا به من الله ولا عن رسوله
ولا من السلف الماضين رحمة الله عليهم اجمعين الثالث والعشرون
قوله فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك قال الاشيلي الاحسان مصدر احسن
يحسن احسانا وهو على معنيين متعد بنفسه كقولك احسنت
كذا ومتعد بحرف الجر كقولك احسنت في كذا اذا احسنته واكملته
وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء وهو في الحديث بالمعنى
الاول اذ حاصله راجع الى اتقان العبادة ومراعاة حقوق الله
تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله وارباب القلوب

في هذه

في هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه
يراه والاخر يغلب عليه ان الحق مطلع عليه ومشاهد له وهو
المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك واليه الاشارة بقوله تعالى
في الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وما تكون في شان
وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ
تفيضون فيه وهاتان الحالتان ثمرة معرفة الله وخشيته وكذلك
فسر الاحسان في حديث ابي هريرة بقوله ان تخشى الله كانك
تراه فعبر عن السبب باسم المسبب توسعا والالف واللام
في الاحسان للعهد وهو الذي قال الله تعالى فيه للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واحسنوا
ان الله يحب المحسنين ولما تكرر ذكر الاحسان في القران
وترتب عليه الثواب العظيم سأل جبريل عليه السلام النبي
صلى الله عليه وسلم عنه فنبهه له ليعمل الناس فيه فينالون
الثواب الجسيم والحظ العظيم هذا كلامه وقال الطرطوشي اعلم
ان العبادة تكون اما بالقلب كالايمان واما بالبدن كالاسلام
ولما كان الاسلام هو المراقبة في العبادة كان الاحسان هو المراقبة
بالاخلاص في الايمان والاسلام فلا يظهر الايمان رياء وخوفا فيكون
منافقا ولا يظهر اعمال الاسلام كالصلاة ونحوها لغير الله عز
وجل فيكون مرائيا مشركا بل يريد ان الله عز وجل مطلع
عليه واقرب اليه مما سواه ولا يعبد الا اياه ولا يراقب سواه
وعلى هذا فالاحسان شرط في الاسلام والايمان اذ كل شرط فيهما
اذ يدون الاخلاص والمراقبة فيهما لا يقبلان لقوله عليه السلام
ان الله عز وجل لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه ويدل على ذلك

قوله عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة
الوثقى فشرط الاحسان في الاسلام وقال عز وجل ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا
الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب
المحسنين فاشترط الاحسان في التقوى والايمان **فايدة حكي**
عن الشيخ محمد ابن سكران وهو من مشاهير مشايخ بغداد
المتاخرين رحمه الله تعالى انه ذكر هذا الكلام يوما فقال ايها
الله كانك تراه فان لم تكن تراه ثم وقف هاهنا وهو اشارة
صوفية معناها انك اذا اقبلت بنفسك فلم تزل شاهدت
الله عز وجل فان النفس وربها حجاب دون الله عز وجل
فان التي الحجاب شاهد الجناب وهذا نبيه يا محمد على ما بعده
المشايخ انه قال رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف
الطريق اليك فقال خل نفسك وتعالى انتهى كلام الطوسي وقال
الاستاذ ابو نصر القشيري رحمه الله هذا الحديث قاله النبي
صلى الله عليه وسلم اشارة الى حال المراقبة لان المراقبة علم العبد
باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم
مراقبته لربه وهذا اصل كل خير ولا يكاد يعدو الى هذه الرتبة
الا بعد فراغه عن المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف
واصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق واصلح ما بينه وبين
الله مراعاة القلب وحفظ مع الله الانفاس مراقبا لله سبحانه
وتعالى عليه رقيب ومن قلبه رقيب يعلم احواله ويرى افعاله
ويسمع اقواله ومن تفاءل من هذه الجملة فهو بعزل عن بداية

الوصلة

الوصلة فكيف عن حقايق القربة سمعت الاستاذ الشيخ ابا
عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الحريري
يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف
والمشاهدة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق يقول كان لبعض
الامراء وزير فكان بين يديه يوما فالتفت الى بعض الغلمان الذين
كانوا وقوفا الى نوبتهم ولكن لحركة او صوت احس منهم فالتفت
الى ذلك الامير نظرا الى الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير ان يتوهم
الامير انه نظر اليهم لريبة فجعل ينظر اليه كذلك بعد ذلك اليوم كان
هذا الوزير يخدم الامير ابدا وهو ينظر الى جانب حتى توهم الامير
ان ذلك خلقة وجبلة فيه هذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة
العبد لسيده وقال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله
في جوارحه وسئل ابو الحسين ابن هند متى يمشي الداعي منهم
بعصا الرعاية من سرائع الملكة فقال اذا علم ان عليه رقيبا وقيل
كان ابن عمر في سفر فراى غلاما يرعى غنما فقال تبيع من هذا الغنم واهبه
فقال العبد انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذيب اخذوا واحدا
منها فقال العبد فاين الله فكان ابن عمر يقول بعد ذلك الى مدة قال
ذلك العبد فاين الله وقال الجنيد من تحقق في المراقبة خاف على
فوات حظه من ربه لا غير وقال ذو النون علامة المراقبة ايثار ما اثر
الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله ثم قال سمعت ابن الحسين
يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سالت جعفر ابن نصير
عن المراقبة فقال مراعاة السر ملاحظة الحق مع دفع الخطرة وسئل
ابن عطا ما نفقد الطاعات فقال مراقبة لمح على دوام الاوقات
وقال ابراهيم الخواص المراعاة نور المراقبة والمراقبة خلوص

السر والعلانية لله وقال ابو عبد الله الرازي سمعت ابا عثمان يقول
قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظ قلبك ونفسك ولا يغرنك
اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب علي باطنك وقال
النواسطي افضل الطاعات حفظ الاوقات وهو ان لا يطالع العبد
غيره ولا يوافق غير ربه ولا يفارق غير ربه **الرابع والعشرون**
قوله فاخبرني عن الساعة قال الاشبيلي هي في الاصل مقدار من الزمان
غير معين ولا محدود كقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفي عرف اهل
الشرع عبارة عن يوم القيامة وفي عرف اخر من جزء من اربعة
وعشرين جزءا من اوقات الليل والنهار انتهى وقال النطوفي في قوله
فاخبرني عن الساعة يعني القيامة اي عن زمن وجودها وسميت
ساعة وان طال زمنها اعتبارا باول زمنتها فانها تقوم بغتة
في ساعة ومن الناس من يكون يتناول اللغة فلا يهمل حتى يتاملها
ثم ينظرون الي الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها انتهى
وقال الشيخ ابو عبد الله الحليمي الساعة التي في القرآن علي وجهين
احدهما الساعة الاخرة من ساعات الدنيا يسالونك عن الساعة
ايان مرساها ثم قال لا تاتيكم الا بغتة والاخر الساعة الاولي من
ساعات الاخرة قال تعالي ويوم تقوم الساعة يعني يبعث من
في القبور يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وفي الصحيح عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه
ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته من
تحتها لا يطعمه وقد رفع اكلة الي فيه لا يطعمها انتهى وسؤال جبريل
انما هو عن الساعة الاولي فان الامارات والاشراط لها **الخامس**

والعشرون

وقفه الله تعالى علي طلبة العلم بالازهر ومصره بروافد اليمن

والعشرون قوله ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال النطوفي
اي كلانا سواء في عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم الساعة
ان الساعة اتية اكاد اخفيها يسالونك عن الساعة ايان مرساها
قل انما علمها عند ربي الايات وفي الصحيح مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن
الا الله وذكر ان الله عنده علم الساعة الاية انتهى فان قيل كيف
قال النبي صلي الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين فهذا
يدل علي ان عنده منها علما والايات تقتضي ان الله متفرد بعلمها
واجاب الحليمي عن هذا بان معناه انا النبي الاخير فلا يليني نبي آخر
وانما تليني القيامة وهي مع ذلك دانية لان اشراطها متتابعة
بينه وبينها غير اذهابين اول اشراطها الي آخرها غير معلوم
الوجه السادس والعشرون قوله فاخبرني عن امارتها هو
بفتح الهمزة اي علامتها قال النطوفي وربما روي امارتها علي الجمع
يقال امارة وامارات نحو صلالة وصلالات من باب ما يعرف
بين واحدة وجمعه بحذف الهاء نحو تمرة وتمرات قوله
ان تلد الامة اي الجارية المستولدة ربتها سيدها وجاء في رواية
بعلها كما قال الله تعالى وهذه بعلي قول ابن عباس وعنه لم ار ربها بعل
حتى قلت لاعرابي لهذه الناقة قال انا بعلها وقد سمي الزوج
بعلا وجمع علي بعولة قال الله وبعولتهن احق بردهن وهذا
بعلي شيخا وربتها تاتيك ربة وفيه اوجه احدها ان تكثر
السراري حتى تلد الامة بنتا لسيدها وبنت السيد في معنى
الثاني ان يكثر بيع السراري حتى تشتري المراة امها وتستخدمها
جاهلة انها امها الثالث ان معناه ان الاماء تلدن الملوك وهي
من رعيته فهو كربها وقيل معناه كثرة العقوق في الاولاد

فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من الاهانة والسب
ويشهد له حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان تلد الامة ربتها
وقوله لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا الوجه السابع
والعشرون قوله وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون
في البنيان قال الاسبيلي الحفاة جمع حاف وهو الذي لا يلبس
في رجله شيأ والعراة جمع عار وهو الذي لا يلبس على جسده
شيأ والعالة جمع عايل وهو الفقير والعيلة الفقر يقال
عال يعيل عيلة اذا كثر عياله انتهى وقال الزمخشري والذي
يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر قوله تعالى ذلك
ادنى ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه انه ان يجعل من
قولهم عال الرجل عياله يعولهم كقولك اماتهم يمونهم اذا انفق
عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب
عليه المحافظة عليه حدود الورع وكسب الحلال والرزق
الطيب انتهى قال الاسبيلي وهذه الاوصاف عالية على
اهل البادية ثم قال ومقصود الحديث الاخبار بتغير الحال
وتبدله بان تستولي اهل هذه الصفات الذميمة على اهل
الحاضرة فيتملكون بالقهر والغلبة ويكثر اموالهم فيتمولون
الدين ويشيدون المباني وقد شوهد ذلك عيانا فكان ذلك
دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب
الساعة وفيه دليل على كراهة ما لا تدعو الحاجة اليه من
تطويل البنا وتشييده وفي الحديث يوجر ابن آدم في كل شيء
الا ما يضعه في التراب وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشيد بنا ولا طوله انتهى وروى البيهقي في شعب الايمان

عن انس

عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
بنا بنا اكثر مما يحتاج اليه كان عليه وبالا وفي مسند عبد الله
ابن حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ما انفق العبد
من نفقة فعلى الله خلفها منا منا عليه الا نفقته في بنيان
او معصية وعن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يبني بنيانا ويقول
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة وعن ميسرة قال ما بنى
عيسى عليه السلام بيتا قط فقيل له الا تبني بيتا قال لا اترك
بعدي شيأ من الدنيا اذكر به وقيل ليحيى عليه السلام الا
تبني بيتا قال ليكفينا خلقنا من كان قبلنا ولبث نوح عليه
السلام في قومه الف سنة الا خمسين عاما ما في بيت من شعر
فقيل له يا نبي الله ابن بيتا فيقول غدا اموت بعد غد اموت
وعنه انه بنى بيتا من قصب فيقول له لو بنيت غير هذا
قال هذا اكثر لمن يموت وعن ابن مطيع انه نظر يوما الى
داره فاعجبته حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكفى
بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت
بك بنا اعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته وانشد
ومشيد دارا ليسكن داره ... سكن القبور وداره لم يسكن
والرعا جمع راع واصله الحفظ والشا جمع شاة وهي من الجمع
الذي يفرق بينه وبين واحده بالها وهو كثير فيما كان لغلو
اله كشجرة وشجر وثمرة وثمر وانما خص الرعا بالذكر لانهم
اضعف اهل البادية يعني اذا صاروا هو لا ملوكا مع بعدهم
عن اسباب ذلك فانتظروا الساعة قال النووي رحمه الله

الوجه السابع والعشرون

معناه ان اسافل الناس يصيرون اهل ثروة ظاهرة انتهى
قال الطوفي ولعل هذا ينظر الى قوله عليه السلام اذا وسد
الامر الى غير اهله فانتظروا الساعة وقد ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم من اشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها
وخروج الدابة والدجال ويأجوج ومأجوج وكثرة الهرج
وهو القتل وفيض المال حتى لا يقبله احد وان يحسر الفرات
عن جبل من ذهب ونحو ذلك وذهاب القرآن وهو ان يسرى
عليه ليلا فيذهب من صدور الرجال وتساد الامر ان يسند
الامر الى غير اهله وذهاب العلم وكثرة الجهل وتقارب الزمان
قيل يا رسول الله وما تقارب الزمان قال تكون السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة
والساعة كاضطراب السعفة ومن اشراط الساعة
انتفاخ الاهلة فعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر ان من اشراط الساعة تنفاخ الاهلة وهو ان يراه
الرجل الليلة يحسبه لليلتين ورفع الاشرار ووضع
الاخيار وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة
منافقوها ولا تقوم على احد يقول لا اله الا الله وحتى
يكون اسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع ولا تقوم على احد
يقول لا اله الا الله وحتى يكون قيم خمسين امراة رجل
واحد وحتى يتبع الرجل ثلاثون امراة كلهن تقول انا لحي
انا لحي وزخرفة المساجد وعن حذيفة رضي الله عنه
قال ليدرسن الاسلام كما يدرس الثوب حتى لا تعرف
صلاة ولا صيام ولا نسك الا بقايا من شيخ كبير او عجوز يقولون

كنا

كنا نسمع كلاما من اقوام ادركناهم من قبلنا يقولون لا اله الا
الله فنحن نقولها فقال له صدقت ابن زفر العبسي يا ابا
عبد الله فما تنفعهم لا اله الا الله وهم لا يعرفون صلاة
ولا صياما ولا نسكا قال تنجيهم من النار ولا تقوم الساعة
حتى تعبد اللات والعزى وقال علي رضي الله عنه اذا اماتت
الناس الصلاة واضاعوا الامانة واستحلوا الكذب واكلوا
الربا واخذوا الرشا وشيدوا البنا وباعوا
الدين بالدنيا واستحقروا الدما وقطعت الارحام وصار الحكم
ضعفا والظلم فخرا والامراء فجرة والوزراء خونة وعرفا
وهم ظلمة وقراؤهم فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وموت
الغيماة وقول البهتان وخلبت المصاحف وزخرفة المساجد
وطول المنار وازخرفت الصفوف وتقطعت الارحام وخربت
القلوب وشاركت المراة زوجها في التجارة حرصا على الدنيا
وتركت النساء المآزر وتشبهن بالرجال وتشبه الرجال
بالنساء واختص السلام بالمعرفة وشهد قبل ان يستشهد
ولبسوا جلود الضان على قلوب الذئاب قلوبهم امر من
الصبر وانتن من الجيفة والتمسوا الدنيا بعمل الاخرة فالنماة
النماة والوجا الوجا والحذر الحذر يا صعصعة ابن صوحان
نعم المسكن يومئذ بيت المقدس ومن اشراطها ان يؤم الرجل
في المسجد من مساجد الله لا يركع فيه ركعة وفي الحديث
لا تقوم الساعة حتى يتمنى ابو الخمسة انهم اربعة وابو الاربعة
انهم ثلاثة وابو الثلاثة انهم اثنان وابو الاثنين انه واحد
وابو الواحد انه ليس له ولد وفي الحديث لا تقوم الساعة

حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه
رسول الله وفيه ان بين يدي الدجال لسنين وسبعين دجالا
ولا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي وحتى تخرب المدائن
اللهم امتنا قبل الفتن يا عالم السر والعلن يا رب العالمين تقدم
بعض اشراطها وليها اشراطا كثيرة غير هذه وانما اقتصرنا
في هذا الحديث على هاتين الامارتين تحذيرا للمامنين
وغيرهم منها اعني كثرة اتخاذ السراري وبيعهن والتطاول
في البنيان وتوسد الامر الى غير اهله لاقتضاء ما ذكر اذ العلم
كانوا يتعاطون شيأ من ذلك فزجرهم عنه **الثامن والعشرون**
قوله ثم انطلق فلبثت مليا قال لا تنيسلي ويروي فلبثت
بتا المتكلم فيكون عمر اخبر بذلك عن نفسه وكلاهما صحيح
وجا في تفسيره انه لبث بعد ذلك ثلاثا **التاسع والعشرون** قوله
قول يا عمر اتدري من السايل قلت الله ورسوله اعلم فيه
فايدتان احداهما تخصيص عمر من بين الصحابة بالذكر
يدل على جلالته ورفعت مقامه ومنزلته عند النبي صلى
الله عليه وسلم الثانية قول عمر رضي الله عنه الله ورسوله
اعلم فيه من الادب رد العلم الى عالمه واصل ذلك قول الملايكة
لا علم لنا الا ما علمتنا وسيل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع
الارض افضل فقال لا ادري حتى اسيل جبريل فسأله فقال
لا ادري حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال ان الله عز وجل
يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاع الارض الاسواق
رواه البزار وسال النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن قوله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال لا ادري

ثم ذهب

ثم ذهب فجاه فقال ان الله عز وجل يامرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وهكذا يجب على العالم
اذا سيل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم فانها نصف الدين وسيل
مالك عن اربعين مسيلة فاجاب في اربعة وقال في ست
وثلاثين لا ادري وسيل ابو حنيفة عن ست مسايل
فتوقف فيها ولم يخلد نكد باجتهادهم رضي الله عنهم وارضاهم
الثلاثون قوله فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم قال المفسرون
جبريل اسم عجمي لا ينصرف وفيه لغات وقيل جبريل هو العبد
بالسريانية وايل اسم الله وكذلك ميكايل قال عكرمة جبريل
وميكايل بمنزلة عبد الله وعبد الرحمن وجبريل هو روح
القدس ايد الله به انبياه وهو امين الله على وحيه والحديث
يدل على انه عرف جبريل وقد جا في حديث النماري انه لم يعرفه
الا في اخر الامر وجبريل انما علمهم النبي صلى الله عليه
وسلم لكن بواسطة سواله فكان هو السبب فنسب
التعليم اليه مجازا من باب اطلاق اسم المسبب على السبب
الحادي والثلاثون قال الطوفي احتج الاتحادية والحلولية
من هذا الحديث على مذهبهم من وجهين احدهما ان جبريل
روحاني وقد تمثل في هذا الحديث صورة البشرية وظهر
مظهر البشرية مع ان جبريل احد مخلوقات الله عز وجل
وكذلك كان يظهر في صورة دحية الكلبي فيعلمه النبي صلى الله
عليه وسلم ملكا والناس حوله يعتقدونه بشرا قالوا
والله عز وجل اقدره على الظهور في صورة الوجود الكلي او
بعضه ونحو هذا احتج ابن الفارض في نظم السلوك الوجه الثاني

قوله عليه السلام فان لم تكن تراه فانه يراك قالوا هذا يدل على
انه عز وجل ماهية لطيفة في غاية اللطافة بحيث انه يرى ولا
يرى ويشهد لذلك قوله عز وجل وهو معكم اينما كنتم ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن
اقرب اليه منكم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير قوله عليه السلام ان المصلي يناجي ربه فلا يتنخم
في قبلته فان الله عز وجل بينه وبين قبلته وقوله عليه
السلام اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم
تدعون سميعا بصيرا انه اقرب الى احدكم من عنق راحلته
قالوا فكل هذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على انه
عز وجل ساري ذاته في الوجود والجواب ان البرهان قد قام
على استحالة الاتحاد مطلقا وعلى استحالة الحلول عليه
عز وجل وما ذكرتموه من الاسناد لهذا الحديث وغيره ظواهر
لا تعارض البرهان القاطع وقد اجمع على الكتاب والسنة
على تاويلها على خلاف ما ذكرتم بطل ما ادعيتم والحمد لله رب
العالمين الثاني والثلاثون في الطوفي اللام في الحفاة العراة
العالة يحتمل انها للعموم فيكون مخصوصا بقاطع العادة اذ
العادة تقتضي انه ليس جميع الخلق يتطاولون في البنيان بل
بعضهم ويحتمل انها للعهود بين المخاطبين او لتعريف الماهية
او لبعض الجنس كما ذهب اليه بعضهم فلا عموم ولا تخصيص
وله لك قوله ان تلد الامة ربتها ليس اللام للعموم اذ ليس كل امة
يتفق لها ذلك فتعين الوجهان كما في لام الحفاة وقوله عليه السلام

لعمر

لعمر الله ري من السايل الخ فيه دليل على استحباب تنبيه المعلم
تلاميذه والرئيس من دونه على فوايد العلم وغرايب الوقايع
طلبا لتفهيمهم قال وها هنا سوال وهو انه عليه السلام سمى
مجموع ما تضمنه هذا الحديث دينا وهو الاسلام والايمان والاحسان
بقوله انه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم وانما علمهم هذه الثلاثة فمجموعها
هو الدين لكن هذا معارض لقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا اذ يقتضي
ان الدين هو الاسلام وحده وهو جزء الدين المذكور في حديث
جبريل وهذا سوال اورانه في درس بعض الفضلاء فلم يجب
عنه بما يشفي والذي استحضرته الان في الجواب عنه
ان الدين لفظ يطلق على الثلاثة التي سالهنها جبريل وعلى
الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك
او بالحقيقة والمجاز او بالتواطؤ وميز ذلك في الحديث اطلاق الدين
على مجموع الثلاثة وهو احد معنيه لوتيهاد في الاية اطلق على
الاسلام وحده وهو معناه الاخر ويحتمل ان يقال في الجواب
ان قوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا عموم فيه لان دينا
نكرة ليس لها عموم وهي نصب على التمييز فالتقدير رضيت
لكم الاسلام من الدين والمتبقين من ذلك ان الاسلام بعض الدين
كله وهو موافق للحديث لان الاسلام فيه بعض الدين وهو
خصلة من ثلاثة خصال وهي الاسلام والايمان والاحسان
لكن هذا الجواب يعارضه قوله عز وجل ان الدين عند الله
الاسلام وقوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه فانه يقتضي ان الاسلام جميع الدين لا بعضه والاقرب هو

الجواب انتهى كلامه وقال النووي رحمه الله اسم الاسلام يتناول
ما هو اصل الايمان وهو التصديق و يتناول اصل الطمانينة فان
ذلك كله استسلام انتهى وهذا يحل الاشكال الذي اورده الطوفي
والله اعلم الثالث والثلاثون قال القاضي ابو بكر ذهب اصحابنا
الى ان الايمان هو تصديق بالقلب ويتضمن وجوده وجود
المعرفة بالمصدق ويستحيل وجوده مع عدمها وان الشرع
لم يعتبر الايمان اللغوي ثم حكى مذهب الخوارج والمعتزلة وذكر
ذلك بطوله وحديث جبريل هذا يدل على انه مجرد التصديق
والله تعالى اعلم الرابع والثلاثون قال القاضي ابو بكر اعلموا
انه لا خلاف بين المسلمين ان الشرع قد ورد بزيادة ايمان الخلق
ونقصانه قال الله عز وجل واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وقال ليكفر ازداد وا ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وغير ذلك من الايات واجمع المسلمون على ان ايمان الملك
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وان المراد بذلك زيادة
ثوابه ونقصانه وان ثوابه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
لان الايمان يزيد في نفسه وينقص والدلالة على ذلك ما قد
ثبت ان الايمان هو التصديق بالله وبجميع صفاته وذلك لا يزيد
ولا ينقص لان الانسان اذا آمن بالله عز وجل وهو غير عارف
ولا مؤمن ببعض صفاته لم يكن مؤمنا ومتى عرف الله وعرف
جميع صفاته وصدقه في جميع ما اخبر به كان مؤمنا واذا كان ذلك
كذلك علم ان الزيادة والنقصان لا يتصور فيه وكذلك لا يتصور على
اصل المخالف لان الايمان اذا كان عندهم هو الطاعة كلها مع اجتناب
المعاصي على مذهب ابي الهذيل والطمانينة او الواجبات كلها مع

اجتناب

اجتناب الكبائر على ساير المعتزلة او اجتناب المعاصي كلها على قول
الخوارج وان من اخل بشيء من ذلك فانه ليس بمؤمن واذا انتفى
جميع هذه الاشياء يكون مؤمنا واذا كان الامر ما ذكرناه ثبت ان
الزيادة والنقصان لا يتصور في نفس الايمان على قول ساير
الامة واذا لم يتصور ذلك في نفسه وجب ما قلناه من ان ثوابه
يزيد وينقص انتهى كلامه وقال النووي رحمه الله قال المحققون
من اصحابنا نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان
الشرعي يزيد بزيادة ثمراته وهي الاعمال وينقص بنقصانها
وبذلك يجمع بين ظواهر النصوص واقاويل السلف وبين اصل
وضع اللغة وما عليه المتكلمين قالوا وان هذا الذي قاله هو لا
وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله اعلم ان نفس التصديق يزيد
بكثرة النظر وتظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان المصدقين قبل قوة
من ايمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل ايمانهم لعارض
بل لا تزال قلوبهم مشرحة نيرة وان اختلفت عليهم الاحوال واما
غيرهم من المولفة قلوبهم ومن قاربهم فليسوا كذلك هذا ما لا
يمكن انكاره ولا يشكك في ان تصديق ابي بكر الصديق رضي الله عنه
لا يساويه تصديق احاد الناس ولهذا قال البخاري في صحيحه
قال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كلهم يخافون النفاق على نفسه ما منهم احد يقول ان ايمانه
كايمان جبريل وميكائيل عليهما السلام واما اطلاق اسم الايمان على
الاعمال فتقف عليه عند اهل الحق ودلائله من الكتاب والسنة اكثر من
يحصرني الان والله تعالى اعلم وما كان الله ليضيع ايمانكم اجمعوا على ان المراد به
صلاتكم واما الاحاديث فكثيرة واتفق اهل السنة من المحدثين

والفقهاء والمتكلمين على ان المومن الذي حكم بانه من اهل القبلة
لا يخلد في النار ولا يكون الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا
جازما خاليا من الشكوك ونطق بالشهادتين فان اقتصر على احداهما
لم يكن من اهل القبلة اصلا الا اذا عجز عن النطق بها لخلل في لسانه
او عدم التمكن منه لعاجلة المنية وغير ذلك فانه يكون مومنا
اما اذا اتى بالشهادتين فلا يشترط معهما ان يقول وانا بريء من كل
دين خالف دين الاسلام الا ان يكون من الكفار الذين يعتقدون
اختصاص رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم الى العرب خاصة
فانه لا يحكم باسلامه الا بان يتبرا من اصحاب الشافعي من شرط
ذلك مطلقا وليس بشيء اما اذا اقتصر على قول لا اله الا الله فالمشهور
من مذاهب العلماء انه لا يكون مسلما وهو ما قال ليكون مسلما
ويطالب بالشهادة الاخرى فان ابى جعل مرتدا ويحتج لهذا بقوله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم وهو محمول عند الجمهور
على الشهادتين وانما اكتفي بذكر احداهما عن الاخرى لارتباطهما
وشهرتهما اما اذا اقر بوجوب الصلاة او الزكاة او الصوم
او غيرها من اركان الاسلام وكان ذلك على خلاف ملته التي كان عليها
فهل يكون مسلما فيه وجهان الصحيح انه يصير مسلما قالوا واختلف
العلماء في اطلاق قول الانسان انا مومن فقالت طايفة لا يقتصر
على قوله انا مومن بل يقول ان شاء الله وهو محكي عن اكثر اصحابنا
المتكلمين وذهب آخرون الى جوازه مطلقا وهو المختار وذهب
الاوزاعي وغيره الى جواز الامرين والكل صحيح باعتبارات فمن
اطلق نظر الى الحال فان احكام الايمان جارية عليه ومن قال

بالمشيئة

بالمشيئة فاذ يقولها تبركا او باعتبار العاقبة فانه لا يدري بما يختم
له والقول بالتخيير حسن نظرا الى مامخذ القولين انتهى وقال
صاحب المفهم يصلح ان يقال في هذا الحديث انه ام السنة لما تضمنه
من جمل علم السنة كما تضمنت الفاتحة جمل معاني القرآن فسميت
ام القرآن وقال القاضي عياض انه اشتمل على جميع وظايف العباد من
الظاهرة والباطنة من عقود الايمان واعمال الجوارح واخلاص
السرايروالتحفظ من آفات الاعمال حتى ان علوم الشريعة
كلها راجعة اليه ومتشعبة منه والله اعلم الحديث الثالث
عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بني الاسلام على خمس الحديث الكلام على هذا الحديث
من وجوه احدها عبد الله شقيق حفصة ام المومنين يكنى
ابا عبد الرحمن هاجر ابوه الى المدينة واستصغر يوم احد وشهد
الخندق وبيعة الرضوان وامه زينب بنت مظعون روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم الف حديث وستماية حديث وثلاثين
اتفق منها على ماية وسبعين وانفرد البخاري باحدى وثمانين
ومسلم باحدى وثلاثين وروي عنه ابو بكر وعمر وبلال وصهيب
وطايفة وروي عنه بنوه سالم وحمزة وعبد الله وبلال وزيد
وعبيد الله وعمر وحفيدة محمد بن زيد وابن المسيب وابن
جبير ونافع مولاه وابو صالح السمان وخلايق ويكفي في مناقبه
ما روته حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان عبد
الله رجل صالح وكان واسع العلم كثير الاتباع وافر الصلاح
كثير الزهد في الدنيا وكره الخلافة يوم التحكيم فقال بشرط ان لا يجري

فيما يحجم دم فروي عنه الامر عمرو بن العاص لما رأى انه لا يوالبه
شيأ ان استحلف ومات سنة ثلاث او اربع وسبعين وبقي الي
ان بايع عبد الملك بن مروان الوجه الثاني قال ابو العباس
القرطبي رحمه الله معناه ان اساس دين الاسلام هذه الخمس
وعليها بنى قواعده وبها تقوم وانما خصها بالذكر ولم يذكر
الجهاد مع انه به ظهر الدين لان هذه الخمس فرض دايم على
الاعيان لا تسقط عن احد من المكلفين بشروط ذلك والجهاد من
فروض الكفايات وقد يسقط في بعض الاوقات بل قد صار
جماعة كثيرة الى انه فرض الجهاد وقد سقط بعد فتح مكة وكرانه
مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين وسحنون من اصحاب
مالك الا ان ينزل العدو بقوم او يامر الامام بالجهاد فيلزم عند
ذلك انتهى وقد قال ابن عباس في هذا الاسلام ثمانية فعد الخمسة
والجهاد والعتق ولا يعارض قاله السهام غير الفرائض والله
اعلم قال النووي رحمه الله وقد روي عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام على خمس على ان يوحد
الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج هكذا
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية
اخرى بني الاسلام على خمس ان تعبد الله وتكفر بما دونه واقام
الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فقال رجل الحج
وصوم قال لا صيام رمضان والحج وفي رواية ان رجلا قال لابن عمر
الا تغزو فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الاسلام بني على خمسة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت

قال

قال فقوله على خمسة في بعض الطرق وبعضها خمس كلاهما
صحيح والمراد خمسة اركان او خمسة اشياء ثم اختلف العلماء انكار
ابن عمر على الرجل الذي قدم الحج مع ابن عمر رواه كذلك فالاظهر
والله اعلم ان ابن عمر سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين
مرة بتقديم الحج ومرة بتقديم الصوم فرواه على الوجهين لي
وثبتين فانكر عليه الرجل وقدم الحج فقال لا ترد علي ما علمت به
فقد سمعته هكذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيه
نفي لسماعه على الوجه الاخر ويحتمل انه كان سمعه مرتين به
بالوجهين فانكر عليه الرجل نسي الوجه الذي رده ثم تذكره
فرواه وقال ابن الصلاح مما تغلط ابن عمر على ما سمعه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفهمه على عكسه هيبة لكون الواو
تقتضي الترتيب وهو مذهب كثير من الفقهاء السابقين وشذوذ
من النحويين ومن قال لا تقتضي الترتيب وهو المختار وقول
الجمهور فلم ان يقول لم يكن ذلك لكونها تقتضي الترتيب بل
لان فرض رمضان نزل في السنة الثانية من الهجرة وتزلت
فريضة الحج سنة ست او سنة تسع بالاتفاق ومن سمع
الاول لا يقدم في الذكر على الثاني واما رواية تقديم الحج فكانه
وقع ممن يجري الرواية بالمعنى ويجري ان تاخير الاول او الاهم في
الذكر شايع في اللسان فتصرف فيه بالتقديم والتاخير مع كونه
لم يسمع نفي ابن عمر عن ذلك قال النووي وهذا ضعيف من
وجهين احدهما ان الروايتين ثبتتا في الصحيح وهما صحيحان
في المعنى لا تنافي بينهما فلا يجوز ابطال احدهما والثاني ان فتح
باب احتمال التقديم والتاخير في مثل هذا قدح في الروايات

والرواه فانه لوصح ذلك لم يبق وثوق بشئ من الروايات الا القليل
ولا يخفى ما يترتب عليه من المفاسد ثم انه وقع في رواية ابي عوانة
في كتابه المخرج على صحيح مسلم وشرطه عكس ما وقع في صحيح مسلم
من قول الرجل لابن عمر قدم الحج فوقع فيه ان ابن عمر قال للرجل اجعل
رمضان افرءيت كما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
الصلاح ولا تقاوم هذه الرواية رواية مسلم قال النووي وهذا ايضا
يحتمل صحته ويكون قد جرت القضية مرتين والله اعلم انتهى واما
الرجل الذي روى عليه ابن عمر بتقديم الحج فهو يزيد بن بشر السكسكي
ذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في الاسماء المبهمة واما جواب ابن عمر للرجل
الذي قال له الا تغزو ابتوله بني الاسلام على خمس فالظاهر ان مراده
ليس الغزو بلازم على الاعيان فان الاسلام بني على خمس ليس الغزو
منها **الوجه الثالث** قال الطوفي وظاهر هذا الحديث ان من ترك
شيأ من هذه الخمس يخرج عن كمال الاسلام بقدر ما ترك منها لكنه
لا يدخل في الكفر الا ان يترك ذلك جاحدا الوجوب اذ قد بنيان الاسلام
غير الايمان وانما يكفر من فارق الايمان بان كذب بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر او ببعضها اما من فارق الاسلام او بعضه
فانما يه خلل في الفسق لا في الكفر وظاهر هذا التقدير ان تارك الاسلام
تهاونا لا يكفر خلافا لمشهور قول الحنابلة وها هنا تقسيم وهو ان
الايمان والاسلام قد عرفت حقيقتهما ومعناهما فمن اتى بهما فهو مؤمن
كامل ومن تركهما فهو كافر كامل ومن ترك الاسلام وحده فهو
فاسق وهو مؤمن ناقص ومن ترك الايمان وحده فهو منافق
بلسانه وفعله ويكثر باعتقاده وقليه انتهى وفيه نظر وهو
ان قوله ومن ترك الاسلام وحده فهو فاسق وهو مؤمن ناقص

غلط

غلط منه لانهم اجمعوا على ان من لم يتلفظ بالشهادتين نهوكافر وانه
اعلم وانه ليدل على ان المؤمن اذا ارتكب المعاصي كلها ما خلا الشرك والكفر
فانه مؤمن على الحقيقة فاسق به تويه لان الايمان هو التصديق
بالقلب المتضمن المعرفة بالله تعالى واذا ثبت ذلك وعلم باتفاق
ان فعل المعاصي لا ينافي وجود ذلك التصديق والمعرفة واذا لم
ينافه صح وجود الايمان مع سايرالمعاصي وترك جميع الطاعات
فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو
مؤمن الحديث وهذا خبر تلقته الامة بالقبول فوجب القول
بموجبه فالجواب ان هذا الخبر من اخبار الاحاد واخبار الاحاد لا توجب
العلم باتفاق على انه لو سلم القول بموجبه كان معناه انه من
استحل ذلك لا يكون مؤمنا واذا احتمل التاويل سقط التكفير
به والله اعلم **الحديث الرابع** عن ابي عبد الله ابن مسعود
رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق الحديث الكلام عليه من اوجه احدها
عبد الله ابن مسعود احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد
كلها وكان يلي نعلي النبي صلى الله عليه وسلم يلبسه اياهما فاذا
جلس ادخلهما في ذراعيه وكان كثير الملزوم للنبي صلى الله عليه وسلم
والدخول عليه وتلقن عليه بضعين سورة وروي عنه ثمان مايه
واربعين حديثا اتفقا على اربعة وستين وانفرد البخاري باربعة
وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين توفي سنة اثنتين وثلاثين وقيل
ثلاث وكان نحيفا قصيرا جدا احسن البرة نظيف الثوب طيب الرايحة
واسع العقل كثير العلم قال فيه عمر رضي الله عنه كنيف يلي علما وقال
فيه ابو موسى لا تسيلوني ما دام هذا الحبر فيكم وافق راية قضا

النبي صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق وقال فيها اقتدوا
يا ابن ام عبد الله وصعد يوما نخلة فانكشف ساقه وكان اسمر
نحيفا فضحك بعض القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتضحكون
لساق عبد الله انه اثقل في الميزان من احد ودخل عليه عثمان ابن
عفان رضي الله عنه في مرضه موته فقال له ما تشتكي قال ذنوبي
قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ادعو لك بطبيب قال الطبيب امرضني
قال ما تركت لاولادك قال اني لا اخشى عليهم الفقر بعد ان علمتهم سورة
الواقعة يقرؤونها كل ليلة مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وهو
ابن بضع وستين سنة الوجه الثاني قوله حدثنا هو اصل فيما يتعلق
المحدثون من قولهم التحديث حدثنا واخبرنا وانبانا ومعنى انشاليه
خبر احادثنا والصادق هو الاتي بالصدق وهو الخبر المطابق والمصدوق
هو الذي يأتيه غيره بالصدق والنبي صلى الله عليه وسلم صادق
فيما يأتيه من الوحي الكريم على لسان الروح الامين صلى الله
عليه وسلم وقوله يجمع خلقه في بطن امه اي مادة خلقه وهو
الماء الذي يخلق منه ويجمع اي ينضم ويحفظ والعلقة فعلقة
دم والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ الوجه الثالث في
الروح قال الاستاذ ابو نصر التعبير عن الارواح مختلف فيها
عند اهل التحقيق من اهل السنة فمنهم من يقول انها الحياة
فقط ومنهم من قال انها اعيان موجودة في هذه القوالب
لطيفة اجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت
الارواح في الابدان فالانسان حي بالحياة وتلك الارواح موجودة
في القوالب ولها تدرق في حال النوم ومفارقة البدن ثم رجوع
اليها وان الانسان هو الروح والجسد لان الله سبحانه سخر

هذه

هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب
الجملة والارواح مخلوقة وما قال بقدمها فهو مخطئ خطأ عظيما
والاخبار تدل على انها اعيان لطيفة انتهى وقال ايضا يحتمل ان يكون
النفس لطيفة موجودة في هذا القالب هي محل الاخلاق المذمومة
كما ان الروح لطيفة في هذا القالب هي محل الاخلاق المحمودة
انتهى وهذا يشير الى الفرق بين الروح والنفس وفي تفسير
الزمخشري قالوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابن
ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس والنفس هي
التي لها العقل والتمييز والروح بها النفس والتحرك فاذا
نام العبد تبض الله نفسه ولم يقبض روحه وقال الزمخشري
في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الاكثر على انه الروح الذي
في الحيوان سألوه عما حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما
استأثر به وعن ابي بريدة محض النبي صلى الله عليه وسلم
وما يعلم الروح انتهى وفي التأويلات النجمية وردي قال بعض المتكلمين
ان الله لواجابهم عنها وقال الله جسم رتيق يومن معه الحياة لخرج
من استدلال كلام النبوة ودخل في استدلال كلام الفلاسفة الوجه الرابع
الرزق قال القاضي ابو بكر الباقلاني ذهب اصحابنا الى ان الله
هو الرزاق لسائر الحيوان العاقل منهم وغير العاقل العاصي
منهم والمطيع والابرار سواء في الدارين وان الرزق ما جعله
الله عز وجل عند الابدان وتواصلها وقد يكون ذلك حلالا
وقد يكون حراما وقد لا يكون شيا من ذلك وزعمت المعتزلة
ان الله عز وجل لا يرزق الحرام وانما هو رازق الحلال فقط وان
الرزق لا يكون الا بمعنى الملك حتى قالوا لو نشاصبي مع اللصوص

ولم يأكل شيأ يملكه ولم يطعمه احد سوى الخصوص من الحرام الذي
بلغ وتوى صار لصا قاطع للطريق ولم يأكل حلالا الى ان مات ولو
عاش مائة سنة او اكثر فان الله تعالى ما رزقه فقد ومات
ولم يأكل مما رزق الله تعالى شيأ والدليل على صحة قولنا انه لو
كان الرزق لا يكون الا بمعنى الملك لوجب ان لا يكون الطفل مرزوقا
والبهائم التي ترتع في الصحراء ولا السمك من البهائم لان ليس لها ملك
لصاحبها دون سمكها ولما اجتمعت الامة على السمك والبهائم
وجميع الحيوان الذين ليسوا بعاقلين مرزوقين وان الله تعالى
رزقهم مع كونهم غير مالكين لما رزقوا علم ان الرزق هو ما قدناه
دون ما قاله المعتزلة ويدل على ذلك ان الامة مطبقة على ان
العبيد والاماء مرزوقون وان الله تعالى رزقهم ما يأكلون من
اموال ساداتهم مع كونهم غير مالكين لما يأكلونه لان المملوك عندنا
لا يملك اصلا ويدل على انه لا رازق سوى الله تعالى قوله تعالى امن
هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وقال سبحانه هل من خالق غير
الله يرزقكم من السماء والارض وقال ان الله هو الرزاق وقال
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقال الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فلما كان المخلوق من الاجسام هو الذي يتعلق الا
والله خالقه ولا يميت الا والله مميته ولا يحيي الا والله محييه كذلك
لا يرزق الا والله رازقه وقد رغبت الامة الى الله في ان لا يرزقها
الحرام فقالوا في دعائهم اللهم لا ترزقنا الحرام وان رضا علينا وارزقنا
الحلال وبارك لنا فيه ولا يجوز في صفة الامة ان يسالوا الله ويطلبوا
منه ان يفعل ما لا بد له من فعله وان لا يفعل ما يستحيل فعله فان

قيل

وقف الله تعالى على طلبة العلم وصفة رزاق التوكل

قيل اذا كان الله عز وجل هو الذي يرزقهم ويطعمهم والاشياء كلها
ملك له عز وجل وجب ان يكون الغصب والحرام مباحا لهم ولا
يكون محظورا عليهم فيقال لهم لا يجب ذلك لان التحريم انما وقع في التماس
ذلك واخذه على غير الوجه المامور به واما كون ذلك غذاء لابدانهم
وقواما فلا صنع للعبد فيه فينهى عنه ولو جاز ان يكون
الله تعالى غير رازق لانه كان عن معصية وتوصل البها من
جهة ممنوع منها لوجب ان لا يكون الله تعالى خالقا للولد
الحرام ولا للكل ما كان حراما لكونه واقعا عن حراما او معصية
ولما بطل هذا بطل ما قالوه وهذه المسالة من المسايل التي
رجع عنها المعتزلة الى قول اصحابنا وهي على التحقيق يرجع
فيها الى عبارة لان المعنى متفق عليه لانهم يقولون نريد بقولنا
الحرام ليس برزق انه ليس بملك لمن حرم عليه تناوله فقط
ونقول ان الله عز وجل جعل غذاء للابدان وقواما للاجسام
ولا خلاف ان الحرام ليس بملك لمن حرم عليه مع انه قد جعل
الله تعالى فيه غذاء لبدنه وقواما له واذا كان الامر على ما قلناه
وجب تحصيل هذا والوقوف عليه الوجه الخامس اذا علم
العبد ان الله تعالى هو المالك يكتب رزقه وجب عليه الوثوق
بذلك والركون اليه وان لا يتعب بدنه في تحصيله فان الله
تعالى قد تكفل به قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها قيل لبعضهم من اين تاكل فقال الذي يشق الحبايا بيتها
بالطحين والذي يشدق الاشداق هو خالق الارزاق وقيل لاخر
اسيد من اين تاكل فقال سبحان الله والله اكبر يرزق الكلب
افلا يرزق ابا اسيد وقيل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال من عند

الله فقيل له يترك لك دنانيرو دراهم من السما فقال ان كان ماله
الا السما يأهذا الارض له والسما له فان لم يأتني رزقي من السما
ساقه لي من الارض وانشد ايقول
وكيف اخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفل بالارزاق للخلق كلهم وللضب في البيدا وللحوت في البحر
وذكر الترمذي في نوادر الاصول باسناده عن زيد ابن اسلم
ان الاشعريين ابا موسى وابا مالك وابا عامر في نفر منهم لما
هاجروا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارملوا
من الزاد فارسلوا رجلا منهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسيله فلما انتهى الى باب رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمعه يقرا هذه الاية وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين
فقال الرجل ما الاشعريون يأهون من الدواب على الله فرجع
ولم يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه ترتحلوا
ارتحلوا اتاكم الغوث ولا يظنون الا انه قد كلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوعده فبينما هم كذلك اذ اتاهم رجلان يجلان
قصعة بينهما مملوة خبزا ولحما فاكلوا منها ثلثا وارتم قال
بعضهم لبعض لو انا ارددنا هذا الطعام الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليقضي به حاجته فقالوا الرجلين اذهبا بهذا الطعام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا قد اصبنا منه حاجتنا ثم
انهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رايتنا
اكثر ولا اطيب من طعام ارسلت به فقال ما ارسلت اليكم طعاما
فاخبروه انهم ارسلوا صاحبهم فساله رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فاخبره ما صنع وما قال لهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك نبي رزقكموه الله والله اعلم الوجه السادس
الاجل قال القاضي ابو بكر اجل الانسان هو الوقت الذي علم
الله انه يموت فيه قال وذهب اصحابنا الى ان الحيوان لا يموت
الا باجالهم مقتولا كان او غير مقتول وان احدا من الخلق لا يقدر
على قطع اجل احد من الحيوان وان اجل المؤمن هو الوقت الذي
علم الله تعالى انه يموت وكذلك كل شيء وقت بوقت فانه اجل
ومنه قولهم اجل له الدين وقت حلوله فكذلك اجل الانسان
هو الوقت الذي علم الله انه يموت فيه لا محالة ولا يجوز تاخير
موته عنه لا من حيث انه ليس بمقدور لله تعالى احياؤه
فيه وزعمت المعتزلة ان جميع المقتولين يموتون بغير اجالهم
وان القاتلين قطعوا عليهم اجالهم ولو لم يقتلوا لعاشوا
والدليل على صحة قولنا قول الله عز وجل فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويدل عليه ايضا ذم
الله قوما قالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو
كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وان الله تعالى كذبهم في ذلك
وردهم على خطابهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد
فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين يعني فادفعوا
عن انفسكم الموت ثم قال عز وجل له عليه السلام قل لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وفي ايات
اخر نحو ما قالوه والله اعلم الوجه السابع قال صاحب
المفهم معنى قوله ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين
يوما ثم ان المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية

الرائقة متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم في هذه
المدة وقد جاء في بعض الروايات كحديث ابن مسعود النطفة
اذا وقعت في الرحم فاراد الله ان يخلق منها بشرا طارت في بشرة
المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير دما في
الرحم وذلك جمعها وهو وقت كونها علقة انتهى الوجه الثامن
قوله ثم يرسل الله الملك يعني الملك الموكل بالرحم فينفخ فيه الروح
كما قال في حديث انس ان الله وكل بالرحم ملكا قيل وظاهر الحديث
يقتضي ان الملك عند مجيئه ينفخ الروح في المضغة وليس الامر
كذلك انما ينفخ بعد ان يشكل المضغة بشكل ابن ادم وتتصور بصورته
كما قال تعالى فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وكما قال
في الاية الاخرى من مضغة مخلقة وغير مخلقة والمخلقة
المصورة وغير المخلقة السقط قاله ابو العالية وغيره
وهذا التخليق والتصوير في مدة اربعين يوما وح ينفخ
فيه الروح وهو المراد بقوله ثم انشاناه خلقا اخر قاله
الحسن وغيره قال القاضي عياض رحمه الله لم يختلف في ان
نفخ الروح فيه انما يكون بعد مائة وعشرين يوما وذكر بعد
تمام اربعة اشهر ودخوله في الخامس وهذا موجود
بالمشاهدة وعليه يعول فيما يحتاج اليه من الاحكام والاسترقاق
عند التنازع ووجوب النفقات على حمل المطلقات وذلك لنفقة
بحركة الجنين وقد قيل انه للحكمة في عدة الوفاة باربعة اشهر
او بعد الدخول في الشهر الخامس بتحقق براءة الرحم ببلوغ
هذه المدة اذ لم يظهر حمل قال ونفخ الملك في الصورة سبب
يخلق الله عنده فيها الروح والحياة لان النفخ المتعارف انما

هو

هو اخراج الريح من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه ولا يلزم منه
عقلا ولا عادة في خلقنا تاثير في المنفوخ فيه فلا احدث شيء من
ذلك النفخ فانما هو باجراء الله عز وجل لا بالنفخ وغاية النفخ
ان يكون مقترنا عاديا لا موجبا عقليا وكذلك القول في الاسباب
المعتادة وتامل هذا الاصل وتمسك فيه فعليه النجاة من
مذهب اهل الضلال وغيره انتهى وقال الطوفي ذكر نفخ الملك
الروح في الجنين بعد مائة وعشرين يوما مضروب ثلاثة
في اربعين فاستفيد من ذلك لا يصلى على السقط حتى يستكمل
اربعة اشهر وهي مائة وعشرون يوما اذ قبل ذلك لا روح فيه
وما لا روح فيه فهو موات والصلاة انما تكون على الميت وهو
من حله الروح ثم فارقه لا على الموات بالاصالة فان قيل قد
تضمن هذا الحديث ان الجنين يصلى عليه بعد ثلاثة اطوار
وهي طور النطفة والعلقة والمضغة فاذا صلي عليه ضمن
بالجناية عليه ونقل عن علي رضي الله عنه انه قال لا يضمن حتى
يأتي عليه الاطوار السبعة يعني المذكورة في اول سورة المومنين
واعلم انه لا تعارض بين الحديث وقول علي لان الاطوار الثلاثة
في الحديث متضمنة للاطوار السبعة التي في الاية وهي السلالة
والنطفة والعلقة والمضغة ثم العظام ثم كسوتها لحما ثم
انشاناه خلقا اخر وهو الصورة الانسانية الكاملة التي
تضمن الحديث انما تكون بعد مائة وعشرين يوما الوجه
التاسع قال الطوفي يستفاد من الحديث ان الامة الا تصير
ام ولد الا بوضع ما تجاوز اربعة اشهر من سيدها لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في ام الولد اعتقها ولدها فعلق

العتق بالولد ومقتضى حديث ابن مسعود انه لا يسمى ولدا
قبل اربعة اشهر لانه سماه قبله نطفة وعلقة ومضغة ولا شيء
من ذلك يولد لغة ولا عرفا وانما يسمى ولدا اذا نفخ فيه الروح
بعد ذلك تم ولد فان قيل الشرع علق عتقها بالولد والولد مشتق
من الولادة وهي الخروج من الرحم قلنا يلزم على هذا ان تصير
ام ولد بوضع النطفة اذا خرجت من الرحم وليس كذلك ولو قال
به قايل لكان بعيدا عن دليل الشرع وانما ذهب بعض العلما
الى صيرورتها ام ولد بدون ما ذكرناه حرصا على عتقها وتشوفا
اليه ولو بسبب ضعيف كما لعتق بالسراية **الوجه العاشر**
قوله ويوم باربعة اشهر يكتب رزقه واجله وعمله وشقي
او سعيد قيل ظاهره ان الملك يوم بكتب هذه الاشيا ابتدا
وليس كذلك انما يوم بذلك بعد ان يسال فيقول يا رب ما الرزق
ما الاجل كما تضمنته الاحاديث المذكورة في غير هذا كما روى يحيى
ابن يحيى ابن زايدة نبا ا وعن عامر عن علقمة عن ابن
مسعود وابن عمر ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها
ملك بكفه فيقول اي رب ذكر ام انثى ام سعيد ما الاجل ما الاثر
باي ارض تموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب فينطلق فيجد
قصتها في ام الكتاب فيلمح فيما لمح رزقها واثارها فاذا اجا
اجلها قضيت فدفنت في المكان الذي قدرها وفي رواية عن
ابن مسعود ان الملك يقول اي رب مخلقة او غير مخلقة فان
قيل غير مخلقة قذفها الرحم فصارت دما وان قيل مخلقة قال
يا رب اذكر ام انثى وذكر نحو ما تقدم قال القاضي عياض قوله
ان النطفة اذا استقرت في الرحم اي صارت علقة ومضغة

لانها قبل ذلك غير مجتمعة كما تقدم فاذا اجتمعت وصارت ما واحدا
علقة ومضغة امكن ان تاخذ بالكف وسماها نطفة في حال
كونها علقة ومضغة بلسم مبداها قال ويستفاد من هذا ان
المراة اذا القت نطفة لا يتعلق بها حكم كحكم الحمل اذا لم تجمع
فيتبين انها كانت حاملا اذ الرحم قد يدفع النطفة قبل استقرارها
فاذا طرحته علقة تحقق ان النطفة قد استقرت واجتمعت
واستحالت الى اول احوال ما يتحقق انه ولد فيكون وضع
العلقة ما فوتها من النطفة ووضع حمل يبرا به الرحم
وتنقضي به العدة ويكتب لها به حكم ام ولد وهذا مذهب
مالك واصحابه وقال الشافعي لا اعتبار باسقاط العلقة انما
الاعتبار بظهور الصورة والتخطيط وان حتى التخطيط فقولان
بالنقل والتخريج ومعتمد اصحابنا التمسك بالحديث المتقدم
وبان اسقاط العلقة او المضغة يصدق عليه انه حمل مرفوع
فيدخل في قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وقوله صلى الله عليه وسلم لسبيعة الاسلمية قد حللت
فانكحي من شيت ولانها وضعت معتدا الولد عما نطفة منمذا
كالتخطيط انتهى كلامه ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان السقط
ان ظهر بعض خلقة ولد او ذلك مثل يد او رجل او اصبع او ظفر
او شعر فتكون به نفسا وتنقضي به العدة وتصير الامة ام ولد
به وعتق لو كان علق عتقه بالولادة **الوجه الحادي عشر**
ان نفخ الروح في هذا الحديث بعد مائة وعشرين يوما وصح
في حديث انه بعد اربعين او اثنين واربعين يوما قال الطوفي
واشبه ما يجمع به بينهما حمله على ان بعض الاجنة ينفخ فيه الروح

بعد اثنين واربعين تخصيصا لكل واحد من الحديثين بالاخر
انتهى وفيه نظر لانه خرق للاجماع كما تقدم من قول القاضي عياض لم يختلف
في ان نفخ الروح انما يكون مائة وعشرين والاشبه ان يحمل حديث
النفخ بعد الاربعين على الاربعين بعد الثمانين حتى لا يتضاد الاحاديث
والله اعلم الوجه الثاني عشر بين الله لنا على لسان رسوله
ما النسبة بين ما كان خفيا من تلك التطورات على منفعها وما
كان عليه عند بلوغ الاحتلام والتكليف وما اجتمعت عليه
هذه الصورة الحيوانية من عظم ومخ ودم وعصب وعروق
وشعر وجلد ولحم وكبد وقوى وعقل وفكرة وشهوة وتصرف
وبطش وجميع ما فيها من حسن الصنعة كما قال عز وجل
ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم اين نسبة ذلك الكمال
الاول من هذا الكمال واين ذلك الخلق من هذه الخلقة كما قال
عز وجل في شان الثمر عند تناهي طيبه انظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه معنى ذلك انظروا الى حال الثمرة اذا بدا من الشجرة ثم انظروه
عند تناهي طيبه اين نسبته في هذا الحال من نسبته اولا فاذا بنا
النسبة بين الحالتين متباينة فكانه عز وجل يقول بدلول
قوة الكلام الا ترون ان ذلك بالقدرة لا بالاصل ولا بالذات فاعتبروا
بمن هذه قدرته وانقادوا اليه واسلموا ثم بعد ذلك يأتي حال الكبر
وينعكس تلك القوى ضعفا ويدخل النقص في جميع احواله
مع بقاء الخلقة على قالبها كما اخبر عز وجل ثم جعل من بعد قوة
ضعفا وشيبة فاهل الاعتبار اعتبروا واهل التذكار تذكروا وبقي
اهل الغفلات في عميات الجهالات لا يبصرون الا على قدر سهمهم
وكذلك قال عز وجل وكاين من اية في السموات والارض يمرون

عليها

عليها وهم عنها معرضون اي غافلون الثالث عشر قال الشيخ ابو
عبد الله ابن ابي جمرة رضي الله عنه وفيه دليل على ان وجود الحق
حق واد راكه غير ممكن بوجه من ذلك من ان الملائكة بالاجماع
اجسام وتدركهم بها خلق البشر منهم فينا ولا نراهم ولا نشعر بهم وهم
يتصرفون فينا والله اعلم بكيف خلقنا وخلقهم فانا بقطيعات العقول
لا تشبه الصانع الصنعة الرابع عشر فيه دليل على تشريف
بني ادم وتسخير الملائكة الكرام لهم في كلا الاحوال في حال يعقلون ولا
يعقلون كما قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه على طريقة المن وهذا استدعاء لطيف في لطيف العبارة
وانشراح الصدر لها فانه اذا راى العبد قدره وهذا اللطف به
من هذا المولى الجليل الغني المغني سهلت عليه العبادة ورغب
في الحظوة عند هذا المالك الذي قد كرمه قبل ان يعرفه ويعبد
فكيف به اذا عبده وسمع قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك لمن خشي ربه الخامس عشر قال الشيخ ابو عبد الله ابن ابي جمرة يترتب عليه من
الاحكام الشرعية ان حكم الحاكم اذا انفذ ومضى لا يرد ويوخذ ذلك
من انه لا ينفخ الروح الا بعد الكتب فيكون الحكم قد نفذ ومضى
وهو في عالم آخر فلا يخرج لعالم الحياة الا على حكم قد تم وفرغ
ولا يطمع احد في نقضه وهو موضع تحقيق للخوف والرجاء
للعمل او تركه جعلنا الله ممن سبقت له السعادة بمنه وكرمه
السادس عشر قال الشيخ ابو عبد الله ابن ابي جمرة اذا كان
الامر تم فعلام ذا الحرص في طلب الرزق وقد تم الامر لا يزداد
ولا ينقص فيرجع الرزق والاجل والسعادة او غيرها كالتذكير

والثانيت لايتبدل ولفهم هذا المعنى فضل اهل الصوفية على
غيرهم ولم يلتفتوا الى من تبنوا معلومين على من هو المتصرف
فيهم اللطيف بهم كان لم تطلع النفوس فى انقلاب الذكورية الى
صدها او ضمها اليها وكذلك لم تطلع نفوسهم فى الرزق ولا فى
الاجل ولا فى السعادة التبديل اصلا وما بقوا الا مستغلين
بما امروا واحتاجوا بعضهم فان كنت احببته لمعروف نادر ورغبة
فى جنة حشره الله مع فرعون وهامان بل اعبده لانه اهل
لانه يعبد وهو الحق لمن فهم وكفى فى ذلك قصة العابد فى بنى
اسرايل الذى اخبره نبيه انه من اهل النار فزاد فى عبادته
فاوحى الله كذلك النبى ان قدره يفعل ما يشاء هو من اهل الجنة
لازرايه بنفسه واما من طريق الرزق فقال بعضهم اذا كان
الفقير يتخلف فى رزقه فالله يحسن عزاه فى طريقه وكفى فى ذلك
ما اختاره سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال اجوع يوما
فاصبر واشبع يوما فاشكر وقال يحيى ابن ابى رزق رحمه الله
اذا كان الباقى لايرجع والمقدور لايتبدل فما طرح الهم بسعادة
النفس ويشبه قول الشاعر حيث قال

اذا كان ما فات لايسترد وما حظ فى اللوح لاينمى
فلا تقنطن ولا تسخطن ولا تحزنى ولا تقدحى

السابع عشر قال ابن ابى حمزة ها هنا بحث هل الكتب
يكون قبل نفخ الروح او بعده لكن قبل خروجه من بطن
امه ليس فى الموضع ما يدل على شئ منهما لكن قد جاء فى
حديث اخر انه يكتب ثم ينفخ فيه الروح ويترتب على هذه
الاخبار من الفقه ان السعادة والشقاوة قد تكون بلا

عمل

عمل ولا حياة فى هذه الدار يوخذ ذلك من قوله ثم ينفخ فيه
الروح بعد كتب السعادة او ضدها وقد رايتنا من يموت فى البطن
قبل الخروج الى هذه الدار وقد يخرج ولا يبلغ زمان العمل لا على
طريقة الوجوب وهو البلوغ ولا طريق الندب وهو ما دون
ذلك ويعضد هذا التاويل قوله عليه السلام فى الاطفال
الله اعلم بما كانوا عاملين لان العلماء اختلفوا فيمن يموت
قبل بلوغه التكليف على اى قدر كان من السن اختلافا كثيرا
لان الاحاديث جاءت فيهم على انواع فمنها قوله عليه السلام فيهم
عصفور من عصافير الجنة ثم قال فيهم هم من ابايهم ثم قوله
عليه السلام الله اعلم بما كانوا عاملين وعلى هذه الاثار اكثر
اهل السنة لاسيما مع ما فى هذا الحديث الذى نحن فيه مما يقوى
هذا المعنى ويزيد تاكيدا الى ذهب اليه اهل الصوفية جعلنا
الله من سعد ونهم وحى وعمل وقبل عنه وكرمه لا رب
سواه الثامن عشر قوله ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
الى اخره ظاهره ان هذا العامل عمله صحيح وانه قرب من الجنة
بسبب عمله حتى اشرف على دخولها فمنعه من ذلك القدر
السابق بانه يختم له بغير ذلك فان الاعمال بالسابق لكن لما
كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى
الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم واما العامل المذكور
فى كتاب الايمان من صحيح مسلم الذى قال فيه ان الرجل ليعمل
بعمل اهل الجنة فيما يبدو والناس فانه لم يكن عمله صحيحا فى نفسه
وانما كان رياء وسمعة فيستفاد من ذلك الحديث الاجتهاد فى
اخلاص العمل لله تعالى والتحذير من الرياء ويستفاد من هذا

الحديث ترك العجب بالاعمال والركون اليها والتعويل عليها كرم
الله ورحمته لقوله لا ينجي احدا منكم عمله الحديث وقوله الشقي
من شقي في بطن امه معناه ان حاله حينئذ يظهر للملايكة
او لمن شاء الله من خلقه والا فقد سبق به العلم الازلي
والقضاء الالهي الذي لا يتبدل ولا يتغير الا ترى ان الملايكة
تستخرج ما عند الله من علم حال النطفة فتقول يا رب
ما الرزق ما الاجل شقي او سعيد فيقضي ربك ما يشاء ويكتب
الملك ثم ان الملك يخرج بالصحيفة من حال الغيبة عن هذا العالم
الى حال المشاهدة فيطلع الله عليها من شاء من ملايكته وقوله
في بعض الروايات اذا مر بالنطفة ثنتان او ثلاثة واربعون
او خمسة واربعون هذا الشك من الرواة حاصله ان بعث
الملك انما هو في الاربعين الرابعة التي هي مدة التصوير لا
ترى لقوله بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها
وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها فعطف بالفا المرتبة وذلك لا يكون
حتى تنتهي النطفة الى كونها مضغة وبهذا يزول الاشكال
وتتفق الروايات ونسبة الخلق والتصوير الى الملك
نسبة مجازية فانه انما صدر عنه ما صدر من التشكيل
والتصوير بقدرة الله وخلقه واختراعه الا ترى الى قوله
تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين فاضاف اليه الخلقة الحقيقية وقد دلت
البراهين القطعية على انه لا خالق الا هو جل وعلا كما تقدم
وقوله حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع تمثيل للقرب من موته
ودخوله الى الدار التي اعدت له وبدا بانقلاب الناس من الخير

الى الشر

الى الشر انه نادر وان من لطف الله تعالى وسعة كرمه كثرة انقلاب
الناس من الشر الى الخير وعكسه نادر وهو نحو قوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء او رحمتي غلبت غضبي اسبقت غضبي ويدخل
في الحديث من انقلب الى عمل النار بكفر او معصية فالعاصي غير
مخلد كما تقدم والكافر مخلد وفي هذا كله دلالات ظاهرة لمذهب
اهل السنة في اثبات القدر وان جميع الكائنات واقعة بقضائه
وقدره والقدر سر من اسراره عجيبة ممن عقول المكلف ومعاشهم
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقد دلت الدلايل على النهي
عن ترك العمل والاتكال على القدر قال الله تعالى وقد اعملوا وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقال صلى الله عليه وسلم
ما منكم من احد الا وكتب له مقعده من النار ومقعده من الجنة
قالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا ودع العمل فقال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر
لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل
الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى نسيسره
لليسرى قال الطوفي واعلم ان اهل التحقيق اختلفوا فمنهم
من راعى حكم السابقة وجعلها نصب عينه ومنهم من راعى حكم
الخاتمة والاشبه الاول لان الله سبحانه وتعالى سبق في علمه
الازلي سعيد العالم وشقيه ثم الخاتمة عند الموت مرتبة
على العلم الازلي ومبنية عليه بحسب صلاح العمل عندها
وفساده ثم حقيقة السعادة والشقاوة في الدار الاخرة
مبنية على الخاتمة والمبني على المبني على شيء مبني على ذلك الشيء فحقيقة
السعادة والشقاوة مبنية على سابق العلم بها فهي اذا اولى

بالخوف منها والمراعاة لها الوجه التاسع مستر قوله ان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة فلا هذا اشارة الى انه لابد من اسبقية
الاعمال للسعادة والشقاوة وتحقيق هذا المقام ان الله عز
وجل خلق الخلق وركب فيهم طباع الخير والشر فعلم ما يكون
منهم بحسب مقتضى طباعهم المذكورة فيهم فلو اسعدهم واشقاهم
بدون تكليف وعمل اعتمادا على سابق علمه وحكمته فيهم لكان
ذلك ماسونا غير منهم لكنه سبحانه وتعالى عادل في حكمه حكيم في
عدله والحكمة تقتضي اجتناب مظان التهم فلو عذب بعضهم
بموجب علمه فيهم لاتهموه فدفع هذه التهم بان كلفهم حتى ظهرت
معصيتهم على طباعهم المذكورة فيهم هذه القوة الى الفعل وهذا
هو سر قوله عز وجل ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقوله عليه السلام في اطفال المشركين الله اعلم بما كانوا عاملين
وفي هذا عاملين وفي هذا المقام لبسط وتحقيق وفيما ذكرناه
تنبيه على المقصود انتهى كلام الطوفي العشرون قال ابو محمد
عبد الحق واعلم ان سوء الخاتمة انما ذلك الله منها لا يكون لمن
استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله
وانما يكون لمن كان له فساد في العقيدة واصرار على الكبائر
واقدام على العظائم فربما تعلق عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة
فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند ذلك
الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله او يكون من كان
مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ في غير
طريقه فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وسوء عاقبته كابليس
الذي عبد الله فيما يروى ثمانين الف سنة وبلعام باعور الذي آتاه

الله

الله اياته فانسلخ منها بخلوده الى الارض واتباع هواه ويروى
العابد الذي قال الله تعالى فوحقه لاقتل الشيطان وقال للانسان
اكفر ويروى انه كان رجل بحصر ملتزم مسجد الاذان والصلاة
ويعليه بها الطاعة وانوار العبادة فرقى يوما المنارة على عادته
للاذان وكان تحت المنارة دار نصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب
الدار فافتتن بها وترك الاذان ونزل اليها فدخل الدار فقالت له
ما شانك ما تريد فقال انت اريد قالت لماذا قال لها قد سبيتني لي
واخذني بجمالك فلي قالت لا اجيبك الى ريبة قال لها اتزوجك
قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال لها انتصر
قالت ان فعلت افعل فتنصر ليتزوجها واقام معهم في الدار فلما
كان في اثناء ذلك اليوم رقا الى سطح كان في الدار فسقط منه فمات
فلا هو بدينه ولا هو بدينها فنعوذ بالله من سوء الخاتمة ثم بالله
من سوء الخاتمة ويروى ان رجلا علق بشجر واحبه فتمتع منه
واشتد نفاره فاشتد كلف الياس الى ان لزم الفراش فلم تزل
الوسايط تمشي بينهما حتى وعد بان يعوده فاخبر بذلك ففرح
واشتد سروره واغمي عليه بعض ما كان يجده فلما كان في بعض
الطريق رجع الى اشد ما كان عليه اولا وقال انه لا يخلد مداخل
الذنوب ولا عرض نفسي لمواقع التهم فاخبر بذلك الياس المسكين
فسقط في يده ورجع الى اشد ما كان به وبدت عليه علامة
الموت واماراته قال المجمل يقول وهو في تلك الحالة
سلام بارحة الخليل ويردد ذي المدنف النحيل رضاك استمي الى فؤادي
من رحمة المالك الجليل قال فقلت له يا فلان اتق الله فقال قد كان
فتمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت فنعوذ

بابه من سوء الخاتمة وحكى ابن الجوزي رحمه الله في كتاب ذم
الهوى قال كان رجل مسلم يهوى امراة نصرانية فمرض مرض الموت
فقال في نفسه انا اعشق هذه المراة ولم اجتمع بها في الدنيا وان
مت على الاسلام لم اجتمع بها في الاخرة فتنصر ومات على النصرانية
وكانت المراة مريضة فقالت ان فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي
في الدنيا واخشى ان مت على دين النصرانية ان لا اجتمع به في الاخرة
فاسلمت ومانت في مرضها فذكر فانظر ما بين الخاتمتين وهذا
سر عظيم من اسرار هذا الحديث وروى البخاري عن سالم
ابن عبد الله عن ابيه قال كثيرا كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحلف لا ومقلب القلوب وسماه صرفها اسرع من مر الريح
على اختلافوا في القبول والرد والارادة والكراهة وغير ذلك
من الاوصاف وفي التنزيل واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه قال ظاهر المعنى يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري
ما يصنع به واختار الطبري ان يكون ذلكرا اخبارا من الله
عز وجل انه مالك لقلوب العباد منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا
شاء حتى لا يدرك الانسان من ذلك شيا الا بمشيه الله عز وجل
وقالت عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك فقلت
يا رسول الله انك لتكثر ان تدعوا بهذا الدعا فهل تخشى فقال
وما يومنني يا عايشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع
الجبار اذا اراد ان يقلب قلب عبد قلبه اكما دي والعشرون
قال القاضي عياض هذا تفسير باثبات القدرة وان التوبة تهدم
الذنوب قبلها وان من مات على شي حكم له به من خير او شر الا

ان اصحاب

ان اصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة انتهى قال التيج تاج الدين
ونقل عن الغزالي رحمه الله تعالى من التقسيم في معنى الخبر والشر
الناس على قسمين مومن وكافر فالكافر في النار باجماع العلما
والمومن على قسمين عاص ومطيع فالمطيع في الجنة باجماع العلما
والعاصي على قسمين عاص بالصغاير وعاص بالكباير فالعاصي
بالصغاير يسال ولا يعاقب والعاصي بالكباير على قسمين مستحل
وغير مستحل فالمستحل في النار باجماع العلما وغير المستحل
على قسمين تايب وغير تايب فالتايب في الجنة باجماع العلما
وغير التايب في المشيئة الله تعالى انتهى الحديث الخامس
عن ام المومنين ام عبد الله عايشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا
هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه
امرنا فهو رد الكلام عليه من وجوه احدها عايشة بنت
ابي بكر الصديق واسمه عبد الله ابن ابي قحافة واسم ابي قحافة
عثمان وامها ام رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور
وقال ابن عبد البر في الاستيعاب يقال بفتح الراء ومنها بنت
عامر ابن عمر بن عبد شمس تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد زواجه بسودة
بشهر وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع بالمدينة
في شوال بعد منصرفه من بدر وهي بنة تسعين من الهجرة ودفنة
بها كانت في رمضان وقيل انها دخل بها في راس ثمانية عشر
شهرا وقيل على راس ثمانية اشهر وتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهي بنت ثماني عشرة سنة وعاشت بعده اربعين سنة

وتوفيت في شهر رمضان لثلاث عشرة بقيت منه بعد الوتر
ودفنت في تلك الليلة سنة تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين
وصلى عليها ابو هريرة وكان اميرا على المدينة من قبل مروان وحضرها
ابن عمر وغيره ولم تتزوج ام عبد الله كنا هار سول الله صلى الله عليه
وسلم بابن اختها ابن الزبير ورويا عنها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الف حديث ومايتا حديث وعشرة احاديث اتفقا
منها على ماية واربعة وسبعين حديثا وانفرد البخاري باربعة
وخمسين ومسلم بثمانية وستين روى عنها ابن عباس وابن الزبير
وابو موسى وعبد الله ابن عامر ابن ربيعه وابو هريرة وروى
عنها من التابعين نيف وستين رجلا وامراة في الصحيح وفي
غيره جماعة كثيرة ومناقبها كثيرة منها ان الله تعالى انزل في
براءتها ثمان عشرة اية ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم الوحي في
لحاف امراة من نسايه الا في لحافها وجاء جبريل بصورتها في
خرقة من حرير قبل ان يتزوجها وكانت احب ازواجه اليه
لما فضلها الله به وشرفها وقال النبي صلى الله عليه وسلم فضل
عايشة على النسا كفضل الثريد على الطعام وقيل له من احب
الناس اليك قال عايشة قيل فمن الرجال قال ابوها ولم يتزوج
بكرا غيرها الوجه الثاني ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يقال
لهن امهات المومنين لقوله عز وجل النبي اولى بالمومنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم ولهذا حرم نكاحهن على غيره بدليل
وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ولانه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم للناس كالاب لزانته
وحرمته بهم وكذلك قال انما انا لكم كالوالد لاولادكم كذا ازواجه كالامهات

لهم

لهم فاما قول الله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
فالمراد نفي ابوة النسب وكذلك لم يعش له ابن حتى يصير من الرجال
الوجه الثالث قوله من احدث في امرنا هذا اي اتى بامر حادث وامرنا
ديننا وشرعنا ويطلق الامر ويراد به الشان كقوله تعالى وما امر
فرعون برشيد اي ما شانه ويطلق ويراد به مصدر امر وهذا
يجمع عملا وامرا والاول اعني الذي بمعنى الشان يجمع على امور والله
اعلم الوجه الرابع قال الشيخ تاج الدين رحمه الله اسم الاشارة
قد استعمل في التعظيم نحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب وقد يستعمل
في التعظيم نحو قول عايشة رضي الله عنها لابن عمر يا عجبا لابن عمر
هذا ويقول القايل في التعجب انظر الى هذا الرجل ما صنع فهو في
هذا الحديث للتعظيم ليس الا الوجه الخامس قوله ما ليس
منه قال القلعي اي لا يستند الى شي من ادلة الشرع وقال ابن
العاكماني اي ما ينافيه فاما تفريع الاصول التي فيه فان ذلك
لا يتناوله هذا الرد لكتابة القران في المصحف وكالمذاهب التي هي
من حسن نظر الفقها المجتهدين الذين يردون الفروع الى
الاصول التي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وكالكتب
الموضوعة في النحو والحساب والفرايض وغير ذلك من العلوم
فما مرجعه ومنتهاه الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم وامره فان
ذلك لا يتناوله هذا الحديث قاله صاحب الايضاح الوجه السادس
قال الشيخ تقي الدين القشيري رحمه الله هذا الحديث احد الاركان
من اركان الشريعة لكثرة ما يدخل تحته من الاحكام قال وقوله
نحو رد اثر فاطلق اسم المصدر على اسم المفعول ويستدل به على
ابطال جميع العقود الممنوعة وعدم وجود ثمراتها واستدل به

في اصول الفقه على ان النهي يقتضي الفساد نعم قد يقع الغلط في بعض
المواضع لبعض الناس فيما يقتضيه الحديث من الرد فانه قد يتعارض
امران فينتقل من احدهما الى الاخر ويكون العمل بالحديث في احدهما
كافيا ويقع الحكم به في الاخر في محل النزاع فللخصم ان يمنع ولا لتفاته
عليه فتنبه لذلك انتهى وبسط الطوفي هذا انتقال هذا الحديث على
ايجازه واختصاره من اعظم قواعد الشرع وانما انفعه من جهة
منطوقه ومفهومه اما من جهة منطوقه فلانه مقدمة كلية في كل دليل
باق لحكم مثلا ان يقال في الوضوء بما مغصوب او مسروق او نجس او
بدون النية وفي الصلاة لغير القبلة او بغير سترة او الصوم بلا
نية من الليل او بيع الغايب او النجش او الغرر او نكاح الشغار او
الشفعة بلا ولي او شهود ونحو هذه من احكام لا تحصى يقال في كل واحد منها
هذا عمل ليس عليه امر الشرع وكلما كان كذلك فهو باطل مردود فهذا العمل
مردود وباطل فالمقدمة الثانية ثابتة بهذا الحديث الصحيح الصريح
وانما يتجه النزاع في المقدمة الاولى فاذا ثبتت ثم الدليل وثبتت
الدعوى وانتفى الحكم واما من جهة مفهومه فهو مقدمة كلية في كل
دليل مثبت للحكم لان مفهوم قوله من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد
ان من عمل عملا عليه امرنا فليس مردودا فيكون صحيحا فيقال في
الوضوء بدون المضمضة والاستنشاق والتسمية وغسل اليدين
من نوم الليل وبدون النية والترتيب والموالاة واستيعاب مسح
الراس ونحوها كل واحد منها عمل عليه امر الشرع وكلما كان عليه امر
الشرع فهو صحيح فهذا العمل صحيح والمقدمة الثانية بمفهوم
هذا الحديث الصحيح عند من يحتج بالمفهوم وانما النزاع في الاولى
فيثبتها المستدل بدليلها ان امكنه فيتم الدليل وتثبت الدعوى

ويثبت

وقفى الله تعالى على طلبة العلم بالاجر ومقره برواق اليمنى.
ويثبت الحكم وهذه قاعدة كلية في اثبات الاحكام ونفيها وهذا
الحديث يصلح ان يسمى نصف ادلة الشرع لان الدليل انما يتركب من
مقدمتين صغرى وكبرى وان شئت قل اولى واخرى ثم المطلوب
بالدليل اما اثبات الحكم او نفيه وهذا الحديث مقدمة كبرى في اثبات
كل حكم شرعي ونفيه وانما يقع الخلاف في المقدمة الصغرى فلو
رجع الحديث يكون فيه مقدمة صغرى في اثبات كل حكم شرعي ونفيه
لا ستقل الحديث باثبات ادلة احكام الشرع لكن هذا بوجه ثم المطلوب
بالدليل اما اثبات الحكم او نفيه فاذا هذا الحديث نصف ادلة الشرع
باعتبار ما ذكرنا فان قيل اكثر من اوامر الشرع العامة خصت
بصور ليس عليها امر الشرع والا لما كان محصورا بها ومع ذلك
فهي صحيحة في الشرع فاذا قد صح في الشرع ما ليس عليه امر الشرع
فلا تختص تلك الصور من اوامر الشرع ان كان بغير دليل شرعي
فهو باطلة ولا نسلم صحتها وان كان دليل شرعي فعليها امر الشرع
فلا نسلم خروجها عن الشرع انتهى كلام الطوفي **الوجه السابع**
في الرواية الثانية زيادة فانه قد يعاند بعض الفاعلين في
بدعة سبق اليها فاذا رد عليه احتج بالرواية الاخرى ويقول انا
لم احدث شيئا وانا احد ثما غيري فيحتج عليه بالرواية الثانية
الصريحة برد كل المحدثات سواء احدثها الفاعل او سبق باحداثها
الوجه الثامن قال ابن القاسم في استدلال اهل الاصول بهذا الحديث
على ان النهي يقتضي الفساد المنهي عنه وممن يخالف في ذلك يقول هذا
خبر واحد فلا يكتفى في هذه القاعدة المهمة وليس بشيء انتهى **الحديث**
السادس عن ابي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحلال بين

الحديث الكلام عليه من وجوه احدها النعمان قال الواقدي ولد على
راس اربعة عشر شهرا من الهجرة وهو اول مولود ولد في الانصار
بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعد ستة او اقل من ستة
وقيل ولد وقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثماني سنين وقيل بست
سنين والاول اصح لان الاكثر يقولون ولد هو وعبد الله ابن الزبير
عام اثنتين من الهجرة قيل وكان عبد الله ابن الزبير اول مولود
ولد بعد الهجرة من المهاجرين والنعمان بن بشير اول مولود ولد
للانصار بعد الهجرة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة حديث واربعة عشر حديثا منها في الصحيحين عشرة احاديث
متفق عليها وانفرد البخاري بحديث ومسلم منها باربعة روى عنه
جماعة من التابعين قال الشيخ صلاح الدين العلائي قال يحيى ابن
معين يقولون لم نسمع من النبي صلى الله عليه وسلم واهل
العراق يصححون سماعه منه وليس يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الا في حديث الشعبي الحلال بين والحرام
بين واستعمله معاوية على الكوفة فيما نقله سماك ابن حرب النمري
قتل بالشام في اول سنة اربع وستين بقرية من قرى حمص يقال
لها حرب نيسان روى له الجماعة قال الطوفي النعمان هذا هو الذي
تنسب اليه صعرة النعمان لانه كان ملكها او واليا عليها الوجه
الثاني قال الطوفي رحمه الله الحرام ممنوع منه شرعا لان حكمه
انه يحرمه الانسان اي يمنع حسا والحلال ضده والمشتبهات ما تردد
بينهما فقامت فيه شبهة الحل وشبهة الحرمة والتي اجتنب
والشبهات جمع شبهه وهي ما تحيل للناظر انه حجة وليس كذلك
واستبرا لدينه معموز وهي ما تحتمل للناظر انه حجة ولد ويخفف

ومعناه

وسعناه طلب البراءة لدينه من النقص وحصولها له وكذلك استبرا
من البول حصول البراءة منه وعرضه بكسر العين محل المدح والذم
منه وحمى الشيء الممنوع منه وحمى الملك ما يحميه لخيله ونحوها من الناس
مصالحه ومنع غيره منه حمى بالبناء قال الشاعر

ايمت حمى تهامة بعد نجد ... وما شئي حميت بمستباح

ومحارم الله عز وجل ما حرم على خلقه والقلب محضون باطن
في الجسد عليه مدار حال الانسان قيل سمي قلبا لتقلبه كما قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه ... ولا القلب الا انه يتقلب

ولذلك سماه بصفته الوجه الثالث قال الشيخ تقي الدين هذا
احد الاحاديث العظام التي امرت مدار اصول الدين وادخلت في
الاربعة الاحاديث التي جعلت اصلا في هذا الباب وهو اصل
كبير في الورع وترك المشتبهات في الدين انتهى ونقل ابن الفاكهاني
عن ابن بطال انه قال في شرح البخاري ما نص الله تعالى على تحليله
فهو الحلال البين كقوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم واحل لكم ما وراء ذلكم وما نص
على تحريمه فهو الحرام البين مثل حرمت عليكم امهاتكم الى اخر الاية
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وتحريم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وما جعل الله تعالى فيه حدا او عقوبة او وعيدا فهو الحرام
البين كاكل اموال اليتامى واكل الناس بالباطل وهذا باب يتسع
فيه القول وهو واضح يقتضي من تجنبه براءة وطلبه قال ابن الفاكهاني
وقد اختلف العلماء في المراد بالحلال ما غير ما يطلق النص على عينه
على قولين فقيل الحلال ما علم اصله وهذا اشد القولين واصعبهما
والثاني ان ما لا يتبين انه حرام فهو حلال وهذا اسهلهما ان شاء الله تعالى

وهو مختار شيخنا ابي علي البخاري قدس الله روحه وهذا كله من حيث
الاجماع واما من حيث التفصيل فقال الشيخ الامام شمس الدين المعروف
بالانباري رحمه الله تعالى في مسئلة الورع من تصنيفه الشيء انما
يحرم لمعنى في عينه وحل في وجه الاباحة ومعنى قولنا لمعنى في عينه
ان الشرع انما منعه لمفسدة فيه ومضرة لعباده اما منكشفة للخلق
كالسم والخمر واما ملتبسة كتحريم الربا وما ذكاه المجوسي وتحريم
بعض الحيوانات القسم الاول ما منع لصفة عينه وبيانه بتقسيم
وتفصيل وهو ان جميع ما ينتفع به الخلق يعدو اثلاثة اقسام
معادن ونبات وحيوان فاما المعادن فجميع ما يخرج منها لا يحرم
الا ان يكون ضارا فيقتصر التحريم على حالة الضرر ولا اختصاص
للمعادن بذلك بل لو ضر الخبز لحرم في حالة كونه ضارا واما النبات
فلا يحرم منه الا ما يزيل الحياة كالسم او العقل كالخمر والبنج وانضاف
على ما سبق وجنس المسكر حرام وان تناول القليل منه قال
ابن القاسم الجلاب يريد خلافا لابي حنيفة ومن قال بقوله في حال القليل
مما يسكر كثيره واما الحيوان فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل والذي
لا يؤكل قد يكون محرما كالحشرات وقد يكون مكروها كالحمير والبغال
والحمير وسباع الوحش وما لم يذبح ذبحا شرعيا فهو ميتة واذا
ذبح الحيوان المأكول ذبحا شرعيا فهو حلال الا الغدد والدم وكل ما
يقضي بنجاسته بعد الذبح ولا يحل اكل شيء من النجاسات عمدا في
حالة الاختيار ولا دواء ويختص النجاسات بالحيوان والمسكران
وان وقعت قطرة من النجاسة في الطعام فان كان قليلا امتنع
اكله وان كان كثيرا نقيه نظر قال ابن القاسم الجلاب في نظر قوله فيه
نظر والمسئلة مسطورة قال الشيخ ابو عمرو بن الحاجب وفي

قليل

قليل النجاسة في كثير من الطعام المايع قولان وفي بعض الحواشي
والصحيح التخميس القسم الثاني ما يمنع من جهة خلل في وضع
اليد عليه فتقول احد المال اما ان يكون باختيار المكلف او بغير
اختياره فالذي بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان
يكون من غير مالك كالاشياء المباحة التي لم يسبق عليها ملك
او يكون من مال مالك اما ان يأخذ قهرا او تراضيا والمأخوذ قهرا
اما ان يكون لحقوق عصبة المالك كالقيام والاستحقاق للاخذ
كالزكوات والنفقات الواجبة من المنتفعين والمأخوذ تراضيا
اما بعوض كالبيع والصداق واما بغير عوض كالهبة والصدقة
فجميع هذه الاقسام يصح اسنادها الى المذكر اليها ويحل لمالكها الانتفاع
بها اذا روعي شروط الشرع في تحصيلها فهي حلال مطلقا ولا تظهر
للورع المطلوب في شيء منها اذا تحقق الملك فان اختلفت هذه الشروط
فسدت العقود وامكن الرد على المالك ولم يصح تقرير الملك لواضع
اليد حرم عليه التصرف وامتنع على غيره اذا كان حاله كحال الاول
وهل يكون ورود العقد الصحيح على العقد الفاسد مفيدا للملك
وموجبا صحة الملك للاول والثاني فيه نظر ولا يكون العقد الثاني
مؤثرا للملك المغصوب عند الجميع هذا بيان ما نهي عنه بسبب
الالتباس وحاصله راجع الى اختلال الاسباب المكنة او كون
الاسباب لا يقبل الملك او الانتفاع القسم الثالث ما نهي عنه بسبب
الالتباس وهذا قسم الشبهات والشبهة يطلق على امرين
حقيقة له وهو جنس الاوهام وهذا الذي يفهم من الشبهة
اذا اطلقت في مقابلة الدليل وصفاته انه استنبط الامر على
المستدل حتى تخيل ما ليس به ليلا وليس هذا مرادنا

في هذا المكان وانما الشبهة هنا على الناظر حكمه ولم يتكشف له
حقيقة امره وقد قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين
وبينهما امور مشتبهات الحديث والمشكل منها القسم المتوسط
وهو الشبهة فلابد من بيانها وكشف الغطاء عنها فنقول الحلال
المطلق هو الذي انتفت عن ذاته الصفات المحرمة وانتفى عن
اسبابه ما لا يتطرق اليه حلالا والحرام ما فيه صفة محرمة كالخمر
او حصل بسبب لا يصلح للملك شرعا كالمكس والزنا وتقابله
فهذان طرفان يدرك بهما ما تتحقق امره ولكن اشتمل طرفان غير
ولم يدل على ذلك الاحتمال دليل ولا امارة فان صيد البر حلال
ممن اخذه طيبة واحتمال ان تكون صيدت فانقلبت لم يغير ذلك
في الملك وكذلك من يستعير دابة ثم يغيب المعير فيستصحب المستعير
لاحتمال موت المعير وانتقالها لورثته فهذا هو وسواس وليس هذا
من مواقع الشبهات اذ الشبهة انما تنشأ عن الشك والشك
انما ينشأ من تقارض الاسباب الذي لو انفرد لكان واحد منهما
لاثبت اعتقادا او ميلا فينشأ من التقارض تردد واما ما لا
سبب له فلا يكون شكا بل احتمالا لمجرد فليتنبه للفرق بين
الشك والاحتمال وليقصر الورع على محال الشك دون مجرد الاحتمال
وكذلك اذا تحققنا تحريم شيء وامكن طريان مبيح ولم يستند ذلك
لامر يدل عليه كمن بيده مال مغصوب وامكن ان يكون المالك قد
اباحه له وملكه اياه او كانت عنده وديعة فتصرف فيها تصرف المالكين
لاحتمال ان يكون المالك قد ملكه اياها فهذا الاحتمال باطل قطعا فاذا
ثبت ذلك فنقول مثال الشبهات اربعة اقسام القسم الاول
الشك في المحرم والمحلل اما ان يتعادلا او يغلب احدهما فان تعادلا

فالحكم

فالحكم للسابق فيستصحب ولا يترك بالشك فان غلب احد الاحتمالين
لصدوره عن دلالة معتبرة في العين كان الحكم للغالب مثاله ان
يرمي صيدا فيجرحه فيقع وما فيصادف ميتا ولا يدري انه مات
من الرمية او من الجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق
معتبر وقد وقع الشك في الطريق فلا يزال الاصل بالشك كما في
الاحاديث والنجاسات وكذلك اذا ارسل كلبه وشركه فيه غيره
فانه لا يأكله اذ يحتمل ان يكون الكلب الاخير هو الذي قتله القسم
الثاني ان يعرف الحلال ويشك في التحريم فالاصل الحلال كما اذا طلع
طائر فقال رجل امرأته طالق انه غراب وقال آخر صدقه والسبب
الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحد منهما على الصحيح اذ الكل واحد
منهما على يقين وليس ذلك كما لو اختلط ميتة بذكاة فان المخاطب
هناك واحد وهنا شخصان ولا يكتفى في كل شخص من الشخصين
ولا يتوقف له القضاء مع اجتهاده مع غيره نعم تظير الميتة والمذكاة
ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن
غرابا فعمرة طالق فهنا لا يجوز له وطء واحدة منهما حتى ينكشف
الامر اذ احداهما محرمة عليه وله تتعين ولا اجتهاد في هذا المكان
اذ لا علامة فلو وطء واحدة منهما كان عاصيا اذا وطيهما جميعا لعل
وتخصيص واحدة بحكم المجموع غير جائز فلزم اجتنابهما حتى يتبين
الامر فيهما فقس هذا واشباهه يفترق حكم الشخص من الشخصين
لان التحريم على الشخص الواحد يتعذر استصحابه الحال زمنه
فان استند الظن الى سبب معتبر شرعا فهو حلال ولا التفات
الى الاحتمال بعد ثبوت السبب مثاله ان يرمي صيدا ولا يقصر
في طلبه فيجده ميتا وفيه اثر الرمية فهو حلال مطلقا لكن بشرط

ان لا يبيت و مقتضى القياس جوازه له وان مات وهو قول عندنا
ولكن الظاهر من المذهب تحريمه لسنة ثابتة فيه الدليل على وجوب
التمسك بالعلامة الظاهرة المعينة المغلبة ان من خرج ومات
وجب القود على الخارج وان امكن ان يموت بغير الجارحة وذلك لظهور
السبب القسم الثالث ان يكون الحل معلوما ولكن غلب على الظن
طريان تحريم بسبب معتبر في غلبة الظن فرفع الاستصحاب وتقتضي
بالتحريم اذ الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غلبة الظن
كما اذا غلب على ظنه نجاسة ان العلامة معينة فلا يجوز التوضي
به ولا شرب هذا ان غلب على ظنه بعلامة متعلقة بعين الشي
فاما غلبة الظن الناشئة من الكثرة فهل تنتقل عن حكم الاصل
فيه فلان من الناس من يقدم الاصل الضعيف للغلبة الناشئة
من الكثرة ويقول لسنا ننتقل عن الاصل بمجرد ميل النفس الى
الانتقال حتى يكمل السبب ويعضد بانه لو شهد عدول بان لزيدا
عندنا عمرو ما لاظننا الصدق والانتقال عن الاصل فلا يحكم بالنقل
بل يتمسك بالاصل فلزم من هذا تعيين الاسباب الناقلة عن الاصول
ولا يقع الاكتفاء بمطلق غلبات الظنون وقال قائلون الغالب مقدم
واستدلوا بامرين احدهما كلي والاخر جزئي فاما الكلي فهو انا اذا تقدر
ان نعلم استحقاق زيد مثلا لمال وكانت المسئلة يكتفى فيها بغلبات
الظنون فانا اذا ظننا استحقاقه له او براءته منه يعد هدم ذمته
فلو جاء لتعطيل الحكم وقد ظن ثبوته والتمسك بالاصل لا يجعل
الشك في الحال وان عرى عن المعارض ولكن صير اليه عند احتمال
التعيين للضرورة اذ لا يستطيع احد اقامة الدليل على ان الشي
ملكه في الحال ولا على ان الزوجة في عصمته حالة النزاع فاستصحبت

الاصول

الاصول عند الشك لهذه الضرورة وليس كذلك اذا ظن الانتقال
واما الاصل الجزئي فالاعتبار بالعلامة المغلبة بالعين وتحرير القياس
اصل ظننا الانتقال عنه فلا يتمسك به قياسا على الامارة المعينة
بالعين ويتقدر هذا عن تلك المسايل بمنع الاجماع عن الاكتفاء
بالظن المطلق واذا اقتضى القياس في كل عام منع مانع من اجرايه
في بعض الصور وجب التمسك به في غير محل المانع والصحيح
عندنا التمسك بالغالب الا في كل موضع يلزم من التمسك به جرح
او صناعة مال وبيان ذلك بالعقه والنظر اما العقه فما قررناه
من ان الظن حال بالانتقال عن الاصل يضعف التمسك بالاصول
عند الشك في الانتقال لما اقتضى القياس ذلك فاني محكم في الحال من غير
ظن ولا قطع ولكن قد بينا الشي الذي لاجله اكتفى الشرع باستصحاب
الاصول فاذا ظننا الانتقال فليس هذا موضع الاجماع والمستند
مفقود ومقتضى هذا التقدير ان لا يتمسك بالاصل مطلقا الا
انا نقول قد بينا ان سبب التمسك بالاصل للضرورة وهي الغاية
على قدمنا فاذا اقتضت الضرورى التمسك بالاصل والاعراض
عن الغالب مقلنا والدليل عليه كتاب الله تعالى وعمل الماضين
من الصحابة والتابعين اما من الكتاب فقوله تعالى وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولا يخفى ان اهل الكتاب لا يتوقون
النجاسة ولا يعتبرون في التطهير الماء المطلق فاطعتهم لا تنفك
عن ذلك ولكن يلزم اجتنابها حرج وضرر فتمسك بالاصل واما
الاثار فقد نقل عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
القدوة والاسوة انهم كانوا يخبزون المايي طين المطر ويصلون
ولا يغسلونه وكذلك ما نقل عن مالك رحمه الله تعالى انهم كانوا

يصلون فيما نسجه اهل الذمة وقال مضى المسلمون على ذلك وليس كذلك الصلاة فيما لبسوه لقلة الحاجة الى ذلك واما المذهب فقال مالك رحمه الله يكره سور النصراني ذا ما دون الطعام واما نجاسة الما وسيارة اسره ولو كان لا يرى عليه النجاسة لما كره فضله من الما ولولا ان يكون النقت الى الحاجة لما ابيح سوره من الطعام والشراب وكذلك قال مالك رحمه الله تعالى ان الدجاج والاوز المحلاة وهي المحلالة التي يغلب عليها دفة النجاسة ان شربت من ما ابريق وان شربت من لبن وا كلت من طعام اكلا ولم يتبين فيه كراهيته ولم يروا تركه ورعا وفي هذا تنبيه على اصل عظيم وهو انه لا يبتنى الاحكام على مجرد الخيال واختلاط الحلال والحرام ولا بد من التنبيه للادلة وامارات افتراق المسايل ومعرفة نفس الشريعة في كل اصل وهذا لا يتقدر عليه الا سماسرة العلما وليعلم الموفق ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اعلم خلق الله بالشريعة واتقاهم ورعا وما كانوا يضيعون ولا يبيحون امورهم على الاوهام وقد قال عمرو ابن العاص لصاحب الحوض ما تردع حوضك السباع فقال عمر رضي الله عنه لا تخبرنا يا صاحب الحوض فانا نرد على السباع وترد علينا وقال في حديث اخر انه احتلم فاقبل ينظر الى ثوبه ويغسل ما راه فقال له عمرو قد اصبحت وعندنا ثياب فقال واها لك يا ابن العاص فان كنت ثوبا نظر الناس ثوب والله لو فعلتها لكانت سنة اغسل ما رايت وانضح ما لم تره ولم يذكر التورع عن ثوب امكن ان تقارفه النجاسة ورا ان النضح كاف في ذلك وقد يكون غيره من الموسوسين يقول الصلاة في ثوب لم تقارفه جنابة اولى من الصلاة في ثوب شك فيه فيكون بزعمه اورع من عمرو وذلك عين الجهل وغاية الضلال

وكذلك

وكذلك لو تورع انسان عن اكل اللبن والطعام الذي شربت فيه الدجاج المحلاة وكان مقلدا لمالك كان مخطئا لان مالكا رحمه الله تعالى لم ير بالكلية باسا فلا يجوز بناء على الورع على شيء من هذه الخيالات التي لا يقتضيها الادلة انتهى كلام الابياري رحمه الله تعالى الوجه الرابع قال الشيخ تاج الدين اختلف العلما في حكم هذه الشبهات فقالت طايفة المتشبهات التي اشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث حرام واستدلوا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه قالوا ومن لم يتقها لم يستبرا لدينه وعرضه فقد وقع في الحرام وقال اخرون هي حلال بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فدل ان ذلك حلال وان تركه ورع والورع عند ابن عمر ترك قطعة من الحلال خوف موافقة الحرام وقال اخرون لا نقول انها حلال ولا حرام لقوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وجعل الشبهات غير الحرام البين وغير الحلال البين فوجب ان يتوقف عنها وهذا هو باب الورع ويقضي عليه قوله لا يعلمهن كثير من الناس فدل على ان منهم من يعلمها من هي عنده في احد الجزين الحلال والحرام وقد صوب الشيخ ابو العباس القرطبي رحمه الله تعالى في مفهمه القول بالكراهة فقال لان الشرع قد اخرجها من قسم الحرام فلا توصف به وهي مما يرتاب منه وقد قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهذا هو الورع انتهى وقال الاستاذ ابو نصر القشيري رضي الله عنه قال ابراهيم بن ادهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام

وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس
وذكر بسنده عن السري السقطي رضي الله عنه قال كان اهل الورع
ثلاثة وقالهم حذيفة المرعشي ويوسف بن اسباط وابراهيم ابن ادهم
وسليمان الخواص ننظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الامور فروا
الى التقلل وقال السلمي الورع ان تتورع عن كل ما سوى الله تعالى
وقال اسماعيل ابن خلف الورع في المنطق اشد منه في الذهب
والفضة والزهد في الرياسة اشد منه في الذهب لانك تنبذ لهما
في طلب الرياسة وقال ابو عبد الله ابن الجلا اعرف من اقام بمكة
ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استشفاه بركوته وريشة
ولم يتناول من طعام جلب من مصر وقال يحيى ابن معاذ من لم ينظر
في دقيق الورع لم يصل الى الجليل من العطاء وقال سفيان
الثوري ما رايت اسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقيل
جاءت اخت بشر ابن الحارث الى احمد ابن حنبل فقالت انا نغزل
على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا
فيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال من انت عافاك الله فقالت اخت
بشر ابن الحافي فبكى احمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي
في شعاعها وقال سمعت ابا عبد الله الدقاق يقول كان الحارث
المحاسبي اذا مد يده الى طعام فيه شبهة مد به على راس صبيه
عرق فيعلم انه غير حلال وقال ان بشر الحافي دعي الى دعوة فوضع
بين يديه طعام فمد احدان يده اليه فلم تمتد فتعجل ذلك ثلاث
مرات فقال رجل فوق ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة
ما كان اغنى صاحب الدعوة ان يدعو هذا الشيخ ورخص الحسن البصري
رضي الله عنه مكة فراى غلاما من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قد اسند

قد اسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن
وقال ما ملاك الدين فقال الورع فقال ما آفة الدين قال الطمع فتعجب
الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من الف مثقال
من الصوم والصلاة واوحى الله تعالى الى موسى ابن عمران لا يتقرب
المتقربون بمثل الورع وقال ابو هريرة رضي الله عنه جلس الله
عبدا اهل الورع والزهد وقال سهل ابن عبد الله من لم يقيمه
الورع الكذب راس الغيبة ولم يتبع وقيل حمل الى عمرو بن عبد العزيز
رضي الله عنه مسك من الغنايم فقبض على منخريه وقال انما
ينتفع من هذا برائحته وانا اكره ان اجد ريحه دون المسلمين
وسيل ابو عثمان الحميري عن الورع فقال كان ابو صالح حمدون
عندنا صديقا له وهو في النزع فمات الرجل فتفقد ابو صالح في السرج
فقيل له في ذلك فقال الان كان الدهن له في المسرجة ومن الان
صار الدهن للورثة اطفيوا دهنا غيره وقال كهمس اذنبت ذنبا
فانا ابكي عليه من اربعين سنة وذلك انه زارني اخ لي فاشتريت
بدانق سمكة مشوية فلما فرغ اخذت قطعة طين من جدار
جارلي حتى تمسد بيده ولم استحله وكان رجلا يكتب رقعة
في بيت بكرا فاراد ان يثقب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله
ان البيت بالكرا ثم انه خطر بباله لا فخطر لهذا فثقب الكتاب
فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالثقاب ما يلقاه غدا من
طول الحساب ورهن احمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة
فلما اراد فكاكه اخرج البقال له سطلين وقال خذ ايهما لك فقال
احمد انما رهنت عندك سطلي فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك
هذا انما اردت ان اجربك فقال لا اخذ ومضى وترك السطل عنده

وقيل سبب ابن المبارك دابة فيتما كثيرة وصلى صلاة الظهر فرقت
في قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع
ابن المبارك من مرو ان الى الشام في قلم استعاره ولم يرده على
صاحبه واستاجر التتمي دابة فسقط سوطه من يده فنزل
وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو حولت الدابة
الى الموضع الذي سقط السوط فاخذته فقال انما استاجرتها
لامضي هكذا لا هكذا وقال ابو بكر الدقاق نعت في قتيبة بني اسرائيل
خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلني جندي فتخفاني
شرية من ما فعادت تسوقها حتى بلغت ثلاثين سنة وقيل خاطت
رابعة شقاني قميصها في ضوء شعلة سلطانية فغفرت قلبها
زمانا حتى تدلرت فشقت قميصها فوجدت قلبها ورأى سفيان
الثوري في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة الى
شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال بالورع وصر عيسى ابن مريم
عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه الله تعالى فقال
من انت فقال كنت حمالا انقل للناس فتقلت يوما لانسان ما
حطبا فكسرت منه خلالا فتحللت به فانا معاتب منذ مت انتهى
كلام القشيري **الوجه الخامس** قوله لا يعلمهن كثير من الناس
قال الطوفي ليست احكام تلك الشبهات مغفلة لا تعلم
بل يعلمها بعض الناس وهم اولو العلم والنظر في احكام الشرع
وفيه اشارة الى فضل العالم لعالمهم بما لا يعلمه غيرهم وعلم ما اشكل
على غيرهم ثم الناس في الشبهات قسمان احدهما يتقيها ويجتنبها
فذلك يستبرئ لدينه وعرضه اي يصونهما عن النقص والخلل
ووقوع الناس فيه لاتهامهم اياه بمواقعة المحظورات وقد جا

الاثر

الاثر من وقف موقف تهمة فلا يلومن من اساء الظن وبهذا
لما راى النبي صلى الله عليه وسلم رجلين ومعه امرأته صفية
قال لهما على رسلكما انما صفية بنت حيي خشيت ان يتهما فيأثما
ولذلك قالا له يا رسول الله من كنا نتهمه فلا نتهمك فقال ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا
وكذلك لما راى ثمرة ملقاة قال لولا اني خشيت انها من صدقة لاكلتها
وذلك هو اتقاء الشبهات تورعا قال قيل لم يتورع لهم بريرة
والشبهة قائمة به قلنا لا نسلم ان الشبهة قائمة به وقد بين
انتفاء الشبهة بقوله هو عليها صدقة ولنا هدية ولئن سلمنا
قيام الشبهة به لكنه عليه السلام كان مشرعا فهو نادرة يترك الشيء
تورعا لئلا يتهمك الناس في الشبهات ونادرة يفعله توسعا ليلا
يحرج الناس يضيق مجال الشبهات والثاني من مواقع
الشبهات فذلك يعرض دينه للنقص وعرضه للغيبة ثم تقصى
به مواقعة الشبهة الى مواقعة المحظورات بالتدريج والشائع
وكذلك امثلة احدهما ما ضربه النبي عليه السلام لذلك وهو
الراعي يرعى حول الحمى وهو المرعى الممنوع منه لئلا يشك ان يقع
منه ان يقع فيه لان من قارب الشيء خالطه غالبا ومنه تلك حدود
الله فلا تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وثانيهما
يسير الخمر ليس محظورا في نفسه وانما حرم لئلا يتدرج منه الى
كثير المسكر وروثا لها الحلوة بالاجنبية لا محذور فيه الا كونه
داعية بالتدريج الى الوطء المحرم ورابعها نبلة الصائم اذا امرت
شهوته تكره لئلا يتدرج بها الى الوطء المفسد للصوم وخامسها
في التدريج قوله عليه السلام لعن السارق يسرق البيضة فتقطع يده

الحديث اي يتدرج من سرقة ما لا يقطع به الى سرقة ما يقطع به
وامثلة هذا كثير وقد اجاز بعض اهل العلم وطء الزوجة والامة فيما بين
الاليتين وهذا الحديث يقتضي كراهيته لما فيه من التعريض للاباحة
المحرم والتعريض للحرام اقل احواله ان يكون مكروها واقل ما يقال فيه
ان الورع تركه انتهى كلامه وقال الاتبيلي قوله لا يعلمه كثير من الناس
دليل على ان منهم من يعلمها فيكون عنده اما حلالا واما حراما وقد ثبت
انه صلى الله عليه وسلم حين تزوج عقبة ابن الحرث ام يحيى بنت
ابي اهاب وجاءت امة سوداء فقالت ارضعتكما فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم دعها عنك وفي رواية كيف وقد قيل وقال لسودة بنت
زمعة احتجبي منه يعني من الولد الذي ولد فراش ابيها وكان قد
تنازع فيه سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة قال سعد هو ابن
اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه وقال عبد بن زمعة هو
اخي وابن وليدة ابي ولد على فراشه فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شبهه فراشها بعتبة فقال هو لك يا عبد ابن
زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه السودة فلم
تره سودة قط فهذا اجتهاد الحكم النبي صلى الله عليه وسلم انه
لفراش ابيها واحرها بالاحتجاب منه لما راى من شبهه بعتبة
ابن ابي وقاص ثم قال فهذا عقبة بن عمرو افتاه النبي صلى الله
عليه وسلم بالتحرز من الشبهة واحرز بما نية التربية فهو فما
مد الاقدام على فرج يخاف ان يكون حراما لانه قد قام دليل
التحريم بقول المراة السوداء قد ارضعتكما لكنه لم يكن قاطعا
ولا قويا لكثرة الكذب فيما ان شهادة امراة واحدة لا تقبل في
مثل ذلك فاشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم باحوط وكذلك

حكم

حكم بالولد لزمعة لانه ولد على فراشه فهو اخو سودة على سبيل
الظاهر لا على القطع ثم امر سودة بالاحتجاب منه للشبهة
الداخلة عليه وذلك قطعا لما يعتين له اذ لو كان ابن زمعة في
علم الله لما امر سودة بالاحتجاب منه كما لم يامرها بالاحتجاب
من سايراخوتها الوجه السادس قال الشيخ تقي الدين
قوله الشبهات فمن استبرا لدينه وعرضه اصدق الورع
وقد كان في عصر شيوخنا لهم خلاف في هذه المسئلة
وصنفوا فيها تصانيف وكان بعضهم يسلك طريقا من الورع
يخالفه بعض اهل عصره وقال ان كان هذا الشيء مباحا والمباح
ما استوى طرفاه فلا ورع فيه لان الورع ترجيح لجانب الترك
والترجيح لاحد الجانبين مع التساوي محال وجمع بين
المتنافيين وبنى على ذلك تصنيفا والجواب عن هذا عندي
من وجهين احدهما ان المباح قد يطلق على المباح في نفسه وان
لم يتساوي طرفاه فهذا اعم من المباح المتساوي الطرفين
فهذا الذي يرد القول فيه وقال اما ان يكون مباحا او لا فان
كان مباحا فهو مستوي الطرفين ممنوع اذا حملناه على هذا
المعنى فان المباح قد صار منطلقا على ما هو اعم من المتساوي
الطرفين فلا يدل اللفظ على التساوي اذ الدال على العام لا يدل
على الخاص بعينه الثاني انه قد يكون متساوي الطرفين باعتبار
ذاته راجحا باعتبار امر خارج ولا يتناقض الحكمان وعلى الجملة
فلا يملوا هذا الموضع من نظر فانه ان لم يكن فعل هذا المشتبه
موجبا للضرورة ما في الاخرة والا فيسير ترجيح تركه الا ان
يحال ان تركه محصل للثواب او زيادة درجات وهو على خلاف ما

بفهم من افعال الورعين فانهم يتركون ذلك تحرجا وتخوفا فيه
يشعر لفظ الحديث انتهى **الوجه السابع** قال الشيخ تاج الدين
ابن الفاكهاني وقوله فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه
فيه ايقاع الظاهر موقع المضمر تفخيما لشان اجتناب الشبهات
وهو كثير في الكتاب العزيز وغيره ومنه قول الشاعر
لا ارى الموت يسبق الموت شيء ... نغص ذا الغني والفقير
اذ المشتبهات هي الشبهات بعينها والمعنى من ترك ما اشتبه
عليه حكمه سلم دينه مما يفسده او ينقصه وعرضه مما
يثلبه ويعيبه والعرض في اللغة اصله راعية الجسد وغيره
طيبة كانت او خبيثة يقال طيب العرض ومنتن وسفاخبيث
العرض اذا كان متنا عند ابي عبيد والعرض ايضا هو الجسد
وفي صفة اهل الجنة انما هو عرق يسيل من اعراضهم اي من
اجسادهم والعرض ايضا النفس يقال اكرمت عنه عرضي
اي صنت عنه نفسي وفلان نقي العرض اي بريء من ان يشتم
او يعاب وقد قيل عرض الرجل حسبه قاله الجوهري واللائق
بالحديث هنا ان يراد به النفس اي استبرأ لنفسه من ان
يلام على ما اتى انتهى وقد تقدم ان العرض محل الذم والمدح ومنه قول الشاعر
صن العرض وابذل كل مال ملكته ... فان ثياب المال للعرض اصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة ... فتعذل عورات وللناس اعين
وعينك ان اهدت اليك معايبا ... لتقوم فقل يا عين للناس اعين
الوجه الثامن قوله صلى الله عليه وسلم وقع في الشبهات
وقع الحرام قيل ان ذلك يكون من وجهين احدهما ان لم يتق الله
وتجرأ على الشبهات افضت الى المحرمات بطريق اعتياد الجرأة

والتسا

والتساهل في امرها فيجعله ذلك على الجرأة على الحرام المحض ولهذا
قال بعض المتقين الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة تجر الى الكفر
وهو معنى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقيل
اول ما يقع في القلب غفلة فان تقله الله والا صارت خطرة
فان ردها الله والا صارت فكرة فان صرفها الله والا صارت
غرة فان حماه الله والا وقعت المعصية فان انقذه الله
بتوبة والا وقعت قسوة فان الا يها الله والا صارت طبعا
ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وثانيهما ان من اكثر من مواقعة الشبهات اظلم عليه قلبه
لفقدان نور العلم ونور الورع فيقع في الحرام وهو لا يشعر
والى هذا النور الاشارة بقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام الاية وفي الحديث ان العبد اذا اذنب كانت نكتة سوداء
في قلبه وكلما ازداد حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكره الله في
كتابه كلا بل ران على قلوبهم الاية قال الحسن هو الذنب على الذنب
حتى يسود قلبه والى هذا وقعت الاشارة النبوية ان هذه
القلوب تصدى كما تصدى الحديد اذا قيل وما جلاؤها يا رسول
الله قال ذكر الموت وتلاوة القران وقال صلى الله عليه وسلم
من ترك صلاة الجمعة مرة من غير عذر اسود ثلث قلبه ومن
ترك ثلاثا طبع على قلبه **الوجه التاسع** قوله صلى الله عليه
وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع قال الاسكندراني
هذا من احسن التشبيه ودل على التحذير في هذا المعنى
والحمى المحظور على غير مالكه وهو الذي لا يقرب احتراما لمالكه
وهو بمعنى الحمي والمصدر فيه واقع موقع اسم المفعول وتثنيته

حميان وسمع الكسائي تثنية حمران والصواب الاول لانه من باب فتى
ورحى مما لامه ياء وفيه دليل على سد الذرائع والتباعد منها بما امر
وان ظن السلامة في مقاربته والاصل في ذلك ان ملوك العرب
كانت تحمي مراعي لمواشيها الخاصة بها وتحجر بالتوعد بالعقوبة
على من قربها فالخائف من عقوبة ذلك يتجاماها ولا يقرب منها
كان الغائب وقوعه فيها وان وقع الحذر المواشية لا يمكن
ضبطها عن المكان المحمي اذ لا بد من السادة والقادة التي
لا يمكن حصرها وضبطها لا سيما ان كانت المواشية كثيرة منتشرة
فالاحتياط ان يجعل بينه وبين ذلك الحمى مسافة لا يمكن معها
انقلاب السادة والقادة الى ذلك الحمى ليبعدها عنه فكذلك محارم
الله عز وجل لا ينبغي ان يقوم حولها لمخافة الوقوع على ما تقدم
من الوجهين ويوشك احد افعال المقاربة العشرة وهو بكسر
الشين رباعي من اوشك ومعناه يقرب والمعنى تقع في الحرام سريعا
وتدتع بفتح الياء والتاء ومعناه اهمال الماشية من المرعى واصله
اقامتها فيه وتبسطها في الارض ومعناه قوله تعالى حكاية
عن اخوة يوسف عليهم السلام ندتع ونلعب اي ونتنعم ونلهو
ومن قرا ندتع بضم النون وكسر التاء معناه ندتع ابلنا ومن
قرا بكسر العين نفتعل من الرعي انتهى ومن هذا البيت قول الشاعر
ارعى المرد في الدنيا كراع تنكرا ، مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
مما بالا مدعى ومدعى بغيرها ، وحيث لدى ما ودعى فسبع
اي كثير السباع وهذان البيتان حكمة عظيمة لمن تدبر معناها
الوجه العاشر قال الطوفي في قوله الا وان حمى الله محارمه
هذا من باب قياس الغائب على الشاهد والمعقول على المحسوس

ونظم

وقف الله تعالى على طلبة العلم بالازهر وهو بر واق البيمارستان
ونظم القياس هكذا الله عز وجل وكل ملك له حمى فالله عز وجل
له حمى ثم حمى كل ملك ما منعه فكذلك حمى الله عز وجل ما منعه
وهو الحرام وروى الطحاوي بسنده عن النواس ابن سمعان
الكلابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب مثلا
صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ستور فيه ابواب مفتحة
وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها
الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تفرجوا وداع يدعو من فوق
الصراط فاذا اراد فتح شيء من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك
ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والستور حدود الله والابواب
المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله
والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم الوجه الحادي عشر
قوله الا وان في الجسد مضغة الى آخر الحرف استفتاح
تكسر بعدها ان لانها ابتدىء بها الكلام والجسد البين يقال
تجسد كما تقول من الجسم تجسم والجسد ايضا الزعفران ونحوه
من الصبغ وهو الدم ايضا قال النابغة وما هريق على الانصاب
من جسد قاله الجوهري والمضغة قد تقدم تفسيرها والمراد
بها هنا القلب كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بفساد
جرمها وعظم تقولها او جرمها وصلحت بفتح اللام في الماضي
وضمها في المستقبل وكذلك فسد يفسد وقد يقال صلح وفسد
بضم العين فيهما اذا صار الصلاح والفساد له سجية كشرف
وظرف وليس المراد بالصلاح والفساد هاهنا النجمة الصنوبرية
وانما المراد المعنى القائم بها الذي هو محل الخطاب والتكليف
وهو ما يفتوي ما ذهب اليه الجمهور من ان العقل محله القلب

لا الدماغ كما ذهب اكثر الفلاسفة لتنبيه عليه الصلاه والسلام
الصلاح والفساد على القلب دون الدماغ والقلب محل الاعتقادات
والعلوم والافعال الاختيارية ولقد عبر عنه بالعقل نفسه
قال تعالى ان في ذلك لمن كان له قلب اي عقل قال بعض العلما
وهو من الالفاظ المشتركة يقع على الكواكب النيرة الذي بجانبيه
كوكبان وعلى مصدر قلب وقالوا عرفي قلب اي خالص يستوي
فيه المذكر والمونث والمفرد والمجمع قاله الجوهري قال ابن
الفاكهاني ولتعلم ان الاصل في هذا اللفظ انما هو مصدر قلبت
الشي قلبا اذا رددته على وجهه وقلبت الرجل على رايه اذا
صرفته له عن رايه وعن طريقه ثم نقل وسمي به هذا العضو
الشريف الذي اشرف اعضا الحيوان لسرعة الخواطر فيه
ولتردادها عليه كما قيل ما سمي القلب الا من تقلبه
فاحذر على القلب من قلب وتحويل وخرج في المنتخب عن
انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل القلب مثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح
وخرج البزار عن المقداد بن الاسود عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سمعه يقول لقلب ابن ادم اشد انقلابا من
القدر اذا اجتمعت ثم ان الله تعالى اودع في القلب معنى به ينتظم
المصالح المقصودة فتحمد البهايم تدرك مصالحها ومنافعها
وتميز بين مفاسدها ومضارها مع اختلاف اشكالها وصورها
وخص الله النوع الانساني بان جعل في قلبه سرا يعرف به
الكليات والجزييات ويفرق به بين الواجبات والجايزات
والمستحيلات قد اضاف الله العقل الى القلب كما اضاف

السمع

السمع الى الاذن والابصار الى العين كقوله افلم يسيروا في الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقد هو رد على من
قال محله الدماغ فهذه الخاصية الموضوعة كان اشرف الاعضا
ثم ان الجوارح لها مسخرة له مطيعة له فما استقر فيه ظهر
عليها وعملت به ان خيرا فخير وان شرا فشر فان قلت هذا
يقتضي ان القلب هو اصل الفساد والصلاح وقد نرى الانسان
اولا ينظر ثم يشك ثم القلب كما قيل فيه
كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا طرف يقلبه في اعين الغيد موقوف على خطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ساء مهجته لا مرحبا بسرور جا بالضرر
فهذا يدل على ان الجارحة تفسد القلب فالجواب ان الجوارح
وان كانت تابعة للقلب فقد يتاثر القلب باعمالها للارتباط
الذي بين الظاهر والباطن والقلب مع الجوارح كالملك مع
الرعية ان صلح صلحت ثم يعود صلاحها عليه بزيادة صلاح
يرجع اليه ولذلك لما سال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
رجلا عن رعيته كيف حال امير فقال يا امير المومنين اذا طابت
العين عذبت الانهار قالوا والملك سوق ما نفق عنده جلب
اليه وقد جا هذا المعنى في قوله ان الرجل ليصدق فتنكت في
قلبه نكتة بيضا حتى يكتب عند الله صديقا وان الرجل ليكذب
فتنكت في قلبه نكتة سودا حتى يكتب عند الله كذابا وعن
مجاهد قال القلب مثل الكف يقبض منه بكل ذنب اصبع ثم يطبع

وقد قيل ان صلاح القلب في خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر
وخلا البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين
قال ابن الفاكهاني ولهذه الخمسة سادس وهو اجلها وهو اكل
الحلال فان اكل الحلال ينوره ويصلحه فتزكو بذلك الجوارح به
فتقدر المفاسد ويكثر المصالح واكل الحرام والشبهات
تظلمه وتقدره وتقسيه وقد قيل اذا صمت فانظر الى
طعام من تفطر عليه فان الرجل ليأكل الاكلة فينقلب قلبه
كالاديم فلا ينتفع به ابدا وفي منهج العابدين للغزالي الطعام
بذر الافعال اذا دخل حلالا اخرج حلالا وان دخل حراما اخرج
حراما وان دخل شبهة خرج شبهة انتهى فالاصل المصحح
انما هو اكل الحلال وكثرة الاعمال وقد قيل انه يخاف على من
اكل الحرام والشبهة ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعا الا
تسمع قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين واكل الحرام
والمشتبه في الشبهات ليس بمتق على الاطلاق وقد
تضمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل
الا طيبا الحديث وانه لما شرب ابو بكر رضي الله عنه جرعة
من لبن استفتاها وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان لابي
بكر رضي الله عنه غلام يخرج له الى الخراج فكان يأكل من خراجه
فجاء يوما بشيء فاكل منه ابو بكر فقال له الغلام اتدري ما هذا
فقال ابو بكر وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما
احسن الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني بذلك فهذا
الذي اكلت منه فادخل ابو بكر يده فتقايا كل شيء في بطنه
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل

لحم

لحم نبت من حرام فالنار اولى به قال البيهقي رواه البخاري في
الصحيح فقد علمت ان الاعتناء بامر القوت من اعظم ما يجب
ان يحافظ عليه طالب صلاح القلب فقد قال يوسف ابن
اسباط اذا تقبل الشاب يقول ابليس انظروا هذا ابن مطعمه
مطعم سوء فاذا دعوه لاشتغاله ودعوه بجهد وينصب
فقد كفاكم نفسه وقد سأل رجل سفيان الثوري عن فضل
الصف الاول فقال انظر كم ترى انا كلهم في الصف الاخر
وعند هذا يعلم احدنا قدر المصيبة التي هو فيها اذا المكاسب
في هذه الازمان قد تنسدت وانواع الحرام والشبهات قد كثرت
فاذا اجتهد احدنا فيما يعلمه فكيف يمكنه مع استرسال
الناس في المحرمات والشبهات وقلة من يتقي ذلك من جميع
الاصناف مع ضرورة المخالطة والاحتياج الى المعاملة وعلى هذا
فالخلاص بعيد والامر شديد والكل في اختلاط بالمكاسة وكثر
المكوس والى قلة الحلال بل عدم حل اكتساب الدراهم والفلوس
نسأل الله من فضله مغفرة للذنوب وتوبة من عنده حتى
نتوب فان قلت الجنة غالية كما قال صلى الله عليه وسلم الا ان
سلعة الله غالية الا ان سلعة الله غالية الجنة وكيف ولا
بابيعها ذو العظمة والكبرياء ودلالها محمد المصطفى والسفير بينهما
روح الله ذو المقام الاعلى فلم جعل الله بذلها النفوس ولم يجعل
ثمنها القلوب التي هي اشرف الاعضاء فالجواب ان ما ذكره من
الثمن وهو الجنة مخصوص بالنفوس اما القلوب فثمنها
نظرها الى الملك القدوس واذا تحققت الامر علمت ان القلب
حر وانفق الائمة على عدم صحة بيع الحر وحرية القلب عبارة

من صيانة الله تعالى له من ان تلمسه وساوس الشيطان فهو
كقولهم بكار الاسرار لم يمسسه رق الاغيار قال الشيخ ابو علي الدقاق
رحمه الله لم يقل اشتري قلوبهم لان القلب وقف على محبته والوقف
لا يشترى وقيل اشترى سبحانه نفوسهم فوهبوا قلوبهم شكرا
على شرائه لنفوسهم وقيل ان النفس لما كان من شانها ان تشرد
عنه ارجعها اليه بالشراء واما القلب فان سوابق العناية احاطت
به ولواحق الرعاية ساقته الى ربه خطبته نسمات الاسحار وخطبته
نفحات الابرار وجذبته اكف الافضال وسبته سجف الجمال فاصبح
القالب يفحص عن القلب فلم يشهد له مقيلا ويبحث عن مقامه
فلم يجد له سبيلا وقيل في ذلك

كان لي قلب اعيش به ٭ ضاع مني في تقلبه ٭ رب فاردده علي فقد
عز صبري في تطلبه ٭ وانت ما دام لي رمق ٭ يا غياث المستغيث به
وقيل لم يقل اشتري قلوبهم لانها غير مقدور على تسليمها الا ترى
الى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه الاية وقال الطوفي
القلب هو المركز البدنية والارادات النفسانية وان صدرت عنه
ارادة صالحة تحرك الجسد حركة صالحة وان صدرت عنه ارادة
فاسدة تحرك الجسد حركة صالحة فاسدة ثم قال وشاهد ما ذكرناه
ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم عن قلبه مرتين واستنتج
منه علقمة سوداء قيل هذا حظ الشيطان منك ثم غسل بالماء المبارك
الطهور فلما طاب قلبه طاب جسده ثم صار اماما للمتقين ورحمة
للعالمين صلى الله عليه وسلم الحديث السابع عن ابي رقية
تميم ابن اوس الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة

المسلمين

المسلمين وعامتهم رواه مسلم الشرح الكلام عليه من
وجوه احدها الداري نسبة الى جده الدار وقيل غير ذلك ويقال
فيه الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه وهو بالمدينة ثم انتقل
الى الشام ونزل بيت المقدس بعد قتل عثمان بن عفان وكان
اسلامه سنة تسع من الهجرة وروى له عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثا روى له مسلم حديثا واحدا
ما رواية عطاء بن يزيد الليثي وقد روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قصة الجساسة وهي منقبة شريفة وهذه
من غرايب مسايل علم الحديث يقال اي الصحابة روى عنه النبي
صلى الله عليه وسلم فيقال تميم الداري ورقية بضم الراي وفتح
القاف وتشديد الياء ابنة له الوجه الثاني النصيحة الذي يطلق
بازاء ثمانية الملة والعادة والطاعة والمذاو سيرة الملك
والسياسة والمال والدار والمراد هنا الملة وهي دين الاسلام
الوجه الثالث النصيحة الاسم والنصح المصدر وكذلك الناصحة
يقال نصحته ونصحت له وهو ناصح قال الله تعالى وانصح لكم
والنصح الناصح واما النصح بفتح النون فمصدر ونصحت الثوب
خطته قال الجوهري ومنه التوبة النصوح اعتبارا بقوله
عليه السلام من اعتاب خرق ومن استغفر رقا والناصح الخياط
والنصاح السلك يخاط به والنصيحة الابرة قالوا والنصيحة كلمة
جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح ويقال انها من وجيز الاسما
ومختصر الكلام وانه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تشتوفي
العبارة على معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح ليس في العرب
اجمع لخير الدنيا والاخرة منها وهي ماخوذة من نصح الرجل ثوبه

اذا خاطه شبه فعل الناصح فيما يجتهد له المنصوح له بسد الخياط
خلل الثوب واخلاقه وقيل انما من نصحت العسل اذا صفيته
من الشمع شبه تخليص العمل من الغش بتخليص العسل
من الخلط وقال الطوفي النصيحة اخلاص القول والعمل وهي في
العرف اخلاص الراي من الغش المستتر ونحوه وايثار مصلحته
ثم قال تنبيه ان قيل الدين محصور في النصيحة على قاعدة
حصر المبتدا في ماوراء النصيحة شيء ويكون قوله الدين النصيحة
من باب قوله الحج عرفة اي معظم الدين النصيحة قلنا بل الدين محصور
في النصيحة لان من جملة النصيحة طاعة الله ورسوله والايمان
والعمل بما الاقاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شيء
اذ قد سبق في حديث جبريل ان الدين هو الاسلام والايمان
والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ماذكرناه من النصيحة
انتهى كلامه وقال ابن الفاكهاني معنى الحديث عماد الدين وقوامه
النصيحة كقوله عليه السلام الحج عرفة اي عماده وقوامه به
وقوله عليه السلام الدين النصيحة هو من الحصر
المجازي دون الحقيقي اعني انه لما اريد المبالغة في النصيحة
جعلت كل الدين وان كان الدين مشتملا على خصال كثيرة
غير النصيحة وكذلك الحج عرفة بخلاف الحقيقي نحو الله ربنا
ومحمد نبينا وعالم البلد زيد اذا لم يكن فيه عالم غيره فقد
علمت ان الحصر تارة يكون حقيقيا وتارة يكون مجازيا كما
ان الله تارة يكون مطلقا وتارة يكون مخصوصا فالاول نحو
انما الله اله واحد والثاني نحو انما انت نذير اي بالنسبة
الى من لا يؤمن والا فصفاته عليه السلام لا تحصر من

البشاشة

البشاشة والشجاعة والكرم وغير ذلك الوجه الرابع فيه
تلويح ان العالم لا يلزمه استقصاء المبالغة للمتعلم بل المتعلم
يستمع فاذا فهم والا سال فكان ذلك اوقع في نفسه مما اذا هجم
من اول اوهلة الوجه الخامس قال الخطابي اما النصيحة
لله فمنها ما هو منصرف الى الايمان به ونفي الشريك عنه وترك
الالحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال وكلما
تنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع انواع النقائص والقيام
بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه
وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر
به والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص في الجميع
الامور والدعاء الى جميع الاوصاف المذكورة والحث عليها
والتلطف بالناس وهدى من امكن منهم علمها قال الخطابي
وحقيقة هذه الاوصاف المذكورة راجعة الى العبد في
نفسه فالله تعالى غني عن نصح الناصحين واما النصيحة
لكتاب الله فقال القاضي الايمان بانه كلام الله وتنزيله لا يشبهه
شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله احد من الخلق ثم تعظيمه
وحسن تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه
في التلاوة والذب عنه لتاول المحرفين وتعرض الطاعنين
والتصديق بما فيه والوقوف مع احكامه وتفهم علومه وامثاله
والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجايبه والعمل بمحكمه والتسليم
لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه
ونشر علومه والدعاء اليه والى ما ذكرنا من نصيحته وقال
الحليمي رحمه الله تعظيم القرآن ينقسم الى وجوه منها تعلمه

ومنها ادمان تلاوته بعد تعلمه ومنها احضار القلب اياه
عند قرائته والتفكر فيه وتكريره وترديدها واستشعار
ما يهيج البكا من مواعظ الله تعالى ووعيده فيها ومنها
افتتاح القراءة بالاستعاذة ومنها قطع القراءة فوقته بالحمد
والتصديق به والصلاة على رسوله صلى الله عليه
وسلم والشهادة له بالتبليغ فاذا ختم القرآن وقراه كله
فتذكر له آداب منها ان يعود الى اوله فيقرا شيا منه ثم
يقطع ومنها ان يجمع اهله وولده عند ختمه ومنها ان
يتحرى للختم اول النهار واول الليل ومنها التكبير قبل الدعا
ومنها الدعا بما يريد من امر الدين والدنيا ومن تعظيمه
والوقوف عند ذكر الجنة والنار والرغبة الى الله عز وجل
في الجنة والاستعاذة من النار ومنها الاعتراف لله تعالى
بما يقدر به عباده في ايات القرآن ومنها السجود في ايات
السجود ومنها ان لا يقرا في حال الجنابة ولا الحيض ومنها
ان لا يمس المصحف ولا يمسه في غير حال الطهارة ومنها تنظيف
الفم لاجل القراءة بالسواك والمضمضة ومنها تحسين
اللباس عند القرا نحو الطيب وان كان التطيب ايما الى
الفراغ من القراءة فهو احسن وافضل ومنها ان يجهر في
القراءة بالليل ويسر بها في النهار الا ان يكون في موضع لغو
فيه ولا صخب ومنها ان لا يقطع السورة لمكالمة الناس
ويقبل على قرائته حتى يفرغ منها ومنها ان يحسن صوته
بالقراءة اقصى ما يقدر عليه ومنها ان يرتل القرآن ولا
يهذه هذا ومنها ان لا يقرا القرآن كله في اقل من ثلاث

ومنها

ومنها ان يعلم القرآن من يرغب اليه فيه ولا يترفع عنه بل
يحتسب الاجر فيه ويغتنمه ومنها ان يقراه بالقرات السبع
المستفيضة المجمع عليها ولا يتعداها الى الشواذ والغرايب
ومنها ان لا يقبل القراءة الا من العدول لهما يا احذروا ومنها
ان لا يعطل مصحفا ان كان عنده ولا يابى عليه يوم لا ينظر فيه
ولا يقرا منه فان كان يحفظ القرآن قراه من المصحف وقتا
ويميز ناظرا فيه وقتا ولا يهمله ابدا ومنها ان لا يقطع قرائة اية
اية ولا يرجها ادراجا ومنها ان يتحرى لقرائة وختمه الصلاة
فتكون قرائته فيها ما استطاع ولا يمنعه مانع ومنها ان
يعرض القرآن في كل سنة على من هو ابين فضلا في القرآن منه
واولى ان يذكر شهر رمضان ومنها ان يزداد من القرآن
في شهر رمضان على ما يقراه في غيره ومنها ان يذكر اخاه في القرآن
ومنها ان لا يفسر القرآن بالظن ولا يقال في معنى هذه الاية
هكذا الا بدلالة لاحة تقوم عليه ومنها ان لا يسافر بالقرآن
الى ارض العدو ومنها ان يرتب القرآن ويقرا بالتفهم ولا
يجوز فيه ومنها ان من اخذ في سورة منه لم يتمها ونهاها ان يقرا غيرها
قبل ان يستكملها ومنها انه اذا اراد ان يختم الختم له باطلاق استوفى
الحروف المختلف فيها فلا تبقى عليه حرف يشتبه على قارئ من اعلام
القرآن لم يقراه ومنها ان يقرا في اول كل سورة ما خلا سورة
التوبة لبسم الله الرحمن الرحيم ويحافظ على ذلك بفاتحة الكتاب
اشد من محافظته عليه في غيرها بان لا يخل بها فيكون قد ترك
الاية الاولى منها ومنها ان يعرف لكل سورة ما في فضلها اثر
عن النبي صلى الله عليه وسلم حقها ولا يدع قرائتها في وقت ورد

الخبر بفضل قراءاته ومنها ان يستشفي قارئ القرآن بما يحسنه
منه ويتبرك بقراءته على نفسه وعلى غيره مريضا وحزينا وخائفا
مقيما ومسافرا برقية وغير رقية ويتبعه بالدعاء والمسيلة ومنها
ان يفرح بما اتاه الله من القرآن فرح الفتى بفتاه وذي السلطان
بسلطانه ويستعظم نعمة الله عليه بهديه عليه ومنها ان لا
يباهي بقراءة القرآن قارئا غيره ومنها ان لا يقرأ في الاسواق
والمجالس ليعطي يستكثر الاموال بالقرآن ومنها ان لا يقرأ
في الحمام والمواضع القذرة ولا في حال قضاء الحاجتين ومنها ان
لا يتعمق في القرآن فيقوم تقويم القدح ويخرج ان لا يتلفظ
مدة مدة ولا همزة همزة وان لا يخرج الحرف الا من جميع
مخرجه فيلوك الالفاظ عند ذلك بسببه كما يلاك الطعام
ومنها ان الجماعة اذا اجتمعوا في مسجد او غيره يقرؤن
القرآن لم يجهر به بعضهم على جهر بعض ليكونوا به قالين
متنازعين وهذا في غير الصلاة والخطبة واما فيهما فالامام
يقرأ وينصت القوم لما يجهر به منه وان قرؤا خلفه
لم يجهروا ولم يزيدوا على ان يسمعوا انفسهم ولا يقرأ احد
في حال الخطبة اذا كان يسمعها ساكتا وان قرأ احد الجماعة
لا في صلاة جهر انصت له الباقون الا ان يكون فيهم مصل
فلا ينصت ومنها ان لا يجعل مصحفا على كتاب اخر ولا ثوبا
ولا شيئا الا ان يكون مصحفا آخر ويكتبه مفردا بأحسن خط
يقدر عليه ولا يصغر مقداره ولا يقرمط حروفه ومنها ان
لا يخلط في المصحف ما ليس في القرآن بالقرآن كعدد
الآيات والسجدات والوقوف والعشورات واختلاف

القراءات

القراءات ومعاني الآيات ومنها ان ينور البيت الذي يقرأ فيه
القرآن بتعليق القناديل وتطييب الشموع فيه ويزاد في
شهر رمضان في انوار المساجد وتخليقها ومنها تعظيم
اهل القرآن وتوقيرهم تعظيم العلماء بالاحكام والكبر والله
اعلم واما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فتصديقه على الرسالة والايمان بجميع ما جاء به وطاعته
في امره ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة من عاداه
وموالاة من والاه واعظام حقه وتوقيره واحياء طريقته
وسنته وبث دعوته ونشر سنته ونفي التهمة عنها
والاستبارة علومها والتفقه في معانيها والدعاء اليها
والتلطف في تعلمها واعظامها واجلالها والتأدب عند
قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال
اهلها لانتسابهم اليها والتخلق باخلاقه والتأدب
بآدابه وصحبة اهل بيته واصحابه وبما بلغنا من البدع
في نسبته او تعرض لاحد من اصحابه ونحو ذلك قال البيهقي
رحمه الله معلوم ان حقوق رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجل واعظم والزم واوجب علينا من حقوق السادات
علينا من الاباء والاولاد لان الله تعالى انقذنا به من
النار وفاز الآخرة وعصم لنا به ارواحنا وابداننا واموالنا
واموالنا واهلينا واولادنا في العاجلة وهدانا به هدى
اذا اطعناه فيه ادانا الى الجنات النعيم فاي نعمة تواري
هذه النعمة واي منة تدانيها هذه المنة وجعل الايمان مقرونا
بتعظيمه فقال تعالى والذين امنوا به وعزروه ونصروه

واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون فاخبر ان
الفلاح انما يكون لمن جمع الى الايمان به تعزيره ولا خلاف ان التعزير
هاهنا التعظيم وقد كان اصحابه يعظمونه كما روي عن المسور
ابن مخرمة ان عروة ابن مسعود الثقفي رمق اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم نحو الله ما تنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه
وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه فقال
يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى
والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف
رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده الحديث قال فهذا من
الذين شاهدوه فما الظن بمن تقدمه زيارته وتعظيم
حرمه وهو بالمدينة واكرام اهله وتقطع الكلام اذا جرى
ذكره او روي بعض ما جاء به وصرف السمع والقلب اليه
ثم الازدحام له والتذلل اليه والتوقي من معارضته وضرب
الامثال له ومن النصيحة له ان لا يقابل قول يحكى عنه او
فعل يوصف به او حال له يذكر بما يكون ازراء له ولا يسمي
بشيء من الاسماء التي هي في تعارف الناس من اسماء الصفة
فلا يقال له كما يقال كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا ولا
يقال اذا ذكرت له جماعته او شدة لقيها مسكين كما يقال
مثل ذلك في هذه الحالة لغيره تلطفا وترفقا واذا قيل
كان

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب كذا لا يقبله احد بان يقول
اما انا فلا احبه وتعظيم اله وصحبه وحب العرب لاجل نسبه
صلى الله عليه وسلم واما النصيحة لائمة المسلمين فمعاونتهم
على الحق وطاعتهم وامرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق
ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين
وترك الخروج عليهم وتالف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي
ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقة
اليهم قال ابو عثمان اصلح السلطان واكثر له من الدعاء بالصلاح
والارشاد بالقول والعمل والحلم فانهم اذا صلحوا صلح العباد
والبلاد بصلاحهم واياك ان تدعو عليهم باللعنة فيزدادوا
شرا ويزداد البلاء على المسلمين ولكن ادع لهم بالتوبة
فيتركوا الشر ويرتفع البلاء عن المومنين قال الفضيل
لما قدم الرشيد بعث الي فاتيته فقال عظني بشيء من علم
فاقبلت عليه وقلت يا حسن الوجه حسابك هذا الخلق
كلهم عليك فجعل يبكي ويشهق قال فرددتها عليه قال فاخذني
الحلم فاخرجوني من الحجرة وعن الله قال لما بلغني ان عمر بن
عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد ابن
كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابليت بهذا فاشيروا
علي فعد الخلافة بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة فقال محمد ابن
كعب القرظي ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير
المسلمين عندك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم عندك ولدا
فوقر اباك واكرم اخاك وتحنن على ولدك فقال له سالم ابن
عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا

وليكن افتخارك منها الموت وقال لهرجا بن حياة ان اردت
النجاة غدا من عذاب الله فاحبب للمسلمين ما تحب لنفسك
واكره لهم ما تكره لنفسك وانى لا اقول هذا وانى لا اخاف عليك
اشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام فهل معك من يامرك بمثل هذا
فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه وعن محمد
ابن السماك انه دخل على هارون فقال يا امير المؤمنين ان الله
عز وجل لم يجعل احدا فوقك فلا ينبغى ان يكون احد اطوع لله
منك وعن احمد بن يوسف القاص قال قلت للمامون يا امير
المؤمنين ان رجلا ليس بينه وبين الله احد يخشاه تحقق
ان يتقى الله عز وجل فقال المامون صدقت وكتب عمر ابن عبد
العزيز الى عامله اما بعد فان لله عبادا قد ركب على الناس اذى ظلمهم
فاذكر قدرة الله عليك تنتبه قال ابو فرج الاندلسى المراد من
ايمة المسلمين الخلفاء وغيرهم من يقوم بامور المسلمين من
اصحاب الولايات وهذا هو المشهور وحكاه ايضا الخطابى
ثم قال وقد يتناول ذلك الايمة الذين هم علماء الدين وان من
نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم فى الاحكام واحسان الظن
بهم انتهى وقال الشيخ صلاح الدين العلائى ان القول الاول هو
الذى فهمه جمهور العلماء من الحديث وما بعده قال به جماعة
من المفسرين فى قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم ان المراد بالاولى الامر العلماء قال ويمكن حمل ائمة المسلمين
على المجموع من الامراء والعلماء بناء على القول بحمل المشترك على معنييه
انتهى واما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الامور
فارشادهم لمصالحهم فى امر اخرتهم ودنياهم واعانتهم عليه بالقول

والفعل

والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب
المنافع لهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق واخلاص
والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخويفهم بالموعظة
الحسنة وترك غيبتهم وحسدهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه
من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن اموالهم
واعراضهم وغير ذلك من الاحوال بالفعل والقول وستر عوراتهم
وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه وقد كان السلف من تبلغ
به النصيحة الى الاضرار ببياه هذا كلام الخطابى وفى كلام البيهقى
ان الله قسم بينهم اخلاقهم كما قسم بينهم ارزاقهم ولو شاء لجعلهم على
خلق واحد فلا تغفل عن النظر فى تدبير الله لخلقه فاذا رايت معصية
فاحمد الله اذ صرفها عنك فى وقتك وتلطف فى الامر والنهى برفق
وصبر وسكينة فان قبل منك فاحمد الله وان رد عليك فاستغفر
الله لتقصيرك ان منك فى امرك ونهيك واصبر على ما اصابك
ان ذلك من عزم الامور انتهى وعن سيدنا عمر ابن الخطاب قال
انظروا فى ذنوبكم كانكم عبيد ولا تنظروا فى ذنوب الناس كانكم ارباب
فانما الناس معافى ومبتلى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية
وقال ابن بطال وهذا الحديث يدل على ان النصيحة تسمى دينا
واسلاما وان الدين يقع على العمل كما يقع على القول والنصيحة
فرض يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين وهى لازمة
على قدر الحاجة اذا علم الناصح انه يقبل نصحه ويطاع امره
وامن على نفسه المكروه فان خشى اذى فهو فى سعة قال
العلائى بعضه فرض عين وبعضه فرض كفاية وبعضه
سنة كما هو الذى يستمد على جميع ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

الحديث الثامن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى الكلام عليه من
وجوه الاول قال الشيخ تاج الدين اختلفت روايات هذا الحديث
فرواه ابن عمر كما تقدم ورواه ابو هريرة مقتصرا على قوله
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الحديث وفي رواية الناس امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده و
رسوله وان يستقبلوا قبلتنا وان ياكلوا ذبيحتنا وان يصلوا
صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم واموالهم الا بحقها
لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وفي رواية ابي
هريرة ايضا امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا قبلتنا وان ياكلوا
ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم
واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين
وفي رواية ابي هريرة امرت اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله ويؤمنوا بما جئت به فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها اما رواية ابن عمر فظاهرة اذ ذكر فيها كلمة
الشهادة واما رواية ابي هريرة فانها تنصرف بها على التوحيد لان
كلمة الرسالة مرادة كقولك قد اه الحمد لله رب العالمين والمراد
جميع السورة قال الخطابي وليس باختلاف تناقض انما هو اختلاف

ترتيب

ترتيب اذا عتبر به الزمان والتوقيت لان الفرائض كانت تنزل
شيئا فشيئا في ازمنة مختلفة لحديث ابي هريرة حكاية صدر
الاسلام والدعوة ثم حديث انس وابن عمر متاخران ثم سائر الاخبار
الذي فيها ذكر الاشياء المزيدة انتهى وقد ذكر اهل الاخبار والسير
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توفاه الله عز وجل واستخلف
الصديق رضي الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب عزم ابو
بكر رضي الله عنه على قتالهم وكان منهم من منع الزكاة ولم يكفر وتاول
في ذلك انه كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة فلما عزم ابو بكر رضي الله عنه على قتالهم قال له عمر
كيف تقاتل الناس وقد قالوا لا اله الا الله وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال الصديق رضي
الله عنه والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فان الزكاة حق المال فكان
هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل ان ينظر الى اخره وتناول شرطه
فقال له الصديق الزكاة حق المال والحكم المعلق بشرطين لا يعمل
باحدهما ثم قاسه بالصلاة ورد الزكاة اليها وكان في ذلك دليل على ان
قتال المتنع من الصلاة كان اجماعا من الصحابة رضي الله عنهم
ولذلك رد المختلف فيه الى المتفق عليه فاجمع في هذه القضية الاحتجاج
من عمر بالعموم ورد ابي بكر بالقياس رضي الله تعالى عنهما ودل ذلك
على ان العموم يخص بالقياس وان ما تضمنه الخطاب الوارد في الحكم
الواحد من شرط او استثناء معتبر فيما يتبين ذلك لعمر تابع ابا بكر
وهو معنى قوله فما هو الا ان رايت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال عرفت

انه الحق يشير الى انشراح صدره بالحجة التي ادلى بها وبالبرهان الذي
اقامه وقد زعم بعض الرافضة ان ابا بكر اول من سبي المسلمين وانهم
كانوا متاولين في منع الزكاة يزعمون ان الخطاب في قوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا انه مقيد بشرائط
لا توجد في سواه لان ليس لاحد من التطهير والتزكية والصلاة
على المتصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول لوم لاخلاق
لهم ولا علم لان اهل الردة كانوا اصنافا منهم من ارتد عن الملة ودعا
الى نبوة مسيلمة وغيره ومنهم من ترك الصلاة والزكاة والكل شرائع
كلها وهولاء الذين سماهم الصحابة كفارا ولذلك رأى ابو بكر رضي
الله عنه سبي ذراريهم ونساءهم على ذلك جماعة من الصحابة
واستولد علي رضي الله عنه جارية من سبي بني حنيفة فولدت
له محمدا الذي يدعى ابن الحنفية ثم لم ينقض عصر الصحابة حتى اجمعوا
على ان المرتد لا يسبى واما مانعوا الزكاة هنهم مع اقامتهم على اصل
الدين فانهم اهل بغي وان كانت الردة قد اضيفت اليهم لمشاركتهم
المرتدين في بعض ما منعوه من حقوق الدين وما ادعوه
من خصوص الخطاب ليس كما قالوا فان خطاب الله تعالى على
ثلاثة اوجه عام كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة وخاص بالنبي صلى الله عليه
وسلم وهو ما اقترن به بيان التخصيص كقوله تعالى ومن
الليل فتهجد به نافلة لك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين
وخطاب مواجهة له هو وجميع امته فيه سواء كقوله تعالى
اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فمثل ذلك غير مختص به

بل تشاركه

وقف الله تعالى على كلمة العلم بالامر وغيره رواق العين
بل تشاركه فيه الامة ولذلك تولى تعالى خذ من اموالهم صدقة
فعلم القائم بعده ان يتحمى حدوده وانما الفايدة في مواجهته
صلى الله عليه وسلم بالخطاب ليكون سلوك امته في شرايع
الدين على حسب سلوكه وتبيينه وهذا معنى قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فافتتح الخطاب
بذكره ثم عم امته بقوله اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وربما
كان الخطاب له والمراد غيره كقوله تعالى فان كنت في شك الاية
ولا يجوز عليه ذلك ولا ان يكون من الممترين واما التطهير
والتزكية ودعاء الامام لصاحب الصدقة فقد يحصل بطاعة الله
تعالى وطاعة رسوله ولذلك ثواب وعد على عمل في كتابه فانه غير منقطع
ولذلك يستحب للامام والعامل على الصدقة الدعاء للمتصدق
باليمن والبركة والطهارة ويترجى منه الاجابة فان قيل فان
انكرت طايفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا من
ادايها فهل يكون حكمهم حكم البغاة فالجواب ان من انكر ذلك في هذا
الزمان فهو كافر باجماع المسلمين والفرق ان اولئك انما عذروا
باسباب وامور لا توجد في غيرهم مثلها في هذا الزمان منها قرب
العهد من زمان الشريعة التي كانت تنسخ فيها الاحكام ومنها
ان القوم كانوا حمالا بالامور لا نية وعهدهم بالاسلام قريب
قد حلتهم الشبهة فعذروا واما اليوم فقد شاع الاسلام واستفاض
حكمه بوجوب الزكاة حتى علمه الخاص والعام فلا يعذر احد بتاويل
في شيء مما انتشر علمه وتواتر حكمه كالصيام والاعتصام من
الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم الا ان تكون
حديث عهد بالاسلام فيكون سبيله سبيل اولئك في بقاء اسم

لم يعلمه واما ما كان الاجماع فيه معلوما للخاصة كتحريم نكاح امرأة
على عمتها وخالتها وان القاتل عمد لا يرث وان للجدة السدس
وما اشبه ذلك فمنكره معذور لعدم استفاضة علمه في العامة
وفي استدلال الصديق واعتراض عمر عليه دليل على ان الامام يسقط عن
النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عمر وانس وابو هريرة
فلعله رواياته وكانوا هولا سمعوا هذه الزيادة في مجلس
اخر فان عمر لو سمع ذلك لم يخالف ابا بكر ولما كان احتج بالحديث
فانه بهذه الزيادة اعني قوله اقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة
حجة عليه ولو سمع ابو بكر هذه الزيادة لاحتج بها وبما لا احتج
بالقياس والعموم وقد قال القاضي عياض مما اختص بعصمة المال
والنفس من قال لا اله الا الله تقييد على الاجابة الى الايمان
وان المراد بهذا مشركو العرب واهل الاوثان واما غيرهم ممن يقر
بالتوحيد فلا يكفي في عصمته قول لا اله الا الله اذا كان يقولها
ويعتقدها في كفره فكذلك جاء في الحديث الاخر وانى رسول الله ويقيموا
الصلاة ويوتوا الزكاة قال النووي ولا بد مع هذا من الايمان بجميع
ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في رواية ابي هريرة
في صحيح مسلم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما
جئت به قال القاضي عياض كان اهل الردة ثلاثة اصناف صنف
كفر بعد اسلامه وعاد لجاهليته واتبع مسيلمة والعنسي وصدق
بهما وصنف اقر بالاسلام الى الزكاة فجحدوها وتاولوا بعضهم ان
ذلك كان خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة الاية وصنف اعترفوا بوجوبها لكن
امتنعوا من دفعها الى ابي بكر الصديق وقالوا انما كان فرضها

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تواصل قائم بايديهم فراى ابو بكر
والصحابة قتالهم والصنفان الاولان لكفرهم والثالث لامتناعهم
قال القرطبي وهذا الصنف الذي اشكل امرهم على عمر رضي الله عنه
فباحث ابا بكر حتى ظهر له الحق فوافق وحصل له من انشراح
الصدر ما حاز لابي بكر لما ظهر له لقيل لا اله قلده واتبعه من غير
دليل لان التقليد لا ينشرح له الصدر ولا يجوز للمجتهد ان يقلد
مجتهدا اخر مع تمكنه من الاجتهاد ثم ان الصديق قاتل جميع
المرتدين وسبى ذراريهم قال الباجي وحكم فيهم بحكم الناقضين للعهد
فلما توفي ابو بكر ولي عمر رد عليهم سبيهم وحكم فيهم بحكم المرتدين
فكان ابو بكر رضي الله عنه يرى سبي اولاد المرتدين وبذلك قال
اصبغ ابن الفرج من اصحابنا وكان عمر يرى انهم لا يسبون ولذلك
رد سبيهم وهو قول جمهور العلماء وائمة الفتيا ويستفاد من
حكم عمر وفعله ان الامام المجتهد العدل اذا امر بامر وحكم بحكم
وجب موافقته على الجميع وان كان فيهم من يرى خلاف رايه
بل يجب عليه العمل والفتيا بما عنده وان اعتقد صحته فاذا عاد
الامر اليه عمل بما يعتقد صوابا ويحصل من قصة ابي بكر وعمر
ان سبي اولاد المرتدين لم يكن مجمعا عليه وان عمر انما وافق عملي
قتالهم واما سبي ذراريهم فلم يوافق عليه باطنا بل ترك العمل بما
ظهر له والفتيا به لما يجب عليه من طاعة الامام وموافقته
فلما ولي عمل بما كان عنده هذا هو الظاهر ولا يجوز ان يقال كان ظهر
له جواز السبي ثم تغير اجتهاده لانه يلزم منه خرق اجماع الصحابة
السابق فانهم كانوا قد اجمعوا عليه من غير انكار فمنهم من ظهر له
جوازه فسكت ومنهم من ظهر له خلاف ذلك فرجح قول المجتهد على

قوله واذا فعلوا ذلك الامام نقيس ذلك على المجتهد ان يعمل بما ظهر له
ولكن بعد تجديد النظر **الوجه الثاني** قوله امرت ان اقاتل الناس
اي امرني الله اذ ليس فوق نبيه صلى الله عليه وسلم من يامره
الا الله عز وجل ولا يأتي هاهنا الاحتجاج الذي في قول العصماء
امرنا ونهينا لان فوق النصاب من يحتمل اضافة الامر اليه والاحالة
به عليه من خليفة ومعلم ووالد ورايس ونحوه وليس فوق
الرسول صلى الله عليه وسلم من يضاف امره اليه الا الله عز وجل
وجبريل وهو انما يأتي بامر الله عز وجل انما حذف صلى الله عليه
وسلم الفاعل تعظيما **الوجه الثالث** قوله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس اي بان اقاتل الناس لان امرا انما يتعدى
غالبا بالباء وامرتكا كثير ونحوه قليل جاء في الشعر كما انهم جعلوا امر
مما يتعدى بنفسه وغيره **الوجه الرابع** قال ابن الكلبي الناس
قد يكون من الانس ومن الجن قاله الجوهري والمراد هنا الانس
ليس الاسم عبدة الاوثان دون اهل الكتاب فانهم يقولون
لا اله الا الله فان قلت لم لا يحمل ذلك الجن كما صرح به اهل
اللغة ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة قلت لا لانه لم يصح
انه عليه الصلاة والسلام قاتل نوعا من الجن داعيا لهم للتوحيد
كما فعل ذلك بالانس نعم جاء ان جن نصيبين اسلموا على يديه
صلى الله عليه وسلم ابتداء منهم من غير قتال وهذا لا يعلم
فيه خلاف بين الائمة **الوجه الخامس** قال الطوفي في قوله
صلى الله عليه وسلم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله الى اخره
دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة غير جاحد لهما لانه غاية
الامر بالقتال فعل الصلاة والزكاة فاذا لم يفعلا ذلك لم يبلغ

القتال

القتال غايته فيكون قتال تاركهما جائزا بل واجبا بموجب الامر
الالهي ثم القتال لا ينتهي الى القتل غالبا ولو لم يكن الجواز الا قضاية
اليه وذلك يدل على جوازه بل وجوب قتال تاركهما فان قيل الحديث
انما دل على قتال الكافر الاصلي حتى يؤمن ويصلي ويزكي فلم قلتم
ان المسلم اذا تركهما يجوز قتله قلنا لوجهين احدهما ان الكافر
الاصلي اذا امتنع قتل على تركهما مع انه لا يعتقد وجوبهما فالمسلم المعتقد
لوجوبهما اولى بالقتال عليهما ولهذا قال اهل العلم ان المرتد
يقتضى بعد اسلامه ما تركه حال ردته بخلاف الكافر الاصلي الثاني
قوله عليه الصلاة والسلام حتى يشهدوا الى اخره وان كان غايته
فغيه معنى الشرط ولهذا قيل ان حكم ما بعد الغاية مخالف لما قبلها
فصار تكليف القتال عليهم مشروطا بالشهادتين والصلاة
والزكاة واذا انتفى فعل الصلاة والزكاة انتفى فعل تكليف به
القتال والقتل وصار التقدير ان صلوا وزكوا كف عنهم
وتكفكف القتال ويشهد لهم قوله عز وجل فان تابوا واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين انتهى كلامه وللمناقش في
ذلك ان يقول هذا البحث الذي ذكرته منتزعه من مفهوم الغاية
فليس ذلك بحجة وكذا مفهوم الشرط سلمنا تسليم جدل انه حجة
لكنا لا نسلم دلالته على قتل المسلم التارك لذلك لانه انما ورد في
الكافر الاصلي وقوله اذا قتل على تركهما مع انه لا يعتقد وجوبهما
فالمسلم اولى ممنوع لان المسلم معصوم الدم بقوله عليه الصلاة
والسلام لا يحل دم امرء مسلم الحديث والاصل عصمته الى ان يرتكب
احد الثلاثة المذكورة في الحديث وليس ترك الصلاة فيها وقوله
ان المرتد اذا اسلم يقضى ممنوع بل مذهبنا انه لا يقضي والله اعلم

ثم قال الطوفي اذا ثبت ان في الحديث دليلا على قتله فيشبه ان في ذلك
دليلا على كفره لقوله صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك عصموا
مني دماهم واموالهم يعني بحق الكفر لا بحق الاسلام بمفهومه
ان لم يفعلوا ذلك لم يعصموا مني دماهم واموالهم يعني بحق الكفر
لا بحق الاسلام فقد ذكر بعد الا ما بعدها مخالف لما قبلها والذي
قبلها وهو عدم العصمة لعدم الفعل يكون بحق الكفر ومعنى
عصموا منعوا انتهى وفيه نظر لانظر لانه مبني على المفهوم كما تقدم
ثم انه منافٍ لما قدره هو بنفسه في حديث جبريل من قوله اما من
فارق الاسلام او بعضه فانما يدخل في الفسق لا الكفر وظاهر
هذا التقدير ان تارك الصلاة تهاونا لا يكفر خلافا للشهور من قول
الحنابلة انتهى الوجه السادس قوله صلى الله عليه وسلم
حتى يشهد وامتضمن ان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله
كان مومنا حقا له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ما لم يظهر منه
ما ينافي ذلك من كفر او نفاق والعياذ بالله بل اعتقد ذلك جزما
وهذا يضعف القول بوجوب معرفة الله تعالى بالبراهين
القاطعة والا لم يكن مومنا وهو غير مذهب السلف وائمة
الهدى الذين اقام الله بهم الدين الوجه السابع قوله صلى الله
عليه وسلم اقامة الصلاة والمداومة والمحافظة عليها في
مواقيتها بحدودها واركانها وهيئاتها يقال قام الامر واقام الامر
اذا اتى به مستوفيا حقوقه والمراد بها الصلاة الخمس ذكرت بلفظ
الواحد كقوله تعالى وانزل معهم الكتاب يعني الكتب الوجه
الثامن قوله صلى الله عليه وسلم ويوتوا الزكاة لا بد فيه
من نقدير محذوف التقدير ويوتون الفقرا الزكاة او يوتون

الامام

الامام ونحو ذلك قال ابن الفاكهاني اذا كان الامام عدلا لم يجز لاحد
ان يعدل بزكاته عنه وان لم يكن عدلا صرفها هو لمستحقيها دون
الامام فانه مالك رحمه الله تعالى قال وفعل الامام غير العدل
طلوعا لم يجزله فاذا اجبره على اخذها اجزاته على المشهور من
مذهب مالك كما اذا اجبره على اخراج الخوارج فانها تجزيه ايضا
وفرق اصحابنا رحمهم الله تعالى بين الاموال الظاهرة فاوجبوا
دفعها الى الامام وبين الاموال الباطنة فاجازوا للمالك ان يدفعها
بنفسه وورد ذلك عن عثمان ابن عفان وكفى به قدوة الوجه
التاسع قوله صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك عصموا
مني دماهم واموالهم قال ابن الفاكهاني عصموا يعني منعوا منه
والعصمة المنع والحفظ يقال اعتصمت بالله اي امتنعت
بلطفه من المعصية وعصم يعصم عصما بالفتح والعصام رباط
القربة ونحوها التي تحمل به قاله الجوهري والمال يقع على العين
وغيرها من ماشية وعرض وغير ذلك وذلك اشارة الى كل ما
تقدم من الشهادة واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانه غلب
الفعل على القول اذ الشهادة قول لا فعل بل القول مقابل
للفعل حتى يقال اقوال وافعال انتهى قال الطوفي فان قلت لم ذكر
الصوم والحج في الحديث الثاني والثالث وهو من رواية ابن عمر
ايضا ولم يذكرهما هنا قلنا لانه عليه الصلاة والسلام قال هذا
الحديث قبل فرضهما بخلاف الحديثين الاخرين فانه قالهما بعد فرض
الحج والصوم فروى الراوي كل حديث على ما سمعه والحديثان
الاولان مع هذا من باب الزيادة في الاحكام وليس من باب
التعارض والنسخ انتهى قال ابن الفاكهاني تنبيه جا الشرط

هنا باذا اعنى فى قوله صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك و اذا
للتحقق و ان للمشكوك فيه وفعلهم متوقع قد يكون وقد لا يكون
الا ترى ان جماعة من المقاتلين قتلوا كافرين تميز فاعلين وكانه
والله اعلم جاء على طريق التفاول بتحقق الفعل منهم فاشبه الدعا
فى الماضى فى نحو غفر الله لزيد اذا المراد التفاول **الوجه العاشر**
قوله صلى الله عليه وسلم الا بحقها قد جاء مفسرا فى الحديث الاخر
فى قوله عليه الصلاة والسلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن
او قتل النفس التى حرم الله تعالى **الوجه الحادى عشر** قوله
عليه الصلاة والسلام وحسابهم على الله يريد حساب سرايرهم
وخفيات بواطنهم على الله لانه تعالى المطلع على ما فيها من ايمان
وكفر ونفاق وغير ذلك فانه تعالى يعلم السر واخفى فمن كان مخلصا
فى ايمانه جزاه جزاء المخلصين ومن لم يخلص فى ذلك كان من
المنافقين نسال الله تعالى برب العالمين ان يجعلنا من
عباده الصالحين **الحديث التاسع** عن ابى هريرة عبد
الرحمن ابن صخر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه
وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من
قبلكم كثرة مسايلهم واختلافهم على انبيايهم رواه البخارى
ومسلم الكلام عليه من وجوه الاول فى سنده ابو هريره
كنيته واختلف فى اسمه على خمسة وثلاثين قولا وقد افرد بعض
الحفاظ له جزوا قال النووى واصح ما قيل فيه عبد الرحمن ابن
صخر قال ابن الكلبى وهو دوسى النسب ودوس بفتح الدال
قبيله فى الاسد قال ابن اسحاق حدثنى بعض اصحابنا عن ابى

هريرة

هريرة قال كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس فسميت فى الاسلام
عبد الرحمن واما كنيته بابى هريرة لانى وجدت هرة فحملتها فى كمى
فقيل لى ما هذه فقلت هرة فقيل لى انت ابو هريرة قال ابو
عمر بن عبد البر وقد روينا عنه قال كنت احمد هرة يوما فى
كمى فراى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة
فقال يا ابا هريرة قال ابو عمر اشبه ما عندى ان يكون النبى صلى
الله عليه وسلم كناه بذلك والله تعالى اعلم قال ابو عمر اسلم ابو
هريرة عام خيبر وشهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لزمه
وواظبه رغبة فى العلم راضيا بشبع بطنه كانت يده مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدور معه حيث ما دار وكان من
احفظ الصحابة وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه حريص على العلم والحديث وقال له يا رسول الله انى سمعت
منك حديثا كثيرا وانى اخشى ان انساه فقال له ابسط رداءك فبسطه
فغرف بيده فيه ثم ضمه فضممت فما نسيت شيا بعد وقال البخارى
روى عنه اكثر من ثمان ماية رجل من بين صحابى وتابعى استعمله
عمر رضى الله عنه على البحرين ثم عزله ثم رده على العمل فابى ولم يزل
يسكن المدينة حتى كانت وفاته بها وقيل مات بالعقيق روى
له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة الاف حديثا وثمان
ماية حديثا واربعة وسبعين حديثا اتفقا على ثلاثة ماية وخمسة
وعشرين حديثا وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين ومسلم
بثمانية وتسعين قال خليفة توفى ابو هريره سنة سبع وخمسين
قال الهيثم ابن عدى توفى سنة ثمان وخمسين وقال الواقدى سنة
تسع وخمسين ودفن بالبقيع وصلى عليه الوليد بن عتبة ابن سفيان

وكان يومئذ امير المدينة ويروي انه معزول ويروي له جماعة **الوجه الثاني** قوله عليه الصلاة والسلام ما نهيتكم عنه فاجتنبوه هو خطاب مشافهة وخطاب المشافهة عند العرب يختص بالموجودين وقد قال اهل الاصول ان خطاب المشافهة لا يتناول من تكدت بعد الابد ليل لا تقول العرب امرتكم او نهيتكم او قوموا او اقعدوا او تقاولوا الا من هو موجود قالوا فعلى هذا قوله تعالى كتب عليكم انفسكم وعليكم انفسكم واجتنبوا كثيرا من الظن ونحوه يختص بالموجودين عند نزول هذا الخطاب وتناول اهل القرون بعدهم ليس من جهة اللغة بل ذلك اما لانه معلوم من الدين بالضرورة او ان الشريعة عامة باقية الى يوم القيامة او بالاجماع في ذلك طريقان وكلاهما حق وعلى هذا ينزل الحديث فاعرفه وقوله عليه الصلاة والسلام فاجتنبوه على اطلاقه فان وجد عذر يبيحه كاكل الميتة عند الضرورة او شرب الخمر عند الغصة او للاكراه او التلفظ بكلمة الكفر والعياذ بالله تعالى اذا اكره على ذلك لم يكن منهيا عنه والحالة هذه ثم ان النهي تارة يكون مع المانع من النقيض وهو المحرم وتارة يكون لا مانع من النقيض وهو المكروه هذا كلام ابن الفاكهاني وقال الطوفي فيه وجوب فعل المستطاع من المامورات لقوله فاتوا اي فافعلوا منه ما استطعتم والامر يفعله للوجوب وهذا راجع الى قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فان قيل الاية دالة على وجوب امتثاله اوامره عليه الصلاة والسلام مطلقا ولم يستثني المستطاع من غيره والحديث

المذكور

المذكور خص المستطاع من ذلك دون غيره وهذا الحديث مخصص الاية او مبين لما قلنا ويحتمل ان يقال هذا ويحتمل ان يقال الاية المذكورة خصت بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم والتقوى تشتمل على جميع المامورات وصار ذلك في قوة قوله ما امرتكم به فافعلوا ما استطعتم فجاء هذا الحديث موافقا لهذه الاية كما جاء في حديث جبريل وحج البيت ان استطعت اليه سبيلا موافقا لقوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فان قيل ما الفرق بين المامور به والمنهي عنه حتى يسقط التكليف بما لا يستطاع من الاول دون الثاني قلنا لان ترك المنهي عنه عبارة عن استمرار العدم او الاستمرار على عدمه وليس في ذلك ما لا يستطاع حتى يسقط التكليف به بخلاف فعل المامور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود وذلك يتوقف على شروط واسباب كالقدرة ونحوها وبعض ذلك يستطاع وبعضه لا يستطاع فلاجرم سقط التكليف به لان الله عز وجل اخبر انه لا يكلف نفسا الا وسعها وهذه رخصة عظيمة وكثير من الاحكام مثل من لم يجد الا ما يكفي الوضوء والغسل او وجد ترابا يكفي بعض التيمم او لم يقدر الا على غسل بعض محل الحدث او لم يجد الا بعض الفطرة او لم يجد او لم يصل الا جالسا او نائما او لا يطوف الا راكبا او لا يكفر من الابل الا بالفول وهي فيه والمقدور ونحو ذلك كله يأتي فيه بالمقدور المستطاع ويسقط عنه هدايا او الى بدل فان قيل لو وجب بعض الرتبة في الكفارة هل يلزمه عتقه ويسقط ما لم يجد قلنا لا لان الرتبة لها بدل وهو الاطعام والصيام بخلاف الفطرة اذا وجد بعضها اذ لا بدل لها

الوجه الثالث قال ابن الفاكهاني قوله عليه الصلاة والسلام
انما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسايلهم على انبيايهم جاء مبينا في كتاب
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فقال
رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ثم قال
ذروني ما تركتكم فاتركوه وهذا الرجل هو الاقرع ابن حابس
كذا جاء مبينا في غير هذه الرواية ففي قوله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجبت دليل على انه كان عليه الصلاة والسلام
يجتهد في الاحكام دون وحي وقد اختلف الاصوليون في هذه
المسيلة على اربعة اقوال فقال قوم جواز اجتهاده عليه الصلاة
والسلام قاله الشافعي وابو بكر ثم لم يكن متعبدا به
وقال بعضهم كان له عليه الصلاة والسلام ان يجتهد في المرجوب
والراجح دون الاحكام قال وتوقف فيه اكثر المتكلمين واستكثر
هذه المسيلة في كتب الاصول انتهى واختلف الاصوليون في ان
الامر هل يقتضي التكرار او لا والصحيح انه لا يقتضيه وقيل
يقتضيه والقول الثالث ان ما ورد عليه مرة يتوقف على البيان
وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بالتوقف لانه سال
فقال لا في العام ولو كان مطلقه يقتضي التكرار وعدمه لم يسال
ولقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة الى السوال لان مطلقه
محمول على اقله او قد يجيب الاخرون بانه سال لاستظهار او احتياطا
وقوله عليه الصلاة والسلام ذروني ما تركتكم ظاهره انه لا يقتضي
التكرار قال المازري رحمه الله تعالى ويحتمل انه انما احتمل

التكرار

التكرار عنده من وجه اخر لان الحج في اللغة قصد لبنية التكرار
فاحتمل عنده التكرار من وجه الاشتقاق لان مطلق الامر
قال وقد تعلقنا بما ذكرناه علماء اللغة ها هنا من قال باياب العمره
وقال لما كان قوله تعالى ولله على الناس حج البيت يقتضي تكرار
قصد البيت بحكم اللغة والاشتقاق وقد اجمعوا على ان الحج لا
يجب الا مرة كانت العوده الاخرى الى البيت يقتضي كونها عمرة
فانه لا يجب قصده بغير حج وعمرة باهل الشرع انتهى وفيه نظر
لانه مبني على اصل مختلف فيه كما تقدم من اختلافهم في الحج هل
مطلق القصد او كثرته على ان العمرة في لسان الشرع مغايرة
للحج ولهذا عطفت عليه ولا يصح استنباط حكم شرعي من امر
لغوي لانه ليل شرعي واما قوله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم
لوجبت ففيه دليل لمذهب الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
كان له ان يجتهد في الاحكام ولا يشترط في حكمه ان يكون بوحي
ومن قال يشترط يجيب عن هذا بانه لعله اوحي اليه الوجه
الرابع قوله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فيه دليل على ان الاصل
عدم الوجوب وانه لا حكم قبل ورود الشرع وهو الصحيح عند
المحققين لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال
ابن الفاكهاني انما خالف صلى الله عليه وسلم بين لفظي ذروني وتركتكم
ولم يقل ذروني وذركم لان العرب لم تستعمل ماضي يذر ويدع في
الامر ويدع في العام بل اماتوه واستغنوا عنه بترك وتوه
في الامر العام تمور ما جاء في الشعر حيث قيل
منعه نذر من خليلي ما الذي ٥ عاله في الحب حتى ودعه
وفي بعض الاحاديث لين لم تنته اقوام عن ودعهم الجمعة الحديث

واستعمل المصدر دون الفعل انتهى وقد وقع في الشمايل للترمذي ـ
ودعهم وقاله فقد استعمل الفعل ايضا والله تعالى اعلم قال
ابن الفاكهاني ومعنى هذا لا تجلوا علي في المسئلة او لا تبالغوا في
استقصاء ولا تشددوا علي انفسكم فيشدد الله عليكم كما شدد
على بني اسرايل بسبب كثرة مجاهم في المسئلة ولو عمدوا الى ادنى
بقرة فذبحوها كانوا ممتثلين امر الله تعالى ولكن تشددوا
فشدد الله عليهم وقد اشار ذلك بقوله فانما اهلك الذين من
قبلكم كثرة مسايلهم قال الطوفي في الحديث تحريم الاختلاف وكثرة
المسايل من غير ضرورة لانه توعد عليه بالهلاك والوعيد
على الشيء يقتضي تحريمه اما الاختلاف فلانه سبب تفرقة القلوب
ووهن الدين كما جرى للخوارج حيث تبرى بعضهم من بعض
وهجن امرهم والله قضوا وذلك حرام وسبب الحرام حرام واما
كثرة السوال عن غير ضرورة فلانه مشعر بالاعنات ومفض
اليه وايضا هو حرام وقد نهى عن قيل وقال وكثرة السوال
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاغلوطات وهي
صعاب المسايل وقد كان ابي بن كعب وزيد ابن ثابت وغيرهما
من افضل الصحابة اذا سيل احدهم عن حادثة يقول او قعت
هذه فان قيل نعم قال ابنيها بقدمه وهاء على غيره وان قيل لا
قال دعوها حتى تقع انتهى وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله
تعالى كانوا يكرهون تكلف المسايل التي لا تدعو الحاجة اليها
وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس جرما من سيل عن شيء
لم يحرم على الناس فحرم عليهم من اجل مسالته وفي حديث
اللعان لما سيل الرجل عجلة مع امراته رجلا فكره رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم المسايل وعابها وفي حديث معاوية انه نهى
عن الاغلوطات وهي شداد المسايل وصعابها وهذا لما يتضمن
كثيرا منه التكلف في الدين والرجم بالظن من غير ضرورة تدعوا
اليه مع عدم الامن العثار وخطا الظن والاصل المنع من الحكم
بالظن الا حيث تدعوا الضرورة اليه تنبيه قال الطوفي واختلافهم
مضموم الفا مكسورها مطغا على كثرة اختلافهم وهذا على كثرة
لا على مسايلهم اي اهلكهم كثرة سوالهم وكثرة اختلافهم ابلغ لان
الهلاك يطلق الاختلاف ابلغ في الزجر من اهلاك بكثرة الاختلاف
وهذا الحديث من جوامع الكلم والله تعالى اعلم الحديث
العاشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله
امر المومنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب
لذلك رواه مسلم الكلام عليه من وجوه احدها قال الجوهري
الطيب خلاف الخبيث وطاب الشيء يطيب طيبة وطيبا ورما اطيبه
وقال القاضي عياض الطيب في صفات الله تعالى بمعنى المنزه
عن النقايص وهو بمعنى القدوس واصل الطيب الزكاة
والطهارة والسلامة من الخبث وقال الطوفي اعلم ان الطيب
يطلق بمعان احدها المستلذ طبعا ومنه هذا الطعام طيب فانكحوا
ما طاب لكم من النسا والثاني الطيب بمعنى الحلال ويقابله الخبيث

عز وجل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الثالث
الطيب بمعنى الطاهر نحو فتيمموا صعيدا طيبا ومنه الطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اي الطاهرون من العيوب للطاهرات
والله عز وجل طيب بهذا المعنى اي هو طاهر منزه عن جميع
النقايص ولا يقبل من الاعمال الا طاهرها من المفسدات كالرياء
والعجب ونحوه ولا من الاموال الا طاهرها من الحرام وفي الحديث
من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وفيه من صلى في
ثوب قيمته عشرة دراهم فيه درهم حرام لم تقبل صلاته انتهى
وهذا الحديث رواه احمد ابن حنبل في المسند وفي الحديث
من اكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فقيل الصرف
الفريضة والعدل النافلة وفيه من اكتسب مالا حراما فان
تصدق به لم يقبل الله منه وان مات وتركه زاده الى جهنم قال ابن الفاكهاني والكلام هنا في معنى القبول فان هذا
ظاهره اذ المتصدق بغير الطيب لا يتنفع بصدقته بوجه اصلا
لعدم قبولها ومثل هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين
لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ فظاهره انتفاء
الصحة عند انتفاء القبول ولا يلزم الدليل على وجوب الوضوء
من هذا الحديث الا بذلك قال شيخنا تقي الدين ابن دقيق العيد
وقد ترك بعض المتأخرين في هذا بحثا لان انتفاء القبول قد ورد
في مواضع مع ثبوت الصحة كالعبد اذا ابق لم تقبل له صلاة وكما
ورد فيمن اتى عرافا وفي شارب الخمر فاذا اراد ان يقوي الدليل
على انتفاء الصحة بانتفاء القبول فلا بد من تفسير معنى القبول
وقد فسر بانه ترتب الغرض المطلوب من الشيء على الشيء فاذا

تثبت

ثبت ذلك فيقال مثلا في هذا المكان الغرض من الصلاة وقوعها
مجزية ومطابقتها للامر فاذا حصل هذا الغرض ثبت القبول على
ما ذكر من التفسير واذا ثبت القبول على هذا التفسير ثبتت
الصحة فاذا انتفى انتفت ونقل عن بعض المتأخرين ان القبول
كون العبادة بحيث يثاب عليها والاجزاء كونها مطابقة للامر
لم يلزم من نفي الاخص نفي الاعم والقبول على هذا التفسير
اخص من الصحة فان كل مقبول صحيح وليس كل صحيح مقبولا
وهذا ان وقع في تلك الاحاديث التي نفي عنها القبول مع بقاء الصحة
فلا يصح الاستدلال بنفي القبول على نفي الصحة كما حكيناه عن
الاقدمين اللهم الا ان يقال دل الدليل على كون القبول من لوازم
الصحة فاذا انتفى انتفت فيصح الاستدلال بنفي القبول على نفي
الصحة ويحتاج في تلك الاحاديث التي نفي عنها القبول مع بقاء الصحة
الى تاويل وتخريج جواب على الله يرد على من فسر القبول بكون
العبادة مثابا عليها او مرضية او ما اشبه ذلك اذا كان مقصوده
بذلك ان لا يلزم من نفي القبول نفي الصحة ان يقال القواعد الشرعية
تقتضي ان العبادة اذا اتى بها مطابقة للامر كانت سببا للثواب
والظاهر في ذلك لا يحتاج كما ابن الفاكهاني وحاصل هذا ان الاشكال
باق حتى يتأول تلك الاحاديث التي نفي عنها القبول مع بقاء الصحة
بما يكون بينها وبين هذا الحديث ويحتمل ان يقال في ذلك والله
الموفق ان الاصل في هذه العبادة المأمور بها ناقصة عما امر
به كتارك شرطا من شروطها ونحو ذلك ان تكون غير صحيحة اذ لم
يأت ما امر به صحيح لما ذكر في هذا الحديث وخالفناه في تلك الاحاديث
الاخر لدليل دل على ذلك فيبقى ما كان على ما كان فتثبت بذلك انتفاء

الصحة عند انتفاء القبول فاذا علمت هذا علمت ان حديث ان الله
طيب لا يقبل الا طيبا ينبغي على هذا البحث فان قلنا انه لا يلزم من
نفي القبول نفي الصحة كما قاله المتأخرون في الصدقة بالخبيث
ثواب دون ثواب من تصدق بالطيب وان قلنا ان القبول من لوازم
الصحة فاذا انتفى انتفت لم يكن له ثواب البتة فاطرد هذا البحث
في كل ما يرد عليك من مثل هذه الاحاديث وبالله التوفيق الوجه
الثاني قوله صلى الله عليه وسلم ان الله امر المؤمنين بما امر
به المرسلين الى آخره قال النووي فيه دليل على ان الرسل واممهم
سواء في عبادة الله تعالى والدخول تحت خطابه الا ما قام عليه الدليل
من اختصاصهم على الامم ببعض الاحكام لان الجميع عباد الله تعالى
مأمورين بعبادته عز وجل والظاهر ان المراد بالطيبات في
الاية ما يتيقن الحلال بدليل ما سبق قبله وما بعده من ذم المطعم الحرام
انتهى وقال ابن الفاكهاني والطيبات جمع طيب والطيب هو الطاهر
من كل شيء قاله ابن بريدة في تفسيره ونقل عن الشافعي ان
الطيب هو المستلذ ولذلك منع اكل الحيوانات المستقذرة كالغراب
والوزغ ونحوه قال وعندي فيه نظر لان الخنزير قيل ان لحمه الذ
اللحوم على الاطلاق وهو حرام بالاجماع وان الصبر وما في معناه
من الادوية وغيرها مباح وقال النسمأوندي في قوله يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا حلالا لا مطلق الشرع طيبا مستلذ الطبع
ويرد عليه ايضا ما ذكرناه انفا الوجه الثالث قوله فذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر قال ابن الفاكهاني هو من وادي ولقد
امر على اللئيم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني فوصفه بالنكرة
وان كان فيه الالف واللام حيث لا يراد رجلا بعينه والاشعث

هو

هو المغبر الراس قاله الجوهري قال والغبرة لون الا غبر وهو
تشبيه بالغبار قال بعض من تكلم على هذا الحديث معناه والله
تعالى اعلم يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة
رحم وجهاد وغير ذلك من وجوه البر ومع هذا فلا يستجاب له للحالة
المذكورة فكيف حال من هو منهمك في الدنيا في مظالم العباد وهو
من الغافلين عن انواع الطاعات قال وفي هذا الحديث ان الطيب
ما يطيبه الشرع بالاباحة والحل وان كان ليس طيبا في العرف وان الذنب
الطعم من غير المباح يكون وبالا على اكله وحسرة وندامة وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما انتهى وقال ابن الفاكهاني قوله ثم ذكر الرجل يطيل
السفر هذا من كلام ابي هريرة يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما سبق ذكره استطرد الكلام حتى ذكر الرجل يطيل السفر
الى آخره وفيه امران احدهما قوله بيديه الى السماء يدل على ان من
ادب الدعاء رفع اليدين الى السماء وكان صلى الله عليه وسلم يرفع
يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه او كما رد في انس وجاء
في الحديث ان الله عز وجل حيي كريم يستحي من عبده ان يرفع اليه
كفيه ثم يردهما صفرا والثاني ان يتناول الحلال في المطعم والمشرب
والملبس وبالجملة فاجتناب الحرام من كل شيء شرط في اجابة الدعاء
وتناول الحرام مانع منه لقوله فاني يستجاب لذلك ووجه ذلك ان
مدد الدعاء القلب ثم تفيض تلك الارادة على اللسان فينطق به
والقلب يفسد بتناول الحرام وهو مدرك بالنظر والوجدان ولهذا
فسد القلب فسد الجسد وجوارحه والدعاء بتيجة الجسد الفاسد
ونتيجة الفاسد فاسدة والدعاء فاسد والفاسد ليس بطيب والله
عز وجل لا يقبل الا طيبا والله عز وجل لا يقبل دعاء من اكل الحرام وغذي

به انتهى وقال الحليمي رحمه الله اركانا واداباً فمن اركانه ان يكون ـ
المرغوب فيه مما يبلغ قدر السايل ان يسأله وتفسيره انه ليس لاحد
ان يتشبه بابراهيم عليه السلام فيدعو ربه ان يريه كيف يحيي
الموتى ولا ان يتشبه بعيسى عليه السلام فيقول ربنا انزل علينا
مائدة من السماء ولا ان يتشبه بموسى عليه السلام فيقول رب ارني
انظر اليك ومنها ان لا يكون عليه في سؤاله ما سأل حرج ومنها ان
يكون له السؤال عمر ضحيح ومنها ان يكون حسن الظن بالله
عز وجل فتكون الاجابة اغلب على قلبه من الرد ومنها ان يدعو
الله باسمائه الحسنى وصفاته العليا وهو ان يسأل ما يسأل بدا
وحقيقته ولا يأخذ دعاءا بالغا فيسرده سردا وهو عن حقايقه
غافلا ومنها ان لا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة فيفوتها
ومنها ان يكون دعاءه سؤالا بالحقيقة لا اختيارا للرب تعالى ومنها
ان يصلح لسانه اذا دعا ولا يخاطب تعالى بما لو خاطب به مخلوقا
نسبه الى قلة الحيا او سوء الادب او ركاكة العقل ومنها ان لا يدعو
ضجرا مستعجلا بضمير انه اذا اجيب في الوقت الذي يريد والا يئس
ويترك لذلك الدعاء فيعيد اخا شكا بضمير انه لا يزال يدعو ويتضرع
الى ان يجاب وكلما زادت الاجابة عنه تراخيا زاد في الدعاء تنائيا وتوانيا
ومنها ان اجابته اذا عظمت لم يسألها الله تعالى مستعظما اياها
في ذلك تعالى بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالا واحدا وتزدحمه
الله في اجابته عظيمة ومن اداب فيها ان يقدم التوبة امام الدعاء
ومنها الجد في الطلب والالحاح ومنها المحافظة على الدعاء في الرخاء دون
تخصيص حال الشدة والبلاء ومنها ان يعزم اذا سأل ومنها ان
يدعو ثلاثا ومنها ان يقتصر على جوامع الدعاء ما لم يتعرض له حاجة

بعينها

وقف لله تعالى في حلة العلماء الزهد وسمره يرواق السيمن
بعينها فيتفحص عليها ومنها افتتاح الدعاء وختمه بالصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها ان يدعو وهو طاهر
ومنها ان يستقبل القبلة ومنها ان يدعو بركل صلاة ومنها
ان يرفع اليدين حتى يحاذي بهما المنكبين اذا دعا ومنها ان
يخفض صوته بالدعاء ومنها ان يمسح بيديه وجهه اذا فرغ من
الدعاء ومنها ان يحمد الله تعالى اذا عرف الاجابة ومنها ان لا يملوا
يوما او ليلة من الدعاء قال ويتحرى للدعاء الاوقات والاحوال ـ
والمواطن التي يرجى فيها الاجابة فاما الاوقات فمنها ما بين
الظهر والعصر من يوم الاربعاء ومنها ما بين زوال الشمس من
الجمعة الى ان تغرب ومنها الدعاء في الاسحار ومنها الدعاء يوم
عرفة واما الاحوال فمنها حال النداء للصلاة ومنها حين تطلع
الصايم ومنها نزول الغيث ومنها نزول الغيث ومنها عند التقاء
الصفين ومنها عند اجتماع المسلمين على الدعاء ومنها ادبار
المكتوبات ومنها عند القيام من المجلس واما المواطن فالموقفان
والجمرتان وعند البيت والملتزم خاصة وعلى الصفا والمروة
وقد ذكر الحليمي تفسير كل فصل من هذه الفصول واشار الى دلالته
من الكتاب والسنة او الاثر وفي ذكر ذلك طول والله اعلم ومن اداب
فيما ذكره الامام ابو حامد الغزالي ان يمسح الداعي يديه على وجهه
اذا فرغ من الدعاء وروى ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم
ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم قال
الغزالي ويكره ان يرفع الداعي بصره الى السماء قال صلى الله عليه وسلم
لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم او لتخطفن ابصارهم قال ومن

اداب ان يخفض صوته بالدعا ومنها ان يتضرع ويخشع ويرهب
في الدعا قال الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا ومنها ان يفتتح
بالحمد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويختم
بامين والصلاة ومن اداب الدعا الادب الباطن فهو اصل في الاجابة
بالتوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب
الغريب في الاجابة يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس
قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج ببني اسرايل
يستسقي فلم يسقوا فاوحى الله عز وجل الى موسى اني لا استجيب
لكم ولمن معكم لان فيكم رجلا نماما يمشي بالنميمة بين الناس فقال
موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى
اني نهيتكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى عليه السلام لبني
اسرايل توبوا من النميمة باجمعكم فتابوا فارسل الله عليهم
العنبث وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرايل قحطوا سبع
سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا
يخرجون الى الجبال ويتضرعون الى الله فاوحى الله تعالى الى انبيايهم
لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحنى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السما
وتملا انفسكم من الدعا فاني لا استجيب لكم دعاء ولا ارحم منكم باكيا
حتى تردوا المظالم الى اهلها فنفضوا القطر من يومهم وقال مالك
ابن دينار اصاب الناس قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم
اذا اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وتترفعون الي ايد قد
سفكتم بها الدما وملائم تطهرونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي
عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال وهب ابن منبه بلغني
ان موسى عليه السلام مر برجل قايم يدعو ويتضرع طويلا وهو

ينظر

ينظر اليه فقال موسى يارب اما تستجيب لعبدك فاوحى الله اليه
يا موسى انه لو بكى حتى تلفت نفسه ويرفع يديه حتى بلغت
عنان السما ما استجيب له قال يارب ولم ذلك قال لانه في بطنه
الحرام وعلى ظهره الحرام وفي بيته الحرام وقال الطوفي رحمه الله
اعلم ان هذا الحديث كثير النفع لانه تضمن بيان حكم الدعا
وشرطه وما نعه والدعا كما ورد في السنة مخ العبادة قال الله عز
وجل وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي
الاية له عما عبادة ولان الداعي انما يدعو الله عند انقطاع امله مما
سواه وذلك حقيقة التوحيد والاخلاص والعبادة فوقهما والدعا
مخ العبادة من هذا الوجه انتهى فان قيل ظاهر الحديث يقتضي ان
من اكل حراما لا يستجاب له وظاهر قوله تعالى وقال ربكم ادعوني
استجب لكم وقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداعي اذا دعان يقتضي الاستجابة للداعي على اي وصف كان وكذا
ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم ما على وجه الارض مسلم يدعو الله
تعالى بدعوة الا اتاه الله تعالى اياها او صرف عنه من السو مثلها
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقام رجل من القوم فقال اذا نكثر
فقال الله اكثر يريد لعمري ذلك ايضا قلت قد اجيب عن الايتين بجوابين
احدهما ان معنى الدعا هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب الثاني
ان معنى الايتين خاص وان كان لفظهما عاما تقديرهما اجيب
دعوة الداعي ان شيت كما قال فيكشف ما تدعون اليه ان شا
او اجيب دعوة ان كانت الاجابة خيرا له وكذا الجواب عن الحديث
فاذا تقرر ذلك فاعلم ان حمل الايتين والحديث على ظاهرهما اغير
مراد لاختصاص ذلك باموور منها ان لا ياكل الحرام كما تقدم وان

لا يدعوا بحارق نحو ربنا انزل علينا مائدة من السما فاذا لم يكن الحمل
على العموم خصها بالسنة والله اعلم وقد قيل لابراهيم ابن ادهم
مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة اشيا
الاول عرفتم الله ولم تودوا حقه والثاني زعمتم انكم تحبون رسول
الله وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به والرابع
اكلتم نعم الله ولم تودوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان
عدو لكم ووافقتموه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها
والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت
حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم
بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا
بهم قال السبكي في قوله تعالى ادعوني استجب لكم قال ادعوني
بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة وهذا قول حسن ويؤيده
ما رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه تنبيه
اعلم انا متى قلنا ان الله لا يستجيب دعا اكل الحرام مطلقا قنطنا
الناس من رحمة ربهم وشككناهم في دعائهم وقد لم يسأل الله عفو
عليه لكنا نقول من واظب دائما على اكل الحرام وليس الحرام
فحينئذ يظلم قلبه ويسود فلا تنبعث منه الهمة فيقول بلسانه
ما لا يفيد ما لم يكن مبدأه من القلب فحينئذ يكون منع نفع
الدعا من العبد لا من الله ثم انا نقول اذا كان الرجل مخالطا
في ملبسه للحلال والحرام والشبهة وهو بأكل من ذلك فهذا
نرجو ان يستجاب له قال الله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم

خلطوا

خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وغاية
قوله صلى الله عليه وسلم فاني يستجاب لذلك استبعاد والاجابة
مع ذكر من الحلال التي هو عليها لكن يجوز له ان يستجيب الله
له لطفا منه وتفضلا وتكرما اذا بدت عين الجود الحقت
المسي بالمحسن قال ابن الفاكهاني بل قد يستجيب للكافر
ام من يجيب المضطر اذا دعاه وقد حكى القاضي ابو بكر ابن
العربي في سراج المريدين ما تلخيصه ان مراكب الافرنج
جاءت الى المستنير تطلب الماشر من المسلمين فمنعوهم
فلما اشرفوا على الهلاك فتحوا اناجيلهم وفرشوا انطاعهم
وقدموهم وضجوا الى الله سبحانه وتعالى بالدعا فلما رأى عباد
المستنير حالهم فتحوا مصاحفهم ودعوا عليهم فارسل الله عليهم
ريحا فكسرت مراكبهم واهلكتهم وغنمها المسلمون ومنها بنى باب
المستنير اولا ما اذا معناه انتهى وقيل ان ما يستجاب له لان
القوة التي بيديه بها نشأت عن مخالفة وعصيان قال
الفاكهاني وفيه مشروعية رفع اليدين في الدعا قلت
وفي السر في ذلك قلت لعل الجواب عن ذلك من ثلاثة اوجه الاول
ان عادة العرب اذا استعظمت امرا رفعت يديها والداعي
حد يديه لك لتوجهه بين يدي اعظم العظما ومثله رفع اليدين
عند التكبير للصلاة لان المصلي يستعظم وقوف من هو في
وجهه بين يدي من ليس في وجهه سبحانه وتعالى الثاني ان
العبادة في سؤال المملوك ذلك ليضع في يده ما يسأله منه
فكان الداعي يشبه المعقول بالمحسوس مع ما يؤذن به من
التواضع وخفض الجناح بين يدي الملك الفتاح الثالث

قال القرافي رحمه الله واما رفع اليدين عند السوال الى جهة
السما فهو مستحب لانها قبلة الدعا وفيها ايضا اشارة الى ما
وصف للدعوا من الجلال والكبريا تنبيها بقصد جهة العلو على
صفة المجد ولما فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلا
وعذري بضم العين المعجمة وكسر الذال المعجمة الخفيفة الحربي
الحادي عشر عن ابي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته
قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي
حديث صحيح الكلام عليه من وجوه احدها الحسن روي عن
جده ووالده وخالته هند بنت ابي هالة ولد في شعبان سنة
ثلاث وقيل بعد ذلك وهو اكبر من الحسين بعام وقيل بعامين
وعشرة اشهر قال ابو احمد العسكري سماه النبي صلى الله عليه
وسلم الحسن وكناه ابا محمد قال ولم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية
ثم روي عن ابن الاعرابي عن المفضل قال ان الله عجب اسما
الحسن والحسين حتى سماهما النبي صلى الله عليه وسلم ابنيه
الحسن والحسين قال قلت فالحسان بالهمز قال ذلك حسن
باسكان السين وحسين بفتح واسكان السين انتهى وروى
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
للحسن اللهم اني احبه فاحبه وروى ابو سعيد وغيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الحسن والحسين سيدا شباب
اهل الجنة وعن معاوية قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يمص لسانه او قال شفتيه يعني الحسن فانه لن يعذب لسان

او شفتان

او شفتان مصهما النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحسن البصري
عن ابي بكرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء الحسن
حتى صعد المنبر فقال ان ابني هذا سيد وان الله سبحانه سيصلح
به بين فيتين عظيمتين من المسلمين وكان الحسن رضي الله عنه
جوادا ربما اجاز لواحد مائة الف وروي انه حج خمس عشرة حجة
ماشيا والنجايب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم
الله في ماله ثلاث مرات وروي انه اعتق سبعين امرأة وكان
قل ما يفارقه اربع حرائر وعن ابن سيرين قال تزوج الحسن
امرأة بمائة جارية مع كل جارية الف درهم ولما بايع الناس بعد
ابيه ولي الخلافة سبعة اشهر واحد عشر يوما ثم تركها خشية
سفك الدم فقال الواقدي وجماعة توفي سنة تسع واربعين
وقيل سنة خمسين وصلى عليه سعيد ابن العاص ودفن بالبقيع
روى عنه عايشة وجماعة من التابعين وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا روى له الاربعة الثاني قال
الطوفي سبط الرجل هو ابن بنته وقوله ريحانته اشارة الى
قوله عليه السلام في الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا
اي يسر بهما ويروح وقوله يريبك بفتح الباء وضمها لغتان والفتح
افصح يقال راب يريب ثلاثيا وارابه يريبه رباعيا من الريبة
وهي الشك والتردد انتهى وقال ابن العاكهاني الظاهر ان الحديث
امر ندب وارشاد ونخص على مكارم الاخلاق بالتورع عن
الشبهات لا امر ايجاب وفرض بحيث يكون من لم يتصف بذلك
عاصيا اتم كيف وقد تقدم في الحديث السادس الحلال بين
والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فكانت الشبهات غير

الحرام وحديث عمر رضي الله عنه مكسبه فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسبه فيه بعض شك احلال هو ام حرام خير من سوال الناس انتهى وقال الطوفي واما معناه فاترك ما فيه شك من الافعال الى ما لا يشك فيه منها وهذا اصل عند الورع وهو موافق لقوله الحلال بين والحرام بين الى قوله فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه ويروي عن زيد بن ثابت انه قال ما شئ اسهل من الورع اذا رابك شئ فدعه قال الطوفي وهذا اسهل على من سهله الله تعالى عليه وهو على كثير من الناس اصعب من ثقل الجبال وانما هذا شبيه بقول بعضهم سليم الصدور لاشئ اسهل من صيد الاسد قيل وكيف ذلك قال واحد بفتح راس الحوائج واحد بكسكش والله اعلم قال بعضهم انما كانت الشبهة مما يخشى التحقت بالحرام وان لم تكن فاحشة نهى على الاصل فمن باع سلعة بعشرة الى اجل ثم اشتراها ممن باعها منه بخمسة نقدا فهو حلال محض وعمل صحيح ولكن يشبه من اعطى خمسة بعشرة الى اجل فلما خاف الناس ولم يخف الله جاء هذا الصورة فصاحب الدين صورها بهذه الصورة ليلا ينكر الغريم والغريم استسهلها لنفسه لقلة دين او ضرورة فقال كثير من العلماء ذلك جايز وقال كثير منهم حرام والاقرب التحريم لان الله لا يجتمع عليه خافية والاعمال بالنيات فان علم الله بينهما انها بريئة من الدلسة والحيلة وان قلوبهم لم تتطبق على حرام لاجتناب ان يسئا الله ولا عقاب ولكن مرتكبها لم يسر على غرضه فقد يقال انه ارتكب ما لا يجوز وقدم على الربا وسانه الظن فيقال لهذا وامثاله دع ما يريبك الى ما لا يريبك

واياك

واياك وما يعذر منه انتهى قلت ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من فتاطر الربا الذين ان يبيع السلف من السلق قباه او مندبل بخمسة ثم يشتريه منه بعشرة ونحو ذلك مما يفعله اهل الربا الذين رسمت قدمهم فيه الملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه اشتراه بايعه باقل مما باعه لا يجوز عند مالك اصلا وعند ابي حنيفة ان كان قبل نقد الثمن لا يجوز وان كان بعده صح وكفى بالله شهيدا رقيبا على قلب من يفعل وكفى بالله عليما لنيته وقصده في فتطرته وغرق في بحر الربا ولا اقول ابتلك قدماه منه وابن هو من قوله عليه الصلاة والسلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وقول الحسن رضي الله عنه كانوا يعني الصحابة يتركون تسعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام فليتنبه الناس والله انه ليعلم ذلك ولكن الانسان ليطغى ان راه استغنى فنسال الله السلامة في الدين انه على كل شئ قدير الحديث الثاني عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث حسن صحيح رواه الترمذي وغيره وهكذا قال المصنف وقد رواه مالك في الموطا عن الزهري مرسلا قال ابن عبد البر الزهري فيه اسنادان احدهما مرسل كما رواه مالك والاخر عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة ثم بين طرقه وصححه وقال هذا الحديث من كلام جوامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الالفاظ اليسيرة وهو مما لم يقله احد قبله صلى الله عليه وسلم الا انه قد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

وصحف ابراهيم عليه نبينا وعليه وعلى سائر النبيين افضل
الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه
وروى ابو ادريس الخولاني قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف
ابراهيم قال كانت امثالا كلها فذكر الحديث قال وكان فيها وعلى
العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه
ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه انتهى قال ابن
الفاكهاني هذا خاص بالكلام واما من حسن اسلام المرء تركه ما
لا يعنيه فهو اعم من الكلام لان ما لا يعنيه التوسع في الدنيا
وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة والثناء على ذلك
فليس ذلك مختصا بترك بعض الكلام فقيه ما في قوله من عد كلامه
من عمله قل كلامه وزيادة على ما تقرر هذا من حيث مدلول
اللفظ والله اعلم وروى ابو عبيدة عن الحسن كان من علامة
اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وفي الحديث
الا انبيكم بامرين خفيف مونتهما عظيم امرهما لم يلق الله بمثلهما
الصمت وحسن الخلق وقيل للقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة
بم بلغت الحكمة قال قدرة الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني
وفي رواية صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وهذا
الحديث ربع الشريعة كما تقدم عن ابي داود قال الطوفي يقال عناه
الامر يعنيه اذا تعلقت عنايته به وكان من غرضه وارادته والذي
يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه
وسلامته في معاده وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه فاذا اقتصر
الانسان على ما يعنيه من الامور سلم من عظيم وذلك بعد من حسن
الاسلام لان السلامة من الشر خير عظيم والسلامة من الشر من

حسن

حسن الاسلام قال فان قيل لم قال من حسن اسلام المرء ولم يقل
من حسن ايمانه قلنا لانه قد سبق ان الاسلام هو الاعمال
الظاهرة والترك والفعل ضدان انما يتعاقبان على الاعمال الظاهرة
دون الباطنة لان الظاهرة حركات اختيارية فيها الترك والفعل
اختيارا والباطنة اضطرارية تابعة لما يخلقه الله عز وجل
في النفوس من المعلوم ويوقعه فيها من التسجية قال فان قلنا لم قال
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه على التعريف ولم يقل
حسن اسلام المرء قلنا لان ما لا يعني ليس هو كل حسن الاسلام
بل بعضه وانما جمع حسن الاسلام ترك ما لا يعني وفعل ما يعني فاذا
فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن اسلامه فان قيل
لم قال من حسن اسلامه ولم يقل من اسلامه قلنا لانه ترك
ما لا يعني ليس هو نفس الاسلام ولا خيرا منه بل هو صفة وهو
حسن وحسن الشيء ليس ذاته ولا خيره واما الاسلام نفسه
فهو الانقياد للعقائد والاركان الخمسة ونحوها كالجسم وتركها لا يعني كالشكل
واللون له ثم قال والذي يعني الانسان من امر معاشه ما يسعه
من جوع ويروبه من عطش ويستره من ظهور عورته ويعفه
من زناه وما يتعلق بذلك من وجوه دفع الضرورة لاجهة التلذذ
والتمتع والاستكثار والله اعلم الحديث الثالث عشر عن ابي
حمزة انس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم الكلام عليه
من وجوه احدها انس بن مالك ابن النضر الانصاري الخزرجي
البخاري يكنى ابا حمزة كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلة كان

بهما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين
فاتت به امه ام سليم الانصارية ام اخي طلحة واسمها الرميصا
ويقال الغميصا بنت ملحان فعرضت عليه خدمته قبلها فقالت
يارسول الله هذا انس كاتب لبيب يخدمك فخرج معه في خدمته
الي بدر وتوفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو ابن عشرين
سنة وبقي بعده بحوض ثمانين وكانت وفاته سنة احدي وقيل
سنة اثنين وقيل سنة ثلاث وتسعين وهذا ابن مايه وثلاث
سنين وقيل وعشر سنين وقيل وتسع ومات بقصره بالطف
عن نيف وتسعين من البصرة وقيل فرسخ ونصف وصلي عليه
قطن بن مدركة وهو اخر من مات بالبصرة من اصحاب رسول
الله صلي الله عليه وسلم سوي ابي الطفيل عامر ابن واثلة
الليثي ليث بني كنانة وهو الذي يقول وبقيت سهما في الكنانة
واحدا سبري به او بكسر السهم فاضله وكانت وفاته سنة
مايه وتوفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية
اعوام ولد عام احد وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قد دعا لانس بالبركة في ماله وولده وكان يقول اني لمن اكثر
الانصار مالا وولدا وحدثتني ابنتي انسية انه دفن لصلبه
الي مقدم الحجاج البصرة بضعا وعشرين ومايه ويقال انه
ولد له ثمانين ولد البيض فيهم ابني سوي تنتين حفصة وام
ام عمرو وثمانية وتسعون ذكرا روي عن النبي صلي الله عليه
وسلم الفا حديث ومايتا حديث وستة وثلاثون حديثا اتفقا
علي مايحو ثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين
وانفرد مسلم باحدي وسبعين روي عنه ابو امامه سعد ابن

سهل

سهل وغيره روي له الجماعة وعن ثابت عن انس قال جاءت
ام سليم الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت يارسول
الله انس ادع له فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة فانا
رايت اثنين وانا ارجو الثالثة وفي رواية دعي لي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل
حياته فاكثر الله مالي حتي ان بي لكرما يحمل في السنة مرتين
وولد لصلبي مايه وستة اولاد وكان يصلي فيطيل القيام
حتي تقطرت قدماه واتاه قهرمانه يوما فقال يا ابا حمزة عطشت
ارضنا فقام وتوضا وخرج الي البرية فصلي ركعتين ثم دعي فرايت
السحاب يلتحم ثم مطرت حتي ملات كل شيء فلما سكن المطر
بعث بعض اهله فقال انظر اين بلغت السماء فنظر فلم تعد
ارضه الا بشرا وكان ذلك في الصيف الوجه الثاني المراد بالايمان
هنا الكامل القيام والا فاصل الايمان حاصل بدون ذلك بدليل
ما سبق في حديث جبريل ان الايمان هو التصديق بالله تعالي الخ
وليس في ذكر هذا ونظير قوله تعالي انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا الاية والمعني
حتي يحب لاخيه من الخير مايحب لنفسه قال الشيخ ابو عمرو ابن
الصلاح رحمة الله تعالي عليه وهذا قد يعد من الصعب الممتنع
وليس كذلك ومعناه لا يكمل ايمان احدكم حتي يحب لاخيه في الاسلام
مايحب لنفسه والقيام بذلك يحصل بما نكتب له حصوله مثل ذلك
من جهة لا يراحمه فيها بحيث لا ينقص عليه شيئا من النعمة عليه
وذلك سهل علي القلب السليم وانما يعسر علي القلب الدغل عافانا
الله تعالي واخواننا اجمعين قال ابن الفاكهاني واما الغاشر وغير

الناصح والحاسد ونحو ذلك تناقص الايمان بالنسبة الى الاول فكم
من يريد لاخيه الخير الدنيوي والاخروي ومن يريد زوال نعمة
عن عبده او تنقص حاله بحسب حسده او غشه وعدم النصيحة
له الوجه الثالث في هذا الحديث من الفقه ان المؤمن مع المؤمن
ينبغي ان يكون كالنفس الواحدة فينبغي له ان يحب لنفسه من
حيث انها نفس واحدة ومصداقه الحديث الصحيح المؤمنون
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر ومن اخبث الاحوال ان يحمل على اخيه بما ليس
الخير اذا لم يوقعه هو لما ليكون كالذي قتل اخاه من اجل ان الله
لم يتقبل قربانه وتقبل قربان اخيه وقد ابن الزنا وظاهر هذا
الحديث التساوي وحقيقته التفضيل لان الانسان يحب
ان يكون افضل الناس واذا احب لاخيه مثله فقد رضي هو
في جملة المفضولين الا ترى ان الانسان يحب ان ينتصف من
حقه ومظلمته فاذا كمل ايمانه وكان لاخيه عنده مظلمة او حق
بادر الى انصافه من نفسه وادى الحق واذا كان عليه فيه مشقة
الوجه الرابع احد هنا بمعنى واحد وهي تستعمل في الاثبات والنفي
واما الاحد الذي للعموم فلا تستعمل الا في النفي نحو ما في الدار من
احد ونحوه الوجه الخامس النفس تذكر وتؤنث فمن التذكير
قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت الى قوله
تعالى قد جاءك اياتي فاول الاية يدل على التانيث واخرها يدل
على التذكير ومن التانيث قوله تعالى ونفس وما سواها الاية
الوجه السادس مقصود الشارع صلى الله عليه وسلم ايتلاف
النفوس وقلوب الناس وانتظام احوالهم وهو قاعدة الاسلام

الكبرى

الكبرى التي اوصى بها بقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا وبيان ذلك انه اذا احب واحد من الناس لباقيهم ما يحب
لنفسه احسن اليهم ولا يوذيهم واذا احسن اليهم ولم يوذيهم
احبوه فتسري بذلك بين الناس وسريان المحبة بينهم يسري
الخير ويرتفع الشر وبذلك ينتظم امر المعاش والمعاد وتصلح
احوال العباد ومحبة الانسان لغيره ما يحب لنفسه انما هو
باعتبار عقله ايحب له ذلك ويوثره من جهة عقله اما
التكليف بذلك من جهة الطبع فيصعب اذ الانسان مطبوع
على الاستئثار على غيره بالمصالح بل على القبطة والحسد
لاخوانه فلو كلف ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه بطبعه لافضى ذلك
الى ان لا يكمل ايمان احد الا نادرا قال الطوفي وهذا الحديث
عام مخصوص بان الانسان يحب لنفسه وطي زوجته او امته
ولا يجوز ان يحب ذلك لاخيه ما لكون المراة في عصمته لانه حرام
وليس له ان يحب لاخيه فعل الحرام وما اشبه ذلك من الصور
والله اعلم الحديث الرابع عشر عن عبد الله ابن
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث الثيب
الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق
للجماعة رواه البخاري ومسلم قال الطوفي المقصود
بهذا الحديث بيان عصمة الدماء وما يباح منها وما في لا يباح
والاصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا اما عقلا فلان القتل
افساد الصورة الانسانية المخلوقة في احسن تقويم
والعقل ينكر ذلك واما شرعا فلقوله تعالى ولا تقتلوا النفس

التحريم الله الا بالحق الخ وقوله تعالى ومن قتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقوله عليه الصلاة والسلام فاذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقوله عليه
الصلاة والسلام ليحجزن احدكم ان يحول بينه وبين الجنة
ملاكف مسلم بغير حق وقوله عليه الصلاة والسلام
من ايمان عمي قتل ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه
ايس من رحمة الله تعالى ثم استثنى من ذلك ثلاثة يجوز
قتلهم لتعلق المصلحة به بل يجب على الامام ذلك احدهم الزاني
يقتل رجما وهل يجلد قبل الرجم فيه خلاف واوجبه احمد وبقاه
الشافعي اعني الجلد ودليل قتله ما ثبت من القرآن المنسوخ
لفظا الثابت حكما الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
ولان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية والجهينة
التي اعترفت بالزنا فرجمها انيس لان الزنا مفسدة عظيمة
فكان الحكمة في دريها بهذا والشيب احتراز عن البكر فانه يجلد
ويغرب ولا يرجم وتفاصيل ذلك في الفقه والثاني القاتل يقتل
قصاصا لقوله عز وجل النفس بالنفس وكلم في القصاص حياة
ورضخ النبي صلى الله عليه وسلم راس يهودي بين حجرين
قصاصا لجاريته فعل بها ذلك واقتص الخلفا بعده واجمع عليه
الناس ولان في القتل لعدوان مفسدة عظيمة وفي القصاص
مصلحة عظيمة جسيمة وافقة لها فوجب لذلك والثالث التارك
لدينه المفارق للجماعة يعني المرتد يقتل لان في افراده خللا
لنظام عقد الاسلام فوجب قتله دفعا لذلك واختلف في المراة
المرتدة هل تقتل ام لا فالشافعي واحمد تقتل لقوله عليه

الصلاة

الصلاة والسلام من بدل دينه فاقتلوه وهو عام في قتلها كالرجل
ولان اشارة الحديث المذكورة الى ان العلة تبديل الدين وهي
موجودة في المراة فوجب قتلها كالرجل وقال ابو حنيفة لا تقتل
لنهيه عليه الصلاة والسلام عن قتل النساء وهو خاص فيهن
فيقدم على عموم من بدل دينه فاقتلوه وكان السلف في قتل الزنجل
في الزنجل انه كان قد اقدر بالكفر وكثر سوادهم وحارب المسلمين وكف
عما رتهم بالقتل وهذا مفقود في المراة فانها ليست من اهل الحرب
والمقاتلة فلا يخاف منها والاول اجود لسلامة علته من التخصيص
فان من لا مقاتلة له كالاعمى والزمن والاشرح ونحوهم وقوله المفارق
للجماعة اي بقلبه واعتقاده بخلاف قوله البيعان بالخيار ما لم
يتفرقا فان المراد التفرق بابدانهما فان قتل النبي صلى الله عليه
وسلم استثنى الزاني والقاتل والمرتد من المسلم واستثنى
الزاني والقاتل منهم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجانهما عن الاسلام
واما المرتد فاستثناؤه من المسلم مشكل لانه بالردة يصير
كافرا واستثنا الكافر من المسلم لا يجوز فالجواب انه استثنى
من المسلم باعتبار ما كان قبل ردته خصوصا وعلاقة الاسلام
مرتبطة به دليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا ولهذا قال بعضهم
لا يجوز ان يشترى الكافر المرتد لبقاء علقة الاسلام واكثر ما في
هذا الحديث الجمع بين حقيقة المسلم ومجازه في مسئلة واحدة
وهي مسئلة خلاف والظاهر جوازه خصوصا اذا اقتضاه دليل
هذا كلام الطوفي ثم قوله لا يحل دم امرئ مسلم هو على حذف مضاف
واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير لا يحل مراقة دم امرئ
مسلم والدم اصله دمي ولذلك ظهرت في اللام التثنية قال الشاعر

فلو اتا على حجر ذبحنا حجري الدميان بالخبر اليقين ويقال امرء ومرو قال الله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وفي الانثى امراة ومراة ومرة بغير همز في الاخيرة ويقال ايضا رجله ولا فرق في هذا الحديث بين الذكر والانثى من حيث الحكم الشرعي وانما خص الذكر لانه الاصل ولانه اشرف في اللفظ من ذكر الانثى وهو كقوله عليه الصلاة والسلام من اعتق شركا له في عبد الحديث وكقوله عليه الصلاة والسلام من قام رمضان ايمانا واحتسابا وغير ذلك من الاحاديث التي لا تستكر فيها ان القصد المساواة بين الرجل والمراة حكما والثيب هو المحصن وهو اسم جنس يدخل فيه الذكر والانثى والاحصان شروط ستة جمعها القاضي زين الدين بن رستق في قوله شروط الحصانة ستة اتت ، تحذرها على النفيس مستفهما بلوغ وعقل وحرية ، ورابعها مسلما وعقد صحيح ووطء مباح ، متى اختل شرط فلن يرجما ثم ها هنا مسايل الاول ان الله عز وجل قال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية اوجب قتلهم وليس زناه ولا قاتلين ولا مرتدين فبطل حصر من يجوز قتله في الثلاثة المستثنين في الحديث والجواب ان العلما اختلفوا في قطاع الطريق فقال بعضهم ان قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا وقتلوا اقتلوا او اخذوا المال فقط قطعوا وهو لاء ورد السوال عليهم لانهم لم يقتلوا منهم الا قتالا كما في الحديث وذهب بعضهم الى تخيير الامام فيهم بين القتل والصلب والقطع والنفي وهو ظاهر الاية لكنا يلزمهم الجواب عن السوال المذكور وجوابهم عنه

بان قتل

بان قتل قطاع الطريق وان لم يقتلوا تتلوا ثبت بدليل اورد على الحديث على انه صدر من النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الاية فلا تنافيه زيادتها عليها بخلاف ما لو كان صدوره بعدها فانه يصير مصادما المسيلة الثانية في هذا الحديث دليل على ان اللائط لا يقتل لانه ليس واحدا من هذين المذكورين ولا يسمى زانيا في اللغة فان الزنا هو عبارة عن ايلاج فرج محرم مشتهى طبعا خال عن ملك وشبهة وهو مسيلة فلان مذهبنا المسيلة الثالثة قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم مفهومه حل دم الكافر حربيا كان او ذميا لعموم المفهوم منها لكن خرج منه الذمي بدليل منفصل عن الحديث فلا يجوز قتله في الذمة فيبقى الحربي على مقتضى المفهوم المسيلة الرابعة قوله عليه الصلاة والسلام النفس بالنفس موافق للاية الكريمة فيقتضي ان يقتل حرا بعبد ومسلما بذمي وورد في مسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بذمي وقال انا احق من وفى بذمته ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافى دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم ولقوله صلى الله عليه وسلم العمد قود الا ان يعفو ولي المقتول وخالف مالك والشافعي واحمد لقوله عز وجل الحر بالحر والعبد بالعبد مفهومه ان الحر لا يقتل بالعبد لان العبد ناقص فلا يوخذ به كامل لان ذلك خلاف ما يقتضيه لفظ القصاص ومعناه ورد هذا بان لا مساواة في الانفس كما لو قتل عشرة واحدا او قتل صحيح سليم كبيرا ضعيفا او رجل امراة مع نقصان عقلها ودينها ونقصان ديتها عن دية الرجل فثبت ان الاعتبار بالمساواة

في ايجاب القصاص في النفس وان الكامل يقاد منه للناقص
وروي ابن ابي شيبة حدثنا عن ادريس عن ليث عن الحكم عن
علي كرم الله وجهه وعبد الله رضي الله عنه قال اذا قتل المسلم
يهوديا قتل به وروى الطحاوي عن البراء ابن سمرة ان رجلا من
المسلمين قتل رجلا من العبايدة قال فقدمه اخوه الى عمر ابن
الخطاب فكتب عمر ان يقتل فجعلوا يقولون يا هبار قتل بجعل يقول
حتى يأتي الغيظ قال فكتب عمر ان لا يقتل ويودي الدية ورد ي
ان الكتاب ورد بعد ان قتل وانه انما كتب بان يسيل الصحيح
على الدية حتى كتب اليه من فرسان المسلمين فحولا من اعلام
الصحابة رضي الله عنهم ولا نعلم لهم مخالفا من نظارهم واحتجوا
ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام ولا يقتل مسلم بكافر ولا
ذي عهد في عهده ولتحرير الدليل لموضع غير هذا **المسيلة**
الخامسة قال الطوفي عموم قوله النفس بالنفس يقتضي وجوب
القصاص في القتل بالمثقل كالخشبة والحجر وهو قول الشافعي
واحمد ولانه اخذ نفس بنفس فاوجب القصاص كالقتل بالمحدد
وقال ابو حنيفة لا قصاص فيه ولو رماه بابا قبيس هذا لفظة
ابا ابا قبيس وهو لغة في ابا مثل عصي لان القتل بالمثقل ليس
بكامل فلو يوخذ به قتل كامل وذكر يلزمهم في مثل قتل الحر بالعبد
انتهى قلت وذكر يلزمهم في قتل الحر بالعبد فيه نظر لان قتل الحر
بالعبد كامل من حيث انه قتل انما النقصان في المقتول لا في القتل
واما القتل بالمثقل فانه قول ناقص فلا يوخذ به قتل بالسيف وهو
كامل قتله ولان القصاص مبني على المساواة والمماثلة وقتل القاتل
بالمثقل كما قيل ممتنع لعدم كيفية المماثلة وقتله بالسيف غير مماثل

المسيلة

وقف الله تعالى على طلبة العلم بالازهر وعمره حرق الدين
المسيلة السادسة قال الطوفي عموم قوله التارك لدينه
يقتضي انه اذا تهود نصراني او تنصر يهودي انه يقتل لانه تارك
لدينه والقايل ان يقول التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزاني
والقاتل وحينيذ لا يدل على ما ذكرتم وهو سوال صحيح **المسيلة**
السابعة قوله الثيب والقاتل والمرتد هي بيان لقوله الاباحدى
ثلاث يعني خصال وابدل منهم والثلاثة المذكورون لا يصح ابدالهم
من الخصال لان المذكر لا يبدل من المونث والجواب ان هذه تدل
على المعنى والتقدير الا باحدى ثلاث اي خصال الزاني والقاتل
والمرتد وخصلة الزاني وخصلة ذي النفس اي قاتل النفس
ونحو هذا من التقدير والله اعلم **المسيلة الثامنة** اذا قتل
الرجل عبده قال النخعي والثوري في احد قوليه يقتل به وقال عامة
الفقها لا يقتل به احتج الاولون بما رواه النسائي من حديث الحسن
عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده
قتلناه ومن جدعه جدعناه ومن خصاه خصيناه وقال البخاري
وانا اذهب اليه واحتج الجمهور بان الله تعالى جعل ذكر الولي بدليل
قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا وولي العبد مولاه في حياته وبعد
وفاته ولا يملك العبد شيا لقوله تعالى عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ينفي
ملكه نفيا عاما من كل شيء فلم يجز ان يثبت له بذلك القود على احد
وحديث سمرة معارض بما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رجلا قتل عبده متعمدا فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ونفاه
سنة ومحى اسمه من المسلمين ولم يقده به فنفى هذا الخبر ظاهرا
اثبته خبر سمرة مع احتمال خبر سمرة لان يكون الرجل اعتق عبده
ثم قتله او جوعه او لم يقدم على ذنب ولكنه هدده فبلغ ذلك الشارع

فقال ذلك مع ان اهل الحديث يقولون ان الحسن لم يسمع من سمرة
الا حديث العقيقة فهو منقطع به المسئلة التاسعة اختلف
الفقهاء في قتل الوالد بولده فقال عامتهم لا يقتل وعليه الدية في ماله
قال بذلك اصحابنا والاوزاعي والشافعي وسوا بين الجد والاب وقال
مالك يقتل به ويدرء عنه اذا ذبحه قتل به وان حذفه بالسيف لم
يقتل به وحجة العامة حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يقتل والد بولده وهذا خبر مستفيض مشهور
وقد حكم به عمر ابن الخطاب بحضرة الصحابة من غير خلاف من واحد
منهم عليه وهذا يخص ايات القصاص ويدل على ان الوالد غير
مراد بها المسئلة العاشرة قال الشيخ تقي الدين قد يوخذ
من قوله المخالف للجماعة بمعنى المخالف لاهل الاجماع فيكون متعمدا
لمن يقول بمخالف الاجماع كافرا وقد نسب ذلك الى بعض الناس
وليس ذلك بالبين وقد قدمنا الطريق في التكفير بالمسايل
الاجماعية تارة يصححها التواتر بالنقل عن صاحب الشرع
لوجوب الصلاة مثلا وتارة لا يصححها التواتر فالقسم الثاني
لا يكفر به جاحده لمخالفته التواتر لا لمخالفته الاجماع والقسم الثاني
لا يكفر به وقد وقع في هذا الكلام من يدعي التحقيق في المعقولات
ويميل الى الفلسفة فظن ان المخالف في حدوث العالم من قبيل
مخالفة الاجماع واخذ من قول من قال انه لا يكفر بمخالف الاجماع
ان لا يكفر هذا المخالف في هذه المسئلة وهذا كلام ساقط اما عن
عمي في البصيرة او تعام لان حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه
الاجماع والتواتر بالنقل عن صاحب الشرع فيكفر المخالف

بسبب

بسبب مخالفته الاجماع انتهى المسئلة الحادية عشر قال
الاثيلي وقد اختلف العلماء في تارك الصلاة متعمدا غير جاحد
لوجوبها فمنهم من قال يكفر بتركها وان كان مقرا بوجوبها لقوله
صلى الله عليه وسلم لمن الله يلعن ما منعكل ان تقبل الست
برجل مسلم ومعناه ان من لم يصل فليس بمسلم وانما تركه لقوله
اني كنت صليت في اهلي فصدقه ممن ترك الصلاة متعمدا وهو
قادر على فعلها فقد روي تكفيره عن علي وابن عباس وجابر
وابي الدرداء رضي الله عنهم وعن عمر رضي الله عنه لا حظ في
الاسلام لمن ترك الصلاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه من
لم يصل فلا دين له وقال ابراهيم النخعي ايوب السختياني وابن
المبارك واحمد ابن حنبل واسحاق بن راهوية من ترك صلاة
واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها من غير عذر ولا ضرورة فقد كفر
وقال لا اصلي فهو كافر ودمه وماله حلال ولا يرثه ورثته من
المسلمين ويستتاب فان تاب والا قتل وحكم ماله حكم مال
المرتد قال اسحاق وذهاب الوقت ان يوخر الظهر الى غروب
الشمس والمغرب الى طلوع الفجر قال وقد اجمع العلماء على ان من
سب الله او رسوله او دفع شيئا مما انزل الله او انكره فهو كافر
وكذلك تارك الصلاة حتى يخرج وقتها عامدا قال ولقد اجمعوا
في الصلاة على شئ لم يجمعوا عليه في غيرها لانهم قالوا من عرف بالكفر
ثم رؤي يصلي الصلاة في وقتها وتكرر ذلك منه ولم يعلم منه اقرار
باللسان انه يحكم له بالايمان ولم يحكموا له في الصوم والحج بمثل ذلك
قال فمن لم يجعل تارك الصلاة كافرا فقد ناقض وخالف اصل قوله
وقول غيره ولقد كفر ابليس اذ لم يسجد السجدة التي امر بسجودها

فكذلك تارك الصلاة حتى يخرج وقتها وقالا احمد ابن حنبل لا اكفر احدا
بذنب الا تارك الصلاة ثم ذكر استتابته وقتله وحجة من قال
بذلك حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بين العبد
والشرك والكفر ترك الصلاة وحديث بريدة عن النبي صلى الله
عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر
وقوله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة العصر حبط عمله
يعني متعمدا وقد احتجوا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان اذا
غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فاذا اصبح فان سمع اذانا امسك
وان لم يسمع اذانا اغار ووضع السيف واحتجوا ايضا بقوله تعالى
اقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين وحديث ابي هريرة
من ترك الصلاة حشر مع فرعون وهامان وابي بن خلف وحديث
انس من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فذلكم من المسلمين وقال
الشافعي رحمه الله تعالى يقول الامام لتارك الصلاة صلي فان قال
لا اصلي يسئل فان ذكر علة في جحده امر بالصلاة على قدر طاقته
فان ابى قتل وورثه ورثته من المسلمين وهو قول اصحاب مالك
وبعضهم يرويه عن مالك وبه قال ابو ثور وهو قول مكحول وحماد
ابن زيد ووكيع وحجتهم ان ابا بكر رضي الله عنه استحل دماء مانعي
الزكاة وقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فقاتلهم
على ذلك واراق دماءهم ومعه جمهور الصحابة فمن امتنع من اقامة
الصلاة كان احرى لان الصديق جعلها اصلا وشبهها الزكاة وسلموا
انهم كانوا مقرين بالاسلام يومئذ ثم ان عمر رضي الله عنه كيف لا
نقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم

واموالهم

واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر وهذا من حقها والله لاقاتلن من
فرق بين ما جمع الله تركوا قول لا اله الا الله وصاروا مشركين وقد روي انهم قالوا
لابي بكر ما كفرنا بعد ايماننا ولكن شححنا على اموالنا وقال قائلهم
اطعام رسول الله ما كان بيننا فيما مضى ما بال ابي بكر فسار اليهم
اليهم ومعه عمر وسائر الصحابة وبعث خالد ابن الوليد الى قتال
مانعي الزكاة وهذا كله مما احتج به الشافعي وقال فيه دلالة على ان
من امتنع مما افترض الله عليه كان حكمه على الامام اخذه به وقتاله
عليه وان ابى ذلك على نفسه واما توريث ورثته فلان عمر لما ولي
رد على ورثة مانعي الزكاة ما وجد من اموالهم في ايدي الناس وقد
كان ابو بكر رضي الله عنه سبا هم كما سيأتي هذا الرده فخالفه عمر
رضي الله عنه في ذلك لصلاتهم وتوجيههم ورد الى ورثتهما اموالهم
وجماعة من الصحابة ولم ينكر ذلك عليه احد واحتج الشافعي
رحمه الله بحديث ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سيكون بعدي امراء فتعرفون
وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كرهه فقد سلم لكن من رضي
وتابع قالوا يا رسول الله الا نقاتلهم قال لا ما صلوا وفيه دليل
على انهم ان لم يصلوا الخمس قوتلوا ومن جحتهم ايضا قوله
صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل المصلين فمن لم يصل
لم ينههم عن قتله وقال للذين ارادوا قتل رجل اليس يصلي
قالوا بلى ولا صلاة له فنهاهم عن قتله وقال لصلاته اولئك الذين
نهاني الله عن قتلهم وقال اني لم امر ان انقب عن قلوب الناس
ولا بطونهم واعتل الشافعي رحمه الله ومن قال بقوله في دفع
الاثار المروية في تكفير تارك الصلاة بان قالوا المراد من تركها

جاحدا منكرا لفرضيتها وقالوا قد يراد بالكفر كفر النعمة كما قال من
رغب عن نسب ابيه فقد كفر وكقوله سباب المسلم فسوق وقتاله
كفر ولا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وتاولوا قوله لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن على انه لا يفعل ذلك وهو مستكمل الايمان
وكذلك قولهم لا خط في الاسلام لمن ترك الصلاة اي لا كبير حظ له
كامل وكذلك ما اشبهه ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد من اتى بهن لم
يضيع منهن شيئا كان له عند الله عهدا ان يدخله الجنة
ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهدا ان شاء عذبه وان
شاء غفر له ومذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ان تارك الصلاة
فاسق وهو مومن لتصديقه ويضرب ضربا مبرحا ويسجن
حتى يتوب وهو قول ابن شهاب وطائفة من اهل الحجاز
والعراق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها قالوا فحقها الثلاثة
التي ذكرها صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الكفر بعد
ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير نفس قالوا والكافر
جاحد وتارك الصلاة والمقر بالاسلام غير جاحد ولا كافر وليس
بمستكبر ولا معاند وانما يكفر من جحدها واستكبر عنادا لها
قالوا وقد كان مومنا قبل تركها بيقين فاذا تركها فلا يجب
قتله الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف قالوا فاجب القول
بانه ما قيل في ذلك وهو الضرب والسجن انتهى كلامه وقال
الشيخ تقي الدين وقد استدل بهذا الحديث على ان تارك الصلاة

لا يقتل

لا يقتل بتركها فان ترك الصلاة ليس من هذه الاسباب
الثلاثة من زنا المحصن وقتل النفس والردة وقد حصر النبي
صلى الله عليه وسلم اباحة الدم في هذه الثلاثة بلفظ النفي
العام والاستثناء منه لهذه الثلاثة وبذلك استدل شيخ
والدي الامام الحافظ ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي
في ابيانه التي نظمها في حكم تارك الصلاة انشدنا الحافظ
ابو الحسن علي ابن المفضل المقدسي لنفسه يقول
خسر الذي ترك الصلاة وخابا ... وابا معاذا صابها وصابا
ان كان يجحدها فحسبك انه ... امسى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها لنوع تكاسل ... عظمت على وجه الصواب عقابا
فالشافعي ومالك رأيا له ... ان لم يتب حد الحسام عقابا
وابو حنيفة قال يترك مرة ... مهلا ويحبس مرة ايجابا
والظاهر المشهور من اقواله ... تعذيره زجرا له وعقابا
والراي عندي ان يؤدبه الامام ... بكل تاديب يراه صوابا
ويكف عنه القتل طول حياته ... حتى يلاقي في المآب حسابا
فالاصل عصمته الا ان يرتكب ... احدى الثلاث الى الهلاك ركابا
الكفر او قتل المكافئ عامدا ... او محصن طلب الزنا فاصابا
نعم من المنسوبين الى اتباع مالك اختار خلاف مذهبه في ترك
قتله وامام الحرمين ابو المعالي الجويني استسهل قتله
من مذهب الشافعية ايضا وجاء بعد المتاخرين ممن
ادركنا زمنه فاراد ان يزيل الاشكال فاستدل بقوله عليه
الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله وان رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا

الزكاة ووجه الدليل منه انه وفق العصمة على مجموع الشهادتين
واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والمذنب على اشياء لا يعصل الا بحصول
مجموعها وتنتفي بانتفاء بعضها وهذا ان قصد به الاستدلال
بالمنطوق وهو قوله عليه الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس
حتى الخ فانه يقتضي بمنطوقه الامر بالقتال الى هذه الغاية فقد زال
وسمى لانه فرق بين المقاتلة على الشيء والقتل عليه فان
المقاتلة مفاعلة تقتضي الحصول من الجانبين ولا يلزم من اباحة
المقاتلة على الصلاة اذا قوتل عليها اباحة القتل عليها من
المتنع عمدا فعلها اذا لم يقاتل ولا استحال بان قوما لو تركوا
الصلاة ونصبوا القتال عليها انهم يقاتلون اما النظر والحلاق
فيما اذا تركها انسان من غير تعصب فتاركها يقتل ام لا فتامل
الفرق بين المقاتلة على الصلاة والقتل عليها وانه لا يلزم من
اباحة المقاتلة عليها اباحة القتل عليها وان كان اخذ هذا
من لفظ اخر الحديث وهو ترتيب العصمة على فعلهم فانه
يدل بمفهومه فدل على انها لا ترتيب على فعل بعضه هان الخطب
لان هذه دلالة مفهوم والخلاف فيها معروف مشهور وبعض من
ينازعه في هذه المسئلة لا يقول بدلالة المفهوم ولو قال بها فقد
ترجح عليها دلالة المنطوق في هذا الحديث انتهى كلامه تنبيه
قال ابن الفاكهاني اللام في قوله عليه الصلاة والسلام لتارك
لدينه وفي المفارق للجماعة الظاهر انها زائدة كما زيدت في قوله
تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وفي قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت ونحو ذلك فان تارك وفارق متعديان لانفسهما
واسم الفاعل من الفعل المتعدي متعد كفعله كما ان القاصر

كذلك

كذلك تزيدت في اسم الفاعل كما زيدت في الفعل والا فالاصل
التارك دينه والمفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول
الضارب لزيد وكان زيادتها لتوكيد المعنى والله اعلم الحديث
الخامس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم قال الطوفي اللام في
ليقل او ليصمت وليكرم لام الامر ويصمت قال الشيخ بضم الميم
قال الطوفي وقد سمعناه بكسرها مضارع خوضرب يضرب
ويفعل بضم العين فيه مثلث وخل بفتح عليه ابن جني من الخصائص
والصمت السكوت مع القدرة على الكلام فان كان عن العجز
عنه فاما لفساد آلة النطق فهو الخرس او لتوقفها وهو العي
انتهى وقال الجوهري يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا اذا
سكت واصمت مثله وظاهر هذا انه مجرد السكوت وكلام الطوفي
يشعر بانه السكوت مع القدرة على الكلام قال الطوفي وقوله
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ظاهره
توقف الايمان على هذه الاشياء المذكورة اكراما لكبار والضيف
وقول الخير او الصمت وليس كذلك انما هو المبالغة في الاستجلاب
على هذه الافعال كما يقول القايل ان كنت ابني فاطعني ونحوه
تحريضا وتحبيبا له على الطاعة لا على ان بانتفاء طاعته ينتفي
انه ابنه او على ان المعنى من كان كامل الايمان بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليصمت وليكرم جاره فيكون متوقفا على هذه

الافعال كمال الايمان لا حقيقته ولا التاويلين جيد ثم في الحديث ثلاثة
احكام احدها امر المؤمن اما ان يقول خيرا او يسكت لان قول الخير
غنيمة والسكوت عن الشر سلامة وفوات الغنيمة والسلامة
ينافي حال المؤمن وما يقتضيه شرف الايمان لان الايمان مشتق
من الامان ولا امان لمن فاتته الغنيمة والسلامة وضبط هذا
الموضع ان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان تكلم فاما بخير وهو
ربح او شر وهو خسارة فللانسان في كلامه وسكوته ربحان ينبغي
ان يحصلهما وخسارتان يتخلص عنهما انتهى ومعنى الحديث ان المؤمن
اذا اراد ان يتكلم فليتفكر قبل كلامه فان علم وتحقق ان ما يتكلم
به خير متحقق لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر الى كلام محرم او مكروه
فليتكلم وان كان مباحا فالسنة السكوت عنه لما قاله العلماء
رحمهم الله تعالى قالوا لانه انما ادى الكلام المباح الى المكروه او
المحرم وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وظاهر
الاية انهما يكتبان المباح وان كان قد قيل انهما لا يكتبان الا ما
كان فيه ثواب او عقاب قال محمد بن الحسن رحمه الله اخبرني
هشام بن عروة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ان الملائكة لا تكتب الا ما فيه اجر او وزر وقيل يكتب ثم تستنسخ
منه قبل ان يعرض على اللوح المحفوظ كل اثنين وخميس فما كان
فيه جزاء خير وشر يثبت وما لم يكن فيه جزاء خير وشر يطرح لقوله
تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وقيل يكتب ويستنسخ
يوم القيامة لانه يوم الحساب والجزاء وفي المحيط الكلام على
ثلاثة اقسام منها ما يكتسب به اجرا كالتمجيد والتحميد
والتسبيح ونحوه وقد لا يوجر عليه ويأثم به في حال كمن ذكر الله

او سبح

او سبح الله في مجلس الفسق على انه يعمل عمل الفسق فهو حرام
وكذا التاجر لو فتح متاعه لمشتريه وسبح الله تعالى او صلى
على النبي صلى الله عليه وسلم واراد به كذا اعلام المشتري جودة
متاعه يكره وكذا قول القفال عند فتح القفاع لا اله الا الله
او يقول صلى الله على محمد يأثم لانه يأخذ لذكر الله ثمنا بخلاف العالم
والغازي ولو سبح الله في مجلس الفسق على وجه الاعتبار
يعني اذا اشتغل بالتسبيح واتم بالفسق يوجر عليه وكذا من
قال لا اله الا الله في السوق يوجر الله من قوله وحده والتسبيح
بقراءة القرآن قيل لا بأس به لانه عليه السلام قال زينوا القرآن
باصواتكم وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال عامة
مشايخنا انه مكروه لا يحل الاستماع اليه لان فيه تشبها
بفعل الفسقة في حال تبسمهم وهو المتغني وكره ابو حنيفة
قراءة القرآن عند القبر وعند محمد لا يكره ومشايخنا اخذوا
بقول محمد وينتفع الميت به وينبغي ان يمنع الصوفية
ما يفعلونه من رفع الصوت وتحريف الثياب عند
سماع الغنى فان ذلك مكروه في الدين عند سماع القرآن
فما ظنك بالغنى وفيه ما يكتسب به وزر وهو الغيبة والنميمة
والشبهة والكذب محظور الا في مواضع في القتال مع العدو
والخديعة وفي الصلح بين اثنين وفي رضا الرجل اهله وفي
دفع الظالم عن المظلوم لقوله عليه الصلاة والسلام لا يصلح
الكذب الا في ثلاث الصلح بين اثنين وفي القتال وفي الرجل
اهله ثم قال بعضهم يرخص الكذب في هذه المواضع بلا تعريض
لهذا الحديث وقال بعضهم يرخص بالتعريض دون الكذب

المحض والتعريض ان يريد المتكلم باللفظ غير ما وضع له
اللفظ ولكنه يحتمله كما اذا قيل لآخر كل هذا الطعام فقال اكلت
يريد به الاكل بالامس لا الاكل للحال والتعريض بالكذب لغير حاجة
وضرورة قيل لا باس به لانه مما يحتمله اللفظ وقيل يكره لان
اللفظ ظاهره الكذب وان كان يحتمل الصدق فان السامع
يفهم منه الكذب فيكون في ذلك نوع تقرير وخداع والكذب
انما كره للتقرير والخداع فيكره وكذا الغيبة حرام الا في
حال وهو ان يكون رجل يقرأ الناس باليد واللسان فلا
غيبة في ذكره لقوله عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه وان
علم السلطان ليزجره فلا اثم عليه ولو اغتاب اهل قرية
لم تكن غيبة حتى يسمى قوم معروفين لان الغيبة انما تكون
غيبة للمعلوم قال عليه السلام كذب في اعين الانصار شيا انتهى
مخلصا وروى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يا تيل العشاء الا
غيابا بعدها اما ذاكرا فيختم واما نايما فيسلم وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم
فليلزم الصمت وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلم ابا ذر فقال يا ابا ذر الا ادلك على خصلتين هما
اخف على الظهر واثقل في الميزان من غيرهما قال بلى يا رسول
الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت والذي نفس
محمد بيده ما عمل الخلايق بمثلهما وقال الخصلة الصالحة تكون
في الرجل فيصلح الله عز وجل له بها عمله كله وظهور الرجل
وصلاته يكفر الله بظهوره ذنوبه وتبقى صلاته له نافلة ،

وعن

وعن انس ان لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل
يفعله هكذا بيده فجعل لقمان يتعجب ويريد ان يساله فتتنعه
الحكمة ان يساله فلما فرغ صنعها على نفسه وقال نعم
درع الحرب هذه فقال لقمان ان الصمت من الحكمة وقيل
ناعله كنت اردت ان اسالك فسكت حتى كفيتني وقال ابو العتاهية
ان كان يعجبك السكوت فانه قد كان قبلك يعجب الاخيارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا
واذا قرين بجانب من حاسر زادت به اكثارة وقتارا
انتهى كلام البيهقي وقال الاستاذ ابو نصر القشيري رحمه الله
فاما اثار ارباب المجاهدة السكوت فانما علموا ما في الكلام
من الافات ثم ما فيه من حظ النفس في اظهار صفات المدح
والميل الى ان يتميز بين اشكاله بحسن النطق وغير هذا
من افات الخلق وذلك نعت ارباب الرياضات وهذا هو
احد اركانهم وحكم المنازلة وتهذيب الخلق وقيل ان داود
الطائي لما اراد ان يقعد في بيته اعتقد ان يحضر مجالس
ابي حنيفة او كان تلميذا له ويقعد بين اصحابه من العلما
ولا يتكلم في مسيلة فلما قوي نفسه على ممارسة هذه الخصلة
سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك واثر العزلة وكان عمر
ابن عبد العزيز اذا كتب كتابا فاستحسن لفظه مزق
الكتاب وغيره وقال بشر ابن الحارث اذا اعجبك الكلام فالصمت
واذا اعجبك الصمت فتكلم وقال سهل ابن عبد الله لا يصح
لاحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا يصح له التوبة

حتى يلزم نفسه الصمت وقال ابو بكر الفارسي اذا كان العبد
ناطقا فيما يعنيه وما لا بد له منه فهو في حد الصمت ويروى
عن معاذ بن جبل انه قال لهم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك
يرى الله وقيل لذا النون المصري ما اصون الناس لنفسه
قال املكهم للسانه وقال ابن مسعود ما شيء احق بطول السجن
احق من اللسان وقيل ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
كان يمسك في فيه حجرا ليقل كلامه وربما يكون السكوت
يقع على المتكلم تاديبا له لانه اساء ادبه في شيء كان التكلم اذا
قصد في خلقته ولا يسالونه يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا
فهم لا ينطقون وربما وقع السكوت على المتكلم لان في القوم من هو
اولى بالكلام منه وربما يقع السكوت لمعنى في الحاضرين وهو
انه يكون هناك من ليس باهل لسماع ذلك الكلام فيصون
الله لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام ممن غير اهل
وربما كان سبب السكوت الذي يقع على المتكلم ان بعض
الحاضرين كان يعلم الله سبحانه وتعالى حاله انه يسمع ذلك الكلام
فيكون فتنة له اما لتوهمه انه وقته او لا يكون اولانه يحمل نفسه
ما لا يطيق فيرحمه الله عز وجل بان يحقط سمعه عن ذلك الكلام
اما صيانة له او عصمة عن غلطه وقال مشايخ هذه الطريقة
ربما يكون السبب فيه حضور من ليس باهل لسماعه من الجن
او لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن وقال
بعض الحكماء انما خلق للانسان لسان واحد وعينان واذنان
ليسمع ويبصر اكثر مما يتكلم انتهى وروى ان رجلا سال مالك
ابن انس رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال اوصني

فقال

فقال ان شئت جمعت لك علم العلماء وحكمة الحكماء وطب الاطباء
في ثلاث كلمات اما علم العلماء فاذا سيلت عن ما لا تعلم فقل لا
اعلم واما حكمة الحكماء فاذا كنت جليس قوم فكن اسكتهم
فان اصابوا كنت منهم وان اخطاوا سلمت من خطاياهم
واما طب الاطباء فاذا اكلت طعاما فلا تتكلم الا وتفسك تشتهيه
فانه لا يلم بجسدك عند صرض الموت والتشهد
والعبد الملك التشريقي اذا اضطررت الى الكلمة فدعها وبالسكوت
فلو كان نطقك من فضة لكان سكوتك من عسجد
وبالجملة فالاولى بالانسان التقليل من الكلام ما استطاع
ما لم يتعلق بذلك مصلحة دينية او دنيوية وخصوصا بعد
العشاء الاخرة خشية ان ينام عن الصبح بسبب سهر
اول الليل واما خشية ان يقع في الحديث من اللغو واللغط
ما لا ينبغي ان يختم به اليقظة وقد استثنى العلماء من ذلك
اربعة انواع العلم وجميع القربات والكلام مع العروس
والضيف والمسافر واما ما تدعوا الحاجة اليه من ضرورات
الانسان ومصالحه نحو حدث ونحو وهل وغير ذلك فخارج عن
هذا واليه اعلم قوله عليه السلام من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم جاره قال ابن الفاكهاني اختلف في حد الجيرة
فقال الاوزاعي اربعون دارا من كل ناحية خيبرة وقالت فرقة
من سمع الاقامة فهو جار ذلك المسجد ويقدر ذلك في الدور
وقالت فرقة من سمع الاذان وقالت فرقة من ساكن رجلا
في محلة او مدينة فهو جاره والمجاورة مراتب بعضها
اصعب من بعض اداناها الزوجة قال الاصمعي وجارتنا

بيني فانك مطالقة وبعد ذكر الجيرة الخلط بضم الخاء واللام
جمع خليط واختلف اهل التفسير في قوله تعالى والجار ذي
القربى والجار الجنب فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
وجمهم الجار ذي القربى هو الجار القريب النسب والجار
الجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقال سعيد الشامي الجار
ذو القربى هو الجار المسلم والجار الجنب هو اليهودي او
النصراني وقالت فرقة الجار ذو القربى هو الجار القريب
المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك قال ابن
عطية وكان هذا القول منتزع من الحديث قالت عايشة
رضي الله عنها يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال
عليه السلام اقربهما منك بابا وقيل الجار الجنب الزوجة
قال القاضي عياض رحمه الله تعالى معنى الحديث ان من التزم
شرايع الاسلام لزمه اكرام جاره وضيفه وبرهما وكل ذلك
تعريف بحق الجار وحث على حفظه وقد اوصى الله تعالى بالاحسان
اليه في الكتاب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل
يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه انتهى وقد قال اصحابنا
انه الجار الملاصق له له الشفعة اذا بعيت دار ليس لها شريك
لقوله عليه الصلاة والسلام جاز الدار احق بدار الجار وهذا
من رعاية حقوقه والله اعلم قال الطوفي رحمه الله تعالى
الجيران ثلاثة كافر فله حق واحد بالجوار ومسلم اجنبي فله
حقان بالجوار والاسلام ومسلم قريب فله ثلاثة حقوق بالجوار
والاسلام والقرابة كذا قاله بعضهم انتهى وفي البخاري
عن ابن شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله

لا يؤمن

لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن ذلك
يا رسول الله قال الجار لا يامن جاره بوايقه قال وما بوايقه
قال شره وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره
بوايقه وفي البيهقي من احب ان يحب الله ورسوله فليصدق
الحديث وليود الامانة ولا يوذي جاره وفيه عن المقداد بن
الاسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزني
الرجل بعشرة نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة جارة
ولان يسرق الرجل من عشرة ابيات ايسر عليه من ان يسرق
من بيت جاره وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده عن النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما حق الجار
اذا استعانك اعنته واذا استقرضك اقرضته واذا افتقر
عدت عليه واذا امرض عدته واذا اصابه خير هنيته واذا
اصابه مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستطل
عليه بالبنا تحجب عنه الريح الا باذنه ولا توذيه بريح قدر
واذا اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده اتدرون ما حق الجار
والجار والذي نفسي بيده ما يبلغ حق الجار الا قليل ممن رحمه
الله فما زال يوصيهم بالجار حتى ظنوا انه سيورثه ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له
ثلاث حقوق وجار له حقان وجار له حق واحد فاما الجار
الذي له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجيرة
وحق الاسلام وحق القرابة واما الذي له حقان فالجار المسلم

له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار
الكافر له حق الجوار قلنا يا رسول الله نطعمهم من نسكنا قال
لا تطعموا المشركين شيأ من النسك وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت فيشهد له اربعة
من ابيات اهل جيرانه الا ثلثة ايمن انهم لا يعلمون منه الا خيرا الا
قال الله عز وجل قد قبلت قولكم اوقال شهادتكم وغفرت له
ما لا تعلمون انتهى النقل من البيهقي قوله عليه الصلاة والسلام
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه قال اهل
اللغة الضيف يكون واحدا وجمعا ودليله قوله تعالى هؤلاء
ضيفي وجمع على اضياف في القلة والضيف والضيفان في
الكثرة والمراة ضيف وضيفة واما الفعل فيقال اضفت
الرجل وضفته اذا انزلته بك ضيفا والضيافة وضفت
الرجل ضيافة اذا انزل عليه ضيفا والضيافة من مكارم
اخلاق المؤمنين ومن محاسن الدين وسنن النبيين
يروى ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة
والسلام كان يسمى ابا الضيفان وكان له قصر له اربعة ابواب
وكان يمشي الميل والميلين في طلب من يقتدي معه ذكره
البيهقي والليث السمرقندي وروى البيهقي عن عبد
الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعام الطعام يا محمد قال ابن
الفاكهاني والجمهور على عدم وجوبها وقال الليث ابن سعد
هي واجبة ليلة واحدة محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم
ليلة الضيف واجبة على كل مسلم ويحتمل ان صح الحديث

ان يكون

ان يكون الوجوب هنا وجوب السنن كقوله صلى الله عليه
وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم وهو سنة عند الجمهور
ويقوي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الضيف جائزته يوم
وليلة والجائزة والصلة والعطية التي اصلها الذهب ثم كانت
في ابتدا الاسلام واجبة اذ كانت المواساة واجبة واما من
يخاطب بالضيافة فذهب مالك وسحنون الى انها على اهل
البادية لتعذر ما يحتاج اليه المسافر في البادية غالبا وتيسر
ذلك على اهل البادية غالبا وتعذر على اهل الحاضرة ومستقته
عليهم غالبا وذهب الشافعي وابن عبد الحكم من اصحابنا الى
ان المخاطب بها اهل البادية والحضر قال صاحب الافصاح في هذا
الحديث من الفقه ان من اكرام الضيف عباده ولا ينقصان ذلك
يضيف الانسان عتيا ولا يغيرهما ان يقدم الى ضيفه اليسير
مما عنده فاكرامه ان يسارع الى البشر في وجهه وتطييب الحديث
له وعماد الضيافة هو اطعام الطعام فينبغي له ان يبادر الى ما فتح
الله به من غير كلفة الى ان يتبعه ببذل الوسع من غير اضرار
باهله على انه اذا اثره ورغب البائنون من اهله في الايثار
ايضا فانه من الكرم فاما الاصاغر فليس لهم ان يحلهم على ذلك
واما حديث الانصاري الذي قال لامراته اطفئي المصباح ونومي
الصبيان فانه فعل ذلك في العادة في الصبر على الجيشا
ليلة انتهى قال ابن الفاكهاني وفيه نظر فان الطعام كان تعينا
متعينا واجبا حتما للصبيان ولامهم اذ لم يكن عندهم حينئذ
الا هو الا ترى قول المراة ليس عندي الا قوت الصبيان فكيف
يجوز ان تجيعهم وتتوعهم طاوين ساغبين حتى يطعم الضيف

الذي لم يجب عليه الطعام فيفعل المندوب ويترك الواجب بدلا
يسمي ذلك مندوبا الا يجوز ابدا هو بالمحرم اشبه فتامله فانه مشكل
جيدا وقد اقره عليه الصلاة والسلام على ذلك وقال يعجب الله
من ليلتكما وانا لا اعلم خلافا في وجوب نفقة المولود الصغير
غير البالغ على الاب القادر وقد اجاب الشيخ محيي الدين عن ذلك
في شرح المهذب بان قال انه محمول على ان الصبيان لم يكونوا محتاجين
حينئذ بل كانوا قد اطعموا حاجتهم واما الرجل وامراته فنبر بما بحقهما
وكانا صابرين فرحين بذلك ولهذا جاء في الاية والحديث الثناء عليهم
قال فان قيل قوله نؤمر صبيانك وغير هذا اللفظ مما جاء في الحديث
يدل على ان الصبيان لا يتركون الا عند حضور الطعام ولو كانوا
شباعا نخاف ان يقوموا مستقطين ان يطلبوا الاكل على العادة
فنكلفهم واهلها لقلة الطعام والله اعلم وفي ادب المريدين
قال بعض المشايخ واجب على الضيف ثلاثة اشياء ان يجلس
حيث يجلس وان يرضى بما قدم اليه وان لا يخرج الا بعد الاستيذان
وواجب على المضيف ثلاثة اشياء ان يطعمه من الحلال وان يحفظ
عليه مواقيت الصلاة ولا يحبس عنه ما قدر عليه من الطعام
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من السنة تشييع الضيف الى باب الدار انتهى وقد ورد
في الترغيب في الضيافة احاديث كثيرة ابلغها ما رواه البيهقي
في شعب الايمان عن الحجاج ابن فراصة عن ابي الملاقار قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اطعم اخا في الله لقمة احب الي
من ان اتصدق بدرهم ولان اعطي اخا في الله درهما احب الي من ان
اتصدق بعشرة دراهم ولان اعطي اخا في الله عشرة دراهم احب الي

من ان

وقف الله تعالى على طلبة العلم والازهر ومقره بر واق اليمنا
من ان اعتق رقبة انتهى قال الطوفي واعلم ان الحكم الاول وهو
قول الخير او الصمت عام مخصوص بما لوالده على قول شر او سكوت
عن خير او نسي او خاف على نفسه من قول الخير ونحوه كما خاف
انكار منكر ونحوه لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وقوله عليه الصلاة
والسلام اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم ونحوه
من المخصصات اما اكرام الجار والضيف فيحتمل تخصيصهما
بغير الفاسق والمبتدع والمؤذي ونحوهم فلا يكرمون بل ربما
يهانون ردعا لهم من فجورهم ويحتمل جعلهم من ذوات الجهتين
فيكرمون من حيث هم جيران ويهانون من حيث هم فجار
كل جهة بما تستحق وان الكافر يدعى حق جواره فالمسلم على
اسلامه اولى وكما قيل في الكبد حرا آخر قال بعضهم حتى الحية
والكلب العقور ونحوه يطعم ويسقى اذا اضطررت الى ذلك
ثم يقتل انتهى فائدة قال ابن الفاكهاني الضيافات ثمان الوليمة
للعرس والخرس بضم الخاء وبالسين والصاد للولادة والاعذار
والعذيرة للختان والوكيرة للبناء والنقيعة لقدم المسافر
ماخوذة من النقع وهو الغبار ثم قيل ان المسافر يصنع الطعام
وقيل يصنعه غيره له والعقيقة يوم سابع الولادة فان فات
ففي السابع الثاني والثالث خلاف عندنا والوضيمة بفتح الواو
طعام المصيبة والمادبة بفتح الدال وضمها الطعام
المتخذ ضيافة بلا سبب وقيل زيادة على ذلك طعام
الزاير يسمى التحفة وطعام المتعاد قبل الغذاء السلفة
والكريهة طعام المستعجل قبل ادراك الغذاء انتهى

الحديث السادس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال
لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخاري
قال الطوبي الغضب في حق الادمي قيل هو نور ان دم القلب
وغليانه وقيل عرض يتبعه غليان دم القلب لارادة الانتقام
انتهى قلت وفي الحديث عن الحسن قال قال رسول الله صلى
عليه وسلم ان الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن ادم اما ترون
الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فمن احس من ذلك شيئا
فان كان قائما فليقعد وان كان قاعدا فليضطجع وعن ابي
وايل المرادي قال كنا عند عروة بن محمد بن عطية فاغضبوه
فتى فخر فتوضأ ثم رجع فقال حدثني ابي عن جدي عطية
السعدي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الغضب
من الشيطان والشيطان خلق من النار والنار تطفأ بالماء
فاذا غضب احدكم فليتوضأ وفي الحديث ان الغضب يفسد
الايمان كما يفسد الصبر العسل ذكر ذلك البيهقي قال العلماء واما
غضب الله تعالى عز وجل اعاذنا الله تعالى عنه فقيل هو
ارادة الانتقام وقيل غير ذلك وقال الطيبي رحمه الله تعالى
يغضب الله تعالى ويرضى لا كاحد من الورى انتهى قيل وهذا
الحديث من جوامع الكلم فان الغضب لما كان يجمع ما تترتب
عليه من المفاسد الدنيوية والاخروية ينبغي ان يعلم ان
الله تعالى خلق الغضب من النار وغرزها في الانسان
ويحمنها بطينة فهما تقدا وتوزع في غرض من اغراضه
ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت

ثوارانا

ثوارانا يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى
اعالي البدن ارتفاع الماء في القدر فينصب الى الوجه فيحمر الوجه
والعينان فان البشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من لون
الدم كما تحكي الزجاجة ما فيها وهذا اذا غضب على من دونه
واستشعر القدرة عليه وان كان ممن فوقه ويشتهي الانتقام
منه تولد القياض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار
حزنا فاصفر اللون وان كان الغضب على المماثل والنظير
الذي يشك في القدرة عليه تردد الدم بين القلب والبسطاء
فيحمر ويصفر فاما ما ترتب عليه الغضب من المفاسد
فتغير ظاهر الغضبان وباطنه اما الظاهر فتغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال على غير الترتيب والنظام
واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الشداق وتحمر
الاحداق ويسمج الخلقة ولو رأى الغضبان نفسه في حال
غضبه وقبح باطنه اعظم من قبح صورة الباطن اولم انتشر
فتعدى الى الظاهر ثانيا تتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فتنس المتمر
بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم
والفحش والقبايح في الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول ويستحي
منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتمزيق والجرح
والقتل عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب
عليه او قاتله ويعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق
ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب الارض بيده ويعدو
كالمه السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا بطيف

الغدر والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما
كسر الاواني وضرب الحيوانات وتقاطع الاصحاب والاحباب واما اثره
في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمسيان
والحزن بالمسرات والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء
وغير ذلك من القبايح وذلك كله حرام يستوجب عليه العقوبة
فانظر كم تحت لفظة الغضب من حكمة واستجلاب مصلحة
ودرء مفسدة مما لا يمكن عده ولا ينتهي حده والله اعلم حيث
يجعل رسالاته تنبيه وهذا كله في الغضب الدنيوي المذموم
واما الغضب لله عز وجل فمطلوب حتى كان صلى الله عليه
وسلم اذا انتهكت حرمة الله عز وجل لا يقوم لغضبه شيء حتى
ينتصر للحق واذا غضب اعرض واشاح وكان بين عينيه
عرق يدره الغضب ولا يكاد يحصر ما روي عنه صلى الله عليه
وسلم من الغضب لله تعالى لاتفاق على انه كان احلم الناس
واكثرهم احتمالا وهذا هو بداية لكمال الغضب في موضعه
والحلم في موضعه وينبغي ان يعلم ان الذي يسكن الغضب
عند هيجانه امران علم وعمل اما العلم فاستحضار ما جاء في فضل
كظم الغيظ مثل قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين الاية وقوله وليعفوا وليصفحوا الاية
وقوله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة قالوا
فمن الشديد يا رسول الله قال الذي يملك نفسه عند
الغضب رواه مسلم وعن سهل ابن معاذ عن ابيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم وهو يستطيع
ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق يوم القيامة حتى يخيره

في اي

في اي الحور شاء وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ينادي مناد يوم القيامة من كان اجره على الله فليدخل الجنة
مرتين فيقوم من عفى عن اخيه قال الله تعالى فمن عفى واصلح
فاجره على الله وعن عبد الرزاق قال سكبت جارية لعلي ابن
الحسين عليه ما يتحيا للصلاة فسقط الابريق من يد
الجارية وعلى وجهه فشجه فرفع بصره علي ابن الحسين راسه
اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ
فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد
عفى الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت
حرة لوجه الله تعالى وعن عمرو بن عبد العزيز رضي الله عنه
انه قال احب الاعمال الى الله عز وجل العفو عند المقدرة وشكر
الغضب عند الحدة والرفق بعباد الله وفي الحديث للنار
باب لا يدخل منه الا من شفى غيظه بسخط الله تعالى وفيه
نسيان زمان يميز الرجل بين العجز والفجور فان ادركت ذلك
فاختر العجز على الفجور وعن ابن عباس في قوله عز وجل
فاصفح الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وعن وكيع قال
امتل سفيان الثوري فتاخرت عن عيادته ثم عدته فاعتذرت
اليه فقال لي يا اخي لا تعتذر فكل من اعتذر اليك كذب واعلم ان
الصديق لا يحاسب على شيء والعدو لا يحتسب له بشيء وعن
حفص ابن حميد قال اذا عرفت الرجل بالمودة فنسياته كلها
مغفورة واذا عرفته بالعداوة فمحسناته كلها مردودة
عليه وانشد ابن طاهر لبعضهم يقول

الحلم يكون الصد في كل ساعة وكم لا تملين الغطيفة والعجرا

وزيدك ان الدهر ينيه كفاية ... لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

وقال غيره

اذا كنت في كل الامور معاتبا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا او صل اخاك فانه ... مقارف ذنب مرة او مجانبه

اذا انت لم تشرب مرارا على القذا ... ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وعن عمر قال ما استقصى حليم قط الم تسمع الى قول الله عز وجل عرف بعضه واعرض عن بعض وانشدوا

اذا ما اخي يوما تولى بوده ... وانكرت منه بعض ما كنت اعرف

عطفت بالمودة اني ... على مذهب الاخوان بالود اعطف

وليست اجازيه بتيح الذي اتى ... ولا اركبا منه الذي يتخوف

وانما منكر العينين عن غير قلحب ... لعمرك ابقا للاخا وانشرف

وعن الشعبي انه قال للاعمش يا اعمش كرام الناس اسرعهم مودة وابطاهم عداوة مثل الكوز من الفضة يبطئ الانكسار ويسرع الانجبار ولئام الناس ابطاهم مودة واسرعهم عداوة مثل الكوز من الفخار يسرع الانكسار ويبطئ الانجبار وانشد

اتمض عيني عن صديق تكرما ... كاني بما ياتي من الجهل جاهل

وما بي من جهل ولكن خليقتي ... تطيف احتمالا لكره فيما يحاول

وان اقطع الاخوان في كل عثرة ... يقيت وحيدا لم اجد من اواصل

واعلم ان الانسان اذا غضب فليخوف نفسه عقاب الله تعالى ويحذرها عاقبة العداوة والانتقام والايام دول وان لا يصغي الى وسوسة الشيطان بان يقول له ان لم تنتقم استهين بحرمتك ونحو ذلك فانها مذلة منه لك والافة من هر يوم القيامة احرى من الافة الاحتمال وليستحضر ان الذي وقع به مراد الله

تعالى

تعالى فلا يؤثر مراده على مراد الله تعالى وليصبر ان لم يرض ويحلم واما الحلم فانه يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم كما في الحديث وحسن ان يقول اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وطهر قلبي واجرني من مضلات الفتن بذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم عايشة عند الغضب فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا فان لم يزل بذلك فتوضأ بالماء البارد واغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال عليه الصلاة والسلام اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار وانما تطفى النار بالماء وجاء ايضا اذا غضبت فاسكت قال الغزالي رضي الله عنه وقد قال رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماءوجهك بالمسيلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك يتفعك في صحبتك وقال ايوب ما تجرع احد جرعة يرفع بها سرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو حنيفة الليث بن سعد والفضل ابن عياض فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزيل فغضب عمر حتى عرق ذكر ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا رجل من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نار فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه فقد استكمل حقيقة الايمان بالله تعالى اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول

مالیس له انتهی وحکی عن بعض المذکورانه کتب ورقة فیها ارحم
من فی الارض یرحمک من فی السما ویل لسلطان الارض من سلطان
السما ویل لحاکم الارض من حاکم السما اذکرنی حین تغضب اذکرک
حین اغضب ثم دفعها الی وزیره فجعل الوزیر کلما غضب المک
دفعها الیه فینظر فیها فیسکن غضبه ویعلم الحلیم انه فی الشر
مغلوب وان کان غالبا لانه اما ان یغلب علیه دنیویة او اخرویة
قال الاحنف بن قیس ثلاثة لایستصغرون من ثلاثة حلیم من
احمق وبر من فاجر وشریف من دنی وعن سعید ابن عبد الله
قال لایبلغ عبد حقیقة الایمان حتی یکون لعیال الله کالاهداذهم
علیها ومنافعهم منها وعن محمد بن یحیی قال سمعت ابی یقول
کان ابو عثمان یمیل الی الاثواب الفاخرة فانصرف ابنه ابوبکر
من العراق بستة من السیلحی وقد سوی له ست ثیاب من
احسن ما قدر علیه وسأله ان یلبسه یوما بمجلسه ففعل
وذکر ابو عثمان فقام فی آخر مجلسه سایلا فقال لترجره الناس
وقال له اجلس حتی نفرغ من الدعا فاقبل السایل علی ابی عثمان
وقال یا ایها اللص القاطع الطریق المرائی تلبس مثل هذه الاثواب
وتاوی الی مسکن وکفایة وانت تنتظر ابی نقرنا وصفقنا قال وقد
ابو عثمان یده الی عمامته فنزعها من راسه ثم رمی بها الیه
ثم مد یده الی ردائه فدفعه الیه ونزع الزراعة فدفعها الیه
ثم قال للاهل المجلس سالتکم بحرمة الاسلام ان تحسنوا الی هذا
الرجل بکل ما امکنکم قال فاجتمع بین یدیه من الاثواب والخواتیم
والحلی والدنانیر والدراهم شی کثیر ثم قال للرجل یا هذا ان کنت انا
کما ذکرتنی فانا اسال الله ان یتوب علی وان لم اکن کذلک فانی اسأله

ان یتوب

ان یتوب علیک وقد تبت ان تشفعنی ربی فی غیری انا اشفع لکل
وعن انس بن مالک رضی الله عنه قال کنت امشی مع رسول الله
صلی الله علیه وسلم وعلیه برد نجاری غلیظ الحاشیة فادرکه
اعرابی فجذبه من خلفه جذبة حتی رایت صفحة عنق رسول
الله صلی الله علیه وسلم قد اثرت بها حاشیة البرد من
شدة جذبه فقال یا محمد اعطنی من مال الله الذی عندک فالتفت
الیه النبی صلی الله علیه وسلم فضحک ثم امر له بعطاء رواه مسلم
قال الطوفی والتحقیق ان الناس فی الغضب علی ضربین
احدهما مغلوب للطبع الحیوانی فلا یمکنه دفعه وهو الغالب
فی الناس والثانی غالب للطبع بالریاضة فیمکنه منعه ولولا
هذا لکان قوله علیه الصلاة والسلام لاتغضب تکلیفا بامر
لایطاق وافوی الاشیاء فی منع الغضب ورفعه التوحید الحقیقی
العام وهو اعتقاد الانسان ان لافاعل فی الوجود الا الله عز
وجل وان المخلوق الات لفعله فاذا توجه الیه مکروه من جهة
غیره یری فاعله الله عز وجل لاغیره وان ذلک الغیر الة للفعل
الالهی کالسیف للضارب والقوس للرامی والریح للطاعن والقدوم
للنجار والسکین للجزار وح یندفع عنه الغضب لانه لو غضب
والحالة هذه لکان غضبه اما علی الخالق وهو جراة تنافی العبودیة
او علی المخلوق وهو اشراک ینافی التوحید ولهذا جا فی حدیث انس
قال خدمت رسول الله صلی الله علیه وسلم عشر سنین فما قال
لشی فعلته لم فعلته ولا لشی لم افعله لم تفعله ولکن یقول قدر الله
وما شا فعل ولو قدر لکان قال الطوفی وماذاک الا لکمال معرفته
صلی الله علیه وسلم بان لافاعل ولا معطی ولا مانع الا الله عز وجل

بخلاف غيره من الناس فان غلامه اذا لم يقض شغله غضب عليه
وضربه فعلى هذا الفاعل في الوجود هو الله عز وجل وحده وله
الات الكبري وصغري ووسطي فالكبري من له قصد واختيار
كالانسان الضارب بالعصي والصغري من لا قصد له ولا اختيار
كالعصا المضروب بها والوسطي من له قصد ولا عقل له كالدابة
تركض ونحوها فان قلت فقد صح في الحديث ان موسي اغتسل
عريانا ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوب موسي في اثره يقول
ثوبي يا حجر حتي طفق يضربه بعصاه وان اثر عصاه في الحجر ليضرب
ستة او سبعة وانما ذلك غضب على الحجر مع ان موسي عليه
السلام كان من اعرف الخلق بالله وتوحيده وتلافا على غيره
فالجواب ان الحجر انما فر بثوب موسي بحياة خلقها الله فيها فصار
كالدابة تفر براكبها او تفرض صاحبها فله ان يضربها تاديبا لها
او زجرا ويحتمل ان يجعل غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع
كما يغلب عليه الطبع البشري حتى لطمه على يده عند اخذ
العصي وقد ثبت ان موسي كان يحيد يدا حتى كان اذا اغضب
خرج شعر جسده من مدرعته كسائر النحل ولهذا لما علم ما احدث
قومه بالاخذ براس اخيه يجره اليه وكذلك بكى لما خرق الخضر
السفينة غضب موسي واخذ برجل الخضر ليلقيه في البحر
حتى يوشع ذكر عهده مع الخضر فخلاه والله اعلم انتهي قلت
واستشكل بما ذكره الطوفي

وقوله فتردد مرارا يعني السايل كرر السوال مرارا يقول

اوصني

الاصل بياض فتممناه كذلك

اوصني يا رسول الله لانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية
ابلغ منها وانفع فلم يزده النبي صلي الله عليه وسلم على لفظه
بعموم نفعها ونبه السايل على ذلك بتكرارها وصار هذا كما قال
له العباس عمك دعا ربعوا به يا رسول الله سيد الله العافية
فعاوده العباس مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله سيد
الله العافية في الدنيا والاخرة فان انت اذا اعطيت العافية قد
اعطيت خيرا وكما قال وكذلك لما قال لاصحابه اجتمعوا فاني
اتلو عليكم ثلث القران فاجتمعوا فتلي عليهم قل هو الله احد
الي اخرها ثم دخل منزله فاخذوا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القران
فخرج عليهم فقال ما تنتظرون اما انها تعدل ثلث القران
يعني سورة الاخلاص ومحال صاحب الافصاح من الجايز
ان يكون النبي صلي الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة
الغضب فخصه بهذه الوصية وقد ح رسول الله صلي الله مدح
عليه وسلم الذي يملك نفسه عند الغضب وذكر ابو عمر ابن
عبد البر في بعض طرق هذا الحديث ما يبعد في هم غضب الله
تعالي فقال لا تغضب وكان الشعبي يولع بهذا البيت

ليست الاحلام في حين الرضا ... انما الاحلام في حين الغضب

وقال ابو الفتاهية

اقلب طرفي مرة بعد مرة ... لاعلم ما في الناس والامر ينقلب
فلم ار كنزا كالقنوع لاهله ... وان يحمد الانسان ما عاش في الطلب
ولم ار فضلا صح الا لتقي ... ولم ار عقلا تم الا على الادب
ولم ار في الاعداء حين خبرتهم ... عدوا لعقل الهرء اعدا من الغضب
وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال اقرب ما يكون العبد من غضب

الله اذا غضب وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ابن ادم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت وقال بعض العارفين اطفوا نار الغضب بذكر نار جهنم الحديث السابع عشر عن ابي يعلى شداد بن اوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم الكلام عليه من وجوه احدها شداد بن اوس بن ثابت ابن المنذر ابن حرام هو ابن اخي حسان بن ثابت يكنى ابا يعلى سكن بيت المقدس واعقب بها ورويله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون حديثا اخرج له البخاري حديثا وهو قوله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها حين يصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ورويله مسلم حديثا اخر مات ببيت المقدس سنة ثمان وخمسون قاله ابن سعد وجماعة وقال ابن عبد البر يقال سنة احدى واربعين ويقال سنة اربع وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة وقبره بظاهر باب الرحمة باق الى الان رويله الجماعة وكان اذا اخذ مضجعه يتقلب كالحية على الفراش يقول اللهم ان النار قد منعتني النوم ثم يقوم فلا يزال يصلي الى الصباح الوجه الثاني كتب هنا امر وطلب وخص واصل كتب اثبت وجمع

ومنه

ومنه قوله تعالى وكتب في قلوبهم الايمان اي اثبته وجمعه ومنه كتبت البغلة اي جمعت حياها قال الشاعر واكتبها باياسار اي اجمعها الثالث كتب على هنا يجوز ان يكون على بابها كقوله تعالى كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص وقال الشيخ ابو العباس القرطبي رحمه الله تعالى على هنا بمعنى في قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي في ملكه وقال كان كذا على عهد فلان اي في عهده حكاه الفتبي وكان صاحب زاهد الافصاح ويجوز ان يكون على عالتها والمعنى انه قد سبق من الله تعالى ان يقدر عبده بالاحسان على كل شيء فاذا ذبح ذبيحة وقال الطوفي على كل شيء يحتمل ان على بمعنى الى تقديره كتب الاحسان الى كل شيء او في كل شيء وكتب بمعنى اوجب نحو كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص او اعمر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية ونحوه كثير ويشهد لذلك قوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله عز وجل واحسنوا ونحوه ثم قوله ان الله كتب الاحسان على كل شيء هو قاعدة الحديث الكلية في التخفيف في الذبح والقتل عن الحيوان اما لان سبب الحديث اقتضاه لانهم كانوا في الجاهلية يتحرون بالمدية الكالة ونحوه مما يعذب الحيوان ويمثلون في القطع كجدع الانوف وصدمت الاذان وقطع اليد والرجل افنهى عن ذلك لقوله احسنوا الذبحة والقتلة واما ان ضرب ذلك مثالا للاحسان اتفاقا لا عن مقتضى خصه بالذكر وتدبين فايدة قوله ليحد احدكم شفرته بقوله وليرح ذبيحته لان الذبح بالة كالة تعذيب للذبيحة فراحتها في الذبح بالة ماضية وكذلك يجب ان يقتص بالة حادة فلو اقتص

بالة كالة لم يعد هريعا فلو سرى القصاص ضمن لتفريطه وهم ثم
قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا قتلتم فاقتلوا ذبح بغير سكين
ونحو هذا العذاب يحرفيه الماكل الذبح بغير سكين ونحو هذا واعلم
ان هذا الحديث هو قاعدة الدين العامة فهو متضمن لجميعه
لان الاحسان في الفعل هو اتقانه عما يقتضي الشرع او العقل
ثم الافعال التي تقدر على الشخص اما ان تتعلق بمعاشه او
معاده والمتعلق بمعاشه اما سياسة نفسه او بدنا وسياسة
اهله واخوانه وملكا وسياسة باقي الناس والمتعلق بمعاده
اما الايمان وهو عمل القلب او الاسلام وهو عمل البدن كما مر في
حديث جبريل فاذا احسن الانسان في هذا كله واتى به على مقتضى
الشرع فقد فعل كل خير وسلم من كل شر وفي جميع هذا الشرع
وقال النووي والقتلة والذبحة بكسر اولهما لانهما من باب الهيئة
كالجلسة والركبة اي هيئة الذبح والقتل والمجلوس والركوب
قال ويجوز هو بضم الباء وكسر الحاء وتشديد الدال يقال احد
السكين وحدها واستحدها بمعنى قال الطوفي ويقال حد ايضا
ثلاثيا والشفرة المدية وهي السكين ونحوه مما يذبح به سميت
اسم شفرتها وهو حدها تسمية للشيء باسم جزئه ويقال اراح
يريح اراحة اذا جلب الراحة للشيء او تسبب الى حصولها له
بوجه والذبيحة اي المذبوحة فعلية بمعنى مفعولة كانه قال
الدابة والذبيحة او يقال من باب علفتها التسمية على الوصفية
قال الخطابي كلاما معناه ان العلماء ورثة الانبياء وما
ورثوا عن الانبياء تعليم الناس كيفية الاحسان الى كل شيء
الهم الله عز وجل الاشيا الاستغفار للعلماء كما قال الله عز وجل

ذكر

ذكر ممن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم يستغفر له من
في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في جوف البحر وتفاصيل
الاحسان الى كل شيء كثيرة لا تنحصر لكن نذكر منها شيئا على طريق
ضرب المثل كما قال لا تمناع الدابة ولا يحمل عليها شيء ما تعجز عنه
ولا تركب واقفة الحاجة واذا ركبت فلا تسامح جلدها حتى
تزهق نفسها ولا تحد المدية ويوارى عنها اذا ذبح ولدها
ولا يعذب منها شيء يضر بولدها ولا يسوء السكر والجر حتى
يموتوا ولا يقتل حتى عطشا ونحو ذلك كثير واعلم ان الموجود
اما قديم او حادث والقديم لا حاجة به الى الاحسان اليه به
للاستغنائه بذاته عما سواه والحادث اما عرض ولا يتاتى
الاحسان اليه او جوهر وهو اما جماد او نبات او حيوان والجماد
فيما احسب كالعرض لا يتاتى الاحسان اليه لعدم احساسه
والنبات والحيوان انسان او غيره يتاتى الاحسان اليه لاشتماله
على قوة النمو والحس وعم الحديث الاحسان الى الملايكة
والجن اما الملايكة فبالاحسان عشرة منها باب لا يفعل بحضرة
الحفظة ما يكرهون ولا يلم ما يتاذون بريحه كالثوم والبصل
كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملايكة تتاذى مما
يتاذى منه بنو ادم وقال اني اناجي من لا تناجي يعني الملك واعلم
ان الملايكة يستغفرون لبني ادم كما ورد في التنزيل الذين
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم والملايكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقد كان بعض

اهل العلم يقرا القران ويسبح ويهلل ويكبر الاذكار الشريفة ويهدي
ثواب ذلك دون ان يامر الحق عبد الله عز وجل صالح في السموات
والارض من ذكر وانثى من ملك او جني او نبي او صديق او شهيد
فينبغي لمن وفق لفعل ذلك ان يفعل وقد صح لي عن بعض من
كان يفعل ذلك صحة قاطعة لاريب فيها انه نام يوما بعد
هذا الذكر واهدى ثوابه الى من ذكر فراى في منامه كانه نزل
به الى السموات وانه خرج للقائه كل من فيها من الانبيا
والملايكة وغيرهم فكان يدري ان ذلك دليل على انه وصل اليهم
ما اهداه لهم وانهم رجوا لقائه مكافاة له على ذلك والعلم
ان ذكر الله عز وجل عظيم وان قل لفظه فلا يكسل ان يقرا
سورة الاخلاص ثلاث مرات تقل ختمة ويقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او سبحان الله
وبحمده فان هذا احب الكلام الى الله عز وجل كما ثبت في الصحيح
ثم يقول اللهم اني جعلت ثواب هذا الذكر واجعل ثوابي عليه هدية مني الى
كل عبد لك صالح في السموات والارض ولا يمنعك من هذا قول
من لا يدري وصول ثواب القران الى الميت احتجاجا بقوله
عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى فانه مذهب مرجوح
بثبوت منفعته في غير موضع وبا في الاية على خلاف ومذهب
احمد ان الحي اذا تطوع بقربة واهدى ثوابها للميت وصل ينفعه
ذلك وفي الحي وجهان اصحهما ينفعه ايضا وهو موجب النظر
انتهى كلام القرطبي قلت مذهب ابي حنيفة واصحابه كما ذكره
الشيخ بحر الدين في شرح الكنز ان الانسان له ان يجعل ثواب
عمله لغيره عند اهل السنة والجماعة صلاة كانت او صوما او

حجا

حجا او صدقة او قراءة القران او الاذكار الى غير ذلك من جميع
انواع البر ويصل ذلك الى الميت وينفعه وقالت المعتزلة ليس
له ذلك ولا يصل اليه ولا ينفعه لقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ولان الثواب هو الجنة
وليس في قدرة العبد ان يجعلها لغيره ولا لنفسه فضلا عن
غيره وقال مالك والشافعي يجوز ذلك في الصدقة والعبادة
المالية وفي الحج ولا يجوز في غيره من الطاعات كالصلاة والصوم
وقراءة القران وغيره ولنا ما روي ان رجلا سال النبي صلى
الله عليه وسلم فقال كان لي ابوان ابرهما حال حياتهما فكيف
لي ببرهما بعد موتهما فقال له صلى الله عليه وسلم ان من
البر بعد الموت ان تصلي لهما مع صلاتك وان تصوم لهما مع
صيامك رواه الدارقطني وعن علي رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من مر على المقابر وقرا قل هو الله
احد احدى عشر مرة ثم وهب اجرها للاموات اعطي من الاجر
بعدد الاموات رواه الدارقطني وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرا سورة يس
خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن انس
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
انا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم فهل يصل اليهم
ذلك قال نعم انه يصل ويفرحون به كما يفرح احدكم بالطبق
اذا اهدي اليه رواه ابو حفص العكبري وعن معقل بن
يسار انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على
موتاكم سورة يس رواه ابو داود وعنه عليه الصلاة والسلام

انه ضحى بكبشين اعلمين احدهما عن نفسه والاخر عن امته
متفق عليه اي جعل ثوابه لامته وهذا تعليم منه عليه الصلاة
والسلام ان الانسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به هو الاستمساك
بالعروة الوثقى وروى عن ابي هريرة قال يموت الرجل ويدع
ولدا فيرفع له درجة فيقول اما هذا يارب فيقول بسبب استغفار
ولدك لك وبهذا قال تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وما امر الله به من الدعاء للمؤمنين
والمؤمنات والاستغفار لهم وما ذكره في كتابه العزيز من استغفار
الانبياء والملائكة لهم حجة لنا عليهم لان ذلك عمل الغير واما قوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فقد قال ابن عباس انها
منسوخة بقوله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم الاية
وقيل هي خاصة بقوم موسى وابراهيم لانه وقع كناية عما في
صحفهما عليهما السلام بقوله ام لم ينبأ بما في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى وقيل اريد بالانسان هنا الكافر واما المؤمن
فله ما سعى اخوه وكيل ليس له من طريق العدل وله من
طريق الفضل وقيل اللام في الانسان بمعنى على كقوله تعالى
وان اسأتم فلها اي فعليها ولقوله تعالى لهم اللعنة اي عليهم
اللعنة وقيل ليس له الا سعيه لكن سعيه قد يكون مباشرة
اسبابه بكثرة الاخوان وتحصيل الايمان حتى صار ممن ينفعه
شفاعة الشافعين واما قوله عليه الصلاة والسلام اذا مات
ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث لا يدل على انقطاع عمل غيره
والكلام فيه ليس فيه شئ مما يستبعد عقلا لانه ليس فيه
الا جعل ماله من الاجر لغيره والله تعالى هو الموصل اليه وهو

قادر

قادر عليه ولا يختص بعمل دون عمل والله اعلم قال الطوفي رحمه
الله واما الجن فقد ثبت وجودهم بالنصوص القاطعة وقد احسن
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة وفدوا عليه فعلمهم واطعمهم
بان جعل لهم كل عظم طعاما وكل روثة وبعرة علفا لدوابهم وفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فاذا لطف
ظهورهم لاحد من الناس فينبغي ان يحسن اليهم بما يليق بهم
فاما الشياطين والمردة ونحوهم فينبغي الاحسان اليهم
بدعايهم الى الخير وترك الشر لما يدعي كافة الانس فان ابوا فلا
حظ لهم في الاحسان بل في الاساءة والهوان واما الحشرات
والهوام والسباع الموذية بالفعل والقوة فلا حظ لها في
الاحسان وهي مخصوصة من عموم هذا الحديث لقوله عليه
الصلاة والسلام خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
الحية والعقرب والغارة والحداة والكلب العقور وقوله
اقتلوا الابتر وذا الطفيتين فانهما يسقطان الحبل ويطمسان
البصر انتهى وفي شرح الاشبيلي قال ربيعة الرأي من الاحسان
ان لا يذبح بهيمة والاخرى تنظر اليها وحكي جوازه عن مالك
والاول اولى وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صبر البهائم
وهو حبسها للقتل وغيره ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح
غرضا واصل الصبر الحبس وهذا النهي على ظاهره من
التحريم ودليله لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك
ومعنى الحديث لانه تعالى يسئل من وعده بالاحسان ان يجد
لعبده بما صنع من قليل وكثير حتى انه لو ذبح ذبيحة فاحد
مدييه دام يده مما كانة يعذب بها الحيوان لا يضيع له ذلك والله اعلم

الحديث الثامن عشر عن ابي ذر جندب بن جنادة رضي الله
عنه وعبد الرحمن معاذ ابن جبل رضي الله عنهما عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيث ما كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه
الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن
صحيح الكلام عليه من وجوه احدها ابو ذر المشهور جندب
ابن جنادة روي عنه انه قال انا رابع الاسلام ويقال كان خامس
في الاسلام بمكة ثم رجع الى بلاد قومه ثم قدم المدينة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم روي له عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مايتا حديث واحد وثمانون اتفقا منها على اثني عشر
حديثا وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بسبعة عشر حديثا
مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود
ثم قدم المدينة فاقام بها عشرة ايام ومات بقرب عاشرة روي
له الجماعة وهو احد النفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
روي عنه علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اظلت
الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر وكان
من زهاد الصحابة رضي الله عنه وكان يرى ان من اوكاء
صغرا او بيضا كوي بها يوم القيامة واما معاذ ابن جبل
الانصاري الخزرجي فانه اسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة
وشهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماية حديث وسبعة وخمسون حديثا اتفقا على حديثين
وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بحديث واحد روى عنه جماعة

من الصحابة

من الصحابة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
له والله يا معاذ اني احبك فقال وانا احبك يا رسول الله قال فلا
تدع ان تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا تي معاذ
يوم القيامة بين يدي الصحابة ربوة هكذا ذكره صاحب الكمال
وقال الجوهري في حديث معاذ انه يتقدم العلماء بربوة اي بخطوة
ويقال برجبة انتهى وزاد ابن الاثير في النهاية وقيل بميل وقيل
عند البصر وقال ابن فارس ربوة اي مسافة قال النووي في
التهذيب الربوة رمية بسهم وقيل بحجر وقال عبد الله ابن
مسعود ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من
المشركين قالوا يا ابا عبد الرحمن ان ابراهيم كان امة قال
سمعتموني ذكرت ابراهيم انما كنا نشبه معاذا بابراهيم والذي
نقله ابو بكر ابن العربي في قبسه في احكام القرآن قال ابن وهب
وابن قاسم كلاهما عن مالك قال بلغني ان ابن مسعود قال يرحم
الله معاذ ابن جبل كان امة قانتا لله فقيل يا ابا عبد الرحمن
انما ذكر الله بهذا ابراهيم عليه السلام فقال ابن مسعود ان الامة
الذي يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع انتهى روي عنه
خلق من الصحابة والتابعين وكان ممن جمع القرآن في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وقال فيه استقرؤا القرآن من اربعة عبد
الله ابن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة وابي ومعاذ وفي حديث
ابي قلابة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي
ابو بكر ودينه واعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل مات بناحية
الاردن في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين

وقيل اربع وثلاثين وقيل ابن ثمان وثلاثين وقبره بغور بيسان
في شرقيه وانما نسب الطاعون الي عمواس وهي قرية بين الرمله
وبيت المقدس لانه اول ماية الطاعون منها قال ابو زرعة عبد
الرحمن ابن عمرو البصري الدمشقي كان الطاعون سنة سبع عشرة
وثمان عشر الوجه الثاني التقوي لقطة وجيزة وهي مشتملة
علي خير الدنيا والاخرة لانها عبارة عن اجتناب كل المنهيات وفعل
كل المامورات وقيل تقوي الله تعالي ان لا يراك حيث نهاك ولا
يفتقدك من حيث امرك ولهذا قال بعضهم لصاحبه اذا اردت
ان تعصي الله فاعصه في حيث لا يراك او اخرج عن داره وكل
غير رزقه وقال ابن عطا التقوي ظاهر وباطن فظاهره محافظة
الحدود وباطنه النية والاخلاص وقيل يستدل علي تقوي الرجل
بثلاث بحسن التوكل فيما نيل وحسن الرضا فيما فات
وحسن الصبر علي ما قد فات وقال طلق ابن حبيب التقوي
عمل بطاعة الله علي نور من الله مخافة عقاب الله وعن ابي
حفص قال التقوي في الحلال المحض لا تمر والمتقي مثل ابن سيرين
اشتري اربعين حيا من السمن فاخرج غلامه قارورة من جب
فساله من اي جب اخرجها فقال لا ادري فصبها كلها ومثل ابي
يزيد اشتري بهمدان حب القرطم فغصل منه شيء فلما رجع
الي بسطام راي فيه نملتين فرجع الي همدان ووضع النملتين
وحكي ان ابا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول
في الخبز هو قرص جر نفعا فهو ربا وقيل ان ابا يزيد غسل ثوبه
في الصحراء مع صاحب له فقال صاحبه نفلق الثوب في جدران
الكرم فقال لا تفعل ان الوتد في جدران الناس فقال نعلقه في

الشجر

الشجر فقال لا انه يكسر الاغصان فقال نبسطه علي الارض فقال
لا انه علف الدواب لا تستتره عنها فولي ظهره الي الشمس والفيء
علي ظهره حتي جف جانب ثم قلبه حتي جف الجانب الاخر
وقيل التقوي علي وجوه للعامة تقوي الشرك وللخواص تقوي
العاصي وللاولياء تقوي التوسل بالافعال وللانبياء تقواهم منه اليه
وعن ابي امامة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من نظر
الي محاسن امراة فغض بصره في اول مرة احدث الله له
عبادة يجد حلاوتها في قلبه وقال الغزالي كان الجنيد
جالسا مع روم والحريري وابن عطا فقال ما نجا من نجا
الا بصدق التجا قال الله وعلي الذين خلفوا حتي اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وقال روم ما نجا من نجا الا بصدق
التقي قال الله تعالي وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال
الحريري ما نجا من نجا الا بمراعاة الوفا قال الله تعالي الذين
يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطا
ما نجا من نجا الا بتحقيق التجا قال الله تعالي الم يعلم بان
الله يري قال الفقير ما نجا من نجا الا بالحكم والقضا
قال الله تعالي ان الذين سبقت لهم منا الحسني قال
العلماء من كان متقيا فقد حصل له خير الدنيا والاخرة
وبيان هذه الجملة ما ذكر الله تعالي في كتابه من ذكر اعني
ما يتضمن خير الدنيا والاخرة من ذكر المدحة والثنا قال
الله تعالي وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
ومنها الحفظ والحراسة من الاعدا قال تعالي وان تصبروا
لا يضركم كيدهم شيا ومنها التاييد والنصرة قال تعالي ان الله

مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال تعالى ان الله مع المتقين
ومنها النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال تعالى ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح
العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم اعمالكم ومنها فعل مغفرة الذنوب قال تعالى يغفر لكم ذنوبكم
ومنها فعل النور قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون
به ومنها الدرجة العليا والغاية القصوى وهي محبة الله عز
وجل قال تعالى ان الله يحب المتقين ولو لم يكن في التقوى سرا
هذه الخصلة لكفت عما عداها ومنها القبول قال الله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين ومنها الاكرام والاعزاز قال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم ومنها البشارة عند الموت قال تعالى
الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي
الاخرة ومنها النجاة من النار قال تعالى ويجنبها الله الذين اتقوا
ويجنبها الاتقى ومنها الخلود والجنة قال تعالى اعدت للمتقين ولقد
احسن القايل من عرف الله فلم تقنه معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بغير التقى والفضل للعبد التقى واعلم ان حصول
التقى لا يتصور الا بالعلم لان الجاهل لا يعلم كيف يتقي فمن جانب الامر
والامر جانب النهي فظهر شرف العلم وفضيلته على كل عبادة فعليك
بالعلم ان اردت ان تكون من عباد الله المتقين فان قلت ما هو
العلم الذي يصل به الى التقى والذي هو متوقف عليه قلت
هو فرض العين وذلك ان كل ما يلزم الانسان في خاصة نفسه
لزمه علم ذلك الحكم من طهارة وصلاة وزكاة ان كان له مال

يزكي

يزكي وصيام وحج ان كان مستطيعا وكذلك ان احتاج الى شرا
سلعة لزمه ان يعلم حكم البيع كي لا يقع في الربا ونحو ذلك مما هو
من ضرورات الانسان في خاصة نفسه وهذا لا اعلم في وجوبه
خلافا بين العلما فلا يجوز لمن لم يتصف بعلم ذلك ان يدعي انه متق
لله تعالى ضرورة كونه جاهلا باحكام الله تعالى المفروضة
عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء افضل
من فقه في دين وقال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
وما سببه والله اعلم الا ان هذا اعني معرفة فرض عينه
واداءه واجب عليه على الوجه الشرعي مع ما يضاف الى ذلك
من المندوبات والنوافل المرجيات محبة الله تعالى حيث يقول
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احببته الحديث فسأل
الله تعالى التوفيق والهداية الى اقوم طريق الثالث قوله
عليه الصلاة والسلام واتبع السيئة الحسنة تمحها هذا
موافق لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات جاء في
حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت جالسا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول
الله اني اصبت حدا فاقمه علي فاعرض عنه ثم كرر ذلك مرارا
وهو يقول ثم اعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول
الله انه اتتني امرأة اجنبية تشتري مني تمرا فادخلتها
البيت فاصبت منها ما يصيب الرجل من امرأته غير انه لم اجامعها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوأ حسنا
فتوضأ وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيات الاية فقال له معاذ يا رسول الله

هذا له خاصة ام للناس عامة فقال للناس عامة وفي الحديث
ايضا ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يغدو الى المسجد
من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة
ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة قال ابن الفاكهاني
تنبيه انظر هل محو السيات حقيقة بحيث تمحى من الصحيفة
بعد كتبها وهو ظاهر الحديث او الاصل الحقيقة او يكون المحو
قد عبر به عن ترك المواخذة وتكون السيات على حالها لم تمح
الى يوم القيامة وهذا هو الذي نقله القرطبي رحمه الله تعالى
قلت في هذا الحديث دليل على وجوب مبادرة المذنب بالتوبة
وروى ابن ابي شيبة عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صاحب اليمين امين على صاحب الشمال
فاذا عمل العبد حسنة كتبت بعشر امثالها واذا عمل سيئة
فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال صاحب اليمين امسك
فيمسك ست ساعات او سبع ساعات فان استغفر الله
منها لم يكتب عليه شيا وان لم يستغفر الله كتبت عليه سيئة
واحدة واعلم ان التوبة واجبة من كل سيئة لقوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا قال عمر ابن الخطاب هو الرجل يعمل
الذنب ثم يتوب فلا يريد ان يعمل به ولا يعود وعن ابن مسعود
التوبة النصوح ان يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود اليه
ابدا وفي الحديث الندم توبة وقال الحليمي رحمه الله التوبة
القطع للمعصية في الحال ان كانت دائمة الندم على ما مضى
والعزم على ترك العود اليها تعبدا لله عز وجل وتقربا بذلك

اليه

اليه وان لم تكن المعصية دائمة فالندم على ما مضى والعزم
على ترك العود اليها ثم ان كان الذنب ترك الصلاة فان التوبة
لا تصح حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها وهكذا ان ترك صوما
او تغريطا في زكاة ان كان الرجل معسرا فان كان ذلك قتل نفس بغير
حق فان يمكن في القصاص ان كان عليه وكان مطلوبا به فان عفى
عنه مجانا وكان وجد الله فانه يوردي ما عليه وان كان قذف فليوجد
الحد فان يبرز ظهره للحد ان كان مطلوبا به فان عفى عنه كفاه
الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وان كان حدا لله حدود
الله تعالى فانه اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح قبل ان
يرفع الى الامام يسقط عنه الحد وان رفع الى الامام ثم قال تبت
لم يسقط عنه الحد ويسقط الكلام فيه وان كان الذنب من
مظالم العباد فلا يصح التوبة منه الا باداء الواجب عينا كان او
دينا ما دام مقدورا عليه فان لم يكن مقدورا عليه فالعزم
على ان يوديه اذا قدر في اسرع وقت واسرعه وتصح التوبة
في كبيرة ويثوب عنها دون اخرى من غير جنسها لم يتب عنها
كما يصح اقامة الحد عليه لاحدهما وان كان عليه حد اخر من غير
جنسه وعن ابي قلابة قال ان الله عز وجل لما لعن ابليس
سأله النظرة فقال وعزتك لا اخرج من صدر عبد حتى يخرج
نفسه قال وعزتي لا احجب توبتي عن عبدي حتى تخرج نفسه
او قال روحه قلت اذا ذكرت الفحش بلسانك فاتبعه بالتسبيح
يمحه واذا اتيت المعصية بجوارحك فاتبعها بالصلاة تمحها
فكلما اتبعت جنس الذنب بجنسه من التوبة كان اسرع
لمحوها وفقنا الله تعالى لها لجة كل ذنب بالتوبة انه سميع

قريب الوجه الرابع قوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس
بخلق حسن قال الجوهري الخلق السجية يقال فلان
وخالق فلان يتخلق بغير خلقه اي يتظاهر قال الشاعر اذا التخلق
يأبى دونه الخلق وقد فسر حسن الخلق بطلاقة الوجه
وكف الاذى وبذل المعروف ذكره الترمذي وغيره قال الطوفي
والاشبه تعريفه بان يعم للناس ما يحب للنفس ويباقي
اليهم ما يحب ان يباقي اليه فمتى وقع عن معاشرتهم خلق حسن
اجتماع القلوب وانتظام الاحوال وكف الشر عنهم واكتفاءهم
وذلك جماع الخير وملاك الامر ان شاء الله تعالى انتهى وقال الكليمي
رحمه الله معنى حسن الخلق سياسة النفس نحو الارفق
الاحمد من الافعال وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى وقد يكون
فيما بين الناس وهو في ذات الله عز وجل ان يكون الصبر
منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه يفعل ما فرض عليه
طيب النفس به سلس نحوه ويتنفى عما حرم الله عليه
واسعابه غير متضجر منه ويرغب في نوافل الخير وتركه كثير
من المباح لوجه الله تعالى اذا رأى ان تركه اقرب الى
العبودية من فعله متيسر ذلك غير ضجر منه ولا متعسر به
وهو في المعاملات بين الناس يكون سمحا بحقوقه لا يطالب
غيره بها ويوفي فيما يجب لغيره عليه منها فان مرض فلم يعده
واقدم من سفر فلم يزره او سلم يرد عليه او ضاف فلم يكرمه
او استغفر فلم يجب واحسن فلم يشكر او دخل على قوم فلم
يمكن له او تكلم فلم ينصت له او استأذن على صديق فلم
يؤذن له او خطب فلم يزوج استهل لدين فلم يمهل او انتقص

منه

منه فلم ينقص وما اشبه ذلك فلم يغضب ولم يتغالب ولم يتكرم من
حاله ولم يستشعر في نفسه انه قد جفي او وحش وانه لا يقابل ذلك
ذلك اذا وجه السبيل اليه بمثله ثم يضمر انه لا يعتد بشيء من ذلك ويقابل
كلامه بما هو احسن وافضل واقرب الى البر والتقوى واشبه بما
يحمد ويرضى ثم يكون في اينا ما يكون عليه كهو في حظ ما يكون له
فاذا مرض اخوه المسلم عاده وان جاه في شفاعة شفعه وان
استمهل لقضاء دين امهله وان احتاج منه الى معونة اعانه
وان استسمحه في بيع سمح له ولا ينظر الى الذي يعامله كيف كانت
معاملته اياه فيما خلا او كيف يعامل الناس انما يتخذ الاحسن
اما لنفسه فينموا بحمده ولا يخالفه والخلق الحسن قد يكون
غريزة وقد يكون مكتسبا وانما يصح اكتسابه لمن كان في
غريزته اصل فيه فهو يضم باكتسابه اليه ما يتممه ومعلوم
في العادات ان ذا الرأي يزداد بحمالسة اولي الاحلام والنهى
رزانة وان العالم يزداد بمخالطة العلماء حلما فلا ينكر ان يكون ذو
الخلق الجميل يزداد بحسن الخلق بحمالسة اولي الاخلاق
الحسنة وفي الحديث اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا
وخياركم خياركم لنسائه ونبيه احبكم الي اقربكم مني مجلسا يوم
القيامة احسنكم اخلاقا وابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم
القيامة اسوأكم اخلاقا وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى يبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
رجلان الجنة صلاتهما واحدة وصيامهما وجهادهما
واصطناعهما الخير واحد يفضل احدهما على صاحبه بحسن

الخلق درجة كما بين المشرق و المغرب وفي الحديث ما من شيء اثقل في الميزان من حسن الخلق وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يلج به الانسان النار قال الاجوفان الفم والفرج وسئل عن اكثر ما يلج به الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وفي الحديث خصلتان لا يكونان في مؤمن سوء الخلق والبخل وعن جابر قال قالوا يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وعن ابن عباس قال قال موسى عليه السلام يا رب امهلت نمرود اربع مائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ورسلك فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان اكافيه وقال ذا النون علامة اهل الجنة خمسة وجه وخلق حسن وقلب رحيم ولسان لطيف واجتناب المحارم وعلامة اهل النار خمس سوء الخلق وقلب قاس وارتكاب المعاصي ولسان غليظ ووجه حامض وفي الصحيحين عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما مالم يكن اثما فاذا كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما قط ولا امرأة ولا ضرب شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله رواه مسلم وعن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما ارسلني في حاجة قط فلم تنتهيا لي الا قالوا لو قضي لكان ولو قدر لكان وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلك على اكرم

اخلاق

اخلاق الدنيا والاخرة ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله تعالى الخلايق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس هم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملايكة فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يستكمل العبد الايمان حتى يحسن خلقه ويكف غيظه ويبذل للناس ما يبذل لنفسه لقد دخل الجنة بغيا عمدا لتيلم رخلوها يا رسول الله قال بالنصيحة لاهل الاسلام وسماحة الصدور وعن مجاهد في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا اوذوا صفحوا قال البيهقي ويدخل في حسن الخلق لين جانب وسلامة الصدر وروينا في التاريخ عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا سمحا اذا اشترى سمحا اذا باع سمحا اذا قضى وفي رواية سهلا وعن انس ابن مالك قال كانت الامة من اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فينطلق به في حاجتها وفي حديث ابن ابي اوفى ولا يانف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون هو الذي يصرف ولا يرى مقدما ركبتيه بين جليس قط ومن حسن الخلق تواضع النفس

وتركا الزهو والصلف والمنيلا والفخر وعن عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه قال وهو على المنبر يا ايها الناس تواضعوا فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تواضع لله رفعه
الله فهو في نفسه صغير وفي اعين الناس كبير ومن تكبر
وضعه الله فهو في الاعين صغير وفي نفسه كبير حتى لهو اهون
عليهم من كلب او خنزير وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ادمي الا في راسه
سلسلتان سلسلة في السما وسلسلة في الارض فاذا
تواضع العبد رفعه الملك الذي بيده السلسلة الذي الى
السما واذا تجبر هذبته السلسلة التي في الارض وكر ذلك
البيهقي قال الطوسي رحمه الله تعالى وما يتعلق بالحكم الاول
وهي التقوى انما مذكوره في قوله عز وجل ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب الاية ثم قال الله عز وجل الا
ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا
يتقون فنقول من اتى بما في الاية الاولى من الايمان والاسلام
فهو متقي والمتقي ولي الله عز وجل ومن اتى بما في الاية الاولى فهو
ولي الله عز وجل فصار معنى قوله عليه الصلاة والسلام اتق
الله حيث ما كنت تكن ولي الله بتقواك اياه وفيه دليل على
ان الولاية ملكية والا لم يصح الامر بها وهي في النبوة ولاية
خاصة كاملة لكن الجمهور على انهما موهبتان من الله عز
وجل مرتبتان على زكاة النفس وصلاح العمل بالرزق وهو
من فضل الله عز وجل وهو مرتب على الاسباب والاكساب
التي جرت بها العادة في حصول الرزق وكما قال الله عز وجل

فامشوا

فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه قال وجعلنا منهم ايمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال عز وجل انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين يعني الانبيا المذكورين في سورتهم
على ما من بهم عليهم مما رغبهم الى الخيرات وما بعده ومن شعر
ابي الدرداء رضي الله عنه في التقوى يقول

يريد المرء ان يعطى مناه ويابى الله الا ما اراد يقول
المرء فايه تي ومالي وتقوى الله افضل ما استفادا
وقوله رواه الترمذي قال الشيخ فقي الدين في شرح خطبة
الامام ابي عيسى الحافظ الضرير احد ايمة الدين يقتدى بهم
في علم الحديث مصنف كتاب الجامع والتواريخ والعلل يضرب
به المثل في الحفظ قال ابو عيسى كنت في طريق مكة وكنت
قد كتبت جزئين من احاديث شيخ فمر بنا ذلك الشيخ فسالت
عنه فقالوا فلان فتاهبت اليه وانا اظن الجزئين معي وجعلت
معي في محملي جزئين كنت اظن انهما الجزآن اللذان له فلما ظفرت
به وسالته اجابني الى ذلك اخذت الجزئين واذا هما بياض فتحيرت
فجعل الشيخ يقرا علي من لفظه ثم ينظر الي ورق البياض في يدي
فقال ما تستحي مني قلت لا وقصصت عليه القصة وقلت احفظه
كله فقرا اقد افقرات جميع ما قد املى او لا فلم يصبه فتني وقال استظهرت
قبل ان تجي فقلت حدثني بغيره فقد املى اربعين حديثا من غرايب
حديثه قال هات اقد افقرات عليه من اوله الى اخره كما قرا ما
اخطات ولا وقف منه فقال لي ما رايت مثلك توفي الترمذي ليلة
الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة تسع
وسبعين ومايتين كذلك ذكره الامام ابو نصر بن رقاته قال الشيخ

وما قاله بعض الحفاظ من انه توفي بعد الثمانين فليس بشيء
والمشهور في التاء كسرها وحكي السلمي الضم قال ابو علي بن منصور
ابن عبد الله الخالدي يصف ابو عيسى هذا الكتاب يعني السنن
الصحيح فعرضه على علماء خراسان فرضوا به وعرضه على علماء
العراق فرضوا به فعرضه على علماء بغداد فرضوا به وممن كان
في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم قال الشيخ وكتابه على
اربعة اقسام قسم صحيح مقطوع به وهذا ما وافق فيه البخاري
ومسلم وقسم على شرط ابي داود والنسائي وقسم اخرجه الصدر
وابان علته وقسم رابع ابان عنه وقال ما اخرجت في كتابه هذا
الا حديثا قد عمل به بعض الفقهاء وهذا شرط واسع فان على هذا
الاصل كل حديث احتج به مسلم او عمل به عامل يسوا صح طريقه او لم
يصح طريقه وقد راح عن نفسه الكلام فانه شفى في تصنيفه
لكتابه وانظم على كل حديث بما فيه وظاهر طريقته ان يترجم الباب
الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق اليه واخرج
من حديث في الكتاب الصحاح فيورد في الباب من حديث صحابي
لم يخرجوه من حديثه ولا يكون الطريق اليه كالطريق الى الاول
لان الحكم صحيح ثم يتبعه بان يقول وفي الباب عن فلان وفلان
وبعد جماعة فيسم الصحابي والاكثر الذي اخرجا ذلك الحكم من حديث
وقل ما يسلك هذه الطريقة الا من ابواب معدودة قال ابو يوسف
ابن احمد شارك ابو عيسى البخاري ومسلم في كثير من مشايخهما
ورزق الرواية عن اتباع الاتباع وكتب عنه امام الصنعة محمد
ابن اسماعيل البخاري وحسبه بذلك فخرا قال الشيخ اما ما ذكره
من روايته عن اتباع الاتباع فيقتضي ذلك ان يكون الحديث ثلاثيا

ولا نعلم

ولا نعلم له ذلك الا في حديث واحد واما ما ذكره من كتابه البخاري
عنه فهو حديثه عن علي بن المنذر عن محمد ابن فضيل عن عاصم
ابن ابي حفصة عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك
قال علي بن المنذر قلت لضرار بن صرد ما معنى هذا الحديث قال
لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك قوله وقال حديث
حسن صحيح قال الطوفي هو مشكل على اصطلاحه لانه قد ذكر
في كتاب العلل من جامعه انه يريد بالحسن ما ليس في اسناده
من يتهم بالكذب فلا يكون شاذا ويروى مع ذلك من غير وجه والصحيح
عنده وعند غيره ما رواه العدل الضابط عن مثله الى منتهاه
ثم ان الترمذي كثيرا ما يقول في كتابه هذا حسن صحيح غريب
لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا ينافي اشتراطه في الحسن ان يكون
قد روي من غير وجه والذي اجيب به عن قول الترمذي حديث
حسن صحيح فيما يعلم وجهان احدهما ان معناه انه حسن
باسناده صحيح باسناد آخر وما ذكرناه من قوله حسن صحيح
غريب يبطل هذا الجواب والجواب الثاني قوله حسن يريد به
الحسن اللغوي وما يوافق القلب وتهواه النفس وهو باطل
بان الترمذي قسم الحسن بغير ذلك وهو ما ذكرناه وبان من
ان احاديثه ما ليس حسنا باعتبار اللغة عموم من نوقش الحساب
عذب واشباهه من نصوص الوعيد فانها لا توافق القلب
ولا تهواه النفس بل تجدها كريها واما من الخوف والصواب
في ذلك ما اشار اليه بعض العلماء وهو ان الحسن قسم من
الصحيح لكن البين فتبين قلت وبيانه ان مدار الرواية على عدالة

الراوي وضبطه فان كان مبرزا فيهما كشعبة وسفيان ويحيى
القطان ونحوهم فحديثه صحيح وان كان دون المبرز فيهما او في
احدهما لكنه عدل ضابط فحديثه حسن فهذا الجود
ما قيل في المكان انتهى كلام الطوفي وفيه نظر لان هذا الذي اشار
اليه بعض العلما لا يرفع اشكالا على التفسير الذي به فسر به
الترمذي الحسن ويرد على هذا ما يرد على الجواب الثاني
والله اعلم الحديث التاسع عشر عن ابن العباس عبد
الله ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك
كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا
سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم
ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا
بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف
رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية
غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف اليه في الرخا
يعرفك في الشدة واعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك
وما اصابك لم يكن ليخطيك واعلم ان النصر مع الصبر
وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا الكلام عليه
من وجوه احدها قال الامام ابو العباس احمد بن محمد الاقليشي
في شرح الشهاب حقيقة الحفظ صيانة المحفوظ ان يصل اليه
اذي وضده التضييع فقوله احفظ الله اي احفظ دين الله
من التبديل والتضييع فانه مهما فعلت هذا حفظك من الافات
ويحتمل ايضا ان يريد بقوله احفظ الله اي اجعله بمرأى منك

ومراقبته ولا تنسه يحفظك اي يترتب على حفظك لحق الله بالمنزلة التي
انزلته من نفسك على طريق المجازاة وكل هذا بين لان المراد
من هذا كله رعاية حق الله ليفوز العبد بثواب الله فتدبر
الالفاظ كلها على هذا المعنى وقوله احفظ الله تجده امامك معناه
تجده سابقا لك بالحفظ ومتقدما عليه بما يفعل العبد خيرا الا
وجازاه على ذلك الخير مكتوب له مع تقدير الخير قبل فعل الخير
فمقادير الله متقدمة على افعال العباد والله امام كل شيء ويحتمل
ان يكون المعنى احفظ الله تجده امامك اي اجعله بمرأى منك
بواجب نوره وبره ورحمته بخلاف ما قال دائما تمقتوه وراكم
ظهريا فمن قابل الله بطاعته قابله بكرامته ومن اعرض عنه
تباعد الله منه وقوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخا
يعرفك في الشدة امر بذلك ليكون الباعث للعبد على طاعة الله
نفس الامر لا غرض من اغراض النفس لانه من انعم الله
عليه بالرخاء والعافية فحفظ عنه ونسيه فاذا اصابته ازمة
وبلية ودعاه وعبده دل على ان رجوعه اليه لضرورة نفسه
لا رغبة في عبادته اللهم الا ان يتذكر فيجعلها توبة ويعلم الله
الصدق من قلبه والبراءة بالكلية عما ذنبه والاقبال بكنه الهمة
على ربه فهذا مستغرب اليه بالعبادة الصحيحة لا بحسب الضرورة
فمن الحقان يستوي حال الانسان مع الله شدة ورخاء ويبذل
له نفسه بالعبادة في كليهما قربة وسخا فهذا الذي يصعد
دعاه الى ذروة الملكوت واما من عاده في الشدة للضرورة
فدعاؤه مقوت كانه ما عرفه الا لحاجته اليه وضروريته
اوليس المسكين قايما به ومحتاج اليه في كل حالاته فحكم الرخا

وحكم الشده بنسيان ولكن الجهالة تعرف الانسان وقد قال
تعالى في الصنف الخوان دعوا الله مخلصين له الدين لين
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم
يبغون في الارض بغير الحق وهذا حال كثير من الخلق فلذلك
قال عليه الصلاة والسلام تعرف الى الله في الرخا يعرفك في
الشده ومعنى تعرف اليه اي اكتسب الطاعة في الرخا فتكون
عنده بذلك فحينئذ يعرفك في الشده ظاهرا فسمع دعاك
ويجب انه اذا كان لم تكتسب الطاعة في الرخا وهلك الى نفسك
في الشده والمراد بالشده هنا جميع شدايد الدنيا والاخرة
التي يضطر الانسان فيها لربه ويسأله ان يكشفها عنه
قوله صلى الله عليه وسلم اذا سألت فاسأل الله معناه
يتخير عليك وجهين احدهما اذا اردت سؤال حاجة فسألها
من الله وحده ولا تقصد فيها غيره والثاني اذا سألت
مخلوقا حاجة فليكن مقصدك فيها الله واجعله الله مفزعة
فلا تعتقده يجيب لك مسئلة ويرفع عنك مضرة فتكون الوجه
الاول يخرج على الندب بالتزام الطريق الاكمل لانه من لا يقصد
في حوائجه غير الله فهو افضل ولكنه لم يخرج عليه سؤال
المخلوقين بشرط ان لا يدري بانه يهم منفعة ولا
مضرة فلذلك يخرج في الوجه الثاني على الامر المهم او في اعتقاده
المنفعة والمضرة من المخلوق شرك قوله واذا استعنت
فاستعن بالله فعلى هذا ايضا لكن استعانتك بالله وحده
فاذا احتجت الى مخلوق تستعين به فلا تدري العون الا من الله
وحده والعون يكون من الله للعبد عند ارادة الفعل فتكون

به استطاعته على ايقاع ذلك الفعل فان حرم العون لم يكن له
استطاعة عليه قوله واعلم ان الامة الى آخره المراد بالامة
هنا جميع من في الوجود من وجود من ملك وفلك وجن وانس
وكل ذي روح وحس فمعنى الهم لو اجتمعت امة اضعفهم على ان نفعل
منفعة قدرها الله لها لا تصل اليك او دفع مضرة قدرها الله ان تصل
اليك لم يكن ذلك هذا اخر كلامه قوله صلى الله عليه وسلم
رفعت الاقلام قال الطوفي اي تركت الكتابة بها لرفع الامر
وابرامه وجفت الصحف بالجيم اي فرغ من الامر وجفت
كتابته لان الصحيفة حال كتابتها لابد وان تكون رطبة
المداد او بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها قوله واعلم لما اخطأك
لم يكن ليصيبك الى آخره امر بالتسليم لله في كل ما يجري على العبد
من خير او شر وبين ان الاعطاء والمنع من الله فمن وصل اليه
امر اما فقد كان ذلك الامر مقسوما له ومقدرا عليه ان يصل اليه
فلا سبيل ان يتجاوزه الى غيره ولا ان يرتفع عنه بل لا بد له منه
وكذلك ان لم يتوجه اليه امر فلا سبيل ان يوجه اليه احد
او لم يقسم له فامور هنا تابعة للمقادير المقتضية في ام الكتاب
ولا سبيل الى اختراع اسباب ولا استجلاب امر لم يقدر
بالكتاب قوله واعلم ان النصر مع الصبر الصبر من مكارم
النفوس اذ معناه حبسها عما تحبه او على ما تكرهه واذا
غلبت بالصبر واذعنت اتاها النصر معجلا او موجلا وقوله
وان الفرج مع الكرب اعلم بان حال الدنيا لا بد وان تمادى
الا ويعقبها فرج معجلا اما بطريان ضدها في الحياة واما بالانفصال
عنها بالموت الذي يأتي في اقرب وقت وقوله وان مع العسر يسرا

وفي الموطا عن عمر رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين وروى
مالك عن نافع عن ابن عمر قال سيل ابن عباس عن هذه الاية
وكان تحته كنز لهما قال خرج لوح من ذهب مكتوب فيه بسم
الله الرحمن الرحيم احمد رسول الله عجبت لمن يعلم انه يموت
كيف يفرح وعجبت لمن ايقن ان القدر يحق كيف يمرن وعجبت
لمن راى الدنيا وتقربها باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها
يا ابن ادم عش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك
اوشك فانك لاقيه واحبب ما شئت فانك مفارقه قال ابن
الفاكهاني في سؤال تنبيه ان قلت كيف الجمع بين قوله يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون
ولا يقع اجماعا من اهل السنة فذا يدل على عدم وقوع العسر
ضرورة كونه تعالى لم يرده وقوله فان مع العسر يسرا وهذا
يدل على وقوع قطعا العسر وكلام الله تعالى لا تناقض ولا اختلاف
فيه ولو كان من عند غير الله لوجد وا فيه اختلافا كثيرا قلت الجواب
وبالله التوفيق ان المراد بالعسر في الاية الاولى غير المراد في الثانية
والمراد في الاولى بيان العسر في الاحكام لا غير نتبه قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة مع
ان صدر الاية نزل على ذلك وهو قوله تعالى فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر واما الاية الثانية فالمراد بالعسر
فيها العسر في الارزاق والاكتساب دون الاحكام والله اعلم
الحديث الموفي العشرين عن ابن مسعود وعقبة ابن
عمرو الانصاري البدري رضي الله عنه قالا قال رسول الله
صلى الله

وقف بعد تعالى على طلبة العلم بالازهر ومصره بروا قال اليتيمي
صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة
الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت الكلام عليه من وجوه
احدها عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن ابيره قال صاحب الكمال بفتح
الالف وكسر السين ابن عسيرة العين وكسر السين ابن عطية
ابن خدارة بن صخر بن عوف بن الحرث بن الخزرج كذا نسبه ابن الكلبي
وابن سعد ونابعهما ابن عبد البر والجمهور انه لم يشهد بدرا
وانما انتزلها وهو الاصح عندهم وذهب بعضهم الا انه شهدها
منهم البخاري ومسلم وذكره البخاري في البدريين شهدا ابو
مسعود وهذا العقبة مع السبعين وكان اصغرهم وقيل ان جابر
كان اصغرهم وشهد ابو مسعود احدا وما بعدها من المشاهد
وتزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة
سنة احدى او اثنين واربعين وقيل في اخر خلافة معاوية وقيل
في خلافة علي رضي الله عنه وقيل توفي بعد الستين والقولان
الاخران ضعيفان روي له عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مائة حديث وحديثان له منها في الصحيحين سبعة عشر
حديثا اتفقا على تسعة احاديث وللبخاري حديث واحد
ولمسلم سبعة روى له الجماعة قاله الاقليشي قوله عليه الصلاة
والسلام ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اي ما نطق الناس
به فكان شبيها لكلام النبوة في الحقيقة لان الانبياء كلهم بعثوا
بمكارم الاخلاق اذ هو شعبة من شعب الايمان فكان قول الناس
اذا لم تستحي فاصنع ما شئت صنيعا على عمدة بقية الانبياء بها
ويدل الحديث على ان هذا الكلام قديما اذا سار في الناس سيار
المثل وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون

شايعا قبل عصره وانتقل الى زمنه وجرى عليه الستة ممن ذكر فلما
سمعه النبي صلى الله عليه وسلم علم انه موافق لكلام النبوة
ويحتمل ان يكون تلقاه من صحبه ولم يكن له تقدم قبل ذلك وقوله
اذا لم تستحي فاصنع ما شئت خرج هذا الامر مخرج التعظيم
لشان الحياء ولم يخرج الامر على معنى اباحة فعل ما شاء بل هو
كقوله تعالى اعملوا ما شئتم الآية في ضمن قوله التهديد للفاقتة
السيئة التي تدرك وفي قوله فاصنع ما شئت التوبيخ على شيء
قد ادركه وهو عدم الحياء ولذلك يتقدرها فاصنع ما شئت
من خير او شر فان صنعت خيرا فانك تصنعه في جانب ما صنعت
من خير الحياء وان صنعت شرا فهو يسير في جانب ما عدمت من
الحياء هذا مهما اخرجنا قوله اصنع ما شئت على انه امر موضوع
للتوبيخ وان كان يحمله على الامر المراد به الخير فيكون معناه اذا
لم تستحي صنعت ما شئت اي تفعله تفسك من الرزايل لان
الامانع لها من فعل السوء اذا الحياء هو الزاجر للنفس عن الاسوا
فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى والمعنيان صحيحان
وخارجان من موضوعة اللسان فتامل هذا فانه لطيف
جدا وقيل معناه اذا لم تصنع شيئا تستحي بكه فيه استحييت منه
فاصنع ما شئت كانه يقول جميع عملك حسن جميل اذا ذكره
السمنطاري في كتابه الكبير وخرج ابو ابي شيبه عن ابي مسعود
الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اخر ما كان من كلام النبوة اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
قال ابن وضاح معناه ان اخر ما ادرك الجاهلية من كلام
النبوة هذا انتهى كلامه وقال النووي وعلى هذا مدار الاسلام

قال الطو

قال الطوفي لان افعال الانسان جميعها اما ما يستحي منه واما
ما لا يستحي منه فالاول يشمل الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع
والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلها مشروع
في الاولين جايز في الثالث وهذه هي احكام الافعال الخمسة
الذي تضمنها الحديث لم يشذ منها شيء فثبت ان عليه مدار
الاسلام وقال ابن الفاكهاني لا يشك ان الحياء من الخصال الشريفة
والصفات المنيفة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم
الحياء خير كله الحياء لا يأتي الا بخير لكن لا ينبغي ان يفهم الحياء حتى
يستحي فيما يضره من امر دينه وامر دنياه اما امر الدين فمثل
ان يؤدي به الحياء الى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو
ذلك واما امر الدنيا فمثل ان يأتيه من يطلب منه قرضا وهو
يعلم سوء معاملته او يستعير دابة منه وهو يعلم انه لا يرفق
بها بل يعيبها ونحو ذلك فيمنعه الحياء من ذلك فهذا حياء ليس
بمحمود ومن الحياء غير المحمود الحياء في العلم حتى يؤدي به الحياء الى ترك
السؤال عنها فهذا ايضا مذموم وقد مدحت عائشة رضي
الله عنها نساء الانصار فقالت نعم النساء نساء الانصار
لم يمنعهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن وقالت ام
سليم رضي الله عنها يا رسول الله ان الله لا يستحي من
الحق فهل على المراة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم
اذا رايت الماء وفي بعض الاحاديث ان ديننا هذا لا يصلح
لمستحي ولا المتكبر فيحمل على الحياء المذموم كما تقدم لا مطلق
الحياء كيف وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اشد حياء من

البكر في خدرها وفي الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة والحيا شعبة من الايمان وان كان المراد بالايمان هنا الاعمال على ما قيل قالوا والحيا انقباض وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على ما يستقبح ويذم عليه واصله غريزي في الفطرة ومنه مكتسب الانسان وهذا المكتسب هو الذي جعله الشرع من الايمان وهو الذي يكلف به واما الغريزي فلا يكلف به اذ ليس ذلك من كسبنا ولا في وسعنا ولم يكلف نفسا الا وسعها غير ان الغريزي يحمل على المكتسب ويعين عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام الحيا لا يأتي الا بخير والحيا خير كله واولى الحيا من الله تعالى وهو ان لا يراك حيث نهاك وذلك لا يكون الا بمعرفة بالله تعالى كاملة ومراقبته له حاصلة وهو المعبر عنها بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك اقاله صاحب المفهم وروى الترمذي من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحي والحمد لله فقال ليس ذاكم ولكن الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ الراس وما حوى والبطن وما وعى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحيا اقاله صاحب المفهم واهل المعرفة في هذا الحيا متفاوتون كما انهم في احوالهم متفاوتون كما تقدم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له كمال نوعي الحيا فكان في الحيا الغريزي اشد حيا من العذراء في خدرها ومن حاله الكسبي في ذروتها انتهى وفي حديث عائشة ان الحيا من الايمان والايمان في الجنة ولو كان الحيا رجلا لكان رجلا صالحا وان الفحش من الفجور وان الفجور في النار ولو كان

الفجور

رجلا لكان رجلا سوءا والله لم يخلقني فحاشا وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض الله عبدا نزع منه الحيا فاذا نزع منه الحيا لم يلقه الا بغيضا مبغضا ونزع منه الامانة فاذا نزع منه الامانة نزع منه الرحمة واذا نزع منه الرحمة نزع منه ربقة الاسلام فاذا نزع منه ربقة الاسلام لم تلقه الا شيطانا مريدا وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحيا والايمان قرنا فاذا سلب احدهما تبعه الاخر قلت فما حد الحيا قال الجواب هو تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاقب به او يذم عليه وروى البيهقي عن سعيد بن زيد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال اوصيك ان تستحي من الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك وسيل الجنيد عن الحيا فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فتولد من هذين الحالين حال يسمى الحيا وعن الفضيل خمسة من علامات الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحيا والرغبة في الدنيا وطول الامل وعن السري قال كان الناس يتعاملون بالدين زمانا ثم ذهب الدين فتعاملوا بالوفاء زمانا ثم ذهب الوفاء فتعاملوا بالمروءة ثم ذهبت المروءة فتعاملوا بالحيا زمانا ثم ذهب الحيا فصاروا الى الرغبة والرهبة وقيل في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه قيل انه البرهان انها التفت توبا على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ما ذا تفعلين قالت استحي منه فقال يوسف عليه السلام انا احق ان استحي من الله وعن ابي سليمان الداراني قال الله

تعالى عبدي الكرما استحييت مني استحيت الناس عيوبكم وانسيت
بقاع الارض ذنوبكم وحموت من امام الكتاب زلاتكم ولا انا فتشكم في
الحساب يوم القيامة وقيل روي ان رجلا رجلا يصلي خارج المسجد
فقيل له لم لا تدخل المسجد فتصلي فقال استحي منه ان ادخل بيته
وقد عصيته وقيل الحياء وجوه حياء الجناية لآدم عليه السلام
لما قيل له اقرار ام انكار فقال لا بل حياء منك وحياء الفضيحة كما ملائكة
يقولون ما عبدناك حق عبادتك وحياء الاجلال كاسرافيل عليه
السلام ستر بل جناحيه حياء من الله وحياء الكرم كالنبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا استحيا من امته ان يقول لهم اخرجوا فقال
الله عز وجل ولا مستانسين لحديث وحياء حشمة كعلي رضي
الله عنه حين سال المقداد حتى سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن حكم المذي لمكان فاطمة رضي الله عنها منه وحياء
الاستمقاء كموسى عليه السلام قال انه لتعرض لي الحاجة من الدنيا
فاستحي ان اسالك يا رب فقال الله تعالى سلني حتى ملح عجينك وعلف
شاتك وحياء الانعام هو حياء الرب عز وجل يدفع الى العبد كتابا
مختوما بعد ما عبد الصراط واذا فيه نعلك ما فعلت ولقد
استحييت اذا ظهر عيبك فاذهب فاني قد غفرت لك وفي بعض
الكتب قال ما نصفتني عبدي يدعوني فاستحي ان ارده ويعطيني
الا يستحي مني وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الخلق ناداه ملكاه
عظ نفسك بما تعظ به اخاك والا فاستحي من سيدك فانه يراك
وعن يحيى بن معاذ قال هيبة الناس من المؤمن على قدر
هيبته من الله وحياؤهم منه على قدر حيائه من الله وجبهم
له على قدر رهبته منه تبارك وتعالى قال الحليمي رحمه الله ويدخل

في جملة

وجملة الحياء من الله ثم من الناس ستر العورة وروى البيهقي
عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى
غنم له وفيها اجير له يرعاها واذا الاجير متجرد فيها فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له لم لا تستتر عنك ما ترى احدا فقال
يا رسول الله الم احسن الرعاية والولاية قال بلى ولا احباك لا يكون
فيها من لا يستحي من الله عز وجل واذا اخلا وعن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن دخول الحمامات
ثم رخص للرجال ان يدخلوها في المآزر ومن عمر بن الخطاب
انه قال ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة
يدار عليها الخمر ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يدخل
الحمام الا بمئزر ومن كانت تومن بالله واليوم الآخر فلا تدخل
الحمام ومن عائشة رضي الله عنها انها نسائ من اهل الشام
فقالت لعلكن من الكورة التي يدخلن نساؤها الحمامات قلن
نعم قالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اي
امراة وضعت ثيابها في غير بيتها فقد هتكت ستر ما بينها
وبين الله عز وجل ومنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيس البيت بيت الحمام لا بيت يستر ما لا يظهر وما ستر
عائشة ان لها مثل احد ذهبا وانها دخلت الحمام قال البيهقي
بهذه الاخبار تنهى عن دخول الحمامات على الاطلاق وذكر لما
يبني عليه امرهن من المبالغة في الستر ومن عمر ابن الخطاب
قال لا يحل لرجل يدخل الحمام الا مريض ولا يحل لامراة ان تدخل
الحمام فقام رجل فقال لقد منعتها حين سمعتك تنهى عن ذكر انها

لسقيمة فقال عمر الا من سقم ومن ابي هريرة قال نعم البيت بيت
الحمام يذهب الدرن ويذكر النار قال البيهقي وهذا موقوف واسناده
صحيح وروى محمد بن عبد الرحمن الحمام بن راي بعض اخوانه عمريانا
فغمض عينيه فقال له العريان مذ كم عميت قال منذ هتك الله
ستركِ قيل وكان ابن المبارك اذا دخل الحمام ثم خرج صلى ركعتين
واستقبل ما راى فيه اورى من نفسه وفي الحديث اذا اتى احدكم
اهله فليستتر ولا يتجردان تجرد العيرين وروى البيهقي
عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تستفتح عليكم ارض الاعاجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها
الحمامات فلا يدخلنها الرجال الا بالازر وامنعوا النساء ان يدخلنها
الا مريضة او نفساء وقال ابن عمر اني اكره الحمام وذكر انه من رقيق
العيش وانه اعلم وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال
قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ
عورتك وعن زوجتك وما ملكت يمينك قلت يا رسول الله اذا القوم
بعضهم في بعض قال ان استطعت ان لا يرينها احد فلا يرينها قال
قلت يا رسول الله اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق ان
تستحي منه ومن الناس وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على فخذه والله اعلم الحديث الحادي والعشرون عن
ابي عمرو وقيل ابي سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال فيه
احدا غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم رواه مسلم
الكلام عليه من وجوه احدها سفيان هذا محمد وقيل اهل الطائف
وكان عاملا لعمر ابن الخطاب في ارض عامله عليها روى عنه عمرة

ابن

ابن الزبير وابنه هشام روى له مسلم حديثا واحدا وروى له
الترمذي وابن ماجة والنسائي وله في الكتب حديثان الثاني
هذا ماخوذ من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
الاية فقوله امنت بالله هو معنى قولهم ربنا الله اذ لا يتقدر بوسيلة
الا من امن به وهذا الحديث على اختصاره من اجمع الاحاديث
لاصول الاسلام اذ الاسلام توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل
بقوله امنت بالله والطاعة بجميع انواعها في ضمن قوله استقم
لان الاستقامة هي امتثال كل ما مور واجتناب كل محظور وذلك
يدخل فيه اعمال القلوب والابدان من الايمان والاسلام والاحسان
وفي تفسير الزمخشري فاستقم كما امرت استقامة مثل الاستقامة
التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ثم قال وعن ابن عباس
قال ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية كانت
اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني سورة
هود والواقعة واخواتها وروي اصحابه قالوا له لقد اسرع
اليك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت
شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبيا
وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم وعن جعفر ابن محمد الصادق
فاستقم كما امرت انتزع الى الله بصحة العزم انتهى وقال صاحب
المفهم هذا الجواب وجواب الاخر بقوله امنت بالله ثم استقم
دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم فاختصر
له اختصارا كما قاله مخبرا بذلك عما نفسه فانه صلى الله عليه
وسلم جمع لهذا السايل في هاتين الكلمتين معاني الاسلام والايمان

والايمان كلها فانه امره ان يجدد ايمانه متذكرا بقلبه وذاكرا بلسانه
ويقتضي هذا استحضار تفصيل معاني الايمان الشرعي بقلبه
التي جاءت في حديث جبريل فامره بالاستقامة على اعمال الطاعات
والانتهاء عن جميع المخالفات او لا يأتي الاستقامة مع شيء من
الاعوجاج فانها ضده وكان هذا القول مشتركا من قوله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية امنوا بالله
ووحدوه ثم استقاموا على ذلك وعلى طاعته الى ان توفوا
عليها كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه استقاموا والله على
طاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وتخلصه اعتدلوا على
طاعة الله عقدا وقولا وفعلا ودوموا على ذلك انتهى الحديث
الثاني والعشرون عن ابي عبد الله جابر ابن عبد الله
الانصاري رضي الله عنهما ان رجلا سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ارايت اذا صليت المكتوبات
وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم
ازد على ذلك شيئا ادخل الجنة قال نعم رواه مسلم الكلام
عليه من وجوه الاول جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري
السلمي بضمهما يكنى ابا عبد الله وقيل ابا عبد الرحمن وقيل ابا محمد
المدني وامه انيسة بنت عميه ابن عدي ابن سفيان اسلمت
وبايعت ذكرها ابن سعد في النساء الصحابيات قدم جابر الشام
ومصر وكان من سكان المدينة وابوه عبد الله عقبي بدري احدي
وشهد العقبة الثانية مع ابيه صغيرا ولم يشهد الاولى وذكره
بعضهم في البدريين ولا يصح انه روي عنه انه قال لم يشهد بدرا
ولا احد امنعني ابي فلما قتل ابي لم اتخلف روي له عن رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم الف حديث وخمس مائة حديث
واربعون حديثا اخرجا له مائتي حديث وعشرة احاديث
اتفقا منها على ثمانية وخمسين وانفرد البخاري بستة وعشرين
ومسلم بمائة وستة وعشرين وروى عنه ابو بكر وعمر وعلي وابي
عبيدة ومعاذ وخالد بن الوليد وابو هريرة وروى عنه جماعة
من التابعين وغيرهم روى له الجماعة عنه وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وعنه
قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الشعير
خمسا وعشرين مرة وعن هشام ابن عروة قال رايت لجابر
حلقة في المسجد تو فخذ عنه ومات سنة ثمان وسبعين وقيل
سنة تسع وسبعين وقيل غير ذلك الثاني هذا الرجل السائل
هو النعمان ابن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو والمعاتبة
واخذه لام رضي الله عنه الثالث ارايت معناها اخبرني قال
الزمخشري في قول الله تبارك وتعالى ارايتكم كاد الخطاب وهذا
مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي انتهى الرابع
ان قيل لم لم يذكر الحج له قيل لعله لم يكن فرض كما سبق في حديث
ابن عمر او انه ادرجه في تحليل الحلال وتحريم الحرام لان ترك الحج وغيره
من الواجبات حرام فتناوله تحريم الحرام ومعنى حللت الحلال
اعتقدت حله سواء فعلا ولم يفعل ومعنى حرمت الحرام اجتنبته
معتقدا تحريمه وتحليل الحلال وتحريم الحرام كلام جامع لاصول الدين
وفروعه لان احكام الشرع اما قلبية او بدنية وعلى التقديرين
اما اصلية او فرعية فهي اربعة بحسب القسمة ثم جميعها اما
ماذون فيه وهو الحلال او ممنوع منه وهو الحرام واللام في الحلال

والحرام للاستراق فاذا حل كل حلال وحرم كل حرام فقد اتى بجميع
وظايف الشرع وذكر مستقلا لدخول الجنة قال صاحب المفهم هذا
السايل انما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول
من فعل ما يجب عليه وانتهى عما حرم عليه ادخل الجنة فاجابه بنعم
ولم يذكر له في الحديث شيا من المتطوعات وهذا يدل على جواز
ترك المتطوعات على الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيا منها فقد
فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم على ترك
شي من السنين كان ذلك نقصا في دينه وقدحا في عدالته فان كان
تركه تهاونا ورغبة عنها كان ذلك فسقا فيستحق به ذما
وقد قال علماؤنا لو ان اهل بلدة تواطوا على ترك سنة لقوتلوا
حتى يرجعوا ولقد كان من سير الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم
يتابعون على فعل السنن والفضايل متابعتهم على الفرايض
ولم يكونوا يفرقوا بينهما في ثوابهما وانما احتاج ايمة الفقه الى ذكر
الفرق لما يترتب عليه من وجوب الاعادة لتركها وعرف العقاب
على التارك وانما تركا النبي صلى الله عليه وسلم تنبيها على السنن
والفضايل تسهيلا وتيسيرا للغرب عهده بالاسلام ليلا يكون
الانكار من ذلك تنفيرا وعلم انه اذا تمكن في الاسلام وشرح الله
صدره رغب فيما رغب فيه غيره دليلا يعتقد ان السنن والتطوعات
واجبة وقد سال سايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
فاخبره انها خمس فقال هل علي غيرها فقال لا الا ان تطوع ثم سأله
عن الصوم ثم سأله عن الحج والشرايع في كل ذلك يقوله هل علي
غيرها فيقول لا الا ان تتطوع فقال في آخر هذا والله لا ازيد
على هذا ولا انقص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

افلح

افلح ان صدق وفي رواية ان تمسك بما امر به دخل الجنة وذكر البخاري
في كتاب الصوم نقارب والله لا اتطوع شيا انتهى فان قلت فما الحرام
حتى يحرم قلت قد تقدم في حديث الحلال بين والحرام بين ما بقي
من الامارة وقد قال الله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن وقال ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سياتكم وقال والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما
هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق
واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المومنات اخرجاه وهذا لا يمنع الزيادة بدليل اجتناب من
ثم قد ضم غيرهن قال البيهقي روينا من عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم الكباير تسع فذكرهن وذكر معهن عقوق الوالدين
واستحلال البيت الحرام وفي الحديث الثابت عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الكباير فقال
الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين او قال اليمين الغموس
والذي نفسي بيده لا ينبيكم باكبر
الكباير قول الزور او قال شهادة الزور وفي الحديث الثابت
عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من الكباير قول الزور
واليمين الغموس وفيه عنه من الكباير شتم الرجل والديه
قالوا يا رسول الله هل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب
ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وفي الحديث
الثابت عن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم
عند الله عز وجل قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم

ما ذا قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلن ثم ما ذا قال ان
تزني بحليلة جارك وفي الحديث الثابت عن عبادة ابن الصامت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بايعوني على ان لا تشركوا
بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا
ببهتان ولا تعصوا في معروف قال الحليمي رحمه الله اعلم ان قتل
النفس بغير حق كبيرة فان كان المقتول ابا او ابنا او ذا رحم
في الجملة او اجنبيا محرما بالحرم او بالاشهر الحرام فهو فاحشة
واما الخدشة والضربة بالعصا مرة او مرتين فصغيرة والزنا
كبيرة فان كان بحليلة الجار او بذات محرم او باجنبية في رمضان
او البلد الحرام فهو فاحشة وما دون الزنا الموجب للحد صغيرة
فان كان مع امراة الاب او حليلة الابن او اجنبية فهو فكبيرة
وقذف المحصنات كبيرة فان كانت اما او اخت او امرة فانية
فاحشة وقذف الصغيرة والمملوكة والحرة المنهتكة صغيرة
وكذا القذف بالخيانة والكذب والسرقة والفرار من الزحف
كبيرة فان كان المقذوف منعيفا فاحشة وعقوق الوالدين
كبيرة وبالسب والشتم والضرب فاحشة وان كان الاستقلال
لامرهما ونهيهما والعبوس في وجههما والتبرم بهما مع بذل الطاعة
ولزوم الصمت فصغيرة فان كان ما ياتيه العقوق من ذلك
يلجيهما الى ان يقيضا عنه فلا يامراه ولا ينهياه ويلحقهما من
ذلك ضرر فهذا كبيرة والسرقة كبيرة واخذ المال في قطع الطريق
فاحشة وسرقة الشيء التافه صغيرة ومن المسكين كبيرة
وشرب الخمر كبيرة فان سكر او جاهر به فاحشة فان مزجه
بالماء حتى ذهبت شدته وشربه فصغيرة وترك الصلاة

كبيرة

كبيرة فان صار عادة ففاحشة فان لم يواظب عليها من الخشوع
بان التفت او فرقع اصابعه او نحوه فصغيرة وترك الجمعة من غير
عذر كبيرة واتخاذه عادة فاحشة ومنع الزكاة كبيرة ورد السايل
صغيرة فان انتهره واغلظ عليه فكبيرة ولو راى محتاجا موسعا
عليه عليه طعام فتاقت اليه نفسه وساله منه فرده فكبيرة
والاصل ان كل محرم بعينه منهي عنه لمعنى في نفسه فان تعاطيه
كبيرة وتعاطيه على وجه يجمع وجهين او اوجها من التحريم فاحشة
وتعاطيه على وجه تقصير به عن رتبة المنصوص او تعاطى ما دون
المنصوص الذي لا يستوفي معنى المنصوص او تعاطى المنصوص
الذي نهي عنه ليلا يكون ذريعة الى غيره فهذا لها من الصغاير
وتعاطي الصغيرة على وجه يجمع وجهين او اوجها من التحريم
كبيرة انتهى ملخصا من كلام الحليمي قال البيهقي ويدل كلام الحليمي
وغيره من الايمة على ان الاصرار على الصغيرة كبيرة قال وعن ابن
عباس في قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه قال الكباير
كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او عذاب او لعنة وعنه كلما
نهى الله عنه كبيرة وعن طاوس قال قيل لابن عباس الكباير سبع
فقال هي الى السبعين اقرب والله اعلم

الحديث الثالث

والعشرون عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله
والحمد لله يملان او تملا ما بين السماء والارض والصلاة نور
والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس
يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها اخرجه مسلم

الكلام على هذا الحديث من وجوه احدها ابو مالك الاشعري اختلف
في اسمه فقيل الحرث وقيل عبيد وقيل كعب بن عاصم وقيل عمر
و روى له مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وروى له البخاري
على الشك فقال عن مالك الاشعري او ابي عامر الثاني قال الجوهري
الطهور بريد بالفتح ما يتطهر به كالفطور والسحور والوقود
قال الله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا قال ابن الفاكهاني
فقلت على هذا يكون المفهوم الفعل ويكون كالوضوء بالفتح الما
وبالضم الفعل واما الغسل فبالفتح للمصدر وبالضم الماء كما
الوضوء على ما حكاه الجوهري وقد قيل في الغسل ما قيل في الوضو
فايدة قال الشيخ جمال الدين مالك الجياني رحمه الله تعالى في املايه
على قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا فعول المشتق في الكلام
اما للمبالغة واما لغيرها فالذي للمبالغة شرطه ان يدل على زيادة
معنى فاعل مع مساواته له من تعدية ما له ولزوم كضروب
بالنسبة الى ضارب وولوج بالنسبة الى والج والذي لغير
المبالغة اما بنية مفتتحة دالة على معنى فاعل معينة عنه
نحو عقوق وحصور وهي الناقة الضيقة الاحليل وهي التي مناق
مجرى لبنها من مرعاها واما دالة ما يفعل به الشيء لرقوة وهو ما
يرقى به الدم اي ينقطع فتسمية الماء طهورا اما ان يكون للمبالغة
واما ان يكون مفعولا به التطهير كالرقوة وكالسحور وما يتسحر
وكالوضوء وهو ما يتوضأ به وكالسنون وهو ما يستن به وكالبرود
وهو ما تبرد به انتهى قال ابن الفاكهاني والطهارة مصدر ان
بمعنى النظافة تقول الكوب طهر الشيء بفتح الهاء ومنها يطهر بالضم
لا غير وهو المتنزه عن المستخبثات المحسوسة والمعنوية

كما قال

كما قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا الثالث الشطر النصف والشطر ايضا النحو والقصد قال
الله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه قال الجوهري
واصله من اخلاف الناقة ولها خلفان قادمان وخلفان اخران
ولكل خلفين شطر ويقال شطر عنه اي بعد وشطر اليه اي اقبل
والشاطر الذي اهمي اهله خبثا وقال غيره من الشيطان البعيد
من الخير الرابع قال الطوفي ثم في قوله الطهور اقوال ذكرها المصنف
احدها ان يتمم تضعيف ثوابه الى نصف اجر الايمان الثاني ان
الايمان يجب ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء لكن الوضوء تتوقف
صحته على الايمان فكانت نصف الثالث المراد بالايمان الصلاة
والطهور شطرها لصحتها فصارت كالشطر قال الطوفي ويشهد
لهذا قوله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى
بيت المقدس المصنف وقيل معناه غير ذلك قال الطوفي
الايمان شطر لصحة الصلاة باطنا وظاهرا الطهور غير شطر لها
ظاهرا فاقتسماها بالشطرية انتهى وقال صاحب المفهم اولى ما
قيل في ذلك ان يقال انه اراد بالطهور الطهارة من المستخبثات
الظاهرة والباطنة والشطر النصف والايمان هنا هو بالمعنى
العام كما يدل عليه بقوله صلى الله عليه وسلم الايمان تصديق
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ولاشك ان هذا الايمان
ذو اخصال كثيرة واحكام متعددة غير انها منحصرة فيما ينبغي
التنزه عنه والتطهر منه وهي كما نهى الشرع عنه وما ينبغي
التلبس به والاتصاف به في كل ما امر الشرع فهذان النصفان
عبر عن احدهما بالطهارة على مستعمل اللغة وهذا كما ثبت في

مرفوعا الايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر وقد قيل
ان الطهارة الشرعية لما كانت تكفر الخطايا السابقة كانت
كالايمان الذي يجب ما قبله وكانت شطرا الايمان بالنسبة الى محو
الخطايا وهذا فيه بعد اذ الصلاة وغيرها من الاعمال الصالحة
تكفر الخطايا فلا يكون لخصوصية الطهارة بذلك معنى ثم لا يصح ايضا
معنى كون الطهارة نصف الايمان بذلك الا باعتبار انها انما تكون
مثاله في التفكير ولا يقاس على المثل للشيء شطره وقيل ان الايمان
هنا يراد به الصلاة كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم على قول بعض المفسرين ومعناه على هذا
ان الصلاة لما كانت مفتقرة الى الطهارة كانت كالشطر تعلوها
ايضا فاسدا اذ لا يكون شطر الشيء شطره لا لغة ولا معنى
والاولى التاويل الاول انتهى وقيل يحتمل ان يكون معناه ان الايمان
تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر وهما شطران للايمان
والطهارة متضمنة للصلاة فهي انقياد في الظاهر والله اعلم
والخامس قد دل هذا الحديث على تعظيم امر الطهارة وكثرة
ثوابها حتى جعلها الشارع شطر الايمان الذي يبنى عليه ثواب
الدنيا والاخرة وفي صحيح مسلم عن حمران مولى عثمان قال
اتيت عثمان ابن عفان بوضوء فتوضا ثم قال ان ناسا يحدثون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث لا ادري ما هي الا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا مثل وضوئي
هذا ثم قال من توضا مثل وضوئي هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه
وكانت صلاته ومشيه الى المسجد نافلة وفيه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد

المسلم

المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطية نظر
اليها بعينه مع الماء او مع اخر قطرة من الماء فاذا غسل يديه خرج
من يديه كل خطية كان بطشتها يداه مع الماء او مع اخر قطر الماء
فاذا غسل رجليه خرجت كل خطية مشتها رجلاه مع الماء او اخر
قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب وفيه انتم الغر المحجلون
يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته
وتحجيله وفيه عنه سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وروى مالك عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره
وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط فذلكم وفيهما من حديث عثمان حين توضا ثلاثا ثلاثا
ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه
غفر له ما تقدم من ذنبه وفي البيهقي عن عثمان قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضا فاسبغ
الوضوء ثم مشى الى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الامام غفر له
ذنبه وفي صحيح مسلم عن حمران مولى عثمان قال سمعت عثمان
ابن عفان وهو بفناء المسجد فجاءه المؤذن عند العصر فدعا بوضوء
فتوضا ثم قال والله لاحدثنكم حديثا لولا اني في كتاب الله ما
احدثكم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يتوضا رجل فيحسن الوضوء ثم يصلي صلاة الا غفر له ما بينه
وبين الصلاة التي تليها والاحاديث بنحو ذلك كثيرة مشهورة
السادس قوله صلى الله عليه وسلم والحمد لله تملا الميزان

ايي ثوابها يملا خيرا قال الطوفي ولعل السبب المناسب لذلك ان
اللام في الحمد للاستغراق وجنس الحمد الذي يحب الله ان يستحقه
يملا الميزان فكذا ثوابه انتهى والميزان مفعال من الوزن واصله
موازن فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ومثله ميعاد وميقات
ونحوه لانهما من الوعد والوقت وهذا الحديث ظاهر في ثبوت الميزان
في المعاد حقيقة خلافا للمعتزلة او لبعضهم اذ قالوا الميزان الوارد
في الكتاب والسنة كناية عن اقامة العدل في الحساب لا انه
ميزان حقيقة ذو كفتين ولسان كما يقال يد فلان ميزان
والظاهر في الكتاب كونه حقيقة مع اهل السنة وقد قيل للنبي
صلى الله عليه وسلم اين نجدك يا رسول الله قال عند الحوض
او الصراط او الميزان ونقل الواحدي في تفسيره عن ابن عباس
رضي الله عنه قال توزن الحسنات والسيات في ميزان له لسان
وكفتان فاما المؤمن فيوتى عمله في احسن صوره فتوضع في
كفة الميزان فتثقل حسناته على سياته فذلك قوله تعالى فمن
ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وهذا كقوله تعالى ونضع
الموازين القسط الاية وانما قال تعالى موازينه على الجمع حملا
على معنى من دون لفظها او اراد بالموازين الموزونات كما
ذهب اليه بعضهم قال ابن عباس رضي الله عنه ويوتى بعمل
الكافر في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه فذلك
قوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم اي صاروا الى العذاب
ومن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نايما في حجري فقطرت دموعي على خديه فاستيقظ فقال لي
مايبكيك فقلت ذكرت القيامة وهولها فهل تذكرون اهليكم يا رسول

الله

وقف لله تعالى جميع طلبة العلم بالازهر ومعهده بر واق البيها
الله فقال ثلاثة مواطن لا يذكر احد فيها احدا الا نفسه عند الميزان
حتى يعلم اخف ميزانه ام ثقل وعند اخذ الصحف حتى يعلم ايا خذ
صحيفته بيمينه ام بشماله وعند الصراط حتى يجاوز قال الحليمي
رحمه الله وفي كيفية الوزن وجهان احدهما ان صحيفة الحسنات
التي كتبها كاتب اليمين توضع في اليمين والاخرى في الشمال فيثقل
الله ما يخف ويخفف ما يثقل الثاني يوزن الجسم ويزاد في
في الثقل ما قرب من رضى الله وفي الخفة ضده وعن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلايق يوم القيامة
فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر
ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة
وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم
قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء رواه الترمذي
وفي الكبرا اذا خفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها
حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى
الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن
خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
صلواتك التي كنت تصلي بها علي قد رفيتك اياها احوج ما يكون

اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر ابو نعيم باسناده عن
نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت
قال القرطبي وروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال
توضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيها السموات
والارض لوسعتهن فتقول الملائكة يا ربنا ما هذا فيقول ميزان
ازن به من شئت من خلقي فتقول الملائكة عند ذلك ربنا ما
عبدناك حق عبادتك قال وجاء في الخبر ان الجنة توضع على يمين
العرش والنار عن شمال العرش ويؤتى بالميزان فينصب
بين يدي الله تعالى كفة للحسنات عن يمين العرش تقابل الجنة
وكفة للسيئات عن يسار العرش تقابل النار ذكره الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول ولقد احسن من قال

تذكر يوم تاتي الله فردا وقد نصبت موازين القضا
وهتكت الستور عن المعاصي وجاء الذنب مكشوف الغطا

قوله وسبحان الله والحمد لله تملان او تملا ما بين السموات
والارض قال الطوفي هذا التردد في تملان او تملا شك من بعض
الرواة وكلا الامرين جايز لغة لان سبحان الله والحمد لله
جملتان في اصطلاح النحاة ويصدق عليهما كلمة عند اهل
اللغة كما يسمون الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة ويقولون
من فلان في كلمته فان كانت الرواية سبحان الله والحمد لله تملان
فباعتبار انهما جملتان اصطلاحا وان كانت تملا فباعتبار انهما
كلمة لغة انتهى وقال الزمخشري سبحان الله علم على التسبيح
كقطام للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره

اسبح الله سبحانا ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل
على التنزيه البليغ من جميع القبايح التي يضيفها اليه اعداء الله انتهى
وقال ابن مالك هو اسم بمعنى التسبيح وليس بعلم لانه لو كان علما لم
يصرف الاسم واحد الكسائر الاعلام المضافة وزعم ابو علي والزمخشري
ان الشاعر ترك تنوين سبحان في قوله سبحان من علقمة الفاخر لانه
علم على التسبيح فلا ينصرف للعلمية وزيادة الالف والنون وليس
الامر كما زعم لانه مضاف الى محذوف مقدر الثبوت انتهى وروي طلحة
ابن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
سبحان الله فقال هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء ذكره القرطبي
في تفسيره قال ابن دحية واختلف في اشتقاقه فقيل هو مشتق
من السبح وهو الجري والذهاب قال الله تعالى ان لك في النهار
سبحا طويلا فالتسبيح جار في تنزيه الله تعالى وتبريته من
السوء وقيل مصدر متروك فعله التقدير سبح تسبيحا انتهى قال
النووي معناه ان ثوابهما لو قدر جسما لملا ما بين السما والارض
وسبب ما اشتملنا عليه من التنزيه والتفويض الى الله
تعالى قال الطوفي اما التنزيه فظاهر من سبحان الله واما
التفويض فلعله ما خوذ من عموم الحمد لله يقتضي عموم
الحمد كل حامد من السراو الضراو ذلك رضى وتفويض قوله والصلاة
نور ذكر المصنف فيه اقوالا احدها ان الصلاة تنهى عن المعاصي
وتنهى عن الفحشا وتهدي الى الصواب فهي نور بهذا الاعتبار
الثاني ان ثوابها يكون نورا لصاحبها يوم القيامة الثالث
انها سبب في استنارة القلب انتهى قال ابن الفاكهاني في قوله
عليه الصلاة والسلام والصلاة نور هو من باب قولهم زيد اسد

لجعله نفس الاسد مبالغة في التشبيه ويحتمل انه يكون من باب
قولهم رجل عدل وفي ذلك ثلاثة اوجه اما ان يكون جعل نفس
العدل كما تقدم واما ان يكون معناه ذو اعدل على حذف المضاف
واما ان يكون بمعنى عادل ذو اعدل على حذف المضاف وعلى الاول
جعل الصلاة نفس النور على طريقة المبالغة وعلى
الثاني يكون المعنى الصلاة ذات نور لصاحبها وعلى الثالث
منيرة لوجهه قال صاحب المفهم ان الصلاة اذا فعلت بشروطها
المعتبرة والكملة نورت القلب بحيث تشرق فيه انوار المعارف
والمكاشفات حتى امرئ يراعيها حق رعايتها انه يقول وجعلت
قرة عيني في الصلاة وايضا فانها تنوير بين يدي مراعيها يوم
القيامة في تلك المظالم وايضا فيتنور وجه المصلي يوم
القيامة فيكون ذا غرة وتحجيل كما تقدم كما قد ورد في حديث
عبد الله بن بشر مرفوعا امتي يوم القيامة غر من السجود
محجلون من اثر الوضوء قال ابن العربي ولا شك ان ذلك يوجد
في الدنيا فترى وجه المصلي لاسيما المتقي نيرا مضيا وترى وجه
من لا يصلي اسود مظلما وهذا مشاهد لا يكاد يخفى انتهى ومن
الدليل على عظم قدر الصلاة ان اكثر الفقهاء قالوا ليس بعد الايمان
بالله تعالى افضل من الصلاة وان الله لم يذكرها مع عبادة
بدنية او مالية الا قدمها عليها والتقدم يوزن بالاهتمام وان الصحابة
رضي الله تعالى عنهم كانوا لا يعدون شيئا تركه كفرا الا الصلاة وانها
ماحية للخطايا كما في الحديث ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل
منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيء
قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا وفي

الحديث

الحديث ثوبان سلني حاجتك قال اسالك مرافقتك في الجنة قال او
غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعني على نفسك بكثرة السجود قال
لانك تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة
وقوله والصدقة برهان ذكر المصنف فيه تاويلين احدهما انها حجة
لصاحبها في اداء حق المال الثاني انها حجة في ايمان صاحبها لان
المنافق لا يفعلها كما قال الطوفي البرهان هو الحجة المركبة
من مقدمات قاطعة وهو حاصل ما هاهنا فانه يقال مثلا
فلان يودي الزكاة طيبة بها نفسه فهو مومن وكل من ادى الزكاة
طيبة بها نفسه فهو مومن انتهى وقد حث الله تعالى على الصدقة
في مائة اية فقال تعالى وان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال من يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وليت شعري ما الذي يصد
المومن الموقن الموسر عن الصدقة وقد قرع سمعه قوله
عز وجل وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقوله عز وجل من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم
وغير ذلك من الايات المتضمنة الحث على الصدقة وهو يتجر
رباريح درهم في عشرة والله تعالى وعده على الحسنة بعشر
امثالها الى سبع مائة ضعف الى ما لا تتناهى كما جاء في الحديث
وانظر قوله تعالى ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
ولم نك نطعم المسكين وقوله تعالى انه كان لا يومن بالله العظيم
ولا يحض على طعام المسكين كيف قرن تعالى بينهما عدم طعام
المسكين بالكفر الموجب للخلود في النار وروى ابن حبان والبيهقي
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الاية مثل الذين

ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رب زدامتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط اليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رب زدامتي فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه الله
عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى
الا شيا قدمه ثم ينظر تلقا وجهه فتستقبله النار فمن استطاع
منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل وروى البيهقي عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اطعم اخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه
بعده الله من النار بسبع خنادق كل خندق مسيرة خمسمائة
عام وله عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايما مومن سقى مومنا شربة على ظمإ سقاه الله يوم
القيامة من الرحيق المختوم وايما مومن اطعم مومنا على جوع
اطعمه من ثمار الجنة وايما مومن كسا مومنا على عري كساه الله
من خضر الجنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة
وياخذها بيمينه ويربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه او فصيله
حتى ان اللقمة تصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله عز
وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ
الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات قال الترمذي

حديث

حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان
ينزلان فيقول فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول
الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل قال لي انفق انفق عليك والافضل ان تكون الصدقة
على القريب وان تكون في حال الصحة وقال رجل يا رسول الله
اي الصدقة اعظم قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى
الفقر وتامل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
ولفلان كذا الا وقد كان لفلان وروى اسد بن موسى عن بشر
ابن جحاش قال بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفه
ثم وضع اصبعه عليه ثم قال يقول الله عز وجل ابن ادم انى تعجزني
وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت
بين بردين وللارض منك وبيد يعني صوتا ثم جمعت ومنعت
حتى اذا بلغت الحلقوم قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما رجل بفلاة
فسمع صوتا في سحابة

قوله صلى الله عليه وسلم والصبر ضياء قال الشيخ اي الصبر
المحبوب وهو الصبر على طاعة الله والبلاء ومكاره الدنيا وعن
المعاصي ومعناه لا يزال صاحبه مستضيا مستمرا على الصواب
قال الطوفي يشتمل وجهين احدهما ان ثواب الصبر ضياء ونورا

هكذا رايناه بياضا في الاصل

في الاخرة والثاني اثر الصبر على الطاعة وعن المعاصي نور القلب
واستقامة بالحق وشاهده في قياس العكس لا بد ان على
قلوبهم ما كانوا يكسبون اي ان المعاصي سودت قلوبهم وصيرتها
مظلمة فان قلت لم جعل الصلاة نورا والصبر ضيا وهل بينهما
فرق فقد قيل ان الضيا اعظم وابلغ من النور بدليل قوله عز
وجل هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا والشمس اعم
واعظم نورا من القمر ولذلك قال الله ذهب الله بنورهم ولم يقل
بضيائهم لان النور اعم ابلغ وورد على قوله عز وجل الله نور
السموات والارض ولم يقل ضوء هما ولا ضياؤهما وقوله واشرقت
الارض بنور ربها ولم يقل بضوء ربها واجيب بان معنى الاية
منور السموات والارض وورد عليه ان السراج باق ولم يقل
مضيء ومضوء السموات واجيب بان النور اعم واشمل لانه
ليلا ونهارا والضوء ليس الا للنهار بالشمس على ان المراد
بنور السموات والارض هادي اهلها وانما جرت العادة لغة
وشرعا ان يقال نور الهداية لا ضوء الهداية وبذلك استعمل
في الكتاب العزيز نحو يخرجهم من الظلمات الى النور ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور واما قوله عز وجل واشرقت
الارض بنور ربها ولم يقل بضوء ربها فيجاب عنه بان الضوء كالضوء
الزايد على النور وانما يحتاج اليه النور المخلوق الناقص
اما نور الله عز وجل بتقديم كامل لا يحتاج الى معنى زايد يضيء
به كما ان القديم لذاته لم يحتج الى علة توجده ويحتمل ان المعنى
اشرقت بنور ملايكة ربها او بنور عدل ربها بدليل ان الارض
لو اشرق عليها نور الرب جل جلاله لانطربت وتقعرت كما يجل

لما تجلى

لما تجلى له ولا يلزم من نور الملايكة والعدل ان يكون ضوءا وباسه
التوفيق واما لم جعل الصلاة نورا والصبر ضيا فلان الصبر
اعم من الصلاة لاشتماله على الصلاة وغيرها من الطاعات او
تعلقه بذكر الله هو حبس النفس على الطاعة وعن المعصية
فكان جملة الضيا الذي هو اخص من النور اولى ولان الله عز
وجل قال واستعينوا بالصبر والصلاة والتقديم للاهم فالاهم
وقال الله عز وجل وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا ولم
يقل لما صلوا وقال عليه الصلاة والسلام ما اعطي احد خيرا
اوسع مما من الصبر وقال عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب ولم يات ذكر لغيرهم وقال بعض العلما لم يذكر الله
تعالى الصبر في القران الا مرفوعا بما يوجب الحث عليه والفرج
بعده نحو واصبر وما صبرك الا بالله واصبروا ان الله مع
الصابرين ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور قال
الاستاذ ابو نصر القشيري رحمه الله الصبر على اقسام
صبر على ما هو كسب العبد وصبر على ما ليس بكسب
فالصبر على قسمين صبر على ما امر الله به وصبر على ما نهى
الله عنه واما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره
على مقاسات ما يتصل به من احكام الله فيما له فيه مشقة
قال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل هين على
المومن وهجران المخلف في حب الحق شديد والمسير من النفس
الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فسيل عن الصبر
فقال تجرع غصص المرارة من غير تعبيس وقال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد

وقال ذو النون الصبر التباعد عن المخالفات والسكوت عند
تجرع غصص البليات واظهار الغنا مع حلول الفقر بساحات
المعيشة وقال ابن عطا الصبر الوقوف مع البلا بحسن الادب
وقيل الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وقال الخواص الصبر
الثبات على الكتاب والسنة وقال ابو محمد الحريري الصبر ان
لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخواطر فيهما
والتصبر هو السكون مع وجدان اثقال المحنة وانشد بعضهم
صبرت ولم اطلع هواك على صبري واخفيت ما لاقى عن موضع الصبر
مخافة ان يشكوا صغير صبابتي الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري
وقال ابو علي فارمذي الصابرون يعز الدارين لانهم نالوا معنى
معية قال الله تعالى ان الله مع الصابرين قيل لحسن البصري
وقتا في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم فقالوا
اصابك جاورتنا بين فاخذ يرميهم بالحجر واخذوا يهربون
فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وقال الله تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري
من هو وكان ابن شبرمة اذا نزل به بلا يقول سحابة ثم
تنقشع وغمرات ثم تنجلي وسيل السري من الصبر فجعل
يتكلم به فدب على رجله عقرب وهي تضربه بابرتها ضربات
كثيرة وهو ساكت فقيل له لم لا تتحامها فقال استحيت من الله
ان اتكلم في الصبر ولم اصبر وقال ابو علي حد الصبر ان لا يعترض
على التقدير فاما اظهار البلا على غير وجه الشكوى فلا ينافي
الصبر قال الله تعالى في قصة ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد

انه اواب

انه اواب مع ما اخبر عنه انه قال مسني الضر انتهى وروى النسائي
ان ابا فاطمة حدثهم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليكم بالعمرة فانه لا مثل لها قال يا رسول الله حدثني بعلم استغنم
عليه واعمله قال عليكم بالصبر فانه لا مثل له وروى البزار عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المعونة
تاتي من الله على قدر المونة وان الصبر ياتي من الله على قدر
البلا وذكر ابو عمر في التمهيد باسناده عن علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي
بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وانتظار
الفرج من الله عبادة وفي البخاري عن خباب ابن الارت
شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة
له في ظل الكعبة فقلنا له الا تستنصر لنا الا تدعو الله قال كان
الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار
فيوضع على راسه فيشق نصفين وما يصده عن دينه -
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم او عصب ما يصده
ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من
صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله او الذيب على غنمه ولكنكم
تستعجلون وفي صحيح مسلم عن صهيب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان امره كله له خير وليس
ذلك لاحد الا للمومن ان اصابه سراء شكر وان اصابه ضراء صبر
فكان خيرا له وفي الترمذي عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اعظم الجزاء مع اعظم البلاء وان الله اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضي له الرضى ومن سخط فله السخط حسن غريب

وعن سعد قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال
الانبياء ثم الامثل فالامثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فان
البلاء يعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة حسن
صحيح قوله كل يغدو اي يذهب واي يكدو وراح بعد الزوال
وقال الازهري معنى راح مضى لان الغدو والرواح عند العرب
مستعملان في السير اي وقت كان من ليل او نهار يقال راح في
اول النهار واخره ويروح وغداه بمعناه وهذا خلاف نضر الصباح
قال والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال
الشمس الى الليل ومعنى ذلك ان كل انسان يصبح ساعيا في
اموره وهو اما ان يكون الغالب عليه السعي في خلاص نفسه
بتوجهه بقلبه وقالبه الى الله وطلب ما عند الله تعالى مع
الاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها وعدم الاعتقاد بها
والتقييد بادب الشرع قولا وفعلا امتثالا واجتنابا فهذا
الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم فبايع نفسه فمعتقها
اي بايع نفسه من الله عز وجل وناهيك بها صفقة اغتنام
اذا كان الثمن عنها دار السلام والنظر فيها الى وجه الملك العلام
والعجب انه سعي يدل الى عتق وحرية وسيادة بسبب ما اسلفه
من الطاعة والعبادة والزهادة فاعتق نفسه من رق الخطايا
والمخالفات بلزوم اقتحام النار وعظيم العقوبات فان قلت كيف
يبيع الانسان نفسه لله والله تعالى له ملك السموات
والارض وتمليك المملوك تحصيل الحاصل قلت الامر كما قلت
غير انه سبحانه اسند الى الخلق التسبب والاضافات
بالتجوزات الشرعيات لوجه اليهم الخطاب بالتكليف الامريات

والزجريات

والزجريات وليحق عليهم كلمته من الله الفضل والعدل على
مقتضى ما وردت به الوعيد والتوعدات فلهذا اطلق على
اسم الملك وعلى هذا اسم المالك ورتب الاحكام على المملوك والملك
في المملوكات والمالك والمالك للخلق بمنزلة الاعضاء والمدارك
وايدهم بوفود الحفظة والكاتبين من الملائكة ثم اطلع عليهم
مكنون سوابق علمه فيهم فاشقى واسعد وقرب وابعد
فمنهم من سعى بنفسه مسلكي الفساد ومنهم من سلك طريق
القصد والرشاد فكان المعترض للفساد بايقاعه ما ملك بالشرع
بما استبدل له من الهوى والشهوات والطبع فالتحق باهل
الخسران الذين خسروا انفسهم واصحاب النار ومن
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما فوز الرشاد والسداد
فانهم شمروا عن ساق الاجتهاد وعرضوا عروض تجارتهم
على ذلا اله الا الليلين فغير بعضها من بعض فمنها ما قبل
بالثمن وضمنها ما يصلح لحضرة الملك الجليل فهم الذين فازوا
بقصب السبق وفازوا بثبوت عبوديتهم للحق فاصبحوا
في حصن حمايته يرفلون انه ليس له سلطان على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي
رحمه الله تعالى النفوس على ثلاثة اقسام نفس لا تشتري
لخستها وهي نفس الكافرين ونفس تشتري لكرامتها
وهي نفوس المؤمنين ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت
هويتها وهي نفوس الانبياء والمرسلين وقال الشيخ ابو السعود
رضي الله عنه النفس كجناب العبد عن مولاه والقاطعة له
عما رضاه فمن دام لها حركة لا يضعوا الوقت وما دام لها

خاطر لا يصغوا الذكر مع بقايها ومحق مصالحها واهمالها
يصعب اخلاص العلماء في تعليمهم والعباد في عبادتهم والوعاظ
في وعظهم وارباب المتابعة في عبودتهم ولا يحصل الصدق
للطالبين والسالكين في طلبهم واذا استولت على القلوب
اسرتها وصارت الولاية لها فان تحركت تحرك لها سائر
الجسد وان سكنت سكن من اجلها وان ذم او مدح كان
ذلك موافقة لها وان اعطوا ومنع او اعرض كان ذلك كله
متابعة لراحتها وطلبا لنصرتها والحق عز وجل هو الذي
اريد هذه الاشياء فيها وهو الذي ابتلى بها وامر بعبادتها
وافترض علينا رياضتها وابليس انما يقوى على العبد بها وحب
الرياسة لا يخرج قط من قلب العبد مع وجودها فكيف
يدعي عاقل بينه وبين الله عز وجل مع اسبابها ام كيف
يخلص عابد في عبادته وهو غير عالم بافاتها ومشتغل
بجماعتها والهوى يروحها والشيطان خادمها والشرك
مركوز في طبعها ومنازعة الحق عز وجل والاعتراض
عليه في افعاله مجبول في خلقتها وسوء الظن وما ينتج
من الكبر والزهو دقيق في دقة الاحترام بسببها ومحبة الصيت
والاشتهار حياتها ويكثر تعدادا فاتها وهي القاطعة عن
خالقها المشكلة فيما وعد به مالكها فليس لشوقها غاية ولا
بلاءها نهاية وهي التي نكره الاشياء تريدها وتطلبها به
وتهرب وصفاتها ان تقيد كما يقيد مولاها وتقطع كما يقطع
ربها وتستخدم الكل لاهواها فكيف يتوب عبد من مولاه
مع بقايها ومصالحتها ووجود هذه الهيات فيها وان تترك

الاكوان

الاكوان كلها ويسد الخافقين باعمالها فيها لانها مازجة الاعمال
والنيات والحركات والسكنات ممن استغرق عليها لا يفلح ابدا
فيمتاح الطالب كلما تمقته النفوس يفارقه وكلما تميل اليه
النفوس يفارقه وتقبل من الذامين ذمهم ومن المادحين
مدحهم ويقول ما عرفتم مسرة اصحاب قلبي وتقول لها في كل
نفس لا تقرب الله دارك فتعوذ بالله هيا ارهف لتثبت فيها
نزاهة النفوس ممن لم تر اهتها ورأى لها قدرا فما عنده
خير ومن علم ان في الوجود خيرا من نفسه ما عرف فكيف
يترهها او يقضب لها او يوذي مسلما لاجلها فمن صالحها لا
يفلح ابدا تجد ذرها كما يجد نزال السبع ويجتنب كما يجتنب السم فمن
دام لها حركة لا يصغوا الوقت وما دام تجارب لا يصغوا
الذكر تميل فتمتحنها لطوبيا بين لتظهر فتأمل هذا فان منيتها
دقيقة وما دامت في وجه القلب لا يصل اليه خيرا
لانها تكدر في وجهه وكلما قويت عليه وزاد سلطانها زاد
شر القلب وتقصر خيره وكلما ضعفت زاد خيره وتقصد
وما بقيت منها بقية فالشيطان لا يترك عنها والخواطر
المذمومة لا تنقطع عنها وينبغي ان تجذع في رياضتها
ولا يشتغل بقاومتها فمن اشتغل بمقاومتها اوقفته
وصاحبها مركبته بل تعطى راحة دون راحة ثم تشتغل الى
اقل من ذلك ومن قاومها رضخصها اشغلته ومن اخرها
بالجذع ولم يتابع هواها تبعته فليتأمل هذا ولا يهمله ومتى
اشتبه عليك المريد حالتها ولست عليه بمقالها وادعت
التذكر والعلم والعمل والتعليم من اجل مولاها فلتزنها بالميزان

الذي لا يخرم والمعيار الذي لا يظلم وهو تصوير انفاس كما ه
استقام لها الرزم بعد المدح والرد بعد القبول والاعراض بعد
الاقبال والمرض بعد الصحة والذل بعد العز والفقر بعد الغنا
والاهانة بعد الاكرام وزوال النظف وتغير الاحوال فان وجد
عندها التغير والانفصال فقد بقي في نفسه بقية يجب عليه
مجاهدتها ولا يجوز الاسترسال معها تصور في نفسه ارضاءها
بما فرجت عنه او اخراجها بما وخلت فيه فان وجد الانفصال
معها والتغير لرؤية الخلق لها فليعلم انه واقف معها
وحجابه لها وصغير لها عند الله فانها طالب لحظها وما كان هكذا فهو
بعيد من الله عز وجل بموافقتها معرض عنه باشتغاله بها
وليس الطريق اليه الا بتركها ولا القرب منه الا بالبعد عنها
والانفصال عنها للخروج او للخوف من رؤية الخلق لها
لان فيه هدم بعض ما بني لها من جاهها وعسى تركها ولم
يجرحها وسمع دعواها في صدق تركها وتعلقها وتقودها بر
وفر وجها قويت احلاتها وعجز عن الخروج عنها فكانه في
كل يوم يبني عليه ويشيد كل لحظة له به فيموت مع نفسه
معرضا عن ربه فتقدم تشيد لها الجاه والصيت فامكنه
الخروج عنه بل يموت بايديه وحسرته وقد يظهر ويعجز
عنه لانه بنى بنيانا محكما وشيد تشييدا موبدا واذا ظهر له
بهذا الميزان نقص فليعترف بنقصه ويشرع في رياضة
نفسه حتى يتوب من ربه وتصفو اعبوديته ويصح توحيده
فاذا عجز عن ذلك فليعلم ان هو وان هو تيم احواله كلها بر
بالاعتذار ويستغيث الى الله عز وجل بالحفظ من الافات

ورسالة

ورسالة على الدوام العفو عن العفوات ثم قال واعلم يا اخي
انه ما يقي له عدو يخاف ان يشمت به فليبق نفسه ويقاتل
الدنيا في قلبه ومن اعراض الخلق كلهم عنه فتوقف فهم معهم
مشترك بربه ومن كسر بلا مرض بتغير فهو وافق مع نفسه
وهو في حجاب عن ربه ومن تغير في حال الذل ولم يكن لما كان
في حال العز فهو محب للدنيا بعيد عن ربه انتهى كلامه رضي الله
عنه وقال الشيخ العالم اسماعيل الراعف في كتابه المسمى
بتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين قالت الحكماء
مرة اول ما يلزم الانسان معرفة نفسه وقالوا مرة اول
ما يلزمه معرفة الله وليس بين هذين القولين تناف
فانهم عنوا بالاول حيث قالوا معرفة الله الاول من حيث قالوا
معرفة النفس الاول من حيث الترتيب الصناعي وعنوا
حيث قالوا معرفة الله الاول من حيث الشرف والفضل
فان معرفة من افضل المعارف وفي معرفة النفس اطلاع
على امور كثيرة احدها انه بواسطتها يتوصل الى معرفة غيرها
ومن جملتها جهل كل ما عداها والثاني ان نفس الانسان
مجمع الموجودات كما تبين ممن عرفها فقد عرف الموجودات
ولذلك قال تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم لكافرون بين فيها انهم لو تدبروا انفسهم وعرفوها
عرفوا المعرفتها حقايق الموجودات فانيها وباقيها وعرفوا
بها حقيقة السموات والارض ولما انكروا البعث الذي هو
لقاء ربهم انه الحق وقال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم

حتى يتبين لهم انه الحق وقال وفي الارض ايات للموقنين وفي
انفسكم افلا تبصرون الثالث اما من عرف نفسه عرف
العالم ومن عرفهما صار في حكم المشاهدة عز وجل وهو
مما عرف خلق السموات والارض ولم يكن كالكفرة الفجرة الجهلة
الذين اثبتهم هذه المنزلة تعالى ما اشهدتهم تم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا
الرابع انه يعرف المعرفة روحه العالم الروحاني وبقاءه ومعرفة
جسده الجسماني وفناءه فيعرف الفانيات وشرف الباقيات
الصالحات والخامس انه عرف نفسه عرف اعداءه الكامنة
فيها المشار اليها بقوله عليه الصلاة والسلام اعدا عدوك
نفسك التي بين جنبيك فيستعيذ منها ومن شرها كما قال
عليه الصلاة والسلام اللهم الهمني رشدي واعذني من
شر نفسي وقال ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك
ومن عرف اعداءه الكامنة ومداخلها وكيفية ايقاعها
احسن ان يحترز منها وان يجاهدها فيستحق ما وعد
الله به المجاهدين في سبيله ومن لم يعرفها فجدير ان
يتزايد له عدوه الذي هو الهوى بصورة العقل فيصور
له الباطل بصورة الحق وقد قال عليه الصلاة والسلام
المرء شيطان بل قال هو اله يعبد في الارض فقد روي
انه عليه الصلاة والسلام قال ما عبد في الارض اله اعظم
الهفف الى الله من الهوى ثم تلى افرايت من اتخذ الهه
هواه السادس انه من عرف نفسه عرف ان يسوسها
ومن احسن ان يسوس نفسه احسن ان يسوس

العالم

العالم فيكون ومن خلقنا امة المذكورين في قوله وجعلكم
ملوكا السابع انه من عرفها لم يجد عيبا في احد الا راه موجودا
في ذاته اما ظاهرا منيعا واما كامنا فيه لكون النار في الحجر
فلا يكون هما زا ولا لماز ولا عيابا فان كل عيب يراي له من
غيره وجده في نفسه ومن راى عيب نفسه فجدير ان يكون
من دعاله النبي صلى الله عليه وسلم فقال رحم الله امرا
شغله عيبه عن عيوب غيره ومعرفة عيب النفس
صعب من حيث ان كل انسان يحب نفسه وحبه لها يعميه
عن معايبها كما قال عليه الصلاة والسلام حبك للشيء يعمي
ويصم والاعمى الاصم عن عيب الشيء قد يعجب به ولا ضرر
اعظم من اعجاب المرء بنفسه فقد قال عليه الصلاة
والسلام الكاذب في نهاية البعد عن الحق والمراي اسوا حالا
من الكاذب لان الكاذب يكذب بقوله فقط والمراي يكذب بقوله
وفعله قال واسوا حالا منهما المعجب بنفسه لان الكاذب
والمراي قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا ينفع فيه بوجه من
الوجوه ولانهما قد ينفع وعظك فيهما لعلهما بنقصهما والمعجب
بنفسه لجهله يظنك في وعظك اياه ملغيا الثامن انه من
عرف نفسه فقد عرف الله فقد روي انه ما انزل الله كتابا
الا وفيه اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وهذا معنى قوله
تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية الحديث
الرابع والعشرون عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه انه قال يا عبادي
اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا

يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي
كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم
عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني
اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا
نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر
قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي
لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد
فسالوني فاعطيت كل واحد مسئلته ما نقص ذلك مما
عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي
اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد
الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم
الكلام عليه من وجوه احدها قوله لا تظالموا بفتح التا اصله
تتظالموا الثاني قال الطوفي قوله تخطئون بالليل والنهار
ضبطه بعض الفضلا بفتح التا والطا على وزن تقرؤن من
الافتراء قال الخطا يخطئ ويخطا اذا فعل من غير قصد وخطا يخطا
على وزن علم يعلم ثلاثيا اذا فعل عن قصد ومنه ناصية كاذبة
خاطية قال وانما وجب ان يكون ها هنا تخطئون ثلاثيا لانه
جعله ذنبا يعقب بقوله تعالى وانا اغفر الذنوب جميعا والخطا
عن غير القصد معفو عنه لا يعتد به اصلا لا ذنبا ولا غيره
لقوله عليه الصلاة والسلام رفع لامتي عن الخطا والنسيان وتقص

يستعمل

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر وحوته بسراي الكبش
يستعمل لازما كنقص المال ومتعديا كنقصت زيدا حقه
وينقص المخيط هاهنا متعديان محل من البحر نصب به والمخيط
الابرة ومخيطها هو بكسر الميم وسكون الخا وفتح الياء وهو من
الالات فكذلك كسر اوله الثالث قوله اني حرمت الظلم على نفسي
قال النووي اي تقدست عنه فالظلم مستحيل في حق الله عز
وجل لانه مجاوزة الحد والتصرف في غير ملكه وهما جميعا محال في حق
الله تعالى قال الطوفي هذا قول الجمهور وقد ذهب قوم الى انه
عز وجل قادر على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله لاعتقاد
منه وتنزها عنه واحتجوا بقوله عز وجل وما انا بظلام للعبيد
وقد تمدح بنفي الظلم والحكيم لا يمتدح الا بما يقدر عليه ويصح
منه ولو قال الاعمى انا لا انظر الى المحرمات على جهة التمدح
لضحك منه الناس قالوا شيء لا يقدر عليه كيف يمدح بتركه
وايضا قوله اني حرمت الظلم على نفسي حقيقته اني منعت
نفسي منه وانما يمنع الحكيم نفسه مما يقدر على فعله ولو قال
آدمي اني منعت نفسي من صعود السما لسمج منه كذلك ولان
الله عز وجل عامل عباده معاملة المستاجر مع الاجراء حيث
قال لاهل الكتاب هل ظلمتكم من اجوركم شيئا قالوا لا قال فذلك
فضلي اتيه من اشاء والمستاجر يصح منه ظلم الاجراء لان
ترك الظلم مع امكانه والقدرة عليه امدح من تركه مع استحالته
والعجز عنه كما ان ترك الفحل للزنا امدح له بالعفاف من ترك
الخصي والعنة له انتهى كلامه قلت وعجبا من الطوفي كيف
استدل على مذهب المعتزلة وترك مذهب اهل السنة والجماعة
لاهل السنة ان الظلم لو جاز ان يكون مقدورا لله جاز ان يكون

موصوفا به لان تفسيره كونه جايزا ان يمكن في العقل تقدير وجوده
وما يمكن في العقل تقدير وجوده جاز ان يوصف الله تعالى به
وفيه تجويز كون الله تعالى ظالما وانه محال ولان الظلم لو كان جايزا
منه اما ان يجوز مع بقاء صفة العدل او مع زوال صفة العدل
لا وجه الى الاول لان فيه اجتماع صفة الظلم مع صفة العدل وانه
محال ولا وجه الى القول بزوال صفة العدل فان صفة العدل
واجبة لله تعالى والواجب ما يستحيل عدمه ولا يمكن في
العقل تقدير زواله فلم يتصور منه الظلم والسفه والكذب
لهذا ولان الظالم من نازع عن الحد والرسم ومن تكن افعاله
داخلة تحت التكليف والباري تعالى ليس فوقه من يحد له
الرسوم ويامره وينهاه ويتنجح له بعض الاشياء دون بعض
فيكون متجاوزه لذلك ظالما جايزا واما ما احتجوا به من الظواهر
فلا حجة في ذلك اما قولهم الحكيم لا يمتدح الا بما يقدر عليه فممنوع
بل وسنده النبي يمتدح بالمعجزة والقصة وليستا مقدورين
له من خلق الله تعالى وكذلك يمدح الادمي على الخلق الحسن
وان كان ذلك جليلة وعزيزة فالله تعالى مدح نفسه بترك
الظلم وجوابه ان عدم الظلم هو العدل فالمدفوع ما قيل والله
اعلم الرابع قال ابن الفاكهاني في الكبير جوازا طلاق النفس
على الله تعالى وهو مثل قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك وان كان بعض الناس تاول بان جعل النفس راجعة
الى عيسى عليه السلام اي ولا اعلم ما في معلوماتك وكانه اوقع
الظاهر موقع المضمر على هذا اذا كان الاصل ولا اعلم ما فيها
حرصا على بقاء قوله تعالى لكل نفس ذايقة الموت على عمومه

وفيه

وفيه تجد او هو بعيد فان صح له هذا في الاية كيف يصح له ذلك
في الحديث وما اشبهه مع انه لا ضرورة تدعوا الى ذلك
الخامس قد جعلته بينكم محرما اي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجمع
عليه في كل ملة فان المقصد انتفت على مراعاة حفظ العقول
والانفس والاموال والانساب والاعراض والظلم قد يقع في
هذه او بعضها السادس فلا تظالموا اي لا يظلم بعضكم بعضا
كما تقتضيه صيغة المفاعلة واعلم انه قد وردت ايات واحاديث
واثار واشعار في ذم الظلم قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
قال الزمخشري النهي بتناول الاختلاط في حرامهم والانقطاع
اليهم ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم
والتشبيه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل
الى الظالمين وحكي ان الواثق صلى خلف الا علم فقرا هذه الاية
فغشي عليه فلما افاق قال هذا فيمن ركن فكيف بالظالم وعن
الحسن حسبك بالله الذين يبين ولا تظلموا ولا تركنوا ولما
خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا
الله واياك من الفتن فقد اصبحت بحال يشفق فيها عارفك
ان يدعوا لك ويرحمك اصبحت سيدنا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله
بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله
الميثاق على النبيين والعلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس
ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما حملت انك
انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي به لو تركك من لم

يود حقا ولم يترك يا طلاحين اذاك اتحدوك نوسانة ورعليه
رحي باظلم وحيسرا يعبرون عبيدا في بلاهم وسلما يصعرون
فيدا في ضلالهم يدخلون الشديد على العما ويصطادون بك
قلوب الجهلا مما ايسر ما عمروا لكم ما خربوا لكم تجنب عليك
وما الكثر ما اخذوا فيك فيما افسدوا عليكم من دينكم فما يومنكم
ان تكون من قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلاة الاية وانك تقامل من لا يعمل ويعقد عليك من لا يعقد
فداو دينك فقد دخله سقم وهي تراد فقد حضر السفر
البعيد وما يحفى على الله من شيء في الارض ولا في السما والسلام
اتمي وقال عليه الصلاة والسلام من دعا لظالم بالبقا فقد
احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سيل سفيان عن ظالم
اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة من الما قال
لا قيل له يموت فقال دعه يموت وروى البيهقي في الشعب
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله
عز وجل لا يحب الفحش ولا يتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان
قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم
بالقطيعة فقطعوا قال فقام رجل فقال يا رسول الله اي
الاسلام افضل قال ان يسلم المسلمون من لسانك ويدك
قال فاي الجهاد افضل قال من عقر جوادك وهريق دمك وعقر جوادك قال فاي
الهجرة قال تهجر ما كره ربك فيهما هجرتان هجرة للبادي وهجرة
للحاضر فاما هجرة البادي فاذا دعي اجاب واذا امر اطاع واما
هجرة الحاضر فاشدهما بلية واعظمهما اجرا وفي البخاري عن

104

ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه او ماله فليتحللها
من صاحبها من قبل ان تاخذ منه حين لا يكون دينار ولا درهم
فان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له
عمل صالح اخذ من سيات صاحبه فحملت عليه وفي الحديث
اتقوا المظالم ما استطعتم فان العبد يجي يوم القيامة وله من
الحسنات ما يدري له انه يتمه فلا يدرك عبد فيغرم فيقول
يا رب ان فلانا ظلمني مظلمة فيقال امح من حسناته حتى لا يبقى
له حسنة وذكر البيهقي عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا
من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخف عن الناس
حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فاذا
هلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه ان ياخذها
فلما كان الغد وغدت البقرة اليه راعيها ثم راحت فحلبت فنقص
لبنها عن النصف وجا مقدار حلاب خمس عشر بقرة فدعى الملك
صاحبها فقال اخبرني عن بقرتك هذه ارعت اليوم في غير
مراعاتها بالامس او شربت في غير مشربها بالامس فقال لا
فقال ما بال لبنها نقص على النصف قال ما زاده الملك هم ان ياخذها
فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة قال فعاهد
الملك ربه في نفسه انه لا ياخذها ولا تكون له في ملكه ابدا فقال
فغدت البقرة فدرت ثم راحت فحلبت فاذا لبنها قدر عاد مقدار
ثلاثين بقرة فاعتبر الملك في نفسه واقسم على نفسه ليعدلن
وعنه قال اوحى الله الى داود يا داود قل للظلمة لا يذكروني فانه
حق علي ان من ذكرني ذكرته وان ذكري اياهم ان العنهم وعن ابن

شهاب قال كتب عمر وابن عبد العزيز الى بعض عماله اما بعد
فاتق الله فيمن وليت امره ولا تامن مكره في تاخير عقوبته
فانما يعجل العقوبة من يخاف الفوت ولما حبس يحيى بن خالد
البرمكي كتب من الحبس الى الرشيد ان كل يوم يمضي من بوسي
يمضي من نعمتك مثله والموعد الحشر والحكم الديان وقد كتبت
اليك بابيات كتبت بها امير المومنين علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه الى هوزين سفيان

اما والله ان الظلم شوم ، وما زال المسيء هو الظلوم
الى الديان يوم الحشر نمضي ، وعند الله تجتمع الخصوم
تنام ولم تنم عنك المنايا ، تنبه للمنية يا نوم
لامر ما تصرفت الليالي ، لامر ما تحومت النجوم

وانشد علي ابن حجر

النصح من رخصه في الناس مجان ، والغش غاله في الناس اثمان
تفاسد الناس والبغضا ظاهرة ، فالناس في غير دين الله اخوان
والعدل نور واهل الجور قد كثروا ، والمظلوم على المظلوم اعوان
والعلم فاش وقل العاملون به ، والعاملون لغير الله اقران

انتهى ما ذكره البيهقي ويحكى ان رجلا من اهل ارمنية لحقته
ظلامة من محمد ابن يحيى بن خالد وكان عاملا بها فقصد
باب الرشيد واقام سنة لا يحسر احد من الحجاب يوصل اليه
رقعة خوفا من اخيه جعفر فلما طال مكثه رق عليه بعض الحجاب
الرشيد فقال له اعلم ان امير المومنين قد جلس اليوم للشرب
على النهر الذي يدخل الى القصر فاجتهد ان تدفع قصتك في شيء
وترسلها على الماء فانها تصل اليه ويقراها فعمد الرجل الى خف

من خشب

من خشب وجعل فيه رقعته وسدحها على راس الماء فلما
راها الرشيد مد يده وتناولها ووقف عليها وبان الغضب
في وجهه فامر به فاحضر فقال له انت صاحب هذه الرقعة
قال نعم قال وانت على بابي منذ سنة لا تصل الي فخاف الرجل وقال
يا علي باب ذي الجلال فرفع الرشيد راسه وقال سوة لك
يا جعفر اذا اهملت ما اوجب الله عليك من الاهتمام به فان
كنت تكره منه عمله اهلت له من يقوم به ويقضي حق الله
وحق فيه ثم رمى بالرقعة اليه فنظر فيها مكتوبا ،
لو كان ما انتم فيه يدوم لكم ، ظننت ما آتاني فيه دايما ابدا
لكن رايت الليالي غير تاركة ، ما سر من حدث او سامطردا
فقد سكنت الي اني وانكوا ، سنستجد خلاف الحالتين غدا

فلما قراها سقط ما كان في يده وكانت الظالم مردودة اليه
فاعتذر بما احضره وكان القدح في يد الرشيد فقال والله
ما اشربه ولا اضعه من يدي دون ان تقضي حاجته فدعي
بالدواة ووقع عليها بجميع ما اراده وانصرف الرجل فرحا
ومجمل السابع قوله تعالى يا عبادي لكم فقال الامن هديته
واختلف في معناه على قولين احدهما انهم لو تركوا مع العادات
وما يقتضيه الطباع من الميل الى الراحات واهمال النظر المودي
الى المعرفة لغلبت العادات والطباع عليهم فضلوا عن الحق
وهذا هو الضلال المعنى لكن من اراد الله توفيقه الهمه
اعمال الفكر المودي الى معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة
الرسل واعانه على الوصول الى ذلك وعلى العمل بمقتضاه
ومثل ذلك راع له ابل عطاش او جياع فهي بداعيتها تهوي الى

موارد الهلكة ومدارع الغرة الا ما عارضه الدليل فقصده عن ذلك
وفي التنزيل والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم الثاني ان الضلال هنا يعني به الحالة التي كانوا عليها
قبل ارسال الرسل من الشرك والكفر والجهالات وغير ذلك كما قال
تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين اي كانوا على حالة واحدة من الجهل والشرك والضلال
فارسل الله الرسل ليزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضلال
ويدينوا لهم مراد منه الحق في حالهم وما لامرهم مما نبههم الله
وبصره للحق واعانه نحو المهتدي ومن لم يفعل به ذلك بقي على
ذلك الضلال وعلى كل واحد من التاويلين فلا معارضة بين قوله
كلكم ضال الا من هديته وبين قوله عليه الصلاة والسلام كل
مولود يولد على الفطرة لان هذا الضلال المقصود في هذا الحديث
هو الطارئ على الفطرة الاولى المغيرها كما قال عليه الصلاة والسلام
خلق الله الخلق على معرفته فاجتالهم الشياطين وهذا الحديث
حجة لاهل الحق على قولهم ان الهدى والضلال خلقه وفعله يخص
بما يشاء منهما من يشاء خلقا وان ذلك لا يقدر عليه الا هو
كما قال كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما كان لنا
ان نهتدي لولا ان هدانا الله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
وقد تطلق القدرة بمالا يبقى معه ريب لدى فهم سليم وقال تعالى
والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فعم الله عموما وخص بالهداية من سبقت له العناية الثامن
قوله تعالى كلكم جائع الا من اطعمته وذلك لان الناس عبيد
لا يملكون شيئا وخزائن الرزق بيد الله عز وجل فمن لا يطعمه

بفضله بقي جائع بعدله اوليس عليه اطعام احد قلت كيف هذا
مع قوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قلنا
هذا التزام منه تفضلا وتشبيه هذا قوله عز وجل انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
الاية اي ذلك واجب منه تفضلا اكراما لا عليه لزوما فاستطعموني
اي اسيلوني الطعام اطعمكم بتقدير الاسباب وتيسير مسلابه
واسيلوا الله من فضله واعلم ان العالم جماده وحيوانه
مطيع لله عز وجل طاعة العبد لسيده فكان السيد يقول
لعبده اعط فلانا كذا او اهد لي فلانا كذا او تصدق على فلان الفقير
بكذا اكذلك الله عز وجل يبيخ السحاب ويسقي ارض فلان
والبلد الفلاني ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويخرج فلان الى فلان
بوجه من الوجوه ليناله منه نفعا ونحو ذلك وتصرفات
الله عز وجل في العالم عجيبة لمن تدبرها ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين التاسع قوله تعالى انكم تخطاون بالليل
والنهار هذا من باب مقابلة الجمع بالجمع اي يقصر بعضكم
الخطية ليلا وبعضكم نهارا وقد بعضكم ليلا اذ ليس
كل عبد يكون من العباد يخطا بالليل والنهار مع الله غير ممتنع
فيجوز ان يكون مرادا قال الطوفي وقوله في هذا الحديث مكرر
يا عبادي هنا وفي الاماوهن النساء اجماعا لكن بقرينة التكليف
وقد قال الاصوليون ان الخطاب اما بلفظ يخص الذكور كالرجال
او يخص الاناث كالنساء فحكمه واضح او بلفظ يصلح لهما نحو من
فيتناول الفئتين واختلف في نحو المسلمين والمومنين
هل يتناول النساء ام لا فالشبه انه لا يتناولهن وضعا بل بقرينة

او عرف قوله وانا اغفر الذنوب جميعا هو كقوله عز وجل ان الله
يغفر الذنوب وهو عام مخصوص بالشرك وما شاء الله عز وجل
ان لا يغفر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقوله تعالى فاستغفروني اغفر لكم اي اطلبوا مني
المغفرة اغفر لكم واصل الغفر الستر ومغفرت المتاع اي ستريه
والمغفر وقاية تستر الراس في الحرب وغفر الذنب ستره
وجماع الذنوب وحاصل قوله لكم ضارا الخ التنبيه على فقرنا وعجزنا
عن جلب منافعنا ودفع مضارنا الا ان ييسر لنا ذلك وهو
معنى قولا حول ولا قوة الا بالله العاشر قوله تعالى يا عبادي
انكم لن تبلغوا ضري فتضروني اعلم ان الاجماع والبرهان
على ان الله عز وجل منزه مقدس عتى بذاته لا يلحقه ضرر ولا
نفع ولا يحتاج الى ذلك وظاهر هذا الحديث ان ضره ونفعه غاية
لكن لا يبلغها العباد وهذا هو الظاهر مول محمول على ما دل عليه
الاجماع من عناه المطلق او يكون من باب ولا تزني الضبي بها
ينجحر وقوله على لا حب لا هتدي بمنارة اي لا ضبي بها فينجحر ولا
منار فتهتدي به كذلك المعنى هاهنا لا يتعلق بي ضر ولا ينتفع
ولا نفع فيضروني او ينفعوني ولان الحق جل جلاله غني مطلق
والعبد فقير مطلق يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله
هو الغني الحميد والفقير المطلق لا يملك ضرا ولا نفعا خصوصا
الغني المطلق انتهى كلامه فان قلت فقد قال الله تعالى
يؤذيني ابن ادم وليس له ذلك يقول يا خيبة الدهر وانا
الدهر قلت ظاهره مدفوع بالاجماع والبرهان ومعناه
والله اعلم يقصد اذاي وليس له ذلك اي لا يقدر على ذلك

قوله

قوله لو ان اولكم واخركم الى اخره معناه ان تقوى العالم باجمعه
لا يزيد في ملك الله عز وجل شيا وكذلك فجورهم لا ينقص من ملكه
شيا لان ملك الله عز وجل مرتبط بقدرته وارادته وهما
دايمان لا انقطاع لهما فكذا ما ارتبط بهما وانما عاد التقوى والفجور
عليهما نفعا وضرا قوله قاموا في صعيد واحد الصعيد اسم
لما صعد على وجه الارض اي في ارض واحدة ومقام واحد
ما نقصد ذلك من ملكي الى اخره لان ملكه عز وجل بين الكاف
والنون انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وفي بعض
طرق هذا الحديث لا في واحد ما جد عطاي كلامي وعذابي
كلامي اشارة الى ان قول للشي كن فيكون فان قيل هل يعقل
ملك يعطي منه هذا العظيم ولا ينقص قلنا نعم كالنار والعلم
يقتبس منهما ما شاء الله ولا ينقص منهما شي بل يزيد العلم
على البذل وفي الحديث يمين الله ملا لا ينقصها نفقة سحاء
الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض
فانه لم ينقص مما في يمينه قار وكان عرشه على الماء وبيده
الاخرى القبض يرفع ويخفض وروي ان في التوراة
عبدي انفق من رزقي ابسط عليك فضلي فان يدي مبسوطة
على كل يد مبسوطة ومصداقه في القران الحكيم وما انفقتم
من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين الحادي عشر قوله
الا كما ينقص المخيط هذا البحر قال الطوفي اي لا ينقص شيا لان
الابرة لا يتعلق بها من الماء شي اصلا وهذا ظاهره مخالف
لقول الخضر لموسى ما ينقص علمي وعلمك من علم الله عز
وجل الا كما ينقص هذا العصفور من البحر فان تقدر العصفور

لا يدان ينقصه شيا وان قل لان منقار العصفور يتعلق به
شيا من الماء وبذلك يزيل عطشه بخلاف الابرة للكن ليس المراد
ان علمها ينقص من علم الله عز وجل قليلا ولا كثيرا انما المراد
تقريب انه لم ينقص شيا من علم الله عز وجل اصلا انتهى
وفيه نظر لان الابرة اذا دخلت البحر تنقصه ما تتبلل به
قلينا مل قال ابن العماني وظاهر هذا الحديث يقتضي ان
يكون المعنى انه ما ينقص ما عند الله الا كما ينقص البحر
اذا دخلته الابرة اي فينقص منه بقدر ابتلالها منه
والمعتمد ان لا ينقص البتة قال واجيب عن ذلك ان ذلك
بالنسبة الى رؤية العين اي فكما انه لا ينقص في راي العين
فكذلك هو في علم الله تعالى لا ينقص فيه البتة قال ابن فرح
وهذا قصد به التقريب للافهام بما تشاهده فان ما البحر
من اعظم المرئيات واكبرها وغرز الابرة فيه فضرب ذلك
مثلا لخزائن رحمته تعالى وفضله فانها لا تنحصر ولا تتناهى
والله اعلم انتهى والذي يظهر والله اعلم من قول الخضر لموسى
ذلك ان معناه لنا ان علومهما اذا نسب الى علم الله كان ما
تسبته اليه كنسبة الماء الذي تغرفه العصفور من البحر
والذي يدل على ذلك ان المعلم لا ينقص العلم وان علم الله
قديم وعلمهما حادث فتامل ذلك فان كان صوابا فمن الله
وان كان خطا فمن الشيطان الثاني عشر قوله احصيها لكم
اي بعلمي وملائكتي الحفظة قلت وفي هذا لطف من الله
تعالى بعبده اذ اقال احصيها لكم ولم يقل احصيها عليكم
فتدبر كرم الله وجوده سبحانه وتعالى قوله ثم اوفيكم

ايا

اياها اي جزاها وثوابها محذوف المضاف فانقلب الضمير المحذوف
منصوبا متصلا كالمفعول المحذوف فمن وجد خيرا فليحمد الله
الجازه اي ان الطاعات التي يترتب عليها الثواب والخير بتوفيق
الله عز وجل فيجب حمده على التوفيق لها والمعاصي يترتب
عليها العقاب والثواب وان كان بقدر الله تعالى وخلقه
للعبد فهي بكسب العبد فلكم نفسه لتقريطه بالكسب القبيح
قال الطوفي ويحتج القدرية بها ووجه احتجاجهم منه ان لوم
العبد نفسه على سوء العاقبة يقتضي انه الخالق لافعاله
وقوله عز وجل فلا يلومن الا نفسه متصل بالقضية وانه
ليس له فيها اثر بخلق فعل ولا قدرة وجوابه بما سبق
بقوله لا تظالموا ثم يلزمهم ان من وجد خيرا لا يحمد الله اذ
ليس له في القصة اثر لما ذكروا بل يحمد الانسان نفسه لانه
الخالق لطاعته الموجبة لسلامته وهو صراحة للنص
المذكور وغيره وقد اخبر الله عز وجل عن اهل الجنة انهم
يقولون فيها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله فان قلت قوله انما هي اعمالكم الى اخره يقتضي
انحصار فايدة الناس في ثواب اعمالهم وتقي المزيد من فضل
الله عز وجل قلت لا نسلم ذلك فان هذا اخرج مخرج التهديد
والانذار وفضل الله واسع الا ترى ان العبد وعمله
ملك لسيده ولا يستحق عليه ثوابا الا تفضلا والله
اعلم بالصواب قلت وفي هذا الحديث دليل على عظيم قدر
الاعمال وان من لا عمل له تموعلى خطر عظيم قال القاضي
زين ابن معاوية رضي الله عنه كل الناس ضال الا من

عصمه الله تعالى قد اتخذ قولا المرجئة امنية فيرجوا الجنة
بلا عمل ويلتمس الرحمة مع اقامته على المعاصي بلا توبة وقد
جاء الغرة بالله المقام على معصية الله وتمنى مغفرة
الله وجاء كما لا يمتنى من السواك الجنب كذلك لا تنزل الابرار
منازل الفجار وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال
تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الآية وقال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وصفهم بقوله تعالى الذين يتلون
كتاب الله واقاموا الصلاة الى قوله انه غفور شكور فانما
وضع الله الرجاء على الاعمال الخالصة لا على المعاصي والاماني
الباطلة كما تسمع ولكن لو كنا نسمع ما كنا هكذا فقد صار
امر فاشبه شيء بما قيل

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

فالناس الا من عصمه الله فقد غلبوا الرجاء على الخوف
ولم يرضوا بالتسوية ايضا مع التمادي والاصرار على
الكبائر تغليبا للشائبة القطع حتى سكنت لذلك نفوسهم
وقل خوفهم ووجلهم وازداد وابدك جراءة على المعاصي
ثم ان عدلوا احتجوا بان الله تعالى يغفر الذنوب
جميعا دون الشرك لمن يشاء ثم يغلبون بالجهل على انفسهم
انهم ممن يشاء الله ان يغفر لهم وهم لا يدرون ولعل
تأويل هذا عند نفسه انه ممن يشاء الله ان يعذبه فكيف يغرر

العاقل

العاقل بنفسه ويحملها على هذه الاخطار بامانى الغرور
وليس بعد الدنيا مستعتب ولا دار الا الجنة او النار فانظر
النار اليوم لايات الرجاء وما اشباهها لايات الوعيد وانت لا تجد
تحت اية رجاء الا ومعها اية وعيد كقوله تعالى وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ونحو
ذلك الا ترى الى قوم الاولا الاسلام تنطوا فانزل الله تعالى
ايات الرجا بالاقرار وعيد الذي يشهد له اللفظ ان اولى
الناس واحقهم بالرحمة والمغفرة كما يقول الوجلون الذين
يخافون ان لا يغفر لهم فمن خاف ان لا يغفر له بعد وغفر له
ومن امن واغتر ولم يعف ولا اكثرت وكان في الدنيا امنا
فرجاؤه ابعد له من المغفرة فقد جاء في الحديث ان الله
لا يجمع على عبد خوفين ولا يجمع له بين امنين وانه من
خافه في الدنيا امنه في الاخرة ومن امنه في الدنيا اخافه
في الاخرة والعالمون بالله وبما انزل الله في كتبه يعلمون
ان طلب الرحمة والمغفرة من جهة الخوف والرجاء انجح في
طلبهما واقرب من نيلهما بحر والرجاء وبعضهم يمج ايضا
بالنار واخبار قد حرفوا تاويلها منه قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لن يدخل احدكم عمله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته منه فاحالوا تاويل
الحديث بان احتجوا به على ان العمل كانه لا معنى له ولا يدخل
لصاحبه ولا يخاف على من عدمه وهذا قول المرجئة سواء
واما اهل السنة فمن قولهم ان لا يقطع على احد بجنة ولا
نار حتى يكون الله تعالى هو الذي ينزلهم حيث شاء ولكن لم

يخرجوا بذلك الى الجمع بين ما فرق الله ولا الى التسوية بين ما
ابانه الله فليس يستوون بين المحسن والمسيء بحيث لا
يجعلون للاحسان فضلا على الاساءة وقد قال الله تعالى
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وقال تعالى وما يستوي
الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
قليلا الاية فكيف ينبغي لمؤمن ان لا يجعل للمحسن فضلا
على مسيء وهو يسمع هذا في كتاب الله تعالى الا تراه يقول
الله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فوصف
هذا الحكم بانه حكم سيء والله لا يحب المسيئين بل قد
جعل ذلك ظن الذين كفروا في اية اخرى واكثر من نصف القرآن
انما انزل في مدح العاملين وذم المفرطين فكيف يستوي
لاحد ان يستوي بين عامل مجتهد ومقصر مفرط وقد
اجمع اهل السنة انه يرجى للمحسنين ويخاف على المسيء فلا
ندري انهم مع ما لم يوئسوا المسيء من الموحدين من رحمة الله
ولم يؤمنوا المحسنين من مكر الله قد غلبوا الرجاء للمحسنين
وغلبوا الخوف على المسيئين وكما كثر احسان العبد كان
الرجاء له اغلب وقد ورد في الحكمة الحث على لزوم تغليب
الخوف للمرء ما قيل ان القلب اذا غلب عليه الرجاء فسد
واذا غلب عليه الخوف فهو صلاحه وقد ورد حديث لو
وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فلا يغلب الخوف على
الرجاء حتى يخرج القنوط فلا يقنط من رحمة ربه الا الضالون
ولا يغلب الرجاء على الخوف حتى يخرج الامن فلا يأمن مكر

الله

الله الا القوم الخاسرون فهكذا يجب ان يكون حال المؤمن
ولو بلغ من صلاح العمل ما بلغ ان لا يغتر بعمله حتى يأمن
من عذاب ربه فان ملائكة عليين الذين يسبحون الليل
والنهار لا يفترون هم من خشية ربهم مشفقون وقد
قال الله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال الله تعالى
ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يدخل الجنة احد الا بعمل صالح يتقنه قالوا ولا انت يا
يا رسول الله قال ولا انا فكيف يستوي العامل بالطاعة
والعامل بالمعصية والله تعالى يقول ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم ويقول ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون الى قوله ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها
المقربون فاقتضى غاية العدل ان لا يستوي في الما الذي
هو اليسر موجود في الدنيا فضلا عن الاخرة فهل كان
هذا التفاوت يكون بشراب الابرار موجودا ممزوجا بما
يشرب به المقربون صرفا مع ان الانهار بانواع المشروبات
مطردة فايضة واجود الاجودين ومن يقل الشيء كثير له
فيكون لا يفيض ما في يده نفعه فهل كان ذلك كذلك الا
التصديق قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره فليس بعد هذا بيان في
المغبون كل المغبون من اثر شهوته ايثارا يؤديه الى
الكفر والطغيان والى الخلود في قعر النيران ويليه من اثرها
ايثارا ينقص به حظه في الاخرة فقد ورد ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا يتمسر يوم القيامة
ان كان كافرا اذا لم يكن آمن وان كان مومنا ان لا يكون ازداد
من العمل بالطاعة كي يزداد من الثواب واما الحديث الذي
ورد ان العباد يدخلون الجنة برحمة الله ويقتسمونها
باعمالهم فليس بمخالف لما تقدم من الايات والاثار ومعناه
مثل معنى قوله صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدكم عمله
الحديث ومضمون كلاهما الحث على العمل وعلى ترك التفريط
فيه لانه لا شك في انه صلى الله عليه وسلم كان اعمل العاملين
وارجى المجتهدين اليس فيه نزلت سورة طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى حتى تورمت ساقاه وتفطرت قدماه
وقد عوتب في ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا فانهم قوله
تعالى اعملوا ال داود شكرا معنى قوله ولا انا الا بي على ما ترون
من اجتهادي لانه يلزمني اكثر منه فكيف للمفرط بالنجاة وهو
كالحديث الاخر اعملوا ولن تحصوا اي ولن تقوموا بشكر ما انه
عليكم من نعمته الظاهرة والباطنة بعد اجتهادكم ولن تحصوا
جميع ما انه عليكم من طاعته لان الله على عباده ان يتقوه
حق تقاته وفسر ذلك بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى
ويشكر فلا يكفر فاين حالنا من هذا الكمال ومع ذلك فان عمل
كل عامل هو من رحمة الله وتوفيقه وليس من حول العبد
ولا قوته فقال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقال تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا الاية ثم بعد ان وفقه
للعمل من عليه بقبوله بتجاوزه عنه وعفوه ولولا تجاوزه

ورحمته

ورحمته الذي قبل اليسير وعفا عن الكثير ما نجا العبد فانه
انما يدخل الجنة وان كان العمل برحمة الله لان العمل من رحمته
ثم الناس يقتسمون الجنة على قدر اجتهادهم في الفرايض
والنوافل واعمال البر فقوله صلى الله عليه وسلم ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته فيه علوم جمة من نحو ما تقدم اي لا
يقدر احد يقوم بكل ما يجب لله عز وجل عليه وقد جاء ان الملايكة
الذين وصفهم الله تعالى انهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
اذا تجلى لهم الجليل يوم القيامة يقولون ربنا ما عبدناك
حق عبادتك وانما كلف الله العباد من حيث هم وما هو في
وسعهم وانما جازاهم بفضله العظيم وكرمه الجزيل ورحمته
الواسعة ونعمته السابغة فمن اي وجه يفهم من هذا
الحديث التزهيد في العمل وانما هو حيث عمل العمل به ليدل
انه عليه الصلاة والسلام كان اجهد الناس فيه وبدليل
ان في الحديث نفسه الامر بالعمل فان اعرفسددوا وقاربوا
واغدوا وروحوا وشيا من الدلجة والقصد القصد
تبلغوا فالاثناء قد حض على مداومة العمل والمواظبة
عليه العمل الا ان الغدو عند العرب من الفجر الى الزوال والرواح
من الزوال الى الليل وقد قال وشيا من الدلجة فامر بالاخذ
من الليل فكيف يتاول مثل هذا على انه لا نفع في العمل وهل
هذا الا من تلقة العلم او عدمه وانما نهى عليه الصلاة والسلام
عن دين مهلكين احدهما التقصير في العمل والاخر الغلو
في تعظيم العمل وانظر كيف وصف الحسن البصري اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي عنهم اجمعين كانوا والله

مجتهدين في ليلهم ونهارهم اما الليل فقيام بما اقدامهم بقشر شوك
وجوههم يجيرون الى ربهم ربنا ربنا تجري دموعهم على خدودهم
واما النهار فعلما عالما برزة اتقيا يراهم الناظر مرضى وما بالقوم
من مرض ويقول قد خولطوا وقد خالط القوم امر عظيم من
الخوف لله ومن التعظيم له ومن خشية الله ووعيده
هذا اخر كلامه رحمة الله عليه فان قلت فالاعمال التي فاخبرني
بافضلها وبين لي مراتبها حتى اعلم اي طريق اسلك قلت
قد رتب ابو محمد بن حزم الحافظ الامام ذلك ترتيبا عظيما
في رسالة له فقال فثبتت مراتب الخلائق في دار القرار
في الاخرة فاما الدنيا فمحال ممتنة بوسمها بالنقص ويسرورها
بنسبي كان ذلك لم يكن فوجدتها عشر مراتب وهي ثلاث مراتب
الاولى مرتبة الملك والعلو والسبق فاولها مرتبة عالم يعلم
الناس دينهم فان كل من عمل بتعليمه او علم شيئا ما كان هو السبب
في علمه فذلك العالم المعلم شريك له في الاجر الى يوم القيامة
على اباد الدهور فيالها منزلة ما ارفعها ان يكون المرء مستلا
في قبره او مشتغلا باموره الدنيا وصحف حسناته متزايدة
واعمال الخير ممداة اليه من حيث لا يحتسب ومتواترة عليه
من حيث لم يقدر ويويد هذا قوله صلى الله عليه وسلم من
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقوله صلى الله عليه وسلم
لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا واحدة خير لك
من ان يكون لك حمر النعم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات
الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة فذكر عليه الصلاة والسلام
وله اصالحا يدعو له وصدقة جارية وعلما ينتفع به وقوله

عليه

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر ومعهد رواق اليمن
عليه الصلاة والسلام من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل
بها بعده كتب له مثل اجر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم
شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة عمل بها بعده كتب
عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء ويويد هذا
قول الله عز وجل ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقوله
تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فبشر وا من سن
المكوس ووجوه الظلم باجزل الجزاء اذ سيأتهم تتزايد على مرور
الزمان والايام والبلايا تتوارد عليهم وهم في قبورهم الثانية
حاكم عدل فانه شريك الرعية في كل عمل خير عملوه في ظل عدله
وله مثل اجر كل من عمل بكل سنة حسنة فيالها من مرتبة
ما اسناها ان يكون ساهيا لاهيا وغيره يعمل له الخير ويكسب
له الحسنات وابن هذه الصفة واما الفاسق لرعيته
والمداهن في الحق فهو ضد ما ذكرنا ويويد هذا قوله عليه
الصلاة والسلام ان المقسطين فيما ولوا على منابر من
نور عن يمين الرحمن او كلا ما هذا معناه الثالثة مجاهد
في سبيل الله وانه شريك لكل من يحميه بسيفه في كل عمل
خير يعمله وان بعدت داره في اقطار البلاد وله مثل اجر من
عمل شيئا من الخير في كل بلد اما ان علي فتحه بقتال او حضور
وله مثل اجر كل من دخل في الاسلام بسببه او بوجه له فيه
الى يوم القيامة فيالها مرتبة ما اعظمها ان يكون له نصف
في بعض غفلاته ونحو نصل له ونصوم واعلموا ان بهذه الثلاثة
سبق الصحابة رضوان الله عنهم لانهم كانوا السبب في بلوغ الاسلام
الينا وفي علمنا العلم وفي الحكم بالعدل فيما ولوا وفي فتوح البلاد شرقا

وغربا فهم شركاؤنا وشركاء من يأتي بعدنا الى يوم القيامة فهذه
المراتب الثلاث هي مراتب السبق الرابعة مرتبة الحظوة به
والقرابة وهي حالة مسلم فتح الله تعالى له بابا من ابواب
الخير مضافا الى اداء فرايضه في كثرة صلاة او صدقة او صوم
او حج وعمرة وما اشبه ذلك فهذا له مواقف عظيمة وخير كثير
الا انه ليس له الا ما عمل وصحيفته تنطوي بموته حاشا من
حبس ارضا او اصلا فتجري صدقته بعده كما اختاره
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه اذ شاوره
فيما يعمل في ارضه بخيبر فان هذا ايضا تلحقه الحسنات
بعد موته ما دامت تلك الصدقة ثم مرتبة خامسة
وهي مرتبة الفوز والنجاة وهي حالة مسلم يودي الفرايض
ويجتنب الكباير وينتصر على ذلك وان عمل هذا فضموت
له على ان الله الجنة والنجاة من النار قال الله تعالى ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا
كريما وقد نص صلى الله عليه وسلم في الذي سأله عن
فرايض الاسلام فاخبره صلى الله عليه وسلم بها فقال
والله لا ازيد عليها ولا انقص فقال عليه الصلاة والسلام
افلح ان صدق او دخل الجنة ان صدق السادسة والسابعة
مرتبتا السلامة مع الفوز وعاقبتهما محمودة الا ان ابتداءهما
مخوف هايل وهما حالا اثنان مسلم عمل خيرا كثيرا وشرا كثيرا وادى
فرايض واجتنب كباير ثم رزقه الله تعالى التوبة قبل موته
والثانية حال مسلم عمل حسنات وكباير وما مضرات الا
ان حسناته اكثر من سيئاته وهذا ان عمر برا ولكنهما فايزان

ناجيان

ناجيان بضمان الله عز وجل لهما اذ يقول والى لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى ولقوله تعالى فاما من ثقلت
موازينه فهو في عيشة راضية ولقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيات ولا خلاف بين احد من اهل السنة فيما قلنا
من هذه المرتبة التاسعة وهي مرتبة اهل الاعراف وهي مرتبة
خوف شديد وهول عظيم الا ان العاقبة الى سلامة وهو حال
مسلم تساوت حسناته وكباير فلم يفضل له حسنة يستحق
بها الرحمة من ربه تعالى الجنة ولا فضلت عليه سيئة يستحق
بها النار بسوء عمله وقد وصف الله تعالى صفة هولا فقال
تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
الاية فهذه الوقفة لا يعدل همها والاشفاق فيها سرور
الدنيا كله ولكنهم ناجون من النار وداخلون الجنة لانه لا
دار سواهما فمن نجا من النار فلا بد له من الجنة التاسعة
حال مسلم خفت موازينه ورجحت كباير على حسناته
فهو لا له ثبت وصفوا في الاحاديث الصحاح ان منهم من تاخذه
النار الى انصاف ساقيه ومنهم من يبقى فيها ما شاء الله تعالى
من الدهور كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم فمانع الزكاة
انه يبقى في العذاب الموصوف في ذلك الحديث يوما كان مقداره
خمسين الف سنة ثم يرى مصيره الى الجنة او النار فيالها بلية
ما اعظمها وكما نص عليه الصلاة والسلام انه سأل اصحابه
من المفلس فيكم قالوا يا رسول الله الذي لا دينار له ولا درهم
فاخبرهم عليه الصلاة والسلام ان المفلس هو الذي ياتي يوم
القيامة وله صلاة وصيام وصدقة فيوجد قد شتم هذا وقتل

هذا وظلم هذا واخذ مال هذا فيتقصون من حسناته حتى اذا
لم يبق له حسنة اخذ من سيات الذين ظلموا فرميت عليه
ثم تقتف به في النار وهذا معنى قوله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم القيامة فيبقى هولاء في النار
على قدر ما اسلفوا حتى اذا بقوا كذا جاء في الحديث الصحيح جاء
الشفاعة التي ذكرها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وجاءت
الرحمة التي ادخرها الله تعالى لذلك اليوم المطيع والعاصي
الا شفع فاخرجوا لهم من النار فوجا بعد فوج نسال الله
العافية امين حكى ان الحسن البصري رضي الله عنه
ذكر يوما موقف رجل يخرج من النار بعد الف سنة فيقول
ياليتني ذلك الرجل وانما تمنى الحسن هذا خوفا من خاتمة السو
فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو الله تعالى ان يميته
على الاسلام وكان الاسود بن يزيد يقول ما حسرت احدا
حسرتي مومن قد دخل في قبره المرتبة العاشرة حرتبة
السحق والبعد الابدي وهي مرتبة خدمات كافر انعم الله
عليه في النار جهنم عياذ كل اللهم عياذك عياذ يا ارحم الراحمين توفنا
مسلمين امين الحديث الخامس والعشرون عن ابي ذر
ايضا رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما
نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول
اموالهم قال اليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون ان بكل
تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة

وبكل

وبكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر
صدقة وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله اياتي
احدنا شهوته فيكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها
في حرام كان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له
اجر رواه مسلم الكلام عليه من وجوه الاول في لفظة
الدثور جمع دثر الاموال كقفل وقلوس والبضع بضم الباء
واسكان الضاد المعجمة كناية عن الجماع واصله الجمع
ذكرا او فرجا والوزر الاثم الثاني الاصحاب جمع صاحب
وهو من الصفات التي استعملت استعمال الاسماء الاكثر
في جمعه صحبان وصحاب وقالوا صحابة بفتح الصاد على الاكثر
وحكي كسرها وهو اسم للجمع واختلف في حد الصحابي فالمعروف
عند المحدثين انه كل مسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعند اصحاب الاصول او بعضهم انه من طالت صحبته وجالسته
على طريق التبع وعند سعيد ابن المسيب انه لا يعد صحابيا
الا من اقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او
سنتين او غزا معه غزوة او غزوتين قال النووي فان
صح عنه هذا فضعيف فان مقتضاه ان لا يعد جرير البجلي
وشبهه صحابيا والخلاف انهم صحابة ثم تعرف صحبته بالتواتر
والاستفاضة او قول صحابي او قوله اذا كان عدلا الثالث
قوله بكل تسبيحة صدقة اي حسنة كحسنة صدقة في
الجنس لان الاعمال مقدرة بالحسنات بدليل من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها الرابع قوله بكل تسبيحة صدقة اي سببها
قال القاضي عياض يحتمل تسميتها صدقة ان لها اجرا كما

الصدقة اجروان هذه الطاعات تماثل الصدقات في الاجور
وسميها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام وقيل
معناها انها صدقة على نفسه وقال صاحب المفهم مقصود
هذا الحديث ان اعمال الخير اذا حسنت النيات فيها تتنزل
منازل الصدقات في الاجور لا سيما في حق من لا يقدر على
الصدقة ويفهم منه ان الصدقة للقادر عليها افضل له
من سائر الاعمال الخامس لا يفهم من قوله الفقراء حسدوا
الاغنياء وانما ذكر غبطة لا حسد او في ذكر فليتنافس المتنافسون
قلت اختلف العلماء في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير
الصابر قال صاحب المحيط قيل الغني الشاكر افضل لما به
اشار محمد رحمهم الله لان مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال
انما توجد من الغني الشاكر لا من الفقير وبايصال النفع وبره
الى غيره وقيل الفقير الصابر افضل لانه عليه الصلاة
والسلام اختار الفقر فقال اللهم احيني مسكينا وقد عرضت
عليه الدنيا بحذافيرها فلم يقبل وهو يختار ما هو الافضل
لان الفقير القادر على اخذ الدنيا وهو يتركها جاد بكل ما قدر
عليه على غيره ولم يلوث نفسه بلوث الدنيا والغني جاد ببعض
ولان ترك اخذ الدنيا اشق واتعب على النفس وافضل الاعمال
اشقها لقوله عليه الصلاة والسلام افضل الاعمال احزمها
اي اشقها انتهى وقال الشيخ تقي الدين قد اشتهر في هذه المسئلة
الملاك والفقر اذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقتضي
تفضيل الاغنياء بسبب القربات المتعلقة بالمال واقرهم
عليه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لكن علمهم ما يقوم

مقام

مقام تلك الزيادة فلما قال لهما الاغنياء ساووهم فيها وبقي معهم
قربات المال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء فظاهر القريب من الخبر انه فضل الامتثال
بزيادة القربات المالية وبعض الناس تاول قوله ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء تاويلا منكرا خرجه عما ذكرناه من الظاهر
والذي يقتضيه الاصل انهما ان تساويا وحصل الرجحان
بالعبادات المالية ان يكون الغني افضل ولا اشكال في ذلك
وانما النظر اذا تساويا في ادا الواجب فقط وانفرد كل واحد
بصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح متقابلة فمثل ذلك نظر
يرجع الى تفسير الافضل فان فسر بزيادة الثواب فالقياس
يقتضي ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان كان الافضل
بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي يحصل
للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب
الفقر اشرف فيترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور
من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على
تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى
فكان افضل بمعنى الشرف السادس قوله وامر بالمعروف
صدقة ونهي عن منكر صدقة انما سائغ الابتدا بالنكرة هنا لكونها
عاملة وبيان ذلك ان الامر بالمعروف يتعلق بالامر الذي هو
المبتدا وعن منكر يتعلق بنهي الذي هو المبتدا ايضا وذلك امر
مسوغات للابتدا بالنكرة على ما هو مقرر في كتب العربية
وانظر لم عرف المعروف ونكر المنكر وكان ذلك والله اعلم اشارة
الى اصالة المعروف وثباته وطرو المنكر عليه وتزلزله وزهوقه

فان قيل لم اتى بالامر بالمعروف معروفا والنهي عن المنكر منكرا فقال
وامر بالمعروف ونهي ولم يقل والامر والنهي اجيب بان التنكير ابلغ
في المقصود اذ يقتضي ان كل فرد من افراد الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر صدقة ولو عرف لاقتضى ان جنس الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر صدقة ولا يلزم ان كل فرد منه صدقة لان اللام
للاستغراق السابع قوله صلى الله عليه وسلم وفي بضع احدكم
صدقة قال النووي اذا نوى به العبادة وهو قضاء حق الزوجة
وطلب ولد اصالحا واعفاف النفس وكفها عن المحارم قال
الطوفي ظاهر هذا الحديث يقتضي ان الوطي صدقة وان لم ينو
به شيأ ولهذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقياس العكس
الذي ذكره حيث قال ارايتم لو وضعها في حرام الى اخره واذا ثبت
ذلك فهو الى ما قاله الكفيي من ان المباح ماموربه لان كل مباح
ترك حرام وترك الحرام ماموربه فكل مباح ماموربه وعليه
ما ذكر من الاعتراض التمهي وبالجملة فالسنة ما ذكره النووي
لقوله عليه الصلاة والسلام تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر
بكم الامم يوم القيامة وقد كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
يتزوج المراة لا قصد له فيها الا ارادة الولد لتكاثره او ليموت
فيكون له اجره كما جاء في الحديث من مات له ثلاث من الولد
لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم الثامن الذي ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم بسمى قياس العكس وهو اثبات
ضد الحكم في ضد الاصل كاثبات الوزر في الوطي الذي هو ضد
الصدقة في الزنا الذي هو ضد المباح ومثله قوله ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا

دخل الجنة وانا اقول ومن مات يشرك بالله شيأ دخل النار
والقياس على ضربين قياس عكس وهو ما ذكرناه وقياس
طرد وهو اثبات مثل حكم الاصل في الفرع ثم هو على ثلاثة
اضرب قياس علة وهو قياس دلالة وقياس تشبيه فالاول
مثل قوله النبيذ مسكر فكان حراما كالخمر والثاني كقولنا الذي
يصح طلاقه يصح ظهاره كالمسلم والثالث كقولنا الصبي يباع
ويوهب فلا يملك كالبهيمة والله اعلم وقيل في قوله عليه الصلاة
والسلام ارايتم لو وضعها في حرام الى اخره جواز القياس وهو
مذهب العلماء كافة ولم يخالف فيه الا اهل الظاهر ولا حجة
لهم واما المنقول عن التابعين وغيرهم من ذم القياس فليس
المراد منه القياس الذي يعتمده الفقهاء المجتهدون وهو
القياس المذكور في الحديث الحديث السادس والعشرون
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع
فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين في دابته
فيحمله عليها او يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة
صدقة وكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى
عن الطريق صدقة رواه البخاري ومسلم الكلام عليه
من وجوه احدها السلامى بضم السين وتخفيف اللام قال
الجوهري والسلاميات بالضم عظام الاصابع قال ابو عبيد
السلامي في الاصل عظم يكون في فرس البعير قال الجوهري
واحده زجمه واحد وقد جمع سلاميات والفرس من البعير
بمنزلة الحافر من الدابة قاله الجوهري وقال القاضي عياض

في المشارق اي كل عضو ومفصل اي علي كل عظم واصله عظام
الكف والاصابع والارجل ثم استعمل في سايرعظام الجسد
ومفاصله وانما قال عليه الصلاة والسلام عليه ولم يقل عليهما
وان كانت السلامي مونثة حملا علي معني العضو او المفصل
ومثله قوله تعالي واذا حضر القسمة الي قوله فارزقوهم
منه فالضمير يرجع الي المقسوم لان ذكر القسمة يدل عليه
ويضعف قول من قال في هذا الحديث ان الضمير يرجع الي كل
لان كلا بحسب ما يضاف اليه والمضاف اليه مونث والمضاف
يكتسب اليه التانيث والله اعلم وفي حديث عايشة رضي
الله عنها خلق الله الانسان علي ستين وثلاث ماية مفصل
فعلي كل مفصل صدقة قال صاحب الافصاح في هذا الحديث
من الفقه ان الانسان قد اعطاه الله تعالي خلقه قال تعالي
الذي اعطي كل شي خلقه وفي الاية وجهان احدهما اعطي خلقه
كل شي والثاني اعطا كل شي خلقه اي وهب للادمي خلقه فجملة
عظام الادمي هبة من الله له وقال ابو عبيد معني الحديث
ان كل عظم من عظام ابن ادم اذا نظر الادمي في خلق نفسه وراي
ان لو قد اعوزه عظم واحد لاختلفت عليه حياته كما لو زاد وراي
ان ذلك كله لم يكن له فيه صنع وان عظام الادمي طوال وقصار
ورقاق وغلاظ فلو قد تصور الطويل منها وطال القصير او رق
الغليظ او غلظ الرقيق لاختل بذلك نفعه فاذا اصبح المومن
وقد اعطي لين الحركة من تركيب العظام وجعلها لها حسما
صلبا لا يضعف منه انبوب ساقه عما حمل بدن نفسه وثمن حمل
جملة حمل بدنه ايضا ولاعظم ترنده عن اقلال حمل ما يرفعه بيده

ولاعظام

ولاعظام اصلا منه عن وقاية حشاه ولاعظم نافوخه من صيانة
دماغه تعين ان يشكر فاعد هذا به شكرا محتما فنبه الشرع
علي ان بقابل هذه النعمة بما ذكره الا انه لطف به في تسمية ذلك
صدقة تمزجا لها ما يثاب عليه ويوجر فيه نعم احتسب له
بقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وامر
بالمعروف ونهي عن المنكر ثم لطف به حتي جمع ذلك كله بان يصلي
ركعتين من الضحي علي معني انه اذا قام ندعته عظامه واذا
ركع استوت له عظامه في ركوعه واذا سجد وجلس فحينئذ
يذكر بهاتين الركعتين مطاوعة الاعظاله في جميع استعماله
فيكون بهاتين الركعتين جامعا لشكر هذه النعم من جميع
اشغاله من غير الصلاة كالنعمة بها عليه في الصلاة انتهي
كلامه وقال سهل ابن عبدالله التستري رضي الله عنه في
الانسان ثلاث ماية وستون عرقا ماية وثمانون متحركة
فلو حرك ساكن لم ينم ولو سكن متحرك لم ينم فالله تعالي
نسالة ان يوزعنا شكر ما انعم به علينا وفي المراد بقوله علي
كل سلامي صدقة احتمالان احدهما ان الصدقة كما قبل تدفع
البلاء فاذا تصدق عن اعضايه كما ذكر كان جديرا ان يدفع عنه
البلاء الثاني ان الله عز وجل علي الانسان في كل عضو ومفصل
نعمة والنعمة تستدعي الشكر ثم ان الله عز وجل وهب ذلك
الشكر لعباده صدقة عليهم كانه قال اجعل شكر نعمتي في اعضايك
ان تعين بها عبادي وتتصدق عليهم بما انعمت وقوله كل يوم
تطلع فيه الشمس لان دوام نعمة الاعضا نعمة اخري ولما
كان الله عز وجل قادرا علي سلب نعمه الاعن عبده كل يوم

وهو في ذلك عادل في حكمه كان معفوا عنه وادامة العافية عليه صدقة
توجب الشكر والرعاية تم النعمة دائمة فالشكر يجب ان يكون دليلا
قال الطوفي رحمه الله اعلم ان الصدقة على قسمين صدقة الاموال
كالزكاة وصدقة التطوع وصدقة الافعال كالذي ذكره في هذا
الحديث ويجمعهما عبادة الله كالمشي الى الصلاة ونفع الناس
منه العدل بين اثنين نحاكما او نحاصما سواء كان حاكما او محكما
او مصلحا اذا نوى دفع المنافرة بينهما امتثالا لقول الله عز
وجل انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم كونوا قوامين
بالقسط ونحوه من الامر بذلك ومنه اعانة الرجل على دابته او حمل
متاعه عليها ومنه الكلمة الطيبة نحو سلام عليك وحياك
الله وانك لمحسن وانت ان شاء الله رجل صالح ولقد جئت
جوازنا ومنيا فتنا ونحو ذلك لانه مما ييسر السامع ويجمع
القلوب ويولفها ومنه اماطة الاذى عن طريق الناس اي
ازالته كالشوك والزجاج والحجر الذي يعثر به الحيوان المملوك
ونحو الحجر ان الحائل ونحوه لانه نفع عام وفي الحديث الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق ورويا ان رجلا ممن كان قبلكم
راى غصن شوك في الطريق فقطعه فشكر الله له فغفر له
انتهى وقال ابن الفاكهاني يحتمل عندي وجهان اخر وهو ان
يكون المعنى بالاذى اذى الظالم ونحوها والطريق طريق الله
تعالى وهو شرعه وحدوده ورسوله وذلك اعظم اجرا من
ازالة الاذى الحسي بما لا يقارب والله اعلم يقال ماط الشيء
واماطه اذا تنحى عنه وكذلك اماطت غيري وامطته اي نحيته

انتهى

انتهى قال الطوفي واعلم انه ليس مراد الحديث حصره افعال الصدقة
فيما ذكر فيه انما هي امثال لذلك ويحملها ما قلناه من افعال العباد التي
ينفع خلق الله تعالى حتى ان رجلا راى فرخا قد وقع من عشه
فرده اليه فغفر الله له واخر راى كلبا ياكل الثرى من العطش
فسقاه فغفر له وعكس ذلك امراة دخلت النار في هرة ربطتها
لا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها تاكل من خشاش الارض وقد ورد
في ذلك كبير خبر وقد سبق ان الله كتب الاحسان على كل شيء
وورد ان الخلق عيال الله فاحب الناس الى الله عز وجل من
انتفعهم على عياله واذا تصدق كل واحد من الناس عن اعضائه
بنفع خلق الله حصل من ذلك مقصود قوله صلى الله عليه
وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ومن كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه لما في ذلك من جمع القلوب وايتلافها
واقامة كلمة الحق بواسطة ذلك فاذا يكون نفع ذلك خاصا
بالمسلم المتصدق دعا ما للاسلام والمسلمين وهذا هو
مقصود الشرع وهذا الحديث يرجع الى قوله عز وجل وتعاونوا
على البر والتقوى وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضا المؤمن كثير باخيه المؤمن مراة المؤمن
اي ينظر من نفسه بما لا يراه كالمراة وهو ضرب من الاعانة
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد قوله
ويحط خطوة يمحوها الى الصلاة صدقة الخطوة بفتح الخا المرة
الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطا مثل زكاة وزكا والخطوة
بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوة والكثرة خطا

قاله الجوهري وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي
فريضة من فرايض الله تعالى كانت خطواته احداها تحط خطيئة
والاخرى ترفع درجة وعن ابي سعيد الخدري قال بنو سلمة
في ناحية من المدينة فاراد وان ينتقلوا الى قرب المسجد
فانزل الله تبارك وتعالى انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا
واثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انه يكتب اثاركم ثم قرا عليهم الاية فتركوا رواها البيهقي وعن
ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعظم الناس اجرا
في الصلاة ابعدهم اليها مشيا والذي ينتظر الصلاة حتى
يصليها مع الامام في جماعة اعظم اجرا ممن يصليها ثم ينام
رواه البخاري ومسلم وروى البيهقي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا فاحسن
وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله عز وجل
مثل اجر من صلاها ولا ينقص ذلك من اجورهم شيا وروى
النسائي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشروا المشائين في ظلم الليالي الى المساجد
بالنور التام يوم القيامة وعن ابي سعيد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان فان الله تعالى قال انما يعمر مساجد
الله من امن بالله واليوم الاخر وعن عمرو ابن ميمون
الازدي قال اخبرنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المساجد بيوت الله في الارض وانه لحق على الله ان يكرم

من زاره

من زاره فيه الحديث السابع والعشرون عن النواس
ابن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان
يطلع عليه الناس رواه مسلم وعن وابصة بن معبد
رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جيت تسال عن البر قلت نعم فقال استفت قلبك
البر ما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم
ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس
وافتوك حديث حسن رويناه في مسند الامامين احمد
ابن حنبل والدارمي باسناد حسن اللام عليه من
وجوه احدها النواس بفتح النون وتشديد الواو وسمعان
بكسر السين وبفتحها الانصاري روى له عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبعة عشر حديثا روى له مسلم ثلاثة
احاديث وروى له الاربعة قال الطوفي ووابصة بباء موحدة
ثم صاد مهملة انتهى وهو اسدي يكنى ابا سالم ويقال ابو ام
الشفا ويقال ابو سعيد قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في وفد وفي رهط من بني اسد سنة تسع فاسلموا
ورجع الى بلاد قومه ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة وقدم
دمشق وكانت له بها اربعة منازل توفي بالرقة وقبره
بها عند منارة مسجد جامع الرقة الوجه الثاني قوله البر
حسن الخلق قد سبق تفسير حسن الخلق بانه بذل الندى
وكف الاذى وانه يجب للناس ما يجب لنفسه واما البر فتارة
يقابل بالفجور والاثم فيكون عبارة عما اقتضاه الشرع وجوبا

اوند بالكما ان الاثم عبارة عما نهى عنه الشرع وتارة يقابل بالعقوق
فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق عبارة عن الاساءة
وجعل الشارع البر حسن الخلق من الحصر المجازي اي لقوله
الحج عرفة و الدين النصيحة كما تقدم الثالث قوله والاثم ماحاك
في نفسك الا الذنب يقال اثم الرجل بالكسر اثما وماثما اذا وقع
في الاثم فهو اثم واثيم وماثوم ومعنى حاك في النفس اثر فيها
وفرشح واستقر يقال حاك فيها السيف واحاك بمعنى
والحيك اخذ القول في القلب يقال ما يحيك فيه الكلام اي
ما يؤثر فيه قاله الجوهري قال الطوفي اعلم ان النفس لها
شعور من اصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما لا يحمد عاقبته
ولكن الشهوة غالبة عليه بحيث توجب لها الاقدام على
ما يضرها كالقصد تغلبه الشهوة على السرقة وهو خائف
من الوالي ان يقطعه والزاني ونحوه كذلك اذا عرف هذا
فقد تضمنت هذه الجملة علامتين للاثم احداهما تأثيره
في النفس وتردده وما زال الشعور بها بسوء عاقبته
والثانية كراهية اطلاع الناس على الشيء يدل على انه
اثم لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها
دون شرها ومن هنا كثير من الناس بالرياء فاذا كره
بعض اطلاع الناس على بعض افعالها علمنا انه ليس خيرا
وبرا فهو اذن وشر واثم ثم يحتمل ان هاتين العلامتين علامة
واحدة مركبة من امرين ويحتمل انهما علامتان مستقلتان
والاول اظهر لانه عطف احداهما على الاخرى بواو الجمع الرابع
قوله ولوافتاك المفتون وافتوك قد اعطيتك
علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من افتوك في مقاربته
قال الطوفي اعلم ان بين هذا وبين حديث الحلال بين وحرام بين
من التعارض لان قوله هاهنا الاثم ما حاك في النفس وتردد
في الصدر يقتضي ان الامور المشتبهة اثم لانها تحيك في النفس
وتتردد في الصدر وقوله هناك من اتقى الشبهات فقد
استبرأ لدينه وعرضه يقتضي انها ليست اثما وما شرع
اجتنابها وربما كان مرفقا اجتمع فيها ما يدل على انها اثم وانها
ليست باثم وهو عين التعارض ويجاب عن هذا بوجهين
احدهما لا نسلم ان قوله فمن اتقى استبرأ لدينه وعرضه
يقتضي انها ليست اثما لان الاستبراء للدين والعرض واجب
واتقاء الشبهات طريق اليه والطريق الى الواجب واجب
فاتقاء الشبهات واجب فلا يستلزم انها ليست اثما الوجه الثاني
سلمنا ان حديث النعمان يقتضي انها ليست اثما لكنه

كذا في

كذا في بعض الرواية ان يا وابصة جاء يتخطى الناس حتى جلس
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وابصة تخبرني ما جئت
فيه او اخبرك فقال بل انت اخبرني يا رسول الله فقال جئت
الى قال جئت تسأل عن البر والاثم هو كقوله البر حسن
الخلق لان حسن الخلق تطمان له النفس والقلب قال نعم
قوله البر ما اطمأنت اليه النفس واطمان له القلب وقوله
والاثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر هو تشبيه بقوله
والاثم ما كرهت ان يطلع عليه الناس لان ما تردد في النفس
فهو اثم او محل شبهة ولابد في ذكر ما يكره من اطلاع الناس
عليه الخامس قوله وان افتاك الناس وافتوك قد اعطيتك
علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من افتوك في مقاربته
قال الطوفي اعلم ان بين هذا وبين حديث الحلال بين وحرام بين
من التعارض لان قوله هاهنا الاثم ما حاك في النفس وتردد
في الصدر يقتضي ان الامور المشتبهة اثم لانها تحيك في النفس
وتتردد في الصدر وقوله هناك من اتقى الشبهات فقد
استبرأ لدينه وعرضه يقتضي انها ليست اثما وما شرع
اجتنابها وربما كان مرفقا اجتمع فيها ما يدل على انها اثم وانها
ليست باثم وهو عين التعارض ويجاب عن هذا بوجهين
احدهما لا نسلم ان قوله فمن اتقى استبرأ لدينه وعرضه
يقتضي انها ليست اثما لان الاستبراء للدين والعرض واجب
واتقاء الشبهات طريق اليه والطريق الى الواجب واجب
فاتقاء الشبهات واجب فلا يستلزم انها ليست اثما الوجه الثاني
سلمنا ان حديث النعمان يقتضي انها ليست اثما لكنه

محمول على ما اذا ضعفت الشبهة فيبني على ما تزدوي الصدر
لقوة الشبهة وتمكنها في النفس فيكون اثما اخذ بظاهر
قوة الشبهة ويكون من باب ترك الاصل للظاهر اعني اصل
الحل لظاهر الشبهة وتمكنها ويزول التعارض الوجه السادس
مسند الدارمي لطيف وغالبه الصحة والدارمي منسوب
الى دارم بن تميم واما مسند احمد فعشرون مجلدا او اكثر
وجملة ما فيه من الاحاديث اربعون الف حديث يتكرر
فيها عشرة الاف تبقى ثلاثون الف حديث قال احمد جمعته
من سبع مائة وخمسين الف حديث وجعلته حجة بيني
وبين عز وجل فكل حديث لا تجدونه فيه فليس بشيء وهذا
يدل على احاطته بالسنة واطلاعه عليها الحديث
الثامن والعشرون عن ابي نجيح العرباض ابن سارية
رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون
فقلنا يا رسول الله كانها موعظة مودع فاوصنا قال
اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم
عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة
رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
الكلام عليه من وجوه احدها عرباض ابن سارية السلمي
يكنى ابا نجيح كان من اهل الصفة وهو احد البكائين نزل
الشام وسكن حمص قال محمد بن عوف كل واحد من عمرو

ابن عبسة والعرباض بالعين المهملة والباء الموحدة
والضاد المعجمة يقول انا رابع الاسلام لا يدري ايهما اسلم قبل
صاحبه وكان من السابقين العابدين روي انه قال لولا
ان يقال فعل ابو نجيح لابحت مالي كله ثم لحقت وادي من اودية
لبنان فعبدت الله حتى اموت وروي ان معاوية اعطى
المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تاخذه
وما كان له ان يعطيك كما في بك في النار تحمله على عنقك فرده
المقداد مات سنة خمسة وسبعين الثاني قوله وعظنا
يقتضي استحباب موعظة الرجل اصحابه لينفعهم في
دينهم ودنياهم ويذكرهم ويحذرهم ويشوقهم ولا يقتصر لهم
على معرفة الاحكام والحدود والرسوم وقوله موعظة
وفي بعض الروايات بليغة الى اخره فيه استحباب
الايجاز في الموعظة لترقيق القلوب ليكون اسرع الى
الاجابة وفي التنزيل وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وكان عليه
الصلاة والسلام اذا خطب احمرت عيناه وانتفخت وداجه
كانه منذر جيش يقول صباحكم مساكم وقوله كانها موعظة
مودع فيه جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا اياه تودعهم
بقرينة ابلاغه في الموعظة اكثر من العادة والوعظ النصح
والتذكير بالعواقب يقال وعظته وعظا وعظة فاتعظ قبل
الموعظة قاله الجوهري والوجل الخوف يقال منه وجل يوجل
ويأجل ويجل اربع لغات وذرفت بالذال المعجمة وفتح الراء
ذرف الدمع يذرف ذرفا وذرفانا اذا سال وذرفت عينه سال
منها الدمع وقوله اوصنا فيه استحباب استدعاء الوصية

والوعظ من اهلها واغتنام اوقات الخير واهل والدين قبل وفاتهم
قوله اوصيكم بتقوى الله جمع في ذلك كل ما يحتاج اليه لما سبق
ان التقوى امتثال المامورات واجتناب المحظورات وتكاليف
الشرع ليست الا بذلك وقوله والسمع والطاعة وان تامر
عليكم عبد هذا عطف خاص على عام اذ قد اشتملت الوصية
بتقوى الله عز وجل على السمع والطاعة واعلم ان العرب
تعطف الخاص على العام تخويفا كقوله وتجلد رمان وملايكته
وجبريل وميكايل وتعطف العام على الخاص تمواركعوا
واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وقوله عز وجل
اصبروا وصابروا ورابطوا قال ابن الفاكهاني قال الفقها
الصبر لا يكون ونيا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
به المثل على طريق التقدير وان لم يكن كقوله صلى الله
عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله
له بيتا في الجنة ولا يكون مفحص القطاة مسجدا ولكن الامثال
يابى فيها مثل هذا قال القاضي ابو بكر بن العربي رحمه الله
تعالى والذي عندي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بفساد
الامر وضعفه في غير اهله حتى توضع الولاية في العبد
فاذا كانت فاسمعوا واطيعوا تنبيها لاهون الضررين
وهو الصبر على ولاة من لا يجوز ولايته ليلا بغير ذلك فتخرج
منه الى فتنة عمياء صماء لا دواء لها ولا خلاص منها وقد ذكر في بعض
الروايات تعدي الولاة وظلمهم فقال اسمعوا واطيعوا ما
اقاموا فيكم كتاب الله وهذا واقع اليوم لا محالة ولا حاجة
بنا الى التعيين فهذه من معجزاته صلى الله عليه وسلم

واخباره

وقوعه تعالى على طلبة العلم بالازهر وغيره بروائع اليمن
واخباره بما سيكون وقد كان السابع قوله من يعش منكم
فسيرى اختلافا كثيرا قاله الطوفي الظاهر ان هذا بوحي اوحي
اليه فانه عليه الصلاة والسلام كشف له عما يكون الى ان
يدخل اهل الجنة والنار منازلهم كما صح ذلك في حديث ابي
سعيد وغيره ويحتمل انه بنظر واستدلال فان اختلاف
المقاصد والشهوات لاختلاف الاراء والمقالات ويجوز ان
يكون بقياس امته على امم الانبيا السابقين بعدهم بدليل
قوله عليه الصلاة والسلام انها لم تكن نبوة الا كان بعدها
اختلافا كثيرا او كما قال والمراد من قوله عليكم بسنتي السنة
في اصل اللغة السيرة وفي الشرع ما فعله النبي صلى الله
عليه وسلم وداوم عليه واظهره في الجماعة ولم يدل دليل
على وجوبه ومرادهم بذلك السنة التي تقابل الفرض والمراد
بها في الحديث اعم من ذلك وهو اتباع ما اصله صلى الله
عليه وسلم من امر ونهي وجواز به او اباحة بعد تصحيح
العقايد الايمانية التي عليها تبني الاحكام الشرعية التاسع
قوله وسنة الخلفا الراشدين وهذه اللام فقال اهل السنة
هي للعهد والخلفا الراشدون هم الاربعة بعد النبي صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر
ونحوه وقال الشيعة اللام لاستغراق الوصف بالرشد
والهدى من الخلفا بعدي فعليكم بسنته وانما قالوا ذلك
لان ابا بكر وعمر وعثمان عندهم ليسوا من الخلفا الراشدون
المهديين لتقدمهم على علي بن ابي طالب بغير حق ووصفهم
الخلافة في غير النصاب الذي وضع الله عز وجل فيه النبوة

وهم بنواهاشم بنيهم ونصوص الله واجماع اهل السنة يرد
عليهم في ذلك والرشد الذي اني بالرشد واتصف به والهتدي
الذي هداه الله عز وجل لاقوم طريق وهولا الاربعة هم الذين
سلكهم النبي واتقذ الله فيهم وعده ونهجه في قوله تعالى وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم الا به وقد قال عليه الصلاة والسلام
اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر فخصص من الاربعة الاثنين
وقالوا للمراة التي سالته وامرها ان ترجع اليه فقالت فان لم
اجدك فقال تجدين ابا بكر فخصه من الاثنين وهذا خصوص من
خصوص الخصوص قال ابن القاسمي واسره صلى الله عليه وسلم
بالثبات على سنة الخلفا يكون لامرين احدهما التقليد لهم
عجزعن النظر والثاني الترجيح عند اختلاف الصحابة فيقدم
الحديث الذي فيه الخلفا وابو بكر وعمر والى هذه الترعة كان
مالك يذهب وينبه عليها في الموطا قاله ابن العربي العاشرة
قوله صلى الله عليه وسلم عضوا عليها بالنواجذ هو كناية
عن شدة التمسك بها لان النواجذ محمودة فاذا عضت
على شي ثبت فيه ولا تتخلص وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
واياكم ومحدثات الامور فاحذروا الاخذ بها فانها بدعة والمراد
ما احدث من الامور غير راجع الى اصل ودليل شرعي والافسنة
الخلفا الراشدين من محدثات الامور فقد امرنا نبينا باتباعها
وسواها بسنته في وجوب الاقتدا بها وما ذلك الا لرجوعها
الى اصل الشرع واعتمادها على دليل شرعي فاذا قوله اياكم
ومحدثات الامور عام اريد به الخاص وكذلك قوله عليه الصلاة

والسلام

والسلام عليكم بسنة الخلفا الراشدين هو عام يراد به الخاص
اذ لو فرض خليفة راشد في عامة اموره سن سنة لا يعضدها
دليل شرعي لها جاز اتباعها فان قلت هذا لا يتصور لان رشده
ينافي ان يسن مثل هذه السنة قلنا لا نسلم اذ قد يخطي المصيب
ويزيغ المستقيم يوما ما واعلم ان كلام العرب يجي باضافة
الى العموم والخصوص على اربعة اقسام احدها عام يراد به العام
نحو والله بكل شي عليم وثانيها خاص يراد به الخاص نحو فلما
قضى زيد منها وطرا زوجناكها وثالثها عام يراد به الخاص
نحو اوتيت من كل شي وتدمر كل شي وهو لا بيد وكل نعيم
لا محالة زائل ورابعها خاص اريد به العام نحو لا تقل لهما
اف ولا تنهرهما خص الباقين بالنهي عنه والمراد النهي عن جميع
انواع اذاهما فاعرف هذه القاعدة فانه لا يخرج عنها شي
من الكلام فايدة قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه
الله تعالى في اخر كتاب القواعد البدعة منقسمة الى
واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق
في ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت
في قواعد الايجاب فهي واجبة او في قواعد التحريم فهي محرمة
او الندب فمندوبة او المكروه فمكروهة او المباح فمباحة مثل
للبدعة الواجبة اشتغال بعلم النحو الذي يفهم
به كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك واجب لان حفظ الشريعة واجب ولا يتاتى حفظها
الا بذلك وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب الثاني حفظ غرائب
الكتاب والسنة من اللغة الثالث تدوين اصول الفقه

الرابع الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم
وقد دلت قواعد الشريعة على ان حفظ الشريعة فرض كفاية
فيما زاد على المتعين ولا يتاتى ذلك الا باذكرناه وللبدعة المحرمة
امثلة منها مذهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة
والرد على هؤلاء من البدع الواجبة وللبدعة المندوبة امثلة
منها احداث الربط والمدارس وكل احسان لم يعهد في العصر
الاول ومنها الترائح والكلام في دقايق التصوف والجدل
ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسايل ان قصد بذلك وجه
الله تعالى وللبدع المكروهة امثلة كزخرفة المساجد
وتزويق المصاحف وللبدع المباحة امثلة منها المصافحة
عقب الصبح والعصر واختار النووي انه ان صافح من كان
معه قبل الصلاة فمباحة كما ذكروا وان صافح من لم يكن
معه قبلها فمستحبة قال لان المصافحة عند اللقاء سنة
بالاجماع للاحاديث الصحيحة في ذلك ثم قال ومنها التوسع
في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن
وليس الطيالسة وتوسيع الاكمام وقد يختلف في بعض
ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة ويجعله
آخرون من السنن المفعولة في زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما بعده كالاستعاذة في الصلاة والبسملة
هذا آخر كلامه وروى البيهقي في مناقب الشافعي باسناد
عن الشافعي رضي الله عنه قال المحدثات من الامور ضربان
احدهما ما احدث مما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا
فهذه البدعة الضلالة والثاني ما احدث من الخير لا خلاف

فيه

فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير مذمومة وقد قال عمر
رضي الله عنه في قيام شهر رمضان نعم البدعة هذه يعني
انها محدثة لم تكن وان كان ليس فيها رد لما مضى والله اعلم
الحديث التاسع والعشرون عن معاذ بن جبل رضي الله
عنه قال قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة
ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير
على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم
الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال
الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ
الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم
تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا
اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى
يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت
بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت
يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك
وهل يكب الناس على وجوههم او على مناخرهم في النار
الا حصايد السنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح الكلام عليه من وجوه احدها قوله لقد سالت عن عظيم
فهو كما قال عليه الصلاة والسلام لان عظيم الشيء يعظم الاسباب
ودخول الجنة والتباعد عن النار امر عظيم سببه امتثال
كل مامور به واجتناب كل محظور وذكر عظيم صعب عظيم قطعا
ولولا ذلك لما قال الله عز وجل وقليل من عبادي الشكور

ولا تجد اكثرهم شاكرين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم الثاني قوله وانه ليسير على من يسره الله عليه اي يشرح
الصدر للطاعة وتهيئة اسبابها والتوفيق لها فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبالجملة فالتوفيق اذا
ساعد عمل شيء تيسر ولو كان ثقل الجبال الثالث قوله
تعبدوا الله الظاهر ان المراد بالعبادة هنا التوحيد بدليل
قوله ولا تشركوا به شيأ ومنه يا ايها الناس اعبدوا ربكم اي
وحدوه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي يوحدون
فعلى هذا يكون قد ذكر له التوحيد واعمال الاسلام ويحتمل
ان العبادة ها هنا تتناول الايمان الباطن والاسلام الظاهر
فيكون قوله وتقيم الصلاة الى آخره عطف خاص على عام
لتتضمن قوله تعبدوا الله لما بعده الرابع قوله الا اذكرك على
ابواب الخير اي طرقه الموصلة اليه وهو عرض نحو قوله
تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله الاية وفيه التشويق الى ما سيذكر قبل ذكره ليكون
ذكرا وقع في النفس والخير هنا ضد الشر وانما قال ابواب
بصيغة جمع القلة وان كان في سياق الترغيب والمحض
لانه لا كثرة له كما ذان واقلام ونحو ذلك مما لا كثرة فيه وعلاقة
المجاز فيه انه كما ان الباب منه يدخل الى البيت ونحوه فكذلك
يدخل الى الخير من بابه فشبه المعقول فيه بالمحسوس
قوله الصوم جنة اي وقاية من سورة الشهوة في العاجل
ومن النار في الاجل والجنة بضم الجيم والمراد بالصوم هنا
غير الفرض وكذلك الصدقة لقرينة ذكر الصوم والزكاة

قبل

قبل قوله والصدقة تطفئ الخطيئة اي تمحقها ان الحسنات
يذهبن السيئات وانما استعار لفظة الاطفاء لمقابلة قوله
كما يطفئ الماء النار وان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي
هو النار الغضب والغضب يستعمل في الاطفاء يقال طفأ
غضب فلان وان طفئ غضبه لانه في الشاهد فوران دم
القلب عن غلبة المرارة ولعله وانما خص الصدقة لتعدي
نفعها ولان المخلوق عيال الله عز وجل والصدقة احسان
اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال شخص يطفئ غضبه
وبسبب اطفاء الماء النار بينهما غاية التضاد فان النار
حرارة يابسة والماء برد رطب فقد ضاده بكيفيتيه جميعا
والعبد يدفع العدو بعد مه قوله وصلاة الرجل من جوف
الليل اي في جوفه وحروفه الصفات تتناول ويحتمل ان
مبتدأ الصلاة في جوف الليل فيكون لابتداء الغاية
ويحتمل انها للتبعيض اي صلاته بعض الليل اي في بعض
جوف الليل قال ابن الفاكهاني واختلف في الافضل من اوقات
الليل اي فذهبنا انه الثلث الاخير منه وقال الشافعي ان
جزأ الليل اثلاثا فالثلث الاوسط افضل ودليلنا حديث
النتزيل وهو في الصحيح واحتج الشافعي بحديث كان
داود ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
وهذا الحديث يحتمل لهما اذ كان جوف الليل صادقا على قدر
النصف والثلث وفي الحديث من قام من الليل فتر حلبت
شاة كتب من قوام الليل وهل يشترط ان يكون قيام
الليل بعد النوم او لا يشترط ذلك وظاهر الحديث الاطلاق

وبين العلماء في ذلك خلاف والله اعلم بقوله ثم تلا تتجافى جنوبهم
عن المضاجع حتى بلغ يعملون معنى التجافي التركد والتنحي يقال
جافى جنبه عن مضجعه اذا نحاه وفي الحديث يجافي مضجعيه اي
يبعدهما عن الارض وعن جوابه فقوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع اي يبعد ويزول وقيل التجافي التنحي الى فوق
واستحسنه ابن عطية والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم
واختلف المفسرون في وقت هذا التجافي فعن انس ابن مالك
قولان احدهما الصلاة بين المغرب والعشاء والثاني انتظار
العشاء الاخرة لانهما كانت تؤخران نحو ثلث الليل وقال الضحاك
تجافى المجنب هو ان يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة
وقال ابن عطية وجمهور المفسرين على ان المراد صلاة
النوافل بالليل قال ابن عطية ورجح الزجاج هذا القول بانهم
جوزوا باجماع ذلك على ان العمل اجتماعا يضاف قلت يريد
بقوله جوزوا باجماع في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون انتهى كلامه قلت قيام
الليل يصرف بركعتين فقد روى النسائي عن ابي سعيد
وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين جميعا كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات واحسن القيام ما
وصفت به عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن
ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي
ثلاثا وقالت كان يقوم اذا سمع الصارخ وقد قال عليه

الصلاة

الصلاة والسلام ان افضل القيام قيام داود كان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهذا نص في ان القيام
من اول النصف الثاني الى ان يبقى السدس افضل ويؤيده ما قال
ابو مسلم قلت لابي ذر اي صلاة الليل افضل فقال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نصف الليل
وقليل فاعله رواه ابو بكر الرازي في احكام القرآن العظيم واما
حديث التنزل فقد ورد فيه حين يبقى ثلث الليل الاخير
وورد حين يمضي ثلث الليل الاول وفي لفظ اذا مضى شطر
الليل وكلها في الصحيح اي تنزل رحمة الله او ملكه ولا تدافع
بين الروايات فيحمل على اختلاف الليالي او على تزايد الرحمة
في الاوقات الثلاثة وهو الظاهر لان في بعضها وذلك كل ليلة
وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله عز وجل يقول الى لاهم باهل الارض عذابا فاذا
نظرت عمار بيوتي والي المتحابين في والي
المستغفرين بالاسحار صرفت عذابي عنهم وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال بلغنا ان داود نبي الله سأل
جبريل عليهما السلام اي الليل افضل فقال ما ادري الا ان
العرش يهتز من السحر وقال سفيان الثوري بلغنا انه اذا
كان من اول الليل نادى مناد يا ليقم العابدون فيقومون
فيصلون ما شاء الله ثم ينادي مناد في شطر الليل الا ليقم
القانتون فيقومون فيصلون ما شاء الله الى السحر فاذا كان
السحر نادى مناد اين المستغفرون فيستغفرون ليلهم ويقوم
آخرون ويصلون فيلحقون بهم فاذا طلع الفجر نادى مناد

الا ليقم الغافلون فيتوصوا من فراشهم كالموتى نشروا من قبورهم
ذكر ذلك الشعبي قال البخاري وفي حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه
وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر طالع
امرنا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنا انما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
وبالجملة فالليل وقت شريف فيه كلم الله موسى على الطور
واسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جاوز البيت المعمور
وهو محل الخلوة والانس بالله وانقطاع التعلق من الخلق
قال الفضيل اذا غربت الشمس افرح بخلوتي بربي واذا طلعت
الشمس احزنني دخول الناس علي واعلم ان ترك قيام الليل
مكروه فقد صح مسلم عن ابن مسعود قال ذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى اصبح فقال ذاك رجل بال
الشيطان في اذنيه او قال في اذنه وفي ذلك يقول القائل
بين الرقاد وبين اصحاب الجوى * في الليل حرب سيفه لا يغمد
لم يقض ليلته بغير دموعه * الا ونيران الحشى لا تبرد
باحسنه والليل داج خاضعا * يتلو الكتاب بعبرة تتردد
فاذا اراي نجم الظلام موليا * ناداه والانفاس منه تصعد
يا ليل عرج لا تفرق بيننا * طابت بك العيني فليتك سرمد
فقوله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك برأس الامر وعموده
الى آخره لان الجهاد مقرون بالهداية بدليل قوله عز وجل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
والهداية محصلة لمقصود هذا السايل ودليل دخول

الجنة

الجنة والمباعدة عن النار فالاجر كان الجهاد رأس امر السايل
وعموده وذروة سنامه الا ترى انه جعل الامر كالجسد والجهاد
كالراس له ولا يعيش الحيوان الا براسه وذروة بضم الذال
وكسرها والقياس جواز الفتح كحدوة اسم لكل شئ وذروة
سنام البعير طرف سنامه اي لا شئ من معالم الاسلام اشمخ
ولا اظهر منه فهو كذروة السنام التي لا شئ من البعير اعلى منها
وعليها يقع بصر الناظر من بعد قلت وها هنا سؤال وهو
ان البيهقي روى في شعب الايمان هذا الحديث وفيه الا ادلك
على راس الامر وعموده وذروة سنامه اما راس الامر فالاسلام
من اسلم سلم واما عموده الصلاة واما ذروة سنامه الجهاد
في سبيل الله ثم قال الحليمي معنى هذا والله اعلم ان الاسلام
هو الذي لا يصح شئ من الاعمال الا به واذا فات لم يبق معه
عمل فهو كالراس الذي لا يسلم شئ من الاعضاء الا ببقائه فاذا فارق
الجملة لم ينتفع بعده بشئ من الاعضاء فاما الصلاة فانها
عمود الامر والامر هو الدين لان الاسلام لا يقع ولا يثبت
من غير الصلاة ولا يفتى بقبولها عند فعلها لان الاسلام وحده
لا يحقن الدم حتى تكون معه اقامة الصلاة انتهى فهذه
الرواية تدل على ان الراس هو الاسلام والعمود الصلاة
والذروة الجهاد ورواية الترمذي تدل على ان مجموع الثلاثة
الجهاد فتامله ورواية البيهقي اقرب الى القواعد الشرعية
فايدة قال ابن هبيرة في كتابه اجماع الائمة الاربعة اختلفوا
في افضل الاعمال بعد الفرايض فقال الشافعي الصلاة
افضل الاعمال البدنية وتطوعها افضل التطوع وقال احمد

لا اعلم بعد الفرائض افضل من الجهاد واما مالك وابو حنيفة
فمذهبهما انه لا شئ بعد فرض الاعيان من اعمال البر افضل
من العلم ثم الجهاد انتهى وقد جاء في الخبر انه يوزن مداد العلما
بدم الشهدا يوم القيامة فيرجح مداد العلما على دم الشهدا
ومعلوم ان اعلى ما للشهيد دمه وادنى ما للعالم مداده فاذا
لم يزن دم الشهيد بمداد العالم كان ما زاد دم الشهيد من سائر
فنون الجهاد كلا شئ بالاضافة الى ما فوق المداد من فنون
العلم وذكر ابن ابي زيد عن ابن القاسم انه قال روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جميع اعمال
البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال البر والجهاد
في طلب العلم الا كنقطة في بحر قوله الا اخبرك بملاك ذلك كله قال
الجوهري ملاك الامر وملاكه ما يقوم به يريد بفتح الميم وكسرها
وبفتاد القلب ملاك الجسد اي رابطه وضابطه لان الجهاد
وغيره من اعمال الطاعات بمتممة وكف اللسان عن المحارم
سلامة والسلامة في نظر العقلا مقدمة على الغنيمة
قوله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا اللسان جارحة الكلام
واللسان اللغة والكلام قال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه اي بلغتهم وانشد ابو علي في مكالمته
لدمت على لسان كان مني ٭ فليت بانه في جوف عكم
ثم قال فهذا لا يكون الا للغة والكلام لان الندم لا يقع على
الاعيان فاما الجارحة فتذكر وتؤنث قال ابو علي ولغة
القرآن التذكير ويجي الجميع فيه على افعله نحو قوله تعالى
واختلاف المتكلم تارة على ذلك قيل يريد ان القاعدة

في ذكر

في ذكر ان كل اسم كان على اربعة احرف ثالثه حرف مد ولين ان
كان مذكرا جمع على افعلة نحو جواب واجوبة ودعمود واعمدة وزعيف
وازمقة وان كان مونثا جمع على افعل نحو عناق واعنق وذراع
واذرع وقد جاء في القرآن على افعله قال على التذكير واما من
الله فيقول السين كاعنق لطيفة ثانية قال ابن الفاكهاني
انما اخذ بلسان نفسه عليه الصلاة والسلام ولم يستفن
عن ذلك بقوله كف عليك لسانك لما تعهد من ان الامور العقلية
متاخرة عن الادراكات الحسية في الزمان فلاجرم كانت
النفس بالحسيات اكف فاذا ذكرت المعنى العقلي المجرد سلم
عقبت يا بالتمثيل الحسي كنت ناقلا له من الخفا الى الظهور
حتى ان العقل اليقيني تدريزيده التمثيل بالحسي زيادة
قوة كما في قول ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسايد
النبيين ولكن ليطمين قلبي ولو قلت والله ما تنال منه
قدر خردلة كان جعلك الخردلة في كفك واشارتك اليها ابلغ
وذلك بان يقول والله لا تنال منه قدر هذه الخردلة وكذلك
لو قلت عند اشارتك الى الماء والنار هذا وذاك كيف يجتمعان
فتشبه لها لطيفة ما اعلاها وفايدة ما اسناها انتهى وقد
سبق قوله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليصمت وثبت في الحديث ان الرجل ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يكتب له بها رضوان
الله الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط
الله لا يعلم انها تقع حيث تقع فيكتب الله له بها سخطه
الى يوم القيامة وفي رواية يهوي بها في النار ابعد ما بين

المشرق والمغرب قوله كف عليك اما انه وضع على موضع عن
يعني كف عنك او انه ضمن كف معنى احبس وفي الحكمة لسانك
اسيرك ان اطلقته تركسك وان امسكته حبسك وكان ابو بكر
الصديق يمسك بلسانه يقول هذا الذي اوردني الموارد قوله
ثكلتك امك الثكل فقدان المرأة ولدها وكذلك الثكل بالتحريك
وامرأة ثاكل وثكلى وثكلته امه ثكلا وهذا من باب ترتب بمينك
وعفرى خلقي مما لا يراد به حقيقة الدعاء على المخاطب قوله
وهل يكب الناس قال ابن الفاكهاني كب من النوادر فانه
يتعدى ثلاثيا ولا يتعدى رباعيا تقول كببت الشيء واكب هو
فلا يتعدى وقوله كف عليك يحتمل انه عام خص بالكلام بالخير
كقوله فليقل خيرا او ليصمت ويحتمل انه على باب المطلق وقد
عمل به وكف اللسان عن الشر فلا يبقى له دلالة على تميز ذلك
واصل الاحتمالين ان الفعل يدل على المصدر لكن هل يقدر
المصدر معروفا فيعم نحو اكفف الكف او منكرا فلا يعم نحو
اكفف كفا او مبني على ان المصدر جنس فيعم اولا فلا فيعم
وعليه اختلف فيما احسب فيما اذا قال لمدخول بها طلقتك طلاقا هل يقع
ثلاثا او واحدة وقول معاذ وانا لمؤاخذون بما نتكلم به هذا
استفهام استئناف وتعجب واستغراب يدل على ان معاذا
لم يكن يعلم ذلك فان قيل كيف خفي هذا على معاذ وقد قال عليه
الصلاة والسلام اعلمكم بالحلال والحرام معاذ والكلام المؤاخذ
به حرام وهذا لم يعلمه فالجواب من وجهين احدهما ان ظاهر
الحلال والحرام في المعاملات الظاهرة بين الناس لا في معاملة
العبد مع ربه الوجه الثاني انما صار اعلمهم بالحلال والحرام بعد

هذا

هذا والحصايد جمع حصيدة يعني محصوداته والحصايد ما قيل
في الناس بالباطل وتقطع به عليهم قاله الجوهري في هذا
الحديث شبه ما تكتسبه الالسن من الكلام الحرام بحصايد
الزرع بجامع المكسب والجمع وقوله وهل يكب الناس استفهام
انكاري اي ما يكب الناس الا حصايد السنتهم وهو يقتضي
ان كل من يكب في النار فسببه ذلك لسانه وهو عام اريد
به الخاص فان الناس من يكب في النار بظلامه وبعضهم
بعلمه وانما خرج هذا مخرج المبالغة في تعظيم الكلام كقوله
الحج عرفة والمراد معظمه الوقوف كذلك معظم اسباب الكلام
كالكذب والقذف والسب والنميمة والغيبة ونحو ذلك وفي الحديث
الحديث الثلاثون عن ابي ثعلبة الخشني جرثوم ابن ناشر
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله فرض فرايض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة لكم غير
نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدارقطني
وغيره الكلام عليه من وجوه احدها جرثوم ابن ناشر وقيل
ناشب ويقال جرثوم ابن الاشعري بن النضر ابو ثعلبة
الخشني كذا قال ابن البرقي ونسبه وخشين الى لحاف ابن
قضاعة ابن مالك ابن حمير بايع تحت الشجرة وضرب له
بسهمه يوم خيبر وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قومه فاسلموا نزل الشام ومات بها اول امارة معاوية
وقيل مات في امارة يزيد وقيل توفي سنة خمس وستين
في امارة عبد الملك والاول اكثر روى عنه ابو ادريس الخولاني

وخبير ابن بقير ومسلم بن مسلم ردّ به الجماعة الثاني قد
تضمن هذا الحديث قواعد الشرع لان الحكم الشرعي في نفس
الامر اما مسكوت عنه او متكلم به وهو اما منهي عنه او مامور
به او احدز اجر منهي عنه و المنهي عنه اما مكروه او محرم والمامور
به اما مندوب او مفروض فالمفروض حقه ان لا يضيع كالايمان
والاسلام وما وجب من قضايلهما والحرام حقه ان يفارق
كالكفر والزنا والربا والسرقة والقذف والسحر وشهادة
الزور واكل مال اليتيم والحدود هي الزواجر الشرعية كحدود
الردة والزنا والسرقة والشرب ونحوها وحقها ان يقام
على اهلها من غير محاباة ولا عدوان كقوله عليه الصلاة
والسلام حد يقام في الارض خير من مطر اربعين صباحا وانما
جعلنا الحدود في الحديث على انها الزواجر دون الوقوف عند
النواهي والاوامر ليلا يتكرر مع ما قبلها وبعدها اذ الفرايض
المفروضة محدودة لانها مقدرة محصورة يجب الوقوف
عند تقدير الشرع فيها وكذلك المحرمات المحظورات حدود
محدودة وكلا الامرين محتمل فيها اعني حملها على الزواجر وعلى
الوقوف عند النواهي والاوامر فان حملت على الزواجر وعلى
معنى لا تقتدوها لا تزيدوا عليها مما امر به الشرع فان قيل
كيف جلد عمر في الخمر ثمانين وانما جلد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رضي الله عنه فيه اربعين قلنا قد قال علي رضي الله عنه
ان ذلك كله سنة ولان الناس اكثروا من الشرب زمن عمر ما لم
يكثروا منه قبله فرأى في جلدهم تنكيلا وزجرا وقد قال عليه الصلاة
والسلام اقتدوا بالذين من بعدي ابو بكر وعمر وقال عليكم بسنتي

وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فمن هاهنا كانت زيادة عمر
في حد الشرب سنة اذا كان مأمورا بالاقتداء به فان قيل فكيف
قال علي لا يموت احد في حد وفي نفسي منه شيء الا شارب الخمر
فانه لو مات وديته وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يسنه وهذا يعارض قوله وكل سنة قلنا اراد لم يسنه بنصه
قوله ويفعله لان حكم عمر به كان مجتهدا فيه مراعيا للمصلحة به
بسنة ايضا قاله الطوفي وفيه نظر لان هذا ان كان بسنة
فكيف قال علي رضي الله عنه ان مات وديته وان لم يكن سنة
قال وكل سنة وهو استكمال قوى وان حملت الحدود على الوقوف
عند النواهي معنى لا تقتدوها اي لا تجاوزوا ما حد لكم بما لفظة
المأمور وارتكاب المحظور واضافة الفرايض اما بتركها
او بتاخيرها عن وقتها وهو ايسر التضييعين وتشتكوها
تركبوها مقتحمين لها واما ما سكت الله عز وجل عنه اي
لم يذكر فكمه فهو رحمة لهم وتخفيف عنهم لان نسيان لتكاليف
لا يضار به ولا ينسى ويشهد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام
ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم
يحرم فحرم من اجل مسئلته وزعم ان ثم اشياء لم تذكر
احكامها او لا احكام لها تنبيه قال ابن الفاكهاني يلوح من
قوله عليه الصلاة والسلام وسكت عن اشياء رحمة لكم غير
نسيان فلا تبحثوا عنها ان الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة
هكذا قاله بعضهم وظاهر الحديث عندي ان الاحكام الستة وهذا
هو الصحيح في الاصول خلافا للابهري من اصحابنا القايل بالحظر
وابي الفرج بالاباحة انتهى قال الطوفي واعلم ان للظاهرية في هذا

الحديث طرفا من التمسك لان مذهبهم اتباع ظواهر النصوص
وما لا حكم له في النصوص يرده الى حكم ما قبل الشرع وهو ظاهر
هذا الحديث لانه نهى عن البحث عما سكت عنه والقول بالقياس
والحاق السكوت عنه بالمنطوق بحكمه بحث عما سكت عنه
فيكون عملا بخلاف الشرع فيكون مردودا عملا بقوله عليه
الصلاة والسلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد واعلم
ان هذا الاستدلال ظني ودلة القياس قاطعة فلا يعارض
الظني والله اعلم الحديث الحادي والثلاثون عن ابي
العباس سهل ابن سعيد الساعدي رضي الله عنه
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته احبني الله واحبني
الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد مما في ايدي
الناس يحبك الناس حديث حسن رواه ابن ماجه
وغيره باسانيد حسنة الكلام عليه من وجوه الاول
في تفسير الزهد وحقيقة الدنيا وحقيقة المحبة اما
تفسير الزهد فقد قال الامام ابو القاسم القشيري رضي
الله عنه اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد
في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله سبحانه فاذا انعم الله
على عبد بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه باختياره
لئلا يقوم على امساكه لحق اذنه ومنهم من قال الزهد في الحرام
واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلال المال والعيد صابر
في حاله راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه اتم من توسعه
وتوسعه في الدنيا وان الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا

بقوله

بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وغير ذلك من الايات الواردة
في ذم الدنيا والتزهيد فيها ومنهم من قال اذا انفق ماله في
الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهاه الشرع
في العسر فحينئذ يكون زهده في المال عن الحلال اتم ومنهم
من قال ينبغي للعبد ان لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب
الفضول مما لا يحتاج اليه ويراعي القسمة فان رزقه الله تعالى
مالا من حلال شكره وان وفقه الله على حد الكفاف لم يتكلف
في طلب ما هو فضول المال فالصبر احسن لصاحب الفقر
والشكر اليق لصاحب المال وتكلموا في معنى الزهد فقال
سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس بأكل
الغليظ ولا لبس العباء وقال الجنيد سمعت السري يقول
ان الله سلب الدنيا عن اوليائه وحماها عن اصفيائه
واخرجها من قلوب اهل وداده لانه لم يرضها لهم وقيل
الزهد من قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم فالزاهد لا يفرح بوجود من الدنيا ولا يتاسف على
مفقود منها وقال ابو عثمان الزهد ان تترك الدنيا لا لتأتي
من اخذها وقال ابن الجلا الزهد هو النظر الى الدنيا بعين
الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال
ابن خفيف هو سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي
من الاملاك وقال الجنيد الزهد خلو القلب مما خلت عنه
اليد وقال رجل لذي النون المصري متى ازهد في الدنيا فقال
اذا زهدت في نفسك وقال احمد ابن حنبل الزهد على ثلاثة
اوجه احدها ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول

من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد
عن الله تعالى وهو زهد العارفين وقيل ما خرج الزاهدون
الا الى التنعيم لانهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي وقال الفضيل
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير
كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد الوجه الثاني في حقيقة الدنيا
قال الشيخ ابو العباس احمد الاندلسي الاقليشي رحمه الله في
شرح الشهاب اعلم ان تحقيق القول في حقيقة الدنيا قل
ما تجده مستوفى وها انا اشير فيها الى كلام مختصر يجمع
نظام الحقيقة فيها ويحصر منها ان تعلم ان للدنيا وجودا
في ذاتها غير مضاف الى الانسان وتلك لا يتعلق عليها ذم
اذ هي خلق من خلق الله عز وجل ارض وما وهواء ونار وبناء
وغير ذلك من الاشياء المخلوقات وحدها كل ما يفنى ويستحيل
اذ الشرع قد صرح بان الدنيا هي الفانية والآخرة هي
الباقية وتسمى دار الفناء ثم بعد ذلك حدث اسم الدنيا لها
مضافا الى العبد اذ هي داره الادنى له واذ وراءها دار اخرى
فكانت هي الحياة العاجلة وما بعدها الحياة الآجلة وحدها
في هذا القسم مضافا الى الاشخاص فدنيا كل انسان مدة
حياته فاذا مات تمت دنياه وصفى الى اخراه ثم هذه الدنيا
هي حياة العبد العاجلة يمكن العبد ان يكون سعيه فيها
مرضيا كما امر الله ويمكن ان يكون مكروها كما نهاه الله عنه
فان كان مرضيا كانت الدنيا في المآلين محمودة في حقه اذ هي
من شجر تها ثمرا طيبا وان كان سعيه مكروها كانت الدنيا
في القسمين مكروهة مذمومة في حقه اذ هي من شجرتها ثمرا

ويبلا

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر ومقره بروا ق الجبس
ويبلا وكفر بنعمة الله تعالى في الدنيا التي مهدها الله عليه وجعلها
له وسيلة للوصول اليه وفي حياته العاجلة التي مكن له فيها
السعي اليه فالذم ابدا انما ينطلق على مساعي العبد الكريهة
في الدنيا لا على نفس الدنيا التي هي اعيان واكوان وعلى
حياته العاجلة التي بها يتوصل الى الاجلة بل مدحها الله وكرمها
في معرض الامتنان كقوله تعالى الذي خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الى قوله وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها والقرآن قد احتوى على كثير من هذا
فان علمت هذا استغنيت عما تتعب طويلا في طلب حقيقة
الدنيا وانحصرت لك فيما ترى وعلمت ان الذم في الدنيا الذي
ذمه الله تعالى انما هو الذي تلهي الامراض الفانية عن الحقائق
الباقية وتشغله حياته العاجلة عن السعي للدار الآجلة
واما من كانت الدنيا معينة له على طاعة الله تعالى ولم تجذبه
محبة حياته العاجلة على محبة الحياة العاجلة فهو محمود عند
الله تعالى لان الله تعالى ايده حتى لم ينخدع ببرنق الدنيا وزخرفها
ولا تدنس لوح قلبه بظلمة زخرفها فان نفس الانسان
بشحيتها اتخذ بها لهذه الحلوة الخضرة والزهرة النضرة
التي امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يغض
عينيه عما رزقها الفتان فقال تعالى ولا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
الاية لان الله تعالى جعلها زينة ليختبرها بعباده كما قال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا وقال تعالى زين للناس حب الشهوات من النسا

والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقوله
عليه الصلاة والسلام ان الدنيا حلوة خضرة جعلها حلوة
باضافته لشهوة الانسان ممن اتبع نفسه حلاوتها هلك
بتلك الحلاوة هلاك الرباب في العسل ومن ذاق نفسه
صبر الصبر على حلاوتها اعقبه الله حلاوة اجلة لانقاد لها
ومعنى خضرة اي ناعمة طرية واصله من نضارة الشجر وعليه قوله
تعالى فاخرجنا منه خضرا اي ورقا اخضر يقال اخضر خضرا
مبالغة في الوصف وكلأ ناعم فهو خضر واشار بخضرتها الى جمالها
في شهوة الانسان وتنبيها على انها تجف سريعا وتذبل
ولهذا سماها الله زهرة فان الزهر سريع الجفاف والذبول
الوجه الثالث في بيان معنى محبة الله تعالى للعبد ومحبة
العبد له قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله الاية محبة العباد لله مجازا عن ارادة التقرب اختصاصه
بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان
يرضى عنهم ويجد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله
على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما يتمونه من ارادة عبادته
يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم قوام على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل
لقولهم قصدا فقام من عمل ممن ادعى محبته وخالف سنة رسوله
فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقال الامام ابو القاسم القشيري
رحمه الله تعالى محبة الحق سبحانه للعبد ارادته الانعام
مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام فالرحمة خاص من

الارادة

الارادة والمحبة اخص من المحبة فارادة الله ان يوصل الى العبد
الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته كان يخصه بالغريبة والاحوال
العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فيحسب
تعاوت متعلقاتها تختلف اسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبات
تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم يسمى رحمة واذا تعلقت
بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق للعبد مدحه
له وثناؤه عليه بالجميل ترجع معنى محبته على هذا القول
الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات
فعله فهو احسان مخصوص يلقي العبد به وحاله مخصوص
به يرقيه اليها كما قال بعضهم ان رحمته بالعبد نعمته به سعة
وقوم من السلف قالوا محبته من الصفات الخبرية واطلقوا
القول ولم يتعرضوا من التفسير فاما ما عدا هذه الجملة ما هو
المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشيء والاستيناس
بالشيء وكمالة بجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم
سبحانه يتعالى عن ذلك واما محبة العبد لله فكمالة بجدها
من قلبه تلطف عن العبادة وتدخله تلك الكمالة على التعظيم
له وايثار رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج اليه وعدم
القرار من دونه ووجود الاستيناس به وام نكره له بقلبه
وليست محبة العبد لله سبحانه متضمنة ميلا ولا اعتناقا
كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك
والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه
بانه يوصف بالاختلاط ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد
بحد اوضح ولا اقرب الى الفهم من المحبة والاستغناء في المقال

عند حصول الاشكال فاذا زال الاستبهام والاستفهام سقطت
الحاجة الى الاعراف في شرح الكلام وعبارات الناس عن المحبة
كثيرة وتكلموا في اصلها في اللغة فبعضهم قال المحب اسم الصفاء
الموجودة لان العرب تقول للصفا بياض الانسان وتصاريفها
حبب الانسان قيل الحباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد
تعالى هذا المحبة على ان القلب ينور انه عند العطش والاهتياج
الى لقاء المحبوب وقيل انه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو
معظمه فيسمى بذلك لان المحبة غاية معظم ما في القلب من
المهمات وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقال حب البعير
فلا يقوم فكان المحبة لا تبرح بقلبه عن ذكر محبوبه ثم قال واما
اقوال الشيوخ في حقيقتها الى ان قال وقال ابو عبد الله
القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك
منك شيء وقال سمنون ذهب المحبون به بشرف الدنيا
والاخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من احب
وهو مع الله تعالى انتهى قال بعض العارفين مساكين اهل
الدنيا خرجوا من الدنيا وما نالوا اطيب ما فيها قيل وما اطيب
ما فيها قال محبة الله والانس به والشوق الى لقائه والتنعم
بذكره وطاعته وقال اخر الى لتمر بي اوقات اقول فيها ان كان
اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقد قال سمنون المحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم ٭ وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعى قلبي هواك اجابه ٭ فلست اراه عن فنائك يبرح
بليت بهجر منك ان كنت كاذبا ٭ وان كنت في الدنيا لغيرك افرح
وان كان شيء في البلاد بأسرها ٭ اذا غبت عن عيني لعيني تملح

فان شئت

فان شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست اراقلبي لغيرك يصلح
فاذا عرفت هذه الحقايق فاعلم ان الزهد انما كان نسيا لمحبة
الله تعالى عبده لان الدنيا مبغوضة عند الله وباغض
مبغوضك موافقك والمحبة هي الموافقة اما كونها مبغوضة
عند الله تعالى فلانها لهو ولعب والله لا يحبهما ولانها شاغلة
عن الله والله تعالى يبغض الشواغل عنه وقد روى ابن
الاعرابي عن ابي موسى ابن سنان انه بلغه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من
الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى الترمذي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم حسن
غريب وعن ابن الاعرابي عن الحسن عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجاء بالاعمال يوم القيمة في صورة حسنة
ويجاء بالدنيا في صورة قبيحة فتقول يا رب انا الدنيا فاجعلني
اليوم لاولي اهل الجنة منزلة قال فيقول لها انت اقل من ذلك
انت احقر من ذلك بل انت واهلك الى النار وروى البزار عن
ابي الدرداء قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بذمنة قوم فيها
سخلة ميتة قال لاهلها فيها حاجة قالوا ما نبي الله لو
كان لاهلها فيها حاجة فنبذوها قال فوالله الدنيا اهون
على الله من هذه السخلة على اهلها فلا الفيتها اهلكت احدا
منكم وروى الترمذي عن سهل ابن سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرا منها شربة قال هذا حديث صحيح غريب

من هذا الوجه وروي ابن الاعمى ابي عن ابن عباس قال يوتى
بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية
مشوه خلقها فتشرف على الخلايق فيقال تعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم
عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم
ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول
الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وعن ابي هريرة
قال الدنيا معلقة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي
يارب لم تبغضني فيقول الله تعالى اسكتي يا لاشيء قال العلماء
اذا علم الانسان ان الدنيا ليست لها غاية سامية في طبعها مشبا
لنفسه غير قانع بشيء منها ولا يكفيه منها شيء كما قال صلى الله
عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى لهما واديا
ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من
تاب رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم تعس عابد الدينار
والدرهم والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض وقال صلى
الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد
الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس
واذا شاك فلا انتقش طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه مغبرة
قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة
ان استاذن لم يوذن له وان شفع لم يشفع وعبد الله ابن
مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على
حصير قد اثر الحصير في ظهره فقلت لو نمت يا رسول الله
على ما هو ألين من هذا فقال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل

الدنيا

الدنيا كمثل راكب مر بارض فلاة فراى شجرة فاستظل تحتها
ثم راح وتركها وعن عمر انه دخل يوما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو على حصير وقد اثر في جنبه فبكى عمر
رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر
قال ذكرت كسرى وقيصر وعدو الله في الخز والفز والحرير
والله يباح وانت يا رسول الله وخيرته من خيرته على هذا
فقال له اني شككت يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لهم
الدنيا ولنا الاخرة قال بلى قال فهو كذلك وقد روي عن بعضهم
انه قال لو ان الدنيا كانت لولوة تفنى والاخرة خزفة تبقى
لكان ينبغي لمن عقل ان يؤثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر
بالعكس لان الخسيس هو الفاني والرفيع هو الباقي فما لنا
لا نعقل ما يراد بنا وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الدنيا مزبلة فلا يدفن احدكم قلبه في المزبلة
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا قال بلى
يا رسول الله قال فاخذ بيدي فاتى بي وادي من اودية
المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعظام الدواب
وعذرات وخرق فقال لهم تدرون هذه الرؤس انها ان كانت
تحرص حرصكم وتامل املكم ثم قد عادت عظاما تلوح ثم هي
كائنة رمادا ورفاتا وهذه عظام دوابهم التي كانوا ينتجمون
عليها الافلاق وهذه الخرق رياشهم وثيابهم وهذه العذرات
البوان اطعمتهم قذفوها في البطون فعادت يتمامها الناس
فمن كان باكيا بكى الدنيا فليبك على هذه قال فما برحنا حتى اشتد

بكاؤنا ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المثل تنبيها
لهم على النظر في العاقبة وغض البصر عن المبدا كما قال بعض
السلف انظروا الى الناس في اعيادهم هل ترون فيها الا خرقة
تبلى وجسدا يأكله التراب غدا وقد روي في حديث معناه
ان المرء اذا اقبل على مذهبه بعث الله ملكا يعكس رغبته
او نحو ذلك حتى يريه ما يخرج منه وكثيرا ما ينظر المرء الى ذلك
في هذه الحال ولكن المعتبر بذلك قليل وقد اكرات بعض
النساك كان يترل من جبله وموضع متعبده الى ساحل
من البحر الى موضع كان فيه من هذه القذرات والعذرات
فينادي طايفة من الليل في هذا وانه مضت حسنات
القوم ويروى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يكثر من
ان يقول في خطبته ما للمرء والتكبير يدخل كل يوم احدكم الخلا
كرتين ويغسل الخرا بيده مرتين الى ما يخرج من انفه
وحلقه وما يجتمع في اماقيه اما يعرف المرء قدره قال حتى
كان يقذر الينا انفسنا واعلم ان جملة القول في الدنيا
انها قنطرة تعبر ولا تعمر فمن عمرها اخطا ومن عبرها سالك
للطريق المستقيمة نجا فاذا تقرر هذا فقد علمت قطعا ان
محب الدنيا مبغوض عند الله عز وجل ومحبة الدنيا فالزاهد
فيها الراغب عنها محبوب له عز وجل ومحبة الدنيا المكروهة
هي ايثارها للقضاء شهوات النفس واوطارها لان ذا كان تشغل
عند الله عز وجل اما محبتها لفعل الخير وتقديم الاخرة بين
يدي الله وغير ذلك فهو عبارة للقوت عليه الصلاة والسلام
نعم المال الصالح للرجل يصيب به رخاء ويصنع به معروفا وفي الامم

اذا كان

اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الذهب والفضة
كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا ما اثرتم به الناس عد به
قوم وشقي به آخرون واما ان الزاهد فيما في عند الناس
بسبب لمحبة الناس فلان الناس يتنافسون على الدنيا
بطباعهم اذ الدنيا محبتة والناس كلهم قد راضهم عليها
بفضوه ومن زهد فيها ووفرها عليهم احبوه ويروى من
شعر الشافعي رضي الله تعالى عنه في هذا المعنى قوله
وما هي الا جيفة مستحيلة ، عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ، وان تجتذبها نازعتك كلابها
قال القاضي عياض رحمه الله تعالى واما المزهود من اجله
الباعث على الزهد الذي عنه يكون الزهد فخمسة اشياء احدها
انها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر في امر الله تعالى والثاني
انها تنقص عند الله درجات من ركن اليها والثالث ان تركها
قربة من الله تعالى ومطلوب مرتبة عنده في درجات النعيم
والرابع طول الحبس والوقوف في القيامة للحساب والسوال
عن شكر المنعم والخامس رضوان الله تعالى والامن من
سخطه وهو اكبرها قال الله عز وجل ورضوان من الله
اكبر وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح
هذا مع ما للزاهد من راحة القلب والبدن في الدنيا والاخرة
فالزاهدون هم الملوك في الحقيقة كما قال بعضهم
ارا الزهاد في روح وراحة ، اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض
وهم العقلا لايثارهم الباقي على الفاني وقد قال الشافعية لو اوصى
لاعقل الناس يصرف الى الزهاد ولم يبين من شغله وبين من

يشغله الدنيا شتان ما بين الشغلين تشاغل قوم بدنياهم
وقوم تخلوا لمولاهم فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الناس اغناهم
وفي الود عماد نبه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرجل يعظه ارغب
فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس
ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة ويجيء
اقوام يوم القيامة لهم حسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم
الى النار فقيل يا نبي الله او يصلون قال كانوا يصلون ويصومون
ويجتهدون وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا راح لهم شيء من الدنيا
وثبوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم يحبك الله هو بفتح
الباء المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية
بحذف احدى الباءين على جواب الامر الذي هو ازهد فاسكنت الباء الاولى
عند ارادة الادغام ينقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الحاء
فاجتمع ساكنان فحرك لالتقاء الساكنين بالفتح تخفيفا وقد
يقال هذا قوله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس مغاير
لقوله ازهد في الدنيا يحبك الله فان كان هو هو فما معنى العطف
والتكرار ان كان غيره فقد صح في الحديث ان الله اذا احب عبدا
امر جبريل ان ينادي في السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ويوضع له القبول في الارض فيحبه الناس
وفي رواية ويوضع حبه في الارض فتسريه الناس فيحبه البر
والفاجر فقد علم من ذلك محبة الله عز وجل لعبده موجبة
لمحبة العبد له فلا ينفك عنها فلينتظر في جوابه الحديث
الثاني والثلاثون عن ابي سعيد سعد ابن مالك ابن سنان

الخدري

الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا ضرر ولا ضرار حديث حسن رواه ابن ماجة
والدارقطني وغيرهما مسندا ورواه مالك في الموطا مرسلا
عن عمرو ابن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فاسقط ابا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضا فالكلام
عليه من وجوه احدها سعد الخدري وقال ابن هشام اسمه
سنان والاول هو المشهور والخدرة قبيلة من الانصار
توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين
وقيل ثلاث وستين وقيل سنة اربع وستين والاول هو
المشهور وكان من خيار الانصار وفضلايهم ومن حفاظ الصحابة
وعلمايهم حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم سننا كثيرة
وروي عنه علما جما روي عنه من الصحابة زيد ابن ثابت
وانس ابن مالك وعبد الله ابن الزبير ومن التابعين سعيد
ابن المسيب وابو سلمة وعبيد الله بن عبد الله بن عقبة
وعطا ابن يسار وغيرهم استصغر يوم احد فرد واستشهد
ابوه يوم احد وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي
عشرة غزوة روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الف حديث ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة
واربعين وانفرد البخاري بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين
روي له الجماعة الوجه الثاني قال ابو داود الفقه يدور على
خمسة احاديث الاعمال بالنيات الحلال بين وما نهيتكم عنه ولا
ضرر ولا ضرار رفعليه هذا يكون الحديث هذا خمس الشريعة
الثالث قال الجوهري الضرر والضرار خلاف النفع وقد ضره

وضاره ومعيني والاسم الضرر قال ابن الفاكهاني وظاهر هذا انه
لافرق بين الضرر والضرار وانما جاء في الحديث على وجه التاكيد
قاله غير الجوهري والاولى حمل الثاني على فايدة لاتكون في الاول
ان امكن فان الاصل التاسيس دون التاكيد لاسيما في كلام
الشارع عليه الصلاة والسلام والذي يظهر لي في ذكر ان الضرر
من واحد كالقتل والضرار من اثنين كالقتال من حيث ان
ضرار مصدر ضار وفاعل انما يكون غالبا من اثنين ونقل
بعض الناس عن الخشني انه قال الضرر الذي لكر فيه منفعة
ومعي جارك فيه المضرة وقد علمت من اين اخذ هذا المعنى
انتهى كلام ابن الفاكهاني وقال الطوفي رحمة الله عليه الضرر
مصدر ضره يضره ضرا وضرارا والضرار ضاره يضاره
ضرارا وفي التنزيل ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا والضرر
الحاق مفسدة بالغير مطلقا والضرار الحاق مفسدة به
على جهة المقابلة اي لكل منهما يقصد ضر صاحبه ويروي
هذا الحديث ولا اضرار بزيادة الف وهو مصدر اضر به
اضرارا الحق به ضررا وهو في معنى الضرر انتهى قال ابن
الفاكهاني وخبر محذوف والتقدير لا ضرر ولا ضرار في
ديننا او في شريعتنا او في سنتنا وظاهر الحديث تحريم
الضرر مطلقا القليل منه والكثير ضرورة كون النكرة
في سياق النفي تعم غالبا وقولي غالبا لتخرج من موضعين
احدهما مثل لا رجل في الدار بالرفع بدليل انك تقول لا رجل
في الدار بل رجلان ولا تقول ذلك مع الفتح والثاني سلب
الحكم عن العموم نحو ما كل عدد زوج فان هذا ليس حكما بالسلب

على كل

على كل فرد من افراد العدد والا لم يكن زوج وذلك باطل بل مقصودك
ابطال قول من قال كل عدد زوج فقلت له انت ليس كل عدد
زوجا اي ليست الكلية صادقة بل بعضها ليس كذلك فهذا
سلب النفي عن العموم لاحكم بالسلب على العموم قال العراقي
رحمه الله واذا تقرر هذا علمت تحريم الضرر ما قل منه
وما كثر على ما يقتضيه صيغة العموم الا ان ترد مخصص
وذلك مثل فتح كوة في داره تطلع على عورات او احداث قرن
او حمام او رحا او معصرة فان ذلك يمنع لوجود الضرر
بالدخان وصوت الرحا وما اشبه ذلك وهذا بخلاف ما قل
ضرره جدا كنفض او عية التراب وما في معناه والحفر
عند الابواب فهذا خفيف اذ ذلك يكون في ساعة لطيفة
وكذلك يمنع الزبل الذي يتولد منه الدود في الوهاب والناسي
مسيلة اذا اضارت ببئر جاره وله فضل ما وجب عليه ارسال
فضل مايه الى زرع جاره بشروط ثلاثة احدها ان يكون قد
زرع على اصل ما والثاني ان يبتشاغل باصلاح بيره والثالث
ان يخشى على زرعه الهلاك مسيلة اذا احتاج جاره الى غرز
خشبة في جداره هل يجب تمكينه من ذلك وله منعه قولان
مشهور مالك المنع ولكن يندب له ذلك لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يمنعن جار جاره ان يغرز خشبة في جداره ومنشا
الخلاف هل هذا النهي على الالزام او الندب او الحث على محاسن
الاخلاق وحسن الجوار وللشافعي ايضا قولان والجديد
عدم الوجوب كما نقول وبه قال ابو حنيفة والكوفيون وبالايجاب
قال احمد وابو ثور واصحاب الحديث وهو ظاهر الحديث مسيلة

للرجل ان يعلي بناءه على جدار جاره ولو اضر ذلك بجاره وظلم عليه
ابواب غرفته ومنع الشمس ان تقع في حجرته قال الابهري لانه يبني
في ملكه فليس لجاره ان يمنعه من ذلك وان كان ببنيانه يستره
من الشمس والريح وذكر ابن سلمان ان ذلك من الضرر الممنوع
وهو ظاهر الحديث وقال ابن كنانة اذا ارفع بنيانه ليضر بجاره
من شمس يمنعه منفعتها او لضرر يدخل عليه ولا ينتفع له في
بنيانه فانه يمنع منه والله اعلم الحديث الثالث والثلاثون
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال اموال
قوم ودماءهم لكن البينة على المدعي واليمين على من انكر
حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في
الصحيحين الكلام عليه من وجوه الاول قال الطوفي ان قيل
قد اشتهر في لوانها تقتضي امتناع الشيء لامتناع غيره فهذا اذا
تقتضي هاهنا امتناع دعوى رجال اموال غيرهم لامتناع ان يعطى
الناس بدعواهم لكن ذلك لم يمتنع اذ دعوى بعض الناس مال
بعض دمه كثير جدا فجوابه من وجهين احدهما ان قولهم
في لوانها تقتضي امتناع الشيء لامتناع غيره عبارة مشايخ النحاة
اما عبارة امام الفن سيبويه فيها فهم ان لو لما كان سيمتنع
لوقوع اعطاء الناس بدعواهم فان قيل الاشكال باق لان الناس
يدعي بعضهم مال بعض بدعواهم سواء اعطوا او لم يعطوا فجوابه
بالوجه الثاني وهو ان المراد بدعاوي الرجال اموال القوم اعطاهم
اياها ودفعها اليها وتقدير الحديث لو اعطي الناس بدعواهم
لاخذ رجال اموال قوم وسفكوا دماءهم فوضع الدعوى موضع

الاخذ

الاخذ لانها سببه ولا اشكال ان اخذ مال المدعي عليه يمتنع
لامتناع اعطاء المدعي بمجرد دعواه وكذلك اخذ ماله المدعي عليه
كان سيقع لوقوع اعطاء المدعي به دعواه ولا يقع بدون ذلك
فصح معنى لو في الحديث على ما تتوهم فيه انتهى وبحث الزمخشري
رحمه الله هذا البحث في قوله ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض فقال فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم
على بعض ومنهم مبسوط ومنهم مقتور عنه فان كان المبسوط
لم يبغوا به فكيف بسط لهم وان كان المقتور عنهم يبغون
فقد يكون البغي بعدم البسط فلم بسطه قلت لا شبهة في
ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما
سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط
لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما نحن عليه الان انتهى
الوجه الثاني قال الطوفي الرجال ذكور بني آدم بلا خوف اما
القوم فهو مختص بالرجال او بهم والنساء فيه قولان حجة الاول
قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا
نساء من نساء الآية وقول زهير وما ادري وسوف اخال ادري
اقوم آل حصن ام نساء وجه الدلالة انه في الآية قابل بين القوم
والنساء مقابلة صحيحة والمقابلة الصحيحة انما هي بين الرجال
والنساء فالقوم اذن هم الرجال لا غير حجة الثاني قوله عز وجل
كذبت قوم نوح المرسلين والمراد الرجال والنساء جميعا
وكذلك العرب تقول احرم هذا البيت في ارض قومي وليس من
لسان قومي ونحوه ومراده الرجال والنساء فقد بان ما اخذ
القولين وعلى كل منهما اعتراض اما الاول فيعترض عليه بانه انما

دل على القوم هم الرجال خاصة بقرينة التقسيم او قابل بين
القوم والنساء كما يقابل بين الرجال والنساء حتى انه لو لا ذكر
لم يدل على اختصاص القوم بالرجال واما الثاني فيعترض عليه
بان النساء انما دخلن في لفظ القوم بقرينة التكليف ونحوه ولولاها
لما دخلت فيه اذا عرف هذا فاذا ادعيا مثلا اما رجلان او امراتان
او رجلا وامراة وان قيل لم قال المدعي رجلا اموال القوم ولم يقل رجال
اموال الرجال او قوم اموال قوم قلنا يحتمل انه غاير بين اللفظين
دفعا لتكرار احدهما بغير فايدة ويحتمل على القوم بان النساء
يدخلن في لفظ القوم ان يقال لما كان الغالب ان المدعي انما يكون
رجلا اذ المراة ليست من اهل الدعوى وحضور مجلس
الحكام والمدعى عليه رجلا او امراة قال المدعي رجلا اموال القوم
حملا على الغالب في ذلك البحث الثالث لما قدم الاموال على الدما
مع انها اهم من الاموال واعظم جرما وكذلك اول ما يقضى بين
الناس يوم القيامة في الدما وجوابه ان الخصومات في الاموال
الكثيرة اكثرها ايسر وامتدادا ابعد اليها اسهل ولهذا
ترى الانسان يسرف ويفصب ويقطع ويجمع المال في عمره
الف مرة واكثر ولعله لا يقتل احدا وان قتل فنفسا واحدة
او نفسين وهو قليل بالنسبة الى اخذ المال ولو قدم ذكر الدما
على الاموال هنا لكان ذلك لكونها اهم كما ذكرنا على ان عطف
الدما على الاموال بالواو وهي لا تفيد الترتيب البحث الرابع
قوله لكن البينة على المدعى ان قيل لكن صناعها الاستدراك
وهي انما تكون بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو قام وزيد
قائم لكن عمرو لم يقم وليست لكن بمثلها كذلك اذ بعدها اثبات ولا

نفي

نفي قبلها قلنا اكذلك في المعنى او معنى قوله لو يعطى الناس بدعواهم
لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهو المدعي وهو كلام صحيح
جار على القاعدة فلكن البحث الخامس قد كان يمكن ان يقال البينة
على المدعي واليمين على المنكر والبينة على المدعي واليمين على من انكر
والبينة على المدعي واليمين على من انكر كما في لفظ الحديث فلو خص
هذه العبارة من دون العبارات الثلاث قلنا يحتمل ان يكون هذا
من باب الاتفاق وانه لو اتى بغير هذه العبارة من تلك العبارات
لجاز ويحتمل ان يقال ان في المدعي ضربا من التعريف المعنوي
لظهوره واقامه على المدعوي فاتى به بلام التعريف المناسب
له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير لاستتمام غايته وتاخيره
وكونه اذا سكت لم يترك فاتى فيه بمن اذ فيها ابهام وتنكير شبيه
بحاله ويحتمل ان يحمل هذا السوال ورودا مورد ما لو اتى
بغير هذه العبارة لقيل لم يات بغيرها البحث السادس وجه
الحكمة في ان البينة على المدعي واليمين على من انكر هو ان جانب
المدعي ضعيف لدعواه خلاف الاصل وجانب المنكر قوي لموافقته
الاصل في براءة ذمته والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين
حجة ضعيفة لقربها منه فجعلت الحجة القوية وهو البينة في الجانب
الضعيف وهو جانب المدعي والحجة الضعيفة في الجانب القوي
منا وجهين وهو جانب المدعي تقديرا والحجة الضعيفة في
الجانب القوي وهو المنكر تقديرا وهو توجيه حسن ذكره
بعض اهل العلم قال الطوفي رحمه الله واعلم ان قوله واليمين
على من انكر عام خص بصور استثنيت منه احداهن وهو
اليمين مع الشاهد الواحد في جانب المدعي الثانية يمين المدعي

بينما اذا رد هاعليه المنكر على راي الشافعي ورواية عن احمد او
وجه في مذهبه الثالثة يمين ولي الدم في القسامة وهو مدعي
الرابعة ايمان الاصناف دعاويهم كالوكيل والمرتهن ونحوهما وما
وجد من هذه الصور انتهى وقيل ان فصل الخطاب في قوله تعالى
واتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو كقوله صلى الله عليه وسلم
البينة على من ادعى واليمين على المدعى عليه وقيل اما بعد
واعلم انه لابد من معرفة المدعي والمدعى عليه لانه من اهم
ما يبنى عليه مسايل الدعوى فحده القدوري بان قال المدعي
من لا يجبر على الخصومة اذا تركها والمدعى عليه من يجبر على
الخصومة قال صاحب الهداية وقد اختلفت عبارات المشايخ
فيه فنهم ما قال في الكتاب وهو حد عام صحيح فقيل المدعي
من لا يستحق الا بحجة كالخارج والمدعى عليه ما يكون مستحقا
بقوله من غير حجة كذي اليد وقيل المدعي من يلتمس غير الظاهر
والمدعى عليه من يتمسك بالظاهر انتهى قال ابن الغاكهاني مسئلة
قال ابن فرح الاند لسي استدل بعض بقوله عليه الصلاة والسلام
لادعى ناس دماء رجال واموالهم على ابطال قول مالك في التدمية
ووجه استدلاله ان الله صلى الله عليه وسلم قد سوى بين الدماء
والاموال في ان المدعي فيه لا يسمع قوله فيها فاذا لم يسمع قول
المدعي في عرضه على عمه فلان دينارا او درهما كان احرى واولى ان
لا يسمع قوله دمي عند فلان لحرمة الدماء قال ولا حجة له في ذلك
لان ما الكلام لهسند القصاص او الدية لقول المدعي دمي عند
فلان بل للقسامة على القتل والتدمية لوث يقوي جنبة
المدعين حتى يبدا وبالايمان كسايرانواع اللوث قال ابن

الغاكهاني

الغاكهاني ولان التهمة في حق هذا بعيدة لانه قادم على الله تعالى
فيبعد في حقه فلا يبعد ان يتزود في سفره الى اخرته دم رجل مسلم
يعاقب عليه هذا ما يفعله من عنده ادنى مسكة من عقل وان كان
فسقا او سئل عبد الله الارزق في زمانه انتهى قلت اما استدلال
بعض الناس فانه ظاهر مكشوف ودفعه بما قاله ابن فرح ظاهر
الفساد للتامل واما قول ابن الغاكهاني في تقوية ذلك ان التهمة
في حق هذا بعيد الى اخره فهو قدر مشترك بين من يقول في عمد
فلان دينارا فانه لا يتزود لاخرته بما يؤديه عند الله تعالى
فينبغي القول بلزوم المقول فيه ذلك ولا قايل به والله اعلم
بالصواب ثم قال ابن الغاكهاني قال يعني ابن فرح واجمع العلماء
على استحلاف المدعي عليه في الاموال واختلفوا في غير ذلك فذهب
الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبها على كل مدعى عليه في حد او
طلاق او نكاح او عتق اخذا بظاهر عموم هذا الحديث فان
نكل حلف المدعي وثبت دعواه وقال ابو حنيفة واصحابه يحلف
على الطلاق والنكاح والعتق وان نكل لزمه ذلك وقال الثوري
والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف في الحدود والسرقة وقال
غيره مالك رحمه الله تعالى الحديث الرابع والثلاثون عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان
لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان رواه مسلم الكلام عليه من وجوه احدها الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واجب بالكتاب والسنة والاجماع اعني وجوب
الكفاية لا وجوب الاعيان الا الانكار بالقلب فانه من فروض الاعيان

اما الكتاب فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر الاية فامر في هذه الاية نصا بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واتى في اية اخرى على انها كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الاية ومدح
قوما لعنهم من بني اسرايل بانهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اي لم يكن ينهى بعضهم بعضا واما السنة فقد روي في ذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هلكت بنو اسرايل فيم سخط
الله على بني اسرايل قالوا الله ورسوله اعلم قال ان الرجل كان
يرى الرجل منهم على معصية فينهاه بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه
ويصافحه ويواكله ويشاربه كانه لم يره على معصية حتى كثر ذلك
منهم فلما علم الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم
لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ولتاخذون على يد الظالم ولتاطرون على الحق طرا او
ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم تلعنكم كما لعن من
قبلكم وعن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر
وليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجيب
لكم واما الاجماع فاجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر ان المنكر
واجب تغييره على كل من قدر عليه وانه اذا لم يلحقه بتغييره
الا اللوم الذي لا يتعدى الى الاذى فان ذلك لا يجب ان يمنعه
من تغييره فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه ليس عليه
اكثر من ذلك واذا انكر بقلبه فقد ادى ما عليه اذا لم يستطع سوى

ذلك

وقف لله تعالى على طلبة العلم الازهر ومقره بر واق اليمن
ذلك قال والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تاكيد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولكنها مقيدة بالاستطاعة
قال الحسن انما يقام مومن يرجو او جاهل يعلم فاما من وضع
سيفه او سوطه وقال اتقني اتقني فما كذوله وقال ابن مسعود
بحسب المرء اذا راى منكرا لا يستطيع تغييره ان يعلم الله
من قلبه انه له كاره وروى ابن لهيعة عن الاعرج عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمومن ان يذل
نفسه قالوا يا رسول الله وما اذلاله نفسه قال ان يتعرض من
البلاء لما لا يقوم له قال القرطبي وروي عن بعض الصحابة انه قال
ان الرجل اذا راى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات
اللهم هذا منكر فاذا قال ذلك فقد فعل ما عليه ونزع ابن العربي
ان من رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره بالضرب او القتل
جاز له الاقتحام عند اكثر العلماء عند هذا العذر واما لم يرج زواله
فاي فائدة عنده قال والذي عندي ان النية اذا حصلت فليقتحم
كيف ما كان ولا يبالي قال القرطبي هذا خلاف ما ذكر ابو عمر ومن
الاجماع قال وهذه الاية وهي قوله تعالى ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم تدل على جواز الامر
بالمعروف مع خوف القتل وقال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما اصابك وهذا اشارة الى الاذا به ثم قال القرطبي
قال العلماء الامر بالمعروف باليد على الامراء وباللسان على العلماء
وبالقلب على الضعفاء يعني لعوام الناس فالمنكر اذا امكن ازالته
باللسان للناهي فليفعله وان لم يمكنه الا بالعقوبة والقتل
فليفعل وان زال به دون القتل لم يجز القتل وهذا يكفي من قول

الله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وعلى بني آدم
اذا دفع الصائل على النفس او على المال عن نفسه او عن ماله
او عن نفس غيره فله ذلك ولا شيء عليه ولو رأى زيدا يعمد الى
مال بكر فيجب عليه ان يدفعه عنه اذا لم يكن صاحب المال
قادرا عليه ولا راضيا به وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها
معصومون من البلا امام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى
ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجرضون
على طلب العلم والقرآن ونساؤهم مستورات لا يتبرجن
تبرج الجاهلية الاولى تنبيه اعلم ان هذا الزمان قد كثر فيه
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك معجزة عظيمة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن ماجة عن
انس ابن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول
الله وما ظهر في الامم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة
في كباركم والعلم في ذات الكم قال زيد قوله والعلم في ذات الكم اي اذا كان
في الفساق فافقه ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال الحليمي رحمه الله في منهاجه ثم ان ذلك ليس مما يليق بكل احد
ولا يجب على كل احد وانما هو من الفروض التي تنبغي ان يقوم
بها السلطان للمسلمين اذا كانت اقامة الحدود اليه والتعزير
موكولا الى رأيه فينصب في كل بلد وفي كل قرية رجلا صالحا قويا
امينا عالما وبأمره بما ذكرناه الاحوال التي تجري فلا يدع ولا يسمع
منكرا الا غيره ولا يبقي سرا وفاحشا الا امر به وكلما وجب على
فاسق من حد اقامه ولم يعطه فانه لاشيء اردى على المفسدين

من اقامة

من اقامة حدود الله عليهم ولا يتعدى المشروع فالذي يشرعه
اعلم بطريق سياستهم قال وكل ما كان من علماء المسلمين الذين
يجمعون من فضل الله العلم وصلاح العمل فعليه ان يدعوا الى
المعروف وينزجر عن المنكر بمقدار طاقته فان كان يطيق ذلك
بنفسه او يطيقه بمن يستعين به عليه فعليه الا ما كان طريقة
الحد والعقوبة فان ذلك الى السلطان دون غيره وان كان لا يطيق
الا القول انكره وان لم يطق الا الانكار بالقلب انكره والامر
بالمعروف مثله وينبغي ان يكون مميزا يرفق في موضع الرفق
ويعنف في موضع العنف ويكلم كل طائفة من الناس بما يعلم انه
اليق بهم وانجع فيهم وان يكون غير محاب ولا مداهن وان يصلح
نفسه اولا ويقوم بها ثم يقبل على اصلاح غيره وتقويمه
قال الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وعن
محمد بن المنكدر قال ذكر رجل عند الربيع ابن خثيم قال ما انا عن
نفسي براض فاقتدع منها الى ذم غيرها ان العباد خافوا الله
على ذنوب غيرهم وامنوه على ذنوب انفسهم وعن بعض
الكبار قال يعتذر ببيت شعر

لنفسي ابكي لست لغيرها لنفسي في نفسي عن الناس شاغل

والسلطان الذي يتعاطى الفواحش يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر لان السلطنة هي هذا فلو انقضت يده عنه لم يكن سلطانا
وليس هذا موضع هذه المسئلة لان القيام بهذا الامر انما يصير
له عند امساك السلطان عنه لعلمه وصلاحه فاذا اختل
صلاحه فقد صار مستحقا للتغيير عليه ولا يكون مع ذلك سفيرا
على غيره وقال رجل يا ابن عباس الى اريد ان امر بالمعروف

والنهي عن المنكر قال او بلغت ذلك قال ارجو قال فان لم تخش ان
تفتضح بثلاثة احرف في كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي قال
قول عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم احكمت
هذه الاية قال لا قال فالحرف الثاني قال قوله عز وجل لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت
هذه الاية قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب
عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الاية احكمت
هذه الاية قال لا قال فابد ابقسك انتهى قال ابن الفاكهاني للوجوب
شروط ثلاثة الاول ان يعرف من تولى ذلك المعروف وهو ما امر
الله تعالى به والمنكر وهو ما نهى الله عنه فانه ان لم يعرف ذلك ربما
نهى عن المعروف وامر بالمنكر والثاني ان يامن ان يودي انكار المنكر
الى منكر اكبر منه مثل ان ينهى عن شرب الخمر فيودي ذلك الى قتل
وما اشبهه ذلك والثالث ان يرجو القبول فان ام وه ونهيه لم يؤثر
فيه ويزيله او بعضه فالشرطان الاولان شرطان في الجواز
اعني انه اذا انتفى احدهما حرم الامر والنهي والحالة هذه والثالث
شرط في الوجوب فاذا انتفى وجد الاولان جاز له الامر والنهي
او ندب الى ذلك ولا يجب عليه لانه ربما يطيعه لاسيما اذا تلطف
به في ذلك فان الله تعالى يقول فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى وقد قال بعض المتاخرين من اصحابنا انه اذا
راى عورة احد في الحمام فينبغي ان يكون انكاره عليه بالصيغة
وهو ان يقول استتر ستر الله ونحو ذلك وقد روي ان رجلا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقع في الشام فانهمك في الخمر
فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه حم تنزيل الكتاب

من الله

من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها
ونزع عنها لاسيما اذا كان ذلك احد ابويه فليكن تلطفه وترفقه
معه ابلغ واتم تاديب الخليل عليه الصلاة والسلام وتلطفه
في مخاطبة ابيه ازر الكافر المعاند رجا استمالته واسلامه
حيث قال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن وليعلم ان
الانكار انما هو فيما لم يختلف في تحريمه واما المختلف فيه فلا انكار
فيه لاسيما اذا قلنا ان كل مجتهد مصيب وهو المختار عند كثير
من المحققين وعلى المذهب الاخر المصيب واحد والمخطئ غير
متعين لنا والاثم موضوع عنه لكن لا باس ان يندب للخروج
من الخلاف برفق وتلطف على جهة النصيحة فان العلماء متفقون
على الحث على الخروج عن الخلاف قال ابن فرج الاندلسي وذكر
اقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية خلافا
بين العلماء فيمن قلده السلطان الحسبة هل له ان يحمل الناس
على مذهبه اذا كان من اهل الاجتهاد ام لا فيغير ما كان على مذهب
غيره والاصح انه لا يغير ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين
فمن بعدهم رضي الله عنهم ولا يغير محتسب ولا غيره على غيره
وكذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي ان يتعرض على من خالفه
اذا لم يخالف نصا ولا اجماعا ولا قياسا جليا انتهى فان قلت كيف
يلتئم هذا الحظ العظيم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم وظاهر هذا ما تدل من عدم وجوبه حتى لو قال
قايل ان ظاهر الاية ترجيح ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

لم يبعد ذلك لان معنى عليكم انفسكم الزموا انفسكم كما تقول عليك
زيدا اي الزمه مع قرينة لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وهذا ظاهر
مكشوف قلت الجواب من وجهين احدهما نص في معنى الاية
الثاني تاويل اما النص فما روي عن ابن ابي اميه قال سالت عنها
ابا ثعلبة الخشني فقلت كيف تصنع بهذه الاية فقال اية اية
قلت له قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم فقال لي اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة
واعجاب كل ذي راي برايه ورايت امرا لا يد لك به فعليك بنفسك
واياك وامر العوام فان من ورائكم اياما الصابر فيهن مثل
القبض على الجمر للعامل يومئذ منهم كاجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله واما المعول فان معنى الاية عند المحققين انكم اذا
فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى واذا كان ذلك كذلك فما كلف به الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا
عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه ادى ما عليه فانما عليه الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا القبول قال الله تعالى ما على الرسول
الا البلاغ ثم قال القاضي عياض هذا الحديث اصل في صفة
التغيير في حق المغير ان يغيره بكل وجه امكنه زواله به قولا
كان او فعلا فيكسر الات الباطل ويريق مسكر بنفسه او يامر
من يفعله وينتزع المغصوب ويردها الى اصحابها بنفسه او
يامره ويرفق في التغيير جهده وبذي الصورة الظالم المخوف شره

اذ ذلك

اذ ذاك ادعى الى قبول قوله كما يستحب ان يكون متولي ذلك من اهل
الصلاح والفضل للمعنى المذكور ثم قال ابن الفاكهاني وليعلم ان مذهبنا
ومذهب غيرنا ان الانسان لا يجب عليه التجسس والتفتيش
حتى يعلم اهناك منكر ام لا بل ليس له ذلك اصلا قال الماوردي
من الشافعية الا ان يخبره مخبر ثقة بقوله ان رجلا قتل رجلا او زنى
ليقتله او بامراة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحالة ان لم
يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا
يستدرك قوله عليه الصلاة والسلام فليغيره معناه فليكرهه
بقلبه قوله وذلك اضعف الايمان اي اضعف خصال الايمان قال
ابن الفاكهاني المراد هنا بالايمان الاسلام ولذلك قال في رواية
اخرى فليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل اي لم يبق
وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى قاله القرطبي وقال غيره معناه
اقله بمرة انتهى وقال الطوفي ظاهره ان تغيير المنكر من الايمان
وتاويله على ما سبق مع انه من آثار الايمان ومقتضاه لان
حقيقة معناه اذ سبق في حديث جبريل ان الايمان هو
التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
فوجب تاويل هذا على ما ذكرنا جمعا بين الحديثين فالتقدير
اذا راى ذلك اضعف آثار الايمان وثمراته لان تغيير المنكر بالقلب
لازم وهو كراهة الشخص له وتغييره باليد واللسان منتف
اذ فيه كراهة المنكر ازالته وجاء في حديث آخر وهو اضعف
الايمان ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل لانه اذا لم يكره المنكر
بقلبه فقد رضي بمعصية الله عز وجل وليس ذلك شان اهل
الايمان فان قيل اذا رضي بالمنكر بقلبه ولم يكره ذلك هل يكفر

بذلك ام لا قلنا ان رضيه معتقدا جوازه فهذا يتضمن تكذيب
الشرع في تحريمه وهو كفر وان رضي به لغلبة الهوى والشهوة
مع اعتقاد تحريمه فهو فسق لا كفر واعلم ان هذا الحديث
يصلح ان يكون نصف الشرعية لان اعمال الشرعية اما معروف
يجب الامر به او منكر يجب النهي عنه والله اعلم قال الشيخ
محيي الدين النووي رضي الله عنه واعلم ان هذا الباب اعني
باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع اكثره في ازمان
متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا
وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا اكثر الخبث عم
العقاب الصالح والطالح واذا لم يأخذوا على يد الظالم اوشك
ان يعم الله بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم فينبغي لطالب الاخرة والساعي في
تحصيل رضى الله عز وجل ان يعتني بهذا الباب فان نفعه
عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه وتخلص نيته ولا يهابن من
ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله تعالى قال ولينصرن
الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم ان الاجر على قدر النصب
ولا يتركه ايضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة
عنده ودوام المنزلة له فان صداقته ومودته توجب
له حرمة وحقا وصاحبه ان ينصحه ويهديه الى مصالح

اخرته

اخرته ويتفقده عن مضارها ومديق الانسان ومحبته هو
من يسعى في عمارة اخرته وان ادى ذلك الى نقص في دنياه وعده
من يسعى في ذهاب اخرته وتنقيصها وان جعل له بذلك صورة
نفع في دنياه وانما كان ابليس لعنه الله عدوا لنا لهذا وكانت
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه اولياء المؤمنين لسعيهم
في صلاح اخرتهم وهدايتهم اليها فنسأل الله العظيم توفيقنا
وارشادنا الى ما يرضيه عنا وان يعمنا بجوده انتهى قال
ابن الفاكهاني واعجب ما في زماننا هذا الذين يظن بهم
العلم والدين ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر متلبسون بمناكر شتى يجب انكارها عليهم شرعا بالملح
يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان خلت به الفير ولقد احسن من قال
هذا الزمان الذي كنا نحذره ، في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير ، لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
قال وانشد شيخنا تقي الدين ابن دقيق العيد لنفسه
قد عرف المنكر واستكر ، المعروف في ايامنا الصعبة
وصار اهل العلم في وهدة ، وصار اهل الجهل في رتبة
صاروا وقوما للحمير فيما مضى ، هذا الذي جاز وابه نسبة
فقلت للابرار اهل تقى ، والذين لما استدت الكربة
ولا تنكروا احوالكم قد اتت ، نوبتكم في ازمن الغربة
الحديث الخامس والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا
تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع
بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه

ولايخذله ولايكذبه ولايحقره التقوى ها هنا ويشير الى صدره
ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل
المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم
الكلام عليه من وجوه الاول قال الجوهري الحسد ان تتمنى زوال
نعمة المحسود اليك يقال حسده يحسده حسدا قال الاخفش
وبعضهم يقول يحسد بالكسر حسدا بالتحريك وحسادة وحسدنك
على الشيء وحسدتك الشيء وتحاسد القوم وهم حسدة مثل حامد
وحمدة انتهى الثاني في قوله صلى الله عليه وسلم لاتحاسدوا اي
لايحسد بعضكم بعضا وقد اجمع الناس من المشرعين وغيرهم
على تحريم الحسد وقبحه وورد ت نصوص الشرع بذلك
وهذا الحديث يقتضي تحريمه فان قيل ما معنى قوله عليه الصلاة
والسلام لاحسد الا في اثنين الحديث هل هو اباحة للحسد
في الخصلتين المذكورتين ام لا قلنا الحسد لايباح بوجه
من الوجوه واما قوله لاحسد الا في اثنين المراد به الغبطة
اذ ليس شيء في الدنيا حقيقا بالغبطة عليه الا هاتان الخصلتان
انفاق المال والعلم في سبيل الله عز وجل والفرق بين
الحسد والغبطة ان الحسد تمني زوال النعمة عن الغير
والغبطة تمني الانسان مثل ما لغيره من غير ان يزول عن
الغير ماله قال الشيخ ابو العباس الاقليشي نهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن هذه الاقسام نهي عن خطر وتحريم لانها
ترفع الموالاة التي اوجبها الله تعالى بين المسلمين كما ان
امره بالاخاء امر وجوب اذ هو من اصول الدين فقوله عليه
الصلاة والسلام لاتحاسدوا الحسد من اعمال القلب وهو

من كبا

من كبايد الذنوب ولا مدخل لهذه الفتنة في الجوارح فالحاسد
انما هو القلب وصبغة الحسد من البغضا لان معناه اغتمام
الحاسد بخير يراه في المحسود فقد يكون الحاسد ذا نفس
بخسة ويغتم لما يصيب الخلق من الخير دون سبب من
الاسباب الا لعلة تالف نفسه مع نفوسهم فيتمنى ان يزول
ذلك الخير عنهم وان لم يصل منه اليه شيء حتى انه ليتمنى الفتن
والفلا والبلا للمسلمين وهذه سجية نفس مدنسة بالرجس
ومن الحسدة من يحسد غيره لينتقل الله اليه خيره ويزيله
عنه ليكون هو مستبدا بذلك الخير حتى لاينظر الى الغير فقد يكون
في علم او في عبادة او في مال يجعل له الانفراد والاستبداد
ويكون هو المنظور اليه بعين العباد فاما ان رأى خيرا عند
غيره مما دنيا تقين عمل طاعة الله تعالى او امر من امور الاخرة
من عبادة او علم او نحو خير فيتمنى ان يكون مثله في حاله دون
ان يسلب الله عنه شيئا من افضاله فهذا هو الغابط لا الحاسد
واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لاحسد الا في
اثنين معناه لاينبغي ان يكون الحسد الا في مثل هذا والى هذا
اشار بقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فهي اربعة
الفاظ حسد وتمني وغبطة ومنافسة فما كان منها في محمه
انتقال النعمة عن المحسود او في كون مثلها عند الحاسد
دون ان ينتقل عن المحسود ولكنها نعمة مذمومة كفعل
السوء والمال الحرام وما اشبهها فهذا حسد وتمني وغبطة
ومنافسة مذمومة وفيما كان منها تمني نعمة مباحة
من نعم الدنيا دون ان تنتقل من صاحبها فهو حسد وتمني

وغبطة ومنافسة مباحة لا اثم على تمنيها ولا فضيلة فيها وما
كان منها في طاعة الله عز وجل فاحب ان يكون مثله وان لا يسلبه
الله فضله عن صاحبه فهو حسد وتمنى وغبطة ومنافسة
محمودة فاذا فهمت هذه الاقسام فهمت الحسد الذي حرمه النبي
صلى الله عليه وسلم والذي ندب اليه وحض عليه فقال وذهب
ابن الاعرابي الى ان الحسد ما خوذ من الحسل وهو القراد
فهو يقشر القلب كما يقشر القراد الجلد فيمص الدم او لعل القراد
سمي حسد لا عن الجسد وزيدت اللام فيه لان حقيقة الحسد
الاثر المولم في نفس الحاسد وتصحيح هذا بمعرفة حقايق
اللغات في اول الوضع وقال عليه الصلاة والسلام ان الحسد ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب ولا شك ان الحسد من كبايد
الذنوب وهو اول ذنب عصي الله به في السما لان ابليس بحسده
لادم اخرجه من الجنة وما عرض منه في القلب على وجه الخاطر
دون ان مضا عرض به فلا يواخذ به العبد اذا لم يكن مما تقصده
فاذا كان معقد عليه القلب كان الحسد منه موما ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ اي اذا عرض لك
عارض الحسد تحققه بالبغي وهو معقد القلب عليه ومتابعته
وقوله تاكل الحسنات اعلم ان من قواعد الدين ان السيئة
لا تمحو الحسنة الا اذا كانت السيئة كفرا فانك لا تبقي خيرا بل ان
الحسنة تمحو السيئة كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيات وكما صحت الاثار فلم يبق الا ان يوجه قوله عليه
الصلاة والسلام على معنيين شريفين احدهما ان يعلم ان
الله جعل للحسنة حكمين احدهما حصول ثواب نور للعبد

منهما والثاني محو ظلمة من ظلم سيائه هذا مهما كان السيئة
صغيرة فان كانت كبيرة لم تمحها الحسنة بل تلك السيئة لا يمحوها
الا التوبة ولما كان الحسد من كبايد الذنوب وجعلت ظلمته
في قلب الحسود ولم يقدر بنور حسنانه التي عملها من صلاة وصيام
وغيرهما ان تدافعه ولا تقاومه بل صنعها فلم يكن حكم معه فابطل
ذلك الفعل منها في ظلمة الحسد وبقي نورها في نفسها لم يعتد
الله ولا استحق عليه كما فعل بغيره من السيات التي هي صغاير
فلما ابطل الحسد فعلها عبر عنه بانه اكلها كما تاكل النار الحطب
فتامل هذا المعنى ما ابدعه ومثال ذلك مثال الما الذي هو طاهر
مطهر فاذا خالطه ما يسلب عنه حكمة التطهير يغزله حكم
الطهارة وجا بالحسنات على الجمع تعظيم لظلمة الحسد التي
لا يقدر الحسنات باجتماعها على دفعه ورد عه والمعنى الثاني
ان يشير بالحسنات الى اليقين المركب على عقد الايمان
وهو الذي ما دام في القلب لا يواقع العبد كبيرة من الكبايد
مهما قارب كبيرة ارتفع عنه جز اليقين فلن يعود اليه
حتى تقع التوبة من الكبيرة وعليه خرج قوله عليه الصلاة
والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن اي غير ذلك من الاثار
الصحاح فيكون المعنى ان الحسد يذهب نور اليقين ويلغه
كما تذهب النار الحطب واليقين من احسن الحسنات
وانما عبر عنه بالحسنات لانه الجالب للحسنات الكاملة لان كل
فعلة شريفة من فعايل الاولياء والمتقين انما جلبها اليهم
اليقين من المحبة لله والشوق له والانس به والزهد
في الدنيا والتوكل على الله تعالى ولذلك لا يكون صاحب هذه

الاخلاق الحميدة حسود ايوجه اذ قد اجلاه قلبا احل فيه
هذه الاثوار ان تحل فيه ظلمة الحسد فاذا فهمت هذين المعنيين
البديعين علمت انه لم يبق للمعتزلي حجة بل قد ضاقت عليه
الحجة في القطع بهذا الحديث على اذهاب الكبائر للحسنات جملة
حتى يقدم صاحب الكبيرة على الله دون حسنة بل كل حسنة
وسيئة كبيرة لم يتب عنها الصغائر فانها في صحيفته يقدم
عليها يوم العرض فيقع عليها الحكم والوزن يوضح هذا الحق
انتهى كلامه فيه ما اكثر بلاغته واطلاعه على معاني السنة
وقمع البدعة ونصرة الحق رضي الله عنه وعن عبيد الله ابن
مسعود رضي الله عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن واياكم
والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لادم واياكم
والحرص فان ادم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة واياكم
والحسد فان ابني ادم انما قتل احدهما صاحبه حسدا
وقال بعضهم الحاسد جاحد وفي معناه يقول القائل
اياحاسدا لي على نعمة ٭ اتدري على من اسأت الادب
اسأت على الله في حكمه ٭ فانك لم ترض لي ما قدر وهب
وقيل في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن قيل وما بطن الحسد وفي بعض الآثار ان في السما
الخامسة ملكا يمر به كل عيد له ضوء كضوء الشمس فيقول
قف فانا ملك الحسد اضرب وجه صاحبه فانه حاسد
وقال معاوية رضي الله عنه كل انسان اقدر على ان ارضيه
الا حاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة وقيل رأى موسى

عليه

عليه السلام رجلا عند العرش فقال يا رب ما هذا قال هذا
عبد لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله بر بوالديه
لا يمشي بالنميمة وقيل اياك ان تتغنى في سورة من يحسدك فانه
لا يقبل احسانك وانشد بعضهم يقول
كل العداوة قد يرجى مودتها ٭ الا عداوة من عاداك من حسد
٭ ٭ ٭ وقال ابن المعتز ٭ ٭ ٭
قل للحسود اذا تنفس طبعه ٭ يا ظالما وكانه مظلوم
قلت وهذا ماخوذ من قول عمر وابن عبد العزيز ما رأيت
ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد دائم ونفس متتابع ولبعض الشعرا
واذا اراد الله شر فضيلة ٭ طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما احرقت ٭ ما كان يعرف طيب عرف العود
٭ ٭ ٭ وقال ابو الطيب ٭ ٭ ٭
واظلم خلق الله من بات حاسدا ٭ لمن هو بات في نعمايه يقلب
وفي الحديث الحسود لا يسود الوجه الثالث قوله صلى
الله عليه وسلم ولا تناجشوا اي ينجش بعضكم على
بعض وهو ان يزيد في البيع غير راغب ليغر غيره فاشتقاقه
من نجشت الصيد اذا اثرته كان الناجش بالجيم والسين
المعجمة يثير كثرة الثمن بنجشه والنجش محرم للنهي عنه
ولانه غش وخداع وهما حرام لقوله صلى الله عليه وسلم
من غشنا ليس منا ولانه ترك النصح الواجب وتركه حرام
ثم ان النجش اما ان يكون بمواطاة البايع او بدونها وعلى
التقديرين فقد اختلف في صحة البيع المنجوش فيه فقيل
يبطل لانه منهي عنه والنهي يقتضي الفساد وقيل لا يبطل

لان النهي فيه ليس راجعا الى العقد ولا ما يلزمه من ركن او شرط
نعم للمشتري الرجوع على البايع بمقدار ما تعين بالنجش ويحتمل
ان له الخيار في الرد والامساك كالمصراة اختلف الاصوليون
في النهي فقيل ما يقتضي الفساد مطلقا لان الشرع انما نهى عن
ما تر تحت مفسدته ودائما ام المفاسد واجب وطريق افساد
المنهي عنه وقيل لا يقتضي الفساد لان ترتيب الصحة على سبب
جائز ليس مما لا يعقل فكذا شرعا وقيل يقتضي الفساد في
العبادات دون المعاملات وقيل ان رجع النهي الى معنى في المنهي
عنه اقتضى الفساد وان رجع الى امر خارج عنه لم يقتضي
الفساد والتحقيق ان النهي ان كان لذات المنهي عنه او لوصف
لازم اقتضى الفساد وان كان لامر خارج او وصف غير لازم لم
يقتض الفساد وقال الاقليشي لانتاجشوا معناه لا يكن
بينكم تنافر ولا تباغض والاصل في النجش تنفير الوحش
من مكان الى مكان فكانه ينهى عن ان يسعى الانسان في تنفير
قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم استيحاش ولا تطيب
قلوبهم بالاستيناس الذي جعله الله سببا التحابب بين
الناس الوجه الرابع قوله ولا تباغضوا اي لا يبغض
بعضكم بعضا والبغض للشيء هو النفرة منه لمعنى مستقبح
فيه والظاهر ان البغض والكراهة واحد وهما متقاربان
والتباغض حرام الا في الله فانه واجب لقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله عليه
الصلاة والسلام من احب لله وابغض لله واعطى لله
ومنع لله فقد استكمل الايمان فاذا حرم النهي عن التباغض

مخصوص

مخصوص في الله عز وجل فهو محرم فقد يكون واجبا او مندوبا
وقد يتنافى بغضان اثنان في الله وهما مأجوران لاختلافهما في
اجتهادهما فيبغض كل منهما صاحبه لاعتقاده انه اخطأ فان
قيل كيف نهي عن البغض وهو سجية والانسان لا يقدر على
دفع السجيات قيل ان معنى لا تباغضوا لا تتقاطعوا اسباب
التباغض الوجه الخامس قوله ولا تدابروا اي لا يدبر بعضكم
على بعض اي لا يعرض عنه بما يجب عليه من حقوق الاسلام
من الامانة والنصرة ونحوهما ولا ملازمة بين التباغض
والتدابر لان الشخص قد يبغض صاحبه عبادة ويوفيه
حقوق الاسلام عبادة كما روي ان عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه قال لرجل اني لاحبك فقال له الرجل يا امير المومنين
هل يحملك ذلك على ان تمنعني حقا هو لي قال لا قال فلا ابالي
اذا فانما الحب من شان النساء وقد يعرض عنه وهو يحبه لهمة
اوتاديبا له ونحو ذلك وفي نحو هذا قيل لا يكتم الحب الا خشية
التهمة وقوله لا تدابروا اصله لا تتدابروا فحذفت
احداهما تخفيفا وهذه هي تا المضارعة او فا الكلمة فيه خلاف
وكذلك ما قبلها الوجه السادس قوله ولا يبيع بعضكم على
بيع بعض لان فيه تنفيرا فان باع مسلم على بيع مسلم حرم
فعله وفي صحة المبيع خلاف واما بيع المسلم على الذمي فيحتمل
جوازه لتقصد حرمته لان القصد من ذلك بين المسلمين ان لا
يتنافر دا من المسلم لا تالفه مجاياته في بيع ولا غيره ويحتمل
تحريمه لانه في ذا الذمي نافر الاسلام فله ما للمسلم الا ما خصه
الدليل واما بيع الذمي على المسلم فلا يجوز له ولا يصح ان يورد عليه

انه قتيات على المسلمين واستخفاف بحقهم مورد النهي بين
المساومة والمعاقدة حين يسكن احدهما الى الاخر الوجه
السابع قوله عليه الصلاة والسلام وكونوا عباد الله اخوانا
هذا تشبيه بالتعليل لما تقدم كانه قال اذا تركتم التحاسد
والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضكم على بعض
كنتم اخوانا واذا لم تتركوا ذلك كنتم اعداء والاخوان الاخوة
من غير النسب والاخوة من النسب وقوله عباد الله
اي يا عباد الله وفيه اشارة الى انكم عبيد الله فحقكم ان
تطيعوه بان تكونوا اخوانا فان قبل ما وجه طاعته في كونهم
اخوانا قلنا التعاضد على اقامة دينه واظهار شعايره اذ بدون
ايتلاف القلوب لا يتم ذلك الا ترى الى قوله عز وجل هو الذي ايدك
بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم الاية قال الاقليشي
ويحتمل ان يامرهم ان يكونوا عباد الله اي طايعين له مخلصين
بالاضافة اليه كما اختصهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان وان يكونوا متواخين في ذاته فكانه قال
وكونوا يا معاشر الناس عباد الله متواخين لان الخلق
كلهم وان كانوا عباد الله فليسوا بمختصين اجمعين بالاضافة
اليه على طريق الاجلال والاكرام بل يقال للعابد عبد طاعته
الله عبد الشيطان اذ ملكه عمله عليه من الشيطان وهذا
ظاهر في القران الوجه الثامن قوله المسلم اخو المسلم اي في
الدين كما قال تعالى انما المومنون اخوة والاخوة الدينية
اعظم من النسبية لدليل ان الاخوين من النسب اذا افترقا
في الدين لم يتوارثا والاجنبيين اذا التقيا في الدين توارثا اما

باسلام

باسلام احدهما على يد الاخر او بعموم الدين عنه فقد الغرابة
كبيت مال المسلمين لاجتماعهم على الدين قوله لا يظلمه اي لا يفعل
عليه ضررا بغير اذن شرعي لان ذلك حرام بينا في اخوة الاسلام
بل الظلم حرام حتى على الكافر قوله ولا يخذله اي لا يترك نصرته
الجايزة مع القدرة عند الحاجة كقوله تعالى وتعاونوا على
البر والتقوى وقوله تعالى وان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر وقوله عليه الصلاة والسلام انصر اخاك ظالما او مظلوما
وسواء كان الخذلان دنيويا مثل ان يرى عدوا يريد ان يبطش
به فلا يعينه عليه او دينيا بان يرى الشيطان مستولية
عليه في بعض الاعمال والاحوال يريد ان يستفزه ويهلكه
في دينه فلا يعينه على الخلاص من حالته بوعظ او غيره فلا
النوعين من الخذلان حرام قوله لا يكذبه اي يخبره بامر على خلاف
ما هو عليه لانه غش وخيانة والكذب اشد الاشياء ضررا
والصدق اشدها نفعا ولهذا كانت رتبة الصدق فوق
رتبة الايمان لانه ايمان وزيادة ولهذا قال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فلان
الصدق مراد والتقوى به ليدل قوله عز وجل اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون ثم التقوى اعم من الايمان
فكذا الصدق الذي هو روح ايمانها وكما روى مسلم
عن النعمان ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انما المومنون مثل رجل واحد او كرجل
واحد اذا اشتكى عيناه اشتكى كله واذا اشتكى راسه اشتكى
كله وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه
قال البيهقي اخرجاه من حديث ابي اسامة وعن عبد الله ابن عمر
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قاد اعمى اربعين خطوة
وجبت له الجنة وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم من قاد مكفوفا اربعين خطوة غفر
له ما تقدم من ذنبه وعن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم من قاد اعمى اربعين او خمسين ذراعا كانت له
كعتق رقبة وعن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من حمى
موضعا من منافق يغيبه بعث الله له ملكا يحمي لحمه من نار جهنم
يوم القيامة ومن رمي مسلما بشي يريد ان يشينه به وفي رواية
من رمي مسلمة بشي يريد ان يشينها به حبسه الله علي جسر
جهنم حتى يخرج مما قال وعن جابر و ابي طلحة قالا قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل مسلما في موطن تنتهك
فيه حرمته و ينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن
يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر امرءا مسلما في موطن ينتقص
فيه من عرضه و تنتهك فيه حرمته الا نصره الله في موطن يحب
فيه نصرته وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من اذل عنده مومن وهو يقدر علي ان ينصره فلم ينصره
اذله الله يوم القيامة علي رؤس الخلايق ومن اكل مومن اكلة
اطعمه الله مثلها من طعام اهل النار ومن لبس مومن لبسة
البسه الله مثلها من لباس اهل النار وعن انس ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال من نصر اخاه بغيب نصره الله في الدنيا
والاخرة وعن اسما بنت يزيد قالت قال رسول الله صلي الله

عليه

وقف سعد بن ابي وقاص علي طلبة العلم بالاسحر وسره رواه البيهقي
عليه وسلم من ذب عن لحم اخيه بالغيب كان حقا علي الله ان
يعتقه او يجبه من النار وعن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال من كان وصلة لاخيه المسلم الي ذي سلطان لشفعة
يراد تيسير عسير اعين علي اجازة الصراط يوم دحض الاقدام
وعن ابن المبارك قال رمي لقمان بعبد واخلف قيصر فراسخ فقيل
له ولي الله تعد واخلف هذا الكافر قال نعم لعلي اسيله في مومن
فيجيبني فيه وعن الحسن عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال من ذهب في حاجة اخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له
حجة وعمرة وعن انس قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قضي لاحد من امتي حاجة يريد ان يسره بها فسره
فقد سرني ومن سرني فقد سر الله ومن سر الله ادخله
الجنة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان لله اقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها فيهم ما بذلوها
فاذا منعوها نزعها الله منهم وحولها الي غيرهم وعن ابن عمر
وابو هريرة قالا سمعنا رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول من مشي في حاجة اخيه المسلم حتي يتمها له اظله الله
بخمسة الاف من الملايكة يدعون له ويصلون عليه ان كان
صباحا حتي يمسي وان كان مساحتي يصبح ولا يرفع قدما
الا كتبت له بها حسنة ولا يضع قدما الا حطت عنه خطية
وعن تميم ابن حكيم عن ابيه عن جده قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس
به ويل له ثم ويل له وفي الصحيح ان الصدق يهدي الي البر
والبر يهدي الي الجنة والكذب يهدي الي الفجور والفجور يهدي

الى النار ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا
يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب
يجانب الايمان قال البيهقي الصحيح وقفه وخلاف ان الكذب الذي
يضر حرام واجازه بعض العلماء في الحرب والاصلاح بين الناس
وعلى الزوجة وفي دفع العدو على المسلم بغير حق واجب وروي
ان اعرابيا بايع النبي صلى الله عليه وسلم على ان يترك خصلة
من ثلاث خصال وهي الزنا والسرقة والكذب وعدها فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم دع لي منهن الكذب فذهب الاعرابي
فجعل ان هم بزنا او سرقة يقول كيف اصنع ان فعلت ثم سالني
النبي صلى الله عليه وسلم هل زنيت فان قلت نعم قد زنيت وان
قلت لا كذبت وقد عاهدني على ترك الكذب فترك الفواحش
كلها بترك الكذب وبالجملة فموضع الكذب من الفتح مقابلة
الصدق من الحسن قوله ولا يحقره ان يستصغر شانه
ويضع من قدره لان الله تعالى كرمه ولم يحقره حين خلقه
ورزقه وخاطبه وشرفه فاحتقار المخلوق مثله تجاوز لحد
الربوبية في الكبرياء وهو ذنب عظيم وهذا وجه قوله عليه الصلاة
والسلام بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم اي يكفيه
من الشر في اخلاقه ومعاشه ومعاده ومعنى هذه الجملة
ان من حق الاسلام واخوته ان لا يظلم المسلم اخاه ولا يخذله
ولا يكذبه ولا يحقره ومفهوم قوله ولا يحقره ان الكافر يجوز
احتقاره اذ لا حرمة له لعصيانه لله ومن يهن الله فما له
من مكرم قوله ولا يحقره هو بفتح الياء وبالحاء المهملة وكسر القاف

ومعناه

ومعناه لا يستصغره ولا يتكبر عليه قال القاضي عياض رواه
بعضهم بضم الياء بالحاء المعجمة وبالفاء اي لا يعذر بجهده ولا ينقذه
اماته والصواب المعروف هو الاول وهو الموجود في غير كتاب
مسلم رويي ولا يحقره وهذه تقوى الاولى الرواية وترد الثانية
قوله التقوى ها هنا يعني ان محل التقوى القلب الذي هو في
الصدر وتحقيق هذا ان مادة التقوى في القلب لا حقيقة
التقوى اجتناب عذاب الله عز وجل بفعل المامورات واجتناب
المحظورات ومادة ذلك هو خوف الله انما مدار على ذلك الاجتناب
في القلب هذا تحقيقه وقيل المعنى ان الاعمال الظاهرة لا يحصل
بها التقوى وانما يحصل ما يقع في القلب من عظمة الله عز وجل
وخشيته ومراقبته قوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله
وعرضه قال الطوفي كل المسلم ميتا وحرام خبره ودمه وما
بعده بدل منه وجعل هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقته لشدة
اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته والمال مادة الدم
فهو مادة الحياة والعرض به قيام صورته المعنوية واقتصر
على هذه الثلاثة لان ما سواها فرع عليها وراجع اليها الحديث
السادس والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مومن كربة
من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة
ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة ومن
ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة والله في عون
العبد ما دام العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم

ذويت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه
بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة
وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه
رواه مسلم بهذا اللفظ الكلام في لفظه ومعناه اما لفظه فقوله
تنفس فرج وهو من تنفس الخناق واصله من التنفس كانه
يوفي له الخناق حتى ياخذ نفسا والكربة ما اهم النفس وغم القلب
كانها مشتقة من الكرب التي للمقاربة لان الكربة تقارب ان
تزهق النفس والطريق فعيل من الطرق لان الرجل ونحوها تطرقه
والسكينة ثبوت الطمانينة وغشيتهم الرحمة غاطتهم وعمتهم
وحفتهم الملائكة احاطت بهم وتدري الملائكة ما فيها من حول العرش
وبطأ به اخره واما معناه ففيه امور الاول فضيلة تنفيس
الكرب عن الموسرين وان ذلك يجازى عليه بجنسه من تنفيس كرب
الاخرة والاصل والقياس ان الجزا يكون من جنس العمل نوابا
وعقابا كالنظاير في هذا الحديث وقياس هذه القاعدة ان يقطع
ذكر الزاني وفرج الزانية لتكون العقوبة في محل الجناية قياسا
على قطع اليد والرجل في السرقة لكن لما كان الذكر والفرج آلة
التناسل الحافظ للنوع الانساني كان مراعاة بقايه اصلح وانما
كان تنفيس الكرب مطلوبا بالشرع مثابا عليه لان الخلق عيال
الله فاحبهم الى الله عز وجل فتنفيس كربهم احسان اليهم والعادة
ان السيد والمحب يحب الاحسان الى عياله والمحسن اليهم
وفي الاكرام الخلق عيال الله فاحبهم الى الله ارفقهم بعياله الثاني
فضيلة التيسير على المعسر تكون بالهبة والصدقة والنظرة
كما قال تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وروى الامام

ابو جعفر

ابو جعفر الطحاوي عن بريدة بن الخصيب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا كان له بكل يوم صدقة
ثم قلت بكل يوم مثله صدقة قال فقال بكل يوم مثله صدقة
ما لم يحل الدين قال انظره بعد الحل فله بكل يوم مثله صدقة وروى
مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا انه كان
يخالط الناس وكان موسرا فكان يامر غلمانه ان يتجاوزوا عن
المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منه تجاوزوا عنه وروى
عن ابي قتادة انه طلب غريما فتوارى عنه ثم وجده فقال اني
معسر قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر
او يضع عنه وفي حديث ابي اليسر الطويل واسمه كعب ابا عمر
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا
او وضع عنه اظله الله في ظله قال ابن الفاكهاني ولا يبعد عندي
ان يكون التيسير بالعلم مثاله ان يقع الانسان في مسئلة شرعية
لا يحسن التخلص منها شرعا فيبين له ويهديه الى الصواب
فيها فينشرح صدره كذلك بتخلصه من عهدتها وهذه وظيفة
اهل الفتوى الثاني الثالث فضيلة ستر عورة المسلم والمكافاة
عليها بجنسها كما مر لان الله عز وجل حي كريم ويستر العورة
من الحيا والكرم ففيه تخلق بخلق الله عز وجل والله عز وجل
يحب التخلق باخلاقه فان قيل لم قال من نفس عن مؤمن كربة
ثم قال ومن ستر مسلما قلت يحتمل انه من باب تغاير الالفاظ
دفعا للتكرار ويحتمل ان الكربة لما كانت معنى باطنا عاما مر في

تفسيرها ناسب الايمان الذي هو باطن وهو التصديق كما مر في
حديث جبريل والستر لما كان انما يتعلق بالامور الظاهرة غالبا
كالاعمال العلاجية ناسب وصف الاسلام الذي هو اعمال ظاهرة
فان قيل لم قال نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة
ولم يذكر كرب الدنيا وقال في الستر يستره الله في الدنيا والاخرة
فكافاه بالستر فيهما قلنا يحتمل ان هذا اتفاق لان الستر مغيب
حاصل بكل الامرين اعني التنفيس والستر في الدارين او في
احدهما ويحتمل ان الدنيا لما كانت محل العورات والمعاصي احتيج
الى الستر فيها واما الكرب فهي وان كانت الدنيا محلا لها لكن لا
تشبه كربها كرب الاخرة حتى يذكره معها قال صاحب الافصاح
والستر المندوب اليه هنا يجوز ان يكون اذا راه على ذنب
فيستره او يكون ستره بما يحمله على ان يهجر نفسه مثلا بان يكون
محتاجا الى النكاح فيتوصل به في تزويجه الى الكسب فيقيم له
وجه بضاعة يتجر بها انتهى وقال ابن فرج انه لم يرد المراد
بالستر هنا الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا
بالاذى والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه
بل يترفع قضيته الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان
الستر على هذا يطمعه في الايذاء والفساد وانتهاك المحرمات
او حسارة غيره على مثل فعله هذا لمه في ستر معصية
وقعت والقضت اما معصية يراه عليها وهو بعد متلبس
فيجب المبادرة بانكارها عليه ومنعه منها ما على قدر ذلك
ولا يعمل تاخيره فان عجز لزمه رفعها الى ولي الامر اذا لم يكن يترتب
على ذلك مفسدة قال واما خبر الرواة والشهود والامناء على

الصدقات

الصدقات والاوقاف والايتام فيجب خزيهم عند الحاجة اليه
ولا يحل الستر عليهم اذا رأى منهم ما يقدح في اهليتهم وليس هذا
من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه
انتهى قال ابن الفاكهاني ولا يتأتى عندي عموم هذا الحديث ان
يكون الستر محسوسا وهو ان يرى عورته بادية لعدم ما
يستره بها فيعطيه ما يستر به عورته لقوله والله في عون العبد
ما كان العبد في عون اخيه اي مدة كونه في عونه ولا فرق بين
كونه في عونه بقلبه او بيده او بهما لان الكل عون فان قيل هل
يثاب بما في نفس كربة غير المؤمن والتيسير عليه وستره
واعانته ام يختص ذلك بالمؤمن قلنا ظاهر الحديث اختصاصه
بالمؤمن والمسلم للاخوة في الدين والاشبه انه يثاب عليه
في المؤمن والكافر لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله كتب
الاحسان على كل شيء وقوله في كل كبد حراء اجر فيحمل الحديث
المذكور على ان المؤمن اولى بتنفيس الكربة عنه من الكافر
لشرف الايمان وبقيه الذمي ثم المستأمن ثم الحربي على حسب
قوة تعلقهم بالاسلام فتضعفه وهذا احسن قوله ومن
سلك طريقا فيه ان سلوك طريق العلم يجازى عليه بتسهيل
طريق الى الجنة وهو يحتمل وجهين احدهما ان طلب العلم وتحصيله
يرشد الى سبيل الهداية والطاعة الموصلة الى الجنة ذلك بتسهيل
الله عز وجل له والا فبدون توفيقه له ولطفه لا ينتفع بشيء
من علم ولا غيره الثاني انه يجازى على طلب العلم وتحصيله بتسهيل
دخول الجنة يقطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة بان يسهل
عليه الوقوف في المحشر والجواز على الصراط ونحو ذلك والعلم الذي

يترتب على التماسه سهل طريق الجنة هو العلم الشرعي النافع
بنية القربة والانتفاع ونفع الناس كعلوم القرآن والحديث والفقه
واصوله ونحو ذلك لا الخارج عن علم الشرع كالفلسفة من منطق
والهي وطبيعي ورياضي الا ان يقصد بعلمها معرفة مذاهب اهلها للرد
عليهم ودفع شبههم وكفى شرهم عن الشريعة فيكون من باب اعداد
العدة هذا اقول عامة مشايخ الشريعة كالحليمي في شعب الايمان
وغيره قال الطوفي وهو كلام صحيح غير انا نستثني من ذلك المنطق
فان علمه مفيد لا ممدوح وفيه انما الممدوح وفي غيره من علومهم ولانه
نحو المعاني كما ان النحو منطق الالفاظ ولان بعضه فضلا الاصوليين
صرح وبعضهم مرض باب المنطق علم شرعي فنحو كالعربية في انه
من موارد اصول الفقه ولان الاحكام الشرعية لا بد من تصورها
والتصديق بها اثباتا او نفيا والعلم الموصل لبيانا احكام التصور
والتصديق هو المنطق فوجب ان يكون علما شرعيا او المراد
بالعلم الشرعي ما صدر عن الشرع او توقف عليه العلم الصادر
عن الشرع توقف وجود كعلم الكلام او توقف كمال كالعربية والمنطق
واعلم اني قدرت هذا البحث مع علمي بما اكثر الفقهاء يكررنه لما تقرر
عندهم من النفرة عن المنطق ومع اني لا اعرف علم المنطق وانما
هو شيء قاد اليه الدليل ثم ان لم فيه سلفا صالحا كالفخر الرازي
وابي الحسن البصري والسيف الآمدي وابن الحاجب وشراح كتابه
من بعده كلهم او لا عارفون بالمنطق فلا وجه لتنفيرهم عنه انما هم
له فان قلت قولهم سلك طريقا عاما في كل علم شرعا وفلسفيا
فلم خصصتموه بالعلم الشرعي قلت بدليل قوله يسهل الله له طريقا
الى الجنة والعلوم التي يطلب بها الجنة ويسهل بها طريقها هي الشرعية

دون غيرها

دون غيرها وهذا الحديث فيه دليل على فضل الاشتغال بالعلم
وليس شيء اشرف من الاشتغال بالعلم اذا صدقت فيه النية
وخلصت لله رب العالمين قال الله تعالى قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب وقال تعالى
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال
ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام ذكره ابن الجوزي
في منهاجه وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفي
الصحيحين من حديث معاوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
وعن ابي امامة قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان
احدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل العالم العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى ذر
النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس
الخير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث
اخر فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا
ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر رواه ابو
داود والترمذي وابن ماجه وعن صفوان ابن عسال رضي الله
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة لتضع
اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب رواه احمد وابن ماجه قال الخطابي
في معنى وضع اجنحتها ثلاثة اقوال احدها ان تبسط الاجنحة والثاني

انه بمعنى التواضع تعظيما لطلاب العلم الثالث ان المراد به التزول
عنه بمجلس العلم وتركه الطيران قاله ابن الجوزي في منهاجه روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء في الجنة
درجة واحدة وكان بعض الحكماء يقول ليت شعري اي شيء ادرك
من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم ومن فضايل التعليم
ما رواه في الصحيحين عن سهل ابن سعد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لعلي لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك
من ان يكون لك حمر النعم وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء
لصار الناس مثل البهايم وقال معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله
خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد
وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في
الوحدة والصاحب في الخلوة وقال كعب اوحى الله تعالى الى موسى
عليه الصلاة والسلام ان تعلم يا موسى الخير وعلمه الناس فاني
منور للعالم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم واعلم
ان للمتعلم في تعلمه اداب ينبغي له تقديم طهارة النفس عن ردايل
الاخلاق ومذموم الصفات اذ العلم عبادة القلب وينبغي له قطع
العلايق الشاغلة فان الفكرة متى تنورت قصرت عن ادراك الحقايق
وقد كان السلف يورثون العلم على كل شيء فروي عن الامام احمد انه
لم يتزوج الا بعد الاربعين واهديت الى ابي بكر الانباري جارية فلما
دخلت عليه تفكر في شرح مسئلة فغربت عنه فقال اخرجوها
عني الى الخماس فقالت هل علي من ذنب قال لا الا ان قلبي اشتغل
بك وما قدر ان يمنعني علمي وعلى المتعلم ان يبقي زمانه

الى المعلم

الى المعلم القاصر فيرمي امره الى الطبيب فيتواضع له ويبالغ
في خدمته وقد كان ابن عباس يأخذ بركاب زيد بن ثابت ويقول
هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء ومتى تكبر المتعلم وطلب ان يستفيد
من غير تواضع فهو جاهل لان الحكمة ضالة المؤمن اين وجدها
اخذها وينبغي ان يحترز الكامل في العلم في مبدا امره من الاصغاء
الى اختلاف الناس فان ذلك يحير عقله ويفتر ذهنه وينبغي له
ان يأخذ من كل شيء احسنه لان العمر لا يتسع لجميع العلوم ثم يعرف
قوته الى اشرف العلوم وهو العلم المتعلق بالاخرة الذي به
يكتسب اليقين الذي جعله ابو بكر الصديق رضي الله عنه
حين شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما سبقكم ابو بكر بكثرة صوم وصلاة ولكن بشيء وقر في صدره
قوله صلى الله عليه وسلم وما اجتمع قوم في بيت من بيوت
الله عز وجل يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما
بينهم الا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم
الملايكة وذكرهم الله فيمن عنده وهذا كما لا يخفى عظيم
على التلاوة وذكر بيان فضلها واعظم فضايل القران انه كلام الله
تعالى وفي افراد البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل
اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال اهل القران
هم اهل الله وخاصته رواه النسائي قال ابن الجوزي وفي حديث
اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يعذب الله قلبا وعى
القران ومن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب

القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت في الدنيا فان منزلتك عند آخر
آية تقرأها صححه الترمذي قال ابن الجوزي وعن بريدة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن يلقى صاحبه يوم
القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاب فيقول هل
تعرفني فيقول لا ما اعرفك فيقول انا صاحبك القرآن الذي
اظمأتك في الهواجر واسهرتك ليلك وان كل تاجر من وراء
وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله
ويوضع على راسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم
لهما الدنيا فيقولان بم كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم
يقال له اقرأ وارق في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما كان
يقرأهذ را كان او ترتيلا وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان
يعرف بليله اذا الناس نائمون ونهاره اذا الناس لاهون وبحزنه
اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس
يخلطون وبخشوعه اذا الناس يختالون ولا ينبغي ان يكون جافيا
ولا غافلا ولا صخابا ولا حديدا وقال الفضيل حامل القرآن حامل راية
الاسلام لا ينبغي ان يلغو مع من يلغو ولا يسهو مع من يسهو
ولا يلهو مع من يلهو تعظيما لله تعالى ولا ان يكون له الى احد حاجة
بل ينبغي ان تكون حوائج الناس اليه وللامام احمد ابن حنبل رضي
الله عنه انه قال رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما اقرب
ما يتقرب اليك المتقربون فقال بكلامي يا احمد فقلت يا رب بفهم او بغير
فهم فقال بفهم وبغير فهم فصل في اداب التلاوة قال ابن الجوزي
ملخصا الكلام الذي ينبغي لقاري القرآن ان يكون على وضوء
مستعملا للاراك مطرقا غير مربع ولا متكئ ولا جليس على هيئة

المتكبر

وافضل الاحوال ان يقرأه في الصلاة قائما وان يكون في
المسجد واولى الاشياء بمقدار القراءة ما لا يمنع الانسان من
اشغاله المهمة ولا يؤذيه في بدنه ولا يفوت معه التدبر والفهم
قال ابن عباس لان اقرأ البقرة والعمران ارتلهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة ومن وجد حلاوة في
وقت فليغتنم كثرة القراءة بكثرة الثواب فقد كان عثمان رضي
الله عنه يقرأ القرآن في ركعة يوتر بها وكان الشافعي يختم في شهر
رمضان ستين ختمة واستحب بعضهم اذا ختم بالليل ان يختم في
ركعتي الفجر او بعدهما واذا ختم بالنهار ان يختم في ركعتي المغرب
او بعدهما ليستقبل بالختمة اول الليل واول النهار وقال ابن
مسعود من ختم القرآن فله دعوة مستجابة وكان انس اذا
ختم القرآن جمع اهله ودعا انتهى وقد تقدم في اداب التلاوة
ما فيه كفاية عند الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام تنبيه
قد صنف الشيخ ابو زكريا يحيى النووي مولف هذه الاربعين
رحمه الله كتابا في اداب التلاوة وبسط فيه فضل الاستماع
تلاوة التالين مجتمعين وبسط فيه القول واستدل له بدلائل
وقال ابو عبيد الله ابن الحاج رحمه الله بعد ان ذكر شيا من كلامه
واما قوله عليه الصلاة والسلام وما اجتمع قوم في بيت من
بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم فلم يذكر
انهم اجتمعوا على ذلك يتدارسون بينهم صوتا واحدا بل ذلك
عام هل كان على صوت واحد او لا وقد دل الدليل على انهم لم يكونوا
يفعلون ذلك بل دل الدليل على انكار فعل ذلك ونهيهم عنه قال
وقد ذكر هو رحمه الله فصلا من فتاوى ابن حسان بن عطية

والاوزاعي انهما قالا اول من احدث الدراسة في مسجد دمشق
هشام ابن اسماعيل في ندوصه علي عبد الملك وروي ابن ابي
داود عن الضحاك ابن عبد الرحمن انه انكر هذه الدراسة وقال
ما رايت ولا سمعت ولا ادركت احدا من اصحاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم يفعلها وقد تقدم حديث ابن مسعود
وانكاره علي من فعل ذلك قوله والله لقد جئتم ببدعة
ظلما او لقد فقتم اصحاب محمد علما قال وقوله عليه الصلاة
والسلام وبتدارسونه بينهم يشعر بانه ليس المراد انهم يجتمعون
للتلاوة صوتا واحدا متراسلين لان الدراسة انما تكون
تلقينا او عرضا وهذا هو المروي عنهم واما الاجماع علي صوت
واحد فليس يروي عنهم قوله صلي الله عليه وسلم ومن بطا
به عمله لم يسرع به نسبه هذا الحديث منه عليه الصلاة
والسلام علي المواظبة علي الاعمال الصالحة الخالصة لله تعالي
وبيان لقوله تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم وبيان ان
الدرجات عند الله لا تنال الا بالاعمال الصالحة وان الاعمال
الانسان لا تفيد شيا اذا لم تكن الاعمال صالحة وتامل قوله
عليه الصلاة والسلام يا بني هاشم اشتروا من الله فاني لا اغني
عنكم من الله شيا يا بني عبد المطلب اشتروا انفسكم من الله
فاني لا اغني عنكم من الله شيا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي
ما شيت فاني لا اغني عنك من الله شيا فليتنبه منتبه ان كان راقدا
وليقم حاد ان كان قاعدا وليعلم علم تدبر وتفهم ان الله تعالي انما بعث
الرسل وانزل الكتب لتعلم الناس العلوم ويعلموا الناس الاعمال
الصالحة وقد تقدم الكلام في الحث علي العمل الصالح عند قوله عليه

الصلاة

الصلاة والسلام كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها
هذا والله تعالي نسأله التوفيق الحديث السابع والثلاثون
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال ان الله تعالي
كتب الحسنات والسيات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم
يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة الحديث ابن عباس
تقدمت ترجمته وقوله فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده
حسنة كاملة فيه دليل علي سعة فضل الله تعالي وكثرة
احسانه وجوده ورفقه بالخير علي عباده وتاكيده بكاملة
مشيرا بذلك كما نبه عليه المؤلف رحمه الله في اثناء الكلام علي هذا
الحديث وقوله وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات
الي سبع ماية ضعف الي اضعاف كثيرة قال النووي فيه دليل
علي المذهب الصحيح المختار عند العلماء ان التضعيف لا يقف
علي سبع ماية وقال الامامان ابو جعفر الطحاوي والطبري في هذا
الحديث دليل علي ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب وعقدها خلافا
لمن قال انها لا تكتب الا الاعمال الظاهرة قوله وان هم بسيية فلم يعملها
كتبها الله حسنة كاملة في هذا التاكيد ايضا بكاملة دليل علي سعة
فضل الله تعالي واكرامه لهذه الامة قوله وان هم بها فعملها كتبها
الله سيية واحدة في هذا التقليل بواحدة التي هي موكدة للتقليل
دليل علي فضل الله تعالي واحسانه شعر

وكم لله من لطف خفي ٭ تحير دون ادناه العقول

قال الامام ابو العباس القرطبي قال القاضي ان لهم هنا ما يمر بالفكر
من غير استقرار ولا توطين نفس واستمرار ووطن قلبه عليه لكان

ذلك هو العزم المؤاخذ به او الشاب عليه به لقوله عليه الصلاة
والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال كان حريصا على
قتل صاحبه لا يقال هذه المؤاخذة هنا انما كانت لانه قد عمل بما
استقر في قلبه من جملة السلاح عليه لا بمجرد الحرص لانا نقول هذا
فاسد لانه عليه الصلاة والسلام قد نص على ما وقعت المؤاخذة
به واعرض عن غيره فقال انه كان حريصا على قتل صاحبه فلو
كان حمل السلاح هو العلة الموجبة للمؤاخذة لما سكت عنه وعلق
المؤاخذة على غيره لان ذلك خلاف البيان الواجب عند الحاجة
اليه قال القرطبي وهذا الذي صار اليه القاضي هو الذي عليه عامة
السلف واهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ولا يلتفت
الى من خالفهم في ذلك فزعم ان ما هم به الانسان وان وطن نفسه
عليه لا يواخذ به متمسكا في ذلك بقوله ولقد همت به وهم بها بقوله
عليه الصلاة والسلام عالم يعمل بما عزم عليه او يتكلم به ومن لم
يعمل بما عزم عليه ولا نطق به فلا يواخذ به وهو متجاوز عنه قال
والجواب عن الاية من الهم ما يواخذ بها كما يشهد وهو ما استقر
واستوطن ومنه ما يكون حديث لا يستقر فلا يواخذ بها كما يشهد
به الحديث وما في الاية ان القسم الثاني لا الاول وفي الاية تاويلان
احدهما وبه يحصل الانفصال وعن قوله عالم يعمل ان توطين النفس
عليه عمل مواخذة به والذي يرفع الاشكال ويبين المراد بهذا الحديث
ابي كثير الانماري واسمه عمرو ابن سعد على انما قاله خليفة
ابن خياط انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما الدنيا لاربع نفر الحديث انتهى فتلك هذا الحديث

رواه

رواه الترمذي

ووجه الدلالة منه ان الهم بالعزم المستقر مع عدم الفعل وهي دلالة
واضحة والله اعلم وفي الحديث الاخر في صحيح مسلم انما تركها من
جرائي اي من اجلي قال القرطبي ومقصود هذا اللفظ ان الترك
للسيئة لا يكتب حسنة الا اذا كان خوفا من الله او حياء من الله وايهما
كان فذلك الترك هو التوبة من ذلك الذنب واذا كان كذلك فالتوبة
عبادة من العبادات اذا حصلت بشروطها اذهبت السيئات
واثمرت الحسنات قال وقوله انما تركها من جرائي اخبار من الله تعالى
للملائكة عليهم السلام بما لم يعلموا من اخلاص العبد في الترك ومن هنا
قيل ان الملائكة لا تطلع على اخلاص العبد قال وقد دل على هذا قوله عليه
الصلاة والسلام في حديث حذيفة وقد سأله الاخلاص ما هو فقال قال
الله عز وجل هو سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
والحديث الاخر الذي يقول الله فيه للملائكة التي تكتب الاعمال حين
يرفعونها عليه ضعوها هذا واقبلوها هذا فتقول الملائكة وعزتك ما علمنا
ما رأينا الا خيرا فيقول الله ان هذا كان لغير وجهي ولا اقبل من العمل الا ما
ابتغي به وجهي انتهى وقد نص في فتاوى البخاري من كتب الحنفية
على ان المؤاخذة بالعزم وعقد القلب على السيئة وكذا نص عليه النووي
في شرح مسلم وحكاه عن المحققين الحديث الثامن والثلاثون عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء
احب الي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان
سالني اعطيته ولين استعاذني لاعيذنه رواه البخاري اوليا
الله تعالى هم المومنون المتقون لله بدليل قوله تعالى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون اذ جعلت الجملة
الثانية صفة كاشفة للاولى واذ جعلت ابتدا كلام لم يقدح فيما قلنا
لان الولاية ضد العداوة واصل الولاية المحبة والقرب كما ان اصل
العداوة البغض والبعد فالولي القريب يقال هذا يلي ابي يقرب منه
فولي الله هو الموافق له فيما يحبه ويرضاه وقال بعض المتاخرين
الولي هو الذي له كمالات قوتين نظرية وعلمية قال والمراد بالقوة
النظرية قوة النفس الناطقة بما تقبل الفيض من الملا الاعلى
وبالقوة العلمية قوة لها بها تدبر بدنها لتكمله وتتكمل بواسطته
قلت فالذي يتلخص من كلام علما الشريعة والحقيقة ان الولي
هو المتقرب من ربه تعالى بالعلم والعمل وراس الاولياء من امة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق الاكبر والولي
الاعظم روى الترمذي وحسنه عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر هذان سيدا كهول اهل الجنة
من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين وله وصححه عن عمر رضي
الله عنه قال ابو بكر سيدنا وخيرنا واحبنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهى فتبا لاقصى مبتدع وقد روينا في سنن ابي
داود بالاسناد الصحيح عن سفيان الثوري قال من زعم ان عليا
كان احق بالولاية منهما فقد اخطا ابو بكر وعمر والمهاجرين والانصار
وما اراه يرفع له مع هذا عمل الى السما كانت له في الاسلام الموافقة
الرفيعة واسلم على يده خمسة من العشرة وهم عثمان والزبير وطلحة

وعبد الرحمن وسعد بن ابي وقاص واعتق سبعة كانوا يعذبون
في الله منهم بلال وعمار وهو اول من اسلم في قول ابن عباس وعمرو
ابن عبسة وحسان بن ثابت وابراهيم النخعي وغيرهم ولم يزل مترقيا
في معارف الاسلام متزايدا في محاسنه حتى توفي رضي الله عنه صبيحة
النبي صلى الله عليه وسلم حين اسلم الى ان توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك
عياله واولاده وماله رغبة في طاعة الله ورسوله واقام معه
في الغار ثلاثة ايام وخبر الغار مشهور قال فيه الرب جل جلاله
ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
والمراد به ابو بكر بالاتفاق فقد ورد النص القاطع بثبوت صحبته
ولم يرد في القران اسم الصحبة لغيره واجمعوا على انه لم يتخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من مشاهده وكان
فيمن ثبت معه يوم احد ويوم حنين وروى البيهقي في السنن
الكبير باسناده عن عايشة رضي الله عنها قالت لما استخلف
ابو بكر رضي الله عنه قال لقد علم قومي ان حرفتي لم تكن تعجز عن
مونة عيالي وقد تشغلت بامر المسلمين فسياكل ال ابي بكر من هذا
المال واحترف لمال نفسي وفي رواية انه خطب الناس ثم قال
ان الكيس الكيس التقوى واحمق الحمق الفجور والصدق عندي الامانة
والكذب عندي الخيانة والقوي عندي ضعيف حتى اخذ منه الحق
والضعيف عندي القوي حتى اخذ له الحق الا واني قد وليت عليكم
ولست بخيركم قال الحسن هو والله خيرهم من غير مدافع ولكن
المومن يهضم نفسه ولو وددت انه كفاني هذا الامر احدكم قال الصدق
والله والتقى في مدة خلافته ثمانية الاف درهم فلما حضره الموت

قال كنت قلت لعمر الى اخاف ان لا يسعني ان اكل من هذا المال فقلبني
فاذا مت تحذوا من مالي ثمانية الاف فضعوها في بيت المال وفي الصحيحين
ان ابا بكر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهما في الغار يا رسول
الله لو ان احدهم نظر تحت قدميه لنظر نا فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين
الله ثالثهما وروى الحافظ ابو نعيم عن انس قال لما كان ليلة الغار
قال ابو بكر وعني يا رسول الله لا دخل قبلك فان كان فيه حية او شيء كان
بي قبلك قال ادخل فدخل ابو بكر فجعل يلتمس بيده بكلما راى جحرا قال
بثوبه فشقه ثم القمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه اجمع قال فبقي جحر فوضع
عقبه عليه ثم ادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال
له النبي صلى الله عليه وسلم فاين ثوبك يا ابا بكر فاخبره بالذي صنع
فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي
يوم القيامة فاوحى الله عز وجل اليه ان الله قد استجاب لك وعن
ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري فهذا اجماع
من الصحابة لان قوله لنا يعني الصحابة وعن عمرو ابن العاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت
يا رسول الله اي الناس احب فعد رجالا رواه البخاري ومسلم وفي
البخاري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر
وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احد انما عليك نبي وصديق وشهيدان
وتواه فهذا يدعي احد من تلك الابواب كلها يعني ابواب الجنة قال نعم
وارجو ان تكون منهم اخرجاه وعن محمد بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنهما قال قلت لابي اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر ابن الخطاب وخشيت ان يقول

عثمان

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر وسقره بزواق اليهم
عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين رواه البخاري وعن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
نبي الا وله وزيران من اهل السماء وزيران من اهل الارض فاما وزيراي
من اهل السماء فجبريل وميكايل واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر
وعمر رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ
بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول
الله وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اما انك اول من يدخل من امتي رواه ابو داود وعن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال ابو بكر سيدنا وخيرنا واحبنا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال حديث
صحيح وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابو بكر فان له
عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال احد
ما نفعني مال ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا الا وان صاحبكم خليل الله رواه الترمذي وقال حديث
حسن فضل وكان امامهم في العلم كما هو امامهم في الخلافة قالت
الصحابة وكان ابو بكر اعلمنا وسيل ابن عمر من كان يفتي الناس
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر
لا اعلم غيرهما وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان لابي بكر
الصديق غلام يخرج له الخراج وكان ياكل من خراجه فجاء يوما

بشيء فاكل منه ابوبكر فقال له الغلام اتدري ما هذا قال ابوبكر وما هو
قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة الا انني خدعته
فلقيني فاعطاني ذلك هذا الذي اكلت منه فادخل ابوبكر يده في فيه
فتقايا كل شيء في بطنه رواه البخاري وذكر هذا الخبر الغزالي في الاحيا
ان الصديق قال بعد استغراغه اللهم اني اعتذر اليك مما حملت
العروق وخالط الامعاء وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر بذلك فقال وما علمت ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا
ثم قال الغزالي ولا شك ان الصديق لما اخبر بان اللبن من غير
وجه حل لم يكن ليخفى عليه مع كونه اعلم الناس انما تناوله الانسان
مما غير علمه به انه لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقه استغراغه
ولكن انما فعل ذلك لعلو مرتبته وكمال صديقيته ولسر وقر في صدره
عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث احر وان خطر طريقا الاخرة
لا يعرفه الا الله يقول فلذلك استغراغه وادخل اصبعه في حلقه
ليزعجه حتى كادت روحه تخرج معه لانه راه هو لتراخي قلبه انذرا
يمنعه عن منزلته وكمال مرتبته انتهى ورواه الحافظ ابو نعيم
عن يزيد ابن ارقم قال كان لابي بكر مملوك يغل عليه فاتاه ليلة بطعام
فتناول منه لقمة فقال له المملوك ما لك كنت تسالني كل ليلة ولم تسالني
الليلة فاخبرني عن ذلك الجوع من اين جيت بهذا قال مررت بقوم
في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني فلما ان كان اليوم مررت بهم فاذا
عرس لهم فاعطوني فقال اف لك كدت ان تهلكني فادخل يده في حلقه
فجعل يتقايا وجعلت لا تخرج فقال له ان هذه لا تخرج الا بالماء فدعا
بشيء من ماء فجعل يشرب ويتقايا حتى رمى بها فقيل له يرحمك الله
كل هذا من اجل هذه اللقمة قال ولم تخرج الا مع نفسي لاخرجتها

لسمعت

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل جسد نبت
من سحت فالنار اولى به فخشيت ان ينبت شيء من جسدي من
هذه اللقمة وذكره الغزالي وفيه فادخل اصبعه في فيه وجعل
يقيء قال حتى ظننته ان نفسي ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما حملت العروق وخالط الامعاء وقال النووي رحمه الله كان
ابوبكر الصديق اذا مدح يقول اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا اعلم
بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون
ولا تواخذني بما يقولون وقيل له في مرضه الا ندعو لك طبيبا قال
قد نظر الي قالوا ما قال لك قال لي اني فعال لما يريد ورويانا في تاريخ
دمشق عن هشام بن عروة عن ابيه قال اسلم ابوبكر وله
اربعون الفا فاقفقها في الله وعن حبيب ابن عبد الرحمن عن
عمته قالت لم تزل فينا ابوبكر سنتين قبل ان يستخلف وسنة بعد
استخلافه وكانت جويرية الحي تاتيه بعضهن فحلبهن لهن وذكر
محمد ابن سعد وغيره باسانيدهم انه كان يحلب لاهل الحي منائحهن
فلما استخلف قالت جارية منهم الان لا يحلب لنا قال بلى لاهلبنها
لكم واني لارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه
فكان بعد الخلافة يحلب لهن عن عن جابر ابن عبد الله الانصاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اختار اصحابي
على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي
اربعة ابوبكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي واصحابي كلهم
خير واختار امتي على الامم واختار من امتي اربعة قرون الاول
والثاني والثالث والرابع اخرجه البزار في مسنده وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لي يا علي ان الله امرني ان احب ابا بكر و زبيرا و عمر مشيرا و عثمان
سدادا و انت ظهيرا انتم اربعة قد اخذ الله ميثاقكم في ام الكتاب
لا يحبكم الا مومن و لا يبغضكم الا فاجر انتم خلائفي بنوني و عقدة ذمتي
و حجتي على امتي لا تقاطعوا و لا تدابروا اخرجه ابن السمان في الموافقة
و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبهم
يعني الاربعة اولياء الله و يبغضكم اعداء الله خرجه الملا و عن
علي ابن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
ابا بكر زوجني و حملني الى دار الهجرة و صحبني في الغار و اعتق بلالا
من ماله رحم الله عمر يقول الحق و ان كان مرا تركه الحق و ماله
من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا
اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذي و عن انس
ابن مالك قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر
فحمد الله و اثنى عليه ثم قال مالي اراكم تمتلغون في اصحابي اما علمتم
ان حبي و حب اهل بيتي و اصحابي فرضه الله تعالى على امتي الى يوم
القيامة ثم قال ابن ابو بكر فقال انا ذا يا رسول الله قال ادن مني
فدنى منه فضمه الى صدره و قبل بين عينيه و رايتا دموع
الله صلى الله عليه وسلم تجري على خده ثم اخذ بيده و قال يا علي
صوته معاشر المسلمين هذا ابو بكر الصديق هذا شيخ المهاجرين
و الانصار هذا صاحبي صدقني حين كذبني الناس و اواني حين
طردوني و اشتراني بلالا من ماله فعلي مبغضه لعنة الله و لعنة
اللاعنين و الله منه بري و انا منه بري فمن احب ان يبرا من الله
و مني فليبرا من ابي بكر الصديق و ليبلغ منكم الشاهد الغايب قال
له اجلس يا ابا بكر فقد عرف الله لك ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم

ابن عمر ابن الخطاب فوثب اليه عمر فقال ها انا ذا يا رسول الله فقال
ادن مني فدنا منه فضمه الى صدره و قبل بين عينيه و رايتا دموع
رسول الله صلى الله عليه وسلم تجري على خده ثم اخذ بيده
و قال يا علي صوته معاشر المسلمين هذا عمر ابن الخطاب هذا شيخ
المهاجرين و الانصار هذا الذي امر الله ان اتخذه سندا و ختنا على ابنتي
و لو كان عندي ثالثة لزوجتها اياه هذا الذي استحيت منه
ملائكة السماء فعلي مبغضه لعنة الله و لعنة اللاعنين ثم قال
ابن علي ابن ابي طالب فوثب اليه فقال ها انا ذا يا رسول الله
فقال ادن مني فدنا منه فضمه الى صدره و قبل بين عينيه و رايتا
دموعه تجري على خده ثم اخذ بيده و قال يا علي صوته معاشر
المسلمين هذا علي ابن ابي طالب هذا شيخ المهاجرين و الانصار
و هذا اخي و ابن عمي و حبيبي هذا لحمي و دمي و شعري هذا ابو السبطين
الحسن و الحسين سيدي شباب اهل الجنة هذا مفرج الكرب

على هذا اسد الله وسيفه في ارضه على اعدائه فعلى مبغضه لعنة
الله ولعنة اللاعنين والله منه بري وانا منه بري ممن احب
ان يبرا من الله ومني فليتبرا من علي ابن ابي طالب وليبلغ الشاهد
منكم الغايب ثم قال اجلس يا ابا الحسن فقد عرف الله لكم فرحه
ابو سعيد في شرف النبوة وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج من انكر فضلهم
فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج خرجه الملا
في سيرته فصل مما يتعين التنبيه عليه ان ظهور كرامات الاولياء
رضي الله عنهم جايز عقلا وواقع نقلا اما جوازه عقلا فلانه من
قبيل الممكنات هذا مذهب اهل السنة من المشايخ العارفين
والنظار الاصوليين والفقها والمجتهدين ونصانيفهم ناطقة
بذلك شرقا وغربا عجما وعربا واما وقوع ذلك نقلا فقد جا في
القران من ذلك قوله تعالى في حق مريم عليها السلام كلما دخل
عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا
قالت هو من عند الله وكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتا هكذا جا في التفسير وما اخبر به من العجايب
عما يد الخضر عليه السلام وقصة ذي القرنين وتمكينه مما لم يمكن غيره منه
وقصة اصحاب الكهف والعجايب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير
ذلك وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس كما قال
تعالى الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكل هؤلا
المذكورين ليسوا بانبيا بل اولياء ومن ذلك حديث صحيح وكلام الطفل في
المهد رواه البخاري ومسلم وحديث اصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة

ثم انفرجت من غير ان يبرحها احد من الاثر متفق عليه ايضا وحديث
البغرة التي اخبر عليه السلام انها كلمت صاحبها وهو في الصحيح ايضا وكرامة
الصديق الاكبر مع ضيفه وتركه الطعام حتى ما ربعد الا لكلما كان قبله
ثلاث مرات واخباره ايضا عن امرأته ان ما في بطنها انثى فكان كذلك
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه محدث
وقول عمر وهو على المنبر يا سارية الجبل فبلغ صوته الى سارية وبينهما
مسيرة شهر واجابة دعا سعد وسعيد وحديث حبيب في قطف
العنب الذي وجد في يده يأكله في غير اوان الثمار وحديث اسد
ابن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما حين خرجا من عند
النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين
بين ايديهما والحديث الصحيح في الرجل الذي سمع صوتا في السحاب
يقول اسق حديقة فلان وما جا ان ابن عمر فر للاسد الذي منع
الناس الطريق تنح فنبح بذنبه وذهب وما جا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث العلا ابن الحضرمي في غزاة فحال بينهم
وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الاعظم ثم قال بسم
الله ومشوا على الماء وما اشتهر من ان عمر بن الخطاب كان يسمع
بتسليم الملايكة عليه حتى اكتوى فلم يسمع ثم اعاده الله تعالى وحديث
مسلم الصحيح الذي قال عليه السلام رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب
لا يعبونه لو اقسم على الله لابر قسمه ولو استقرينا ذلك لاوى الى
انشاء فصل قال بعض المصنفين يجوز ان تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة
في جنسها وجنسها على القول الصحيح المختار والدليل على ذلك
بالمعقول والمنقول عن ايمة الاصول ووقوع ذلك اما المعقول فلا يخلو
اما ان يكون المنع من ذلك نقلا يوجد او عقلا الاول باطل اذ ليس في منع

نقل يوجد بالنقل متظاهر في جوازه كما سيأتي والثاني اما ان يمتنع لذاته او لغيره والاول باطل اذ خرق العادة مطلقا في الصغير والكبير للنبي والولي وغيرهما لا يحيله العقل في قدرة الرب والثاني اما ان يكون الالتباس بالنبي المتبوع او بمن هو دونه والثاني باطل اذ ليس فيه داع لاصله ولا قارع في معجزة والاول اما ان يكون مقرونا بدعوى النبوة او لا يكون والاول باطل اذ ليس فيه التباس فتعين الثاني وهو حصر الالتباس والمحصور فيه المنع في الخارق المقرون بدعوى النبوة فلا التباس في غير الخارق المقرون بالدعوى المذكورة فلا منع من ظهور خارق ليس مقرونا بدعوى النبوة وهو المطلوب وهذا التقرير في جواز عظام الكرامات يلزم منه جواز صغيرها ويلزم منه ايضا بطلان اقوال ضعيفة لبعض الغالبين بعدم جواز الكرامات واما المنقول فالدليل على امكانه بجملة الكرامات قد تقدم من القرآن والاخبار والآثار والدليل على امكان اصحاب الاقوال الضعيفة من المجوزين ما ذكره هو اقوال الآمدي اصول المحققين النظار المدققين قال امام الحرمين رحمه الله تعالى في كتابه الارشاد ما صار اليه اهل الحق انخراق العادات في حق الاولياء واطبقت المعتزلة على منع ذلك ثم سموا الكرامات تحريرا احراز فمنهم من يرى ان شرط الكرامة المقارنة للعادة ان تجري من غير قصد واختيار من الولي وصار هؤلاء الى ان الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه وهذا غير صحيح لما سنذكره وصار صائرون الى تجويز وقوع الكرامات المقارنة على حكم الاختيار ولكنهم منعوا وقوعها على قضية الدعوى وقالوا لو ادعى الولي الولاية واعتقد في اثبات دعواه بما خرق العادة فان ذلك ممنوع وهؤلاء يفرون ذلك بين

الكرامة

الكرامة والمعجزة وهذه الطريقة غير مرضية ايضا ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة وصار بعض اصحابنا الى ان وقوع معجزة لنبي لا يجوز تقديرا ووقوعه كرامة فيمتنع عنده ولان يقلب البحر ويشق القمر ثعبانا ويحيي الموتى كرامة لولي الى غير ذلك من آيات الانبياء وهذه الطريقة غير سديدة ايضا قال والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات هذا نصه بحروفه ثم قال بعد ذلك فان قيل ما الدليل على جوازها يعني الكرامة قلنا ما ذكر في خرق العوائد الا وهو متقدر بالرب سبحانه وتعالى ابتداء ولا يمتنع وقوع شيء لتقبيح عقلا لما مهدناه فيما سبق وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة فان المعجزة لانه لعينها وانما تدل لتعلقها بدعوى النبي ونزولها منزلة التصديق بالقول والملك الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه ويطابق دعواه لا يمتنع ان يصدر منه مثله الكرامة لبعض اوليائه ولا يقدح صدور الكرامة في قصد التصديق اذا اراد التصديق ولا اطلاع لنا على ذلك عملا تاما ثم قال بعد ذكر ان الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرق الا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة دون ادعاء النبوة كما سبأتي قلت وهذا الذي ذهب اليه من تجويز جميع خوارق العادات في الكرامات كالمعجزات وكونها لا يفترقان الا في تحدي النبوة وهو الذي ذهب اليه ائمة الاصول المحققون المعتمدون المشهورون قال الامام ابو بكر الباقلاني ان المعجزات تختص بالانبياء والكرامات تكون للاولياء ولا يكون للاولياء معجزة لان من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والولي لا يدعي النبوة فالذي يظهر عليه لا معجزة انتهى وقال الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله ان المعجزات دلالات الصدق ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة

تدل على صدقه وصاحب الكرامات لا يدعي النبوة فتسمى كرامة معجزة
وان كانت من جنس المعجزات وقال القشيري في الرسالة القشيرية
في الفعل الخارق للعادة يشترط في كونه معجزة ان يكون مقرونا
بتحدي النبوة وخرج ايضا في كتابه ولا تسمى الاقتضاءات ان الكرامة
عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدي وان كان مع التحدي فانا تسميه
معجزة وقال الامام فخر الدين الرازي في المحصل ثم تتميز الكرامة
من المعجزة فان بتحدي النبوة وقال الامام البيضاوي في مصباحه
الكرامات جايزة عقلا خلافا للمعتزلة والاستاد وتتميز عن
المعجزة بعدم التحدي وقال نصير الدين الطوسي في قواعد العقايد
والفعل الخارق الذي يظهر على احد من غير تحدي يسمى بالكرامة
وتختص بالاولياء وقال الامام حافظ الدين النسفي في عمدته
كرامات الاولياء جايزة خلافا للمعتزلة للمشهور من الاخبار
والمستفيض من حكايات الاخبار والوال لو جاز انكار لانسد
طريق الوصول الى معرفة النبي لان المعجزة تقارن دعوى النبوة
ولو ادعاها الولي كفر من ساعته وقال الامام ابو القاسم القشيري
رحمه الله في رسالته وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت
عليه في احواله ثم بعد هذا فشرايط المعجزة كلها اكثرها يوجد
في الكرامة الا دعوى النبوة فقد اتفق من رايت كلامه في ذلك ان
الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي النبوة فقط فصل
لاشكال ان الكرامات قد ظهرت في زمن الصحابة وكثرت كما رويناها
وذكر في المقالات العلمية في الكرامات الجلية للامام ابي الفتح الحافظ
ابن سيد الناس رحمه الله ولكن ظهورها فيما بعد اكثر ثم ان كثيرا
من المنكرين لكرامات الاولياء والصالحين نورا هم يطيرون في الهوا

لقالوا

لقالوا هذا سحر وقالوا هو لا شياطين ولا شك ان من حرم التوفيق
وكذب بالحق عنيا وحسدا فقد كذب به عيانا وحسا وليس العجب
من ينكر الكرامات من المعتزلة فليس ذلك بمستنكر ولا مستكثر
منهم فقد خالفوا اهل السنة بما هو انكر واكثر وانما العجب من
قوم ينكرونها وهم ينتمون الى اهل السنة وهم اقسام فمنهم
ينكرون على مشايخ الصوفية ومن ينتمي اليهم ويسيئون الظن بهم
ويطعنون فيهم وينكرون كراماتهم والقسم الثاني من اقسام
المنكرين قوم يكذبون بكرامات اولياء زمانهم ويعتقدون لكرامات
الدين ليسوا في زمانهم فهو لا محالة قال الشيخ ابو محمد التاذلي
والله ما هي الا اسرائيلية والقسم الثالث قوم يعتقدون
بان لله اولياء لهم كرامات ولكن لا يعتقدون بواحد معين ومن
انكر على الصالحين حرم بركاتهم قال الشيخ وذلك اقل عقوبتهم
وعيشي عليه من سوء الخاتمة فقد قيل للامام ابي عبد الله
احمد ابن حنبل رضي الله عنه يا ابا عبد الله ان الصحابة لم
يروا عنهم مثل ما قد روي عن الاولياء والصالحين فكيف نفعل
فقال اولئك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة حتى يقووا
به ايمانهم وغيرهم كان ايمانهم لم يبلغ ايمان اولئك فتقووا باظهار الكرامات
لهم وقال الشيخ العارف شهاب الدين السهروردي رحمه الله
وخرق العادة انما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف
برحمة من الله تعالى لعباده تثبيتا لهم وفرق هو لا
فوار نفعت الجميع من قلوبهم وباشروا بواطنهم روح اليقين
وصرف المعرفة فلا حاجة لهم الى صدد من الخرقات ورؤية القدر
والايات وهذا ما نقل عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كثير من ذلك الا القليل ونقل عن المتاخرين من المشايخ والصادقين
الكثير لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبركة صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم ومجاورة تنزل الوحي والروح وتردد
الملايكة وهبوطها تنورت قلوبهم وبواطنهم وعاينوا الاخرة وزهدوا
في الدنيا وتركت نفوسهم واخلاقهم وانصقلت مرايا
قلوبهم فاستغنوا بما اعطوا عن رؤية الكرامة واستماع انواع
القدرة تنبيه لا يلزم كون صاحب الكرامة افضل من لا كرامة له
من الاولياء لان الكرامة قد تكون لتقوية يقين ظاهرها ودليلا
على صدقه وفضله لا على فضيلته وانما الافضلية تكون بقوة
اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى فكلما كان اقوى يقينا واكمل
معرفة كان افضل ولهذا قال ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه قد
مشى رجال في اليقين على الماء ومات بالعطش افضل منهم يقينا
فصل اعلم ان افضل العلماء بالله الذين كشف لهم الغطاء
فشاهدوا الجمال الالهي وسكروا بحميا المولى وعرفوه باسمايه
الحسنى وصفاته العليا وشاهدوا من عجايب ملكوته وغرايب
حكمته ما تقر به العيون وتبسط له القلوب قد اجلسهم على بساط
قدسه واوحشهم عن الخليقة بانسه وتملى لقلوبهم بصفات
الجمال وصفى لهم المقامات والاحوال ونشر لهم اعلام ولايته وكلامهم
جسن كلايته وكشف بهم عن الخلق البلاء ونوه بذكرهم اذ ذكروه
في الملا فصل الحقيقة هي مشاهدة اسرار الربوبية ولها طريقة
هي عزايم الشريعة فمن سلك تلك الطريقة وصل الى الحقيقة فالحقيقة
نهاية عزايم الشريعة ونهاية الشيء غير مخالفة له وبقاء ايضا الشريعة
والحقيقة ليس بينهما اختلاف في مجاري احكام العبودية وانما يختلفان

صاحبها

في مشاهدة

في مشاهدة اسرار الربوبية وقد وصف الله تعالى اهل الطريق
بصفات فقال عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر وما بدلوا تبديلا الصابرين والصادقين انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
ان الله مع الصابرين وان الله لمع المحسنين ان الله مع المتقين
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ان المسلمين والمسلمات يسبهم
الجاهل اغضاء من التعفف يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
الاخرة ويرجون رحمة ربه انما يخشى الله من عباده العلماء الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وعلى ربهم يتوكلون
والسابقون السابقون اولئك المقربون ونهى النفس عن الهوى
ومن الايات الصحيحة في المذهب الى الاخذ بالعزايم قوله تعالى
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فخذها بقوة وامر قومك
يأخذوا باحسنها قيد بالاشد الاحوط منها وقال تعالى في وصفهم
والسابقون الاولون والسابقون السابقون اولئك المقربون
كانوا يسارعون في الخيرات ومن السنة خ م قوله صلى الله عليه
وسلم لا يزنون ولا يستريقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا

وتزوج بطانا من رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم
على الله لابره قسمه خ م ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد
ربه ويدع الناس من شره خ كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
ت ص به خ ل فقر الجنة قبل الاغنياء بخمس مائة عام خ م سبعة
يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل الا ظله الحديث الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و العاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله الاماني خ مر ان الاكثرهم الاقلون يوم القيامة الا من
قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم خ
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع
من خبز الشعير ت من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة
الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقوله ادلج بالسكان الدال
معناه سار من اول الليل والمراد التشمير فى طاعة الله تعالى ت
المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء ح
حسن من اسلام المرء تركه ما لا يعنيه خ مر ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ان البذاذة من الايمان البذاذة
رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس وهي ابدا الموحدة والذال المعجمة
مكررة ب ص ما ذئبان را عيان ارسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء
على المال والشرف لدينه ت مج كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امر
بالمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله تعالى خ م من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت خ م وقفت على باب الجنة فكان
عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون الجد الغنى
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك م
سبق المفردون ثم فسرهم بانهم الذاكرون الله كثيرا والذاكرات

الا انبئكم

الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم
من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله قوله
تعالى وما تقرب الى عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه
قال العلماء وذلك لان الذي فرضه الله تعالى على عبده هو اختياره
تعالى والذي يتنفل به العبد هو اختيار نفسه فاين اختيار الرب
سبحانه من اختيار العبد وهذا اللفظ شامل لجميع ما افترضه
الله تعالى على عبده فاول ما فرض عليه الايمان ولا خفاء بما سن
الايمان فانه سبب للخلود فى الجنان اماتنا الله ربانا عليه امين
ثم بعده الصلاة وفى سنن ابي داود خمس صلوات افترضهن الله
عز وجل على العباد من احسن وضوهن وصلاهن لوقتهن
واتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد ان يغفر له ومن
لم يفعل فليس له على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه
وفى صحيح مسلم ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم
خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال
فذلك مثل الصلوات يمحو الله به الخطايا واما الزكاة فانها مطهرة
للانسان عن رذيلة البخل ومطهرة للمال من الخبث قال تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ورد وا زكاة اموالكم طيبة بها انفسكم تدخلوا جنة ربكم وقال
النبي عليه الصلاة والسلام انما فرض الله الزكاة ليطيب بها ما بقي
من اموالكم واما الصوم ففي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم
عليكم بالصوم فانه لا مثل له وقال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر
امثالها قال الله عز وجل الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقال صلى

الله عليه وسلم لخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك
ولابن ماجة الصيام جنة كجنة احدكم من القتال وان في الجنة
بابا يقال له الريان يدخل منه الصايمون فيدخلون منه فاذا
دخل آخرهم اغلق فلم يدخل منه احد ومن صام رمضان ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واما الحج فلي الصحيحين
من اتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه
خ م العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزا
الا الجنة مج الحاج والعار وفد الله ان دعوه اجابهم وان استغفروه
غفر لهم واما غير ذلك من الفرايض كبر الوالدين وصلة الرحم
فلا يحتى بما في حسنها قال عليه الصلاة والسلام رضى الله في بر
الوالدين وسخط الله في عقوق الوالدين وقال ما من ولد بار
ينظر الى والديه الا اعطاه الله بكل نظرة حجة مبرورة قالوا
وان نظر كل يوم مايه مرة قال نعم الله اكبر واطيب رواه البيهقي
في شعب الايمان فاذا نظر العبد باداء الفرايض تقله الى التقرب
بالنوافل ليوجب له محبته التي هي اله رجة الكسنية والمرتبة العلية
فقال تعالى ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه النوافل
لغة هي الزوايد وسميت التطوعات نوافل لزيادتها على الفرايض
فمنها تكرر غسل الاعضا في الوضو ثلاثا ومنها الوضو على الوضو
نور على نور ومنها نوافل الصلوات وهي تستكمل السنن وغيرها
فاول ما يحاسم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ما من عبد يصلي
ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة الا بنى الله له بيتا في الجنة ت
اربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين
بعد العشا وركعتين قبل صلاة الفجر وقال حسن صحيح ت من

ركع

ركع اربع ركعات قبل الظهر واربعا بعدها حرم الله عز وجل لحمه
وشعره على النار ومن ابن السايب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر وقال
انها ساعة تفتح فيها ابواب السما فاحب ان يصعد لي فيها عمل صالح
وروى الحافظ ابو موسى الاصفهاني في حديث قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يزالون المصلون الاربع قبل الظهر
حتى يستقر لهم معقرة حتما واما الاربع قبل العصر فرواه الترمذي
وابو داود عن انس في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
قال كان يصلي بين المغرب والعشا عشرون ركعة وعن انس
وابن حبان وصححه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رحم الله امرا صلى قبل العصر اربعا وروى عبد الباقي بن قانع
الحافظ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى اربع ركعات قبل صلاة العصر غفر له مغفرة جزما وثبت
في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد في رمضان
ولا في غيره على ثلاث عشر ركعة واما نوافل الزكاة فصدقة التطوع
ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى
الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة فتربوا في كف
الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله ت
ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء حسن غريب
وروى ابن المبارك عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لظل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس
قال ابو يزيد فكان الخير لا يخطيه يوم الا تصدق فيه بشي كعكة

او بصلاة او كذا واما نوافل الصوم فعن ابي ذر عن النبي صلى
الله عليه وسلم من صام ثلاثة ايام من كل شهر فذلك صوم الدهر
فانزل الله تعالى تصديق ذلك من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
فاليوم بعشرة ايام رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي
رواية النسائي ايام البيض ثلاث عشرة واربع عشرة وخمسة
عشرة وصححه عبد الحق يا اباذر اذا صمت من الشهر ثلاثة ايام
فصم ثالث عشرة ورابع عشرة وخامس عشرة حديث حسن ثم
احب الصيام الى الله تعالى صيام داود احب الصلاة الى الله
صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
وكان يصوم يوما ويفطر يوما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتحرى صوم الاثنين والخميس وقال تعرض الاعمال يوم الاثنين
والخميس فاحب ان يعرض عملي وانا صايم رسيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية
ونوافل الخير متعددة وقد اشبعت القول في تعدادها في الفوايد
الانسية المقتبسة من الاحاديث القدسية فايدة قد جعل
الله تعالى التقرب اليه بالنوافل سببا من اسباب محبته الرب تعالى
لعبده ولا شك ان محبة الرب لعبده عظيمة فليس الشان ان يحب
الصغير الكبير ولا الناقص الكامل وانما الشان كل الشان ان يحب
العظيم الكبير القدوس عبده الصغير الحقير الناقص فان الرب تعالى
اذا احب عبده اعلى قدره ورفع ذكره ونوه في الملا الاعلى وفي الارض
والسما كما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل عليه السلام فقال يا جبريل
اني احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السما فيقول ان الله

يحب

يحب فلانا فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض ثم ذكر في البعض
مثله فاعلم بها مرتبة واعظم بها منقبة ومن لازم محبته لهم يحبونه
له قال تعالى يحبهم ويحبونه فالتقرب الى الله سبحانه وتعالى بالنوافل
سبب من اسباب محبته تعالى قوله تعالى فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها قال العلما الظاهر معناه كنت حافظا لسمعه فلا ادعه
يسمع الا خيرا ولبصره فلا ادعه يبصر الا في خير ولديه فلا ادعها تبطش
الا في خير ولرجله فلا ادعها تسعى الا في خير وهذا هو الذي يعبر عنه
بالمحفوظ في حق الاولياء وبالمعصوم في حق الانبياء والعلما الطريق
في هذا ما قد ذكرته في الفوايد الانسية ومن دلايل المحبة العمل
بالطاعة كتب ابو الدرداء الى مسلمة بن مخلد سلام الله عليك
اما بعد فان العبد اذا عمل بطاعة الله احبه الله فاذا احبه الله
حببه الى عباده وان العبد اذا عمل بمعصية الله بغضه الله فاذا
ابغضه الله بغضه الى عباده وفي التنزيل ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا والاصل الجامع ذلك كله متابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله واحواله فاذا قويت
المحبة استغنى بها المحب عن الطعام والشراب قال صلى الله عليه
وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فقوت الروح ارواح المعاني
وليس بان طعمت وان شربت وروي ان امراة هربت من الروح فخرجت
ماشية وحيدة بلا زاد ولا راحلة في ايام سيف الدولة وكان بينها
وبين بلاد المسلمين نحو من ماية فرسخ فقيل لها كيف قويت
على المشي والجوع والعطش فقالت كنت اذا جعت او عطشت او
كللت قرات قل هو الله احد فاشبع واروى واستريح وقال عبد الواحد

ابن يزيد مررت برجل ايم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله
حب الله تعالى لا يجد البرد وما احسن قول القايل
لها احاديث من ذكراك تشغلها ... عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ... ومن حديثك في اعقابها حادي
اذا استلذت من كلال السير ناوحها ... روح القديم فتحيي عند ميعادي
سيل ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه عن علامة من يحب الله عز وجل
وعن علامة من يحبه الله فقال من يحب الله فهو مستفرغ لعبادته ساجد
وراكع فان عجز عن ذلك استراح الى ذكر القلب والتفكر واما من يحبه
الله فانه يعطيه سماوة كسماوة البحر وشفقة كشفقة الشمس
وتواضعا كتواضع الارض ومنها التحقق بالمعاني وترك الدعاوي
فانه ما ادعى الامن مقت ولا مقت الا من اقصى وهجر وكذلك قال بعضهم
يا مدعي الحب لسواه ... من ادعى دعوى بلا شاهد
يوشك ان يبطل دعواه ... ومن صفة المحب صبره على البلا وشكره
للبلي ورؤية المنة عليه ما ابتلاه به كما يسكن سمخنون المحب عن المحبة
لم تزنت بالمحنة فقال البلا يدعيها كل سفلة ومرض الشبلي فدخل
عليه بعض اصحابه يعودونه في المارستان فقال ما انتم قالوا نحن جوك
فاخذ يرميهم بالحجارة واخذوا يهربون فقال لهم يا كذابون لو كنتم
اصحابي لصبرتم على بلايي واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حب الشيء يعمي ويصم قال الترمذي الحكيم حب الدنيا يعمي ويصم
عن الاخرة وحب الاخرة يعمي ويصم عن حب الدنيا وحب الله
تعالى يعمي ويصم عن حب النفس الشهي ومن علامة المحبة السقم والنحول كما قيل
الا قل من يدعي حبنا ... ويزعم ان الهوى قد علق ... ولو كان فيما ادعى صادقا
لكان على النحس بعض الورق ... فاين النحول واين الذبول ... واين البكا

واين القلق

وقف لله تعالى على طلبة العلم بالازهر ومقره برواقا يمنى
واين القلق ... واين الانين واين الحنين ... واين السهاد واين الارق
وقال بعضهم شعر
ولما ادعيت الحب قالت كذبتني ... الست ترى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يبلغ الموي والحب ... عظامك حتى تستبين بواليا
ويأخذك الوسواس من كل جانب ... وتخرس حتى لا تجيب المناديا
ويبروي فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى ... وتذبل حتى لا تجيب منادیا
وتنحل حتى لا تبقى لك الاسي ... سوي مقلة تبكي بها وتناجيا
قال الكلاباذي واعجب من هذا قول الاخر
بانوا فصار الجسم من بعدهم ... ما تبصر العين له فيا
واجملتنا منهم ومن قبلهم ... ما مر كالبين لنا ناسيا
بأي وجه القاهم ... اذا راونى بعدهم حيا
قال الكلاباذي وانما اردنا بهذا تشبيها لمن عسى تسمو همته الى الامر
العظيم من محبة من ليس كمثله شيء فيرى عقله ان له منها مسام
الروح فمن شاهد ذلك من نفسه فليعرض نفسه على احوال المجنون
ليلى وامثاله في شان محدث لا يضر ولا ينفع سمعت بعض اصحابنا
يقول سمعت الشبلي يقول وذكر قيس المجنون فقال كان اذا سيل
عن ليلى يقول انا ليلى فكان يغيب بليلى عن ليلى حتى يفنى بمشهد
ليلى ويشهد الاشياء كلها ليلى فكيف بمدعي محبة من ليس كمثله
شيء وانت صحيح مميز ترجع الى اوصافك وما لوفتك وحظوظك
ولم تبذل نفسك بمعبودك ولا زهدت في دنية منك مع ما ان
ببذل المجهود للمعبود ادنى رتبة عند القوم والله تعالى يقول
والذين امنوا اشد حبا لله وقال بعض شيوخ الصوفية ان الله
عز وجل امتحن الناس بالهوى ليباحثوا التسليم بطاعة من
يهواه ويشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك

على قدر طاعة الله عز وجل الذي لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم
غير محتاج اليهم ورازقهم فاذا ادوها على انفسهم طاعة من سواه
كان هو تعالى اجدر ان يتبع رضاه وما احسن ما قال الاصمعي رحمه
الله قال رايت احدا قد ادب الكلب بحد احسن مما حدثته امراة من
العرب فاني سالتها عن الكلب فقال هو ذل وجنون وقال بعضهم
هو ذل لمن يذود ومن شروط المحبة واوصافها موافقة المحبوب في
تمام لغة المحب حتى يبغضه اذا احبه محبوبه ويبغض الحبيب اليه اذا ابغضه
محبوبه حتى يودي ذلك الى نفسه واوصافها فيرضى عنها اذا اعرض عنه
محبوبه ويقبل عليها اذا اقبل عليها محبوبه موافقة لاشغاله قال الشرا
اجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم اشبعت اعدائي فصرت
احبهم اذ كان حظي منك حظي سهم واهنتني فاهنت نفسي صاغرا ما من يهون
عليك ممن اكرم ومن الكذب في دعوى المحبة ان يدعيها من نهاره غافل
وليله نايم عاطلا وحي الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من
ادعى محبتي فاذا جن عليه الليل نام عمن خدمتي فالرب تعالى يحب
لذاته ويجمل اسماءه وصفاته فوله تعالى ولين سالتني لاعطينه ولين
استعاذني لاعيذنه هذا المقام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه
وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابر قسمه الحديث
التاسع والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لي عن امتي الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه حديث حسن رواه ابن ماجه
والبيهقي وغيرهما هذا اصل في ان المجتهد مرفوع عنه هذه الامة
فرفع الله تعالى عنهم الخطا اي اثمه واتفق العلما على انه لابد
من تقدير محذوف في الحديث فقدر بعضهم اثم الخطا قالوا به لبل

ان حكم

ان حكم الخطا جار عليهم شرعا كقتل الخطا وكسر اناء خطا واتلاف
شي للغير خطا او نسيانا واذا قدر هذا فقد قال اصحابنا انه اذا
نسي فتكلم في الصلاة او فعل ذكر خطا بطلت صلاته وقالت
الشافعية لا احتجت الشافعية بهذا الحديث واحتج اصحابنا
بحديث ان صلاتنا هذه لا يصلح فيها شي من كلام الناس واجاب
اصحابنا عما احتجوا بان المراد رفع الاثم كما تقدم والمقتضى
لا عموم له واختلف العلما فيما اذا اكل الصايم او شرب او جامع
ناسيا فقال ابو حنيفة والشافعي واحمد لم يفطر ولا قضا ولا
كفارة وفطره مالك رحمه الله محتجا بان الفطر ما دخل وبان
الصوم هو الامساك وقد وجد منافيه واحتج الجمهور بحديث
الصحيحين من نسي وهو صايم فاكل او شرب فليتم صومه
فانما اطعمه وسقاه وفي المستدرك فانما هو رزق ساقه الله
اليه فلا قضا عليه وفرقت الحنفية بين الصوم والصلاة
والاعتكاف فافسدوا اعتكافه وصلاته بالجماع ناسيا ولم
يفسد واصومه قالوا لان حالتي الصلاة والاعتكاف منكران
بخلاف الصوم وهو فرق جلي واختلف العلما في طلاق المكره
بعد اجماعهم ودلالة القران على من اكره على اجرا كلمة الكفر
لا يكفر قال الامام شمس الدين بن قيم الجوزية ودلت السنة
على ان الله سبحانه وتعالى تجاوز عن المكره فلم يواخذ
بما اكره عليه قالوا وهذا يراد به كلامه فقط واما افعاله فقيها
تفصيل فيما ابيح منها بالاكراه فهو متجاوز عنه كالاكل في نهار
رمضان والعمل القليل في الصلاة ولبس المخيط في الاحرام
ونحو ذلك وما لا يباح بالاكراه فهو مواخذ به كقتل المعصوم

واتلاف ماله وما اختلف فيه كشرب الخمر والزنا والسرقة هل
يجد به ام لا فللاختلاف هل يباح ذلك بالاكراه ام لا فمن لا يبيحه
حده ومن اباحه بالاكراه لم يحده وفيه قولان للعلماء وهما روايتان
عند احمد والفرق بين الاقوال والافعال في الاكراه ان الافعال
اذا وقعت لم ترتفع مفسدتها بل تبقى معها بخلاف الاقوال فانها
يمكن الغاؤها وجعلها بمنزلة اقوال النائم والمجنون فمفسد
الفعل الذي لا يباح بالاكراه ثابتة بخلاف مفسدة القول فانها
انما تثبت اذا كانت قائلة عالما به مختارا له ثم قال وقد افتى الصحابة
بعدم وقوع طلاق المكره واقراره فصح عن عمر انه قال ليس
الرجل بامين على نفسه اذا اجعته او ضربته او اوثقته وصح عنه
ان رجلا اتى بمجنون فانت امرأته فقالت لاقطعن الحبل فناشدها
الله فابت فطلقها فاتى عمر فذكر ذلك فقال له ارجع الى امرأتك
فان هذا ليس بطلاق وكان علي لا يجيز طلاق المكره وقال ثابت
الاعرج سألت ابن عمر وابن الزبير عن طلاق المكره فقالا ليس
بشيء فان قيل فما تصنعون بما رواه الفار ابن جبل عن صفوان
ابن عمرو الاصم عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رجلا جلست امرأته على صدره وجعلت السكين على حلقه
وقالت له طلقني او اذبحك فناشدها الله فابت فطلقها ثلاثا
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لا قيلولة في الطلاق رواه
سعيد ابن منصور في سننه وروي عطاء ابن يسار ان عمار عن عكرمة
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الطلاق جائز
الا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله وروي سعيد ابن منصور
قال حدثنا فرج ابن فضالة حدثني عن ابن شرحبيل الغافري

ان امراة

ان امراة ملكت سيفا فوضعته على بطن زوجها وقالت والله
لا انفذ لكما او لتطلقني فطلقها ثلاثا فرفع ذلك الى عمر ابن الخطاب
فامضى طلاقها وقال كل الطلاق جائز الا طلاق المعتوه قلنا اما
حديث الفار ابن جبل ففيه ثلاث علل احداها صفوان عمرو او
الثانية ليث الفار ابن جبل والثالثة تدليس بقية الرواية
عنه ومثل هذا لا يحتج به قال ابو محمد ابن حزم وهذا خبر في
غاية السقوط واما حديث ابن عباس كل الطلاق جائز فهو من
رواية عطاء ابن عجلان وضعفه مشهور وقد رمي بالكذب
قال ابن حزم وهذا الخبر شر من الاول واما اثر عمر فالصحيح
عنه خلافه كما تقدم ولا يعلم معاصرة المغافري لعمر وفرج ابن
فضالة فيه ضعف واما اثر علي فالذي رواه عنه الناس
انه كان لا يجيز طلاق المكره روى عبد الرحمن ابن مهدي عن حماد
ابن مسلمة عن حميد عن الحسن ان علي ابن ابي طالب كان لا
يجيز طلاق المكره قال صح عنه ما ذكرنا فهو عام مخصوص بهذا
انتهى كلامه وفي تفسير الكواشي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا
مما امروا به او اخطأوا او عجلت لهم العقوبة فامر الله المسلمين
بالدعاء برفع ذلك فقالوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا غفلنا او
اخطأنا غيا وزنا الحداي غفلنا وان كان الخطأ والنسيان مرفوعين
عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان
وما استكرهوا عليه فسؤالهم اعتراف بنعمة الله تعالى عليهم
او معناه نسينا تركنا الامر كقوله نسوا الله واخطأنا تعمدنا
فعل الخطأ انتهى وظاهر هذا انه جواب عن سؤال مقدور وتقديره
ما فايدة سؤالهم عدم المؤاخذة بسبب الخطأ والنسيان

وهم غير مواخذون به بدليل الحديث فاجيب بانه اعتراف بالنعمة
وهو هكذا مذكور في بعض التفاسير سوالا وجوابا وفيه نظر
لانه انما يكون واردا ان لو كان الخطاء والنسيان قد تبتت رفعهما
قبل نزول هذه الاية وهذا يحتاج الى توقيف وظاهر قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت المواخذة بالكل ثم ان الله
تعالى علم سوال رفع الخطاء والنسيان وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم
وظاهره انه تعالى استجاب لهم فرفعه عنهم بعبارة كانت ثابتة
قال الامام المتقن ابو العباس رضي الله عنه احمد ابن عمر
القرطبي رحمه الله في كتابه المفهم ما نصه ونعم ما رز جواب
وهو هنا اجابة لما دعوا به كما في الرواية الاخرى عن ابن
عباس رضي الله عنهما قد فعلت بدليل قوله هنا نعم وهو اخبار
من الله تعالى انه اجابهم في تلك الدعوات فكل داع يشارك لهم
في ايمانهم واخلاصهم واستسلامهم اجابة الله كما اجابهم لا وبعد
الله هـ قد قوله حق انتهى كلامه وهذا من خصائص هذه
الامة زادها الله شرفا امين الحديث الاربعون عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وكان
ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك
رواه البخاري عن ابن عمر قد تقدمت ترجمته واخذه عليه
الصلاة والسلام بمنكبيه تنبيها اليه ليفهم ويصغي لما يقول
ويذكره بعد مرة بهذا الفعل كما قال ابن مسعود اخذ

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فعلمني التشهد
كفي بين كفيه فكان فيه تاكيد للتعليم فقوله صلى الله عليه
وسلم كن في الدنيا كانك غريب اشاره الى انه نزل نفسه
في الدنيا بمنزلة الغريب الذي لا وطن له ولا اهل له ولا بقا
له كما حكي عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال طوبى لمن
يرضى بعيش الطالب يمشي ولا قدر له ويبيت ولا ماوى له
ويموت ولا ميراث له واعلم رحمك الله ان الدنيا في الحقيقة
دار غربة فان وطن المومن الاصلي انما هو الجنة حين كان
في صلب ابيه ادم عليه السلام ثم نقل منها الى دار غربة ليكلف
ويختبر به والله خبير كما قال الشاعر اللبيب
بمي على جنات عدن فانها منازلك الاولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود الى اوطاننا ونسلم
وكم زعموا ان الغريب اذا اناى وشطت به اوطانه نهو مغرم
واي اغتراب فوق غربتنا التي لها اصمت الامداقينا تحكم
فاذا انزل الانسان نفسه منزلة الغريب لم يوجد عليه
الناس ولا على نفسه ان يعامله معاملة المقيم من توفير
الجاه وتعظيم القدر ولم يعلق نفسه بالامل الطويل كما
لا يعلق الغريب المتوقر بالاقامة في دار الغربة الا قدر
ما يقضي حاجته من تلك البلدة ثم يرحل وقد رما يدق
التغير فيرحل عن تلك المنزلة وفي هذا المعنى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس انما انا بشر
مثلكم يوشك ان ياتيني داعي ربي فاجيبه فالمومن في الحقيقة
انما هو مسجون في دار الدنيا ينتظر متى يدعى فيجيب

والموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب فكيف تشعر
به قوم سجنهم وبينا هم وخلاصهم منها النعيم الطيب
منتظرين نداء ربهم ليجاوبوه نعم فانت المطلب
اهلا وسهلا بالممات ومرحبا جسر يوصل الحبيب فنقرب
اهلا بمن بنينا الى الاخرة التي فيها الحياة ولها تطلب
لم لا اسرع لها سراع شربة عند ذي الغلة من الذلال واعذب
اهلا بعزرائيل الامين على الوراء ملك كريم للحبيب مقرب
اهلا بمن بنيني لروح عاجلة ولراحة نجلة تستعذب
اهلا فاني ناظر مولاي في دار القرار وانت انت نسيب
يا نزهتي وجنتي وتقلبي في فرشها فوق الاراكل اطرب
يا فرحتي بقصورها وخيامها وقبابها والحسن امر معجب
واري بعيني وجهه من خلق النور من غير كيف فالمكيف يحجب
قد جانا النص الصريح بانها بسراه حقا والمعطل يسلب
واحب شيء يشتفيه اولو النهى كشف الحجاب ورؤية هي مطلب
وهذه الابيات من قصيدة طويلة انشأتها في صنعفة
صنعفتها فاسئله تعالى ان يخفف هذه البشري ويجعل لي
في الاخرة درجة عليا ولجميع اصحابي امين وفي هذا الحديث
الكريم وهو قوله عليه الصلاة والسلام كن في الدنيا الى اخره
اشارة الى قصر الامل اي المدة فان الغريب ببلدة او عابر
سبيل بها يقصر امله من نيل ما فيها لعلمه بسرعة الانتقال
منها والتحول عنها فلا يبني بها دارا ولا يشتري قصرا ليسكنه
بل يترل في بيت من خان او ما تيسر ولو كان فيه مشقة
لعلمه بسرعة التحول قال سعيد ابن جبلان من جعل الموت

نصب

نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا سعتها والطريق
في ذكر ان يفرغ القلب قلبه لذكر الله تعالى وذكر الموت الذي
هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة يحذره او
يركب البحر فانه لا يتفكر الا في ذلك ويتبع طريق في ذلك وذكر اشكاله
وافترانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت
الثرى قال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال ابو
الدرداء اذا ذكرت الموتى فقد نفسك كاحدهم وبينبغي ان يكثر
زور المقابر وحتى سكنت نفسه الى ستي من الدنيا فليتفكر
في سرعة مفارقته فيقصر امله وفي الحديث ان اخوف ما اخاف
على امتي الهوى وطول الامل فاما الهوى فيصد عن الحق
واما طول الامل فينسي الاخرة وعن الحسن قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اهلكم يحب ان يدخل الجنة
قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا امالكم واثبتوا اجالكم بين
ابصاركم واستحيوا من الله عز وجل حق الحياء ومن ابي
زكريا التيمي قال بينما سليمان ابن عبد الملك في المسجد الحرام
اذ اتى بحجر منقور فطلب من يقرأه فاذا فيه ابن ادم لو رايت
قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة
من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا
لو زلت بكفك وامك اهلك وحشمك فبان منكا لوله
والنسيب فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد
فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة وذكر ذلك
ابن الجوزي في منهاجه ثم قال واعلم ان السبب في طول
الامل شيئان احدهما حب الدنيا والثاني الجهل اما حب الدنيا

فان الانسان اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها تثقل
على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو
سبب مفارقتها ومن كل كره شيء دفعه عن نفسه والانسان
مشغول بالاماني الباطلة فنهى نفسه ابدا بما يوافق مراده
من البقاء في الدنيا وما يحتاج اليه من ما دوا مل ومسكن
واصدقاء وسايراسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا
الفكر فيلهو عما عدا ذكر الموت ولا يقدر حتى به فاذا خطر له الموت
في بعض الاحوال والحاجة الى الاستعداد له سوف بذلك
ويعد نفسه وقال الامام بين يديكما ان تكبر ثم تتوب
واذا كبرت قال الى ان تقصر شيئا واذا قصرت شيئا قال الى ان
تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من
هذه السفرة فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يمرض في تمام شغل
الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال هكذا يؤخر
على التدريج يوما فيوما بعد يوم ويشتغل بعد شغل الى ان
تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته
واكثر صياح اهل النار مما سوف يقول واحسرتا من سوف
واصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن
قول النبي صلى الله عليه وسلم احبب من شئت فانك مفارقه
السبب الثاني الجهل وهو ان الانسان يعول على شبابه
ويستبعد قرب الموت مع الشباب اوليس يتفكر المشايخ
في مشايخ بلده لو عمروا لكانوا اقل من العشرة وانما قالوا ذلك
لان الموت في الشباب اكثر والى ان يموت شيخ قد يموت الف
صبي وشاب وقد يغتر بصحته ولا يدري ان الموت ياتي فجاة وان

استعد

استعد ذكر فان المرض ياتي فجاة واذا مرض لم يكد الموت
يعيد او لم تفكر وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من
صيف او شتاء او ربيع او خريف او ليل او نهار ولا هو مقيد بسني
مخصوص من شباب او شيخوخة او كهولة او غيره لعظم ذكره عنده واستعد
للموت واعلم ان الناس متفاوتون في طول الامل تفاوتا كثيرا
فمنهم من يومل البقاء الى زمان الهرم ومنهم من لا يتقطع امله
بهرم ومنهم من هو قصير الامل فروي عن ابي عثمان النهدي انه
قال بلغت ثلاثين ومائة سنة وما من شيء الا وقد عرفت
فيه النقصان الا الامل فانه كما هو وحكي في قصر الامل ان امراة
حبيب ابي محمد قالت كان يقول لي يعني يا محمد ان مت اليوم
فارسلي الى فلان يغسلني ويفعل كذا وافعلي كذا واصنعي كذا
فقيل لها مرارا ويا قالت هكذا يقول كل يوم ومن ابراهيم
ابن سميط قال قال ابو زرعة لاقولن لك قولا ما قلته لاحد
سواك ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثني
نفسي ان ارجع اليه وقيل لبعضهم الا تغتسل فتيبرد قال الامر
اعجل من ذلك وعن محمد ابن توبة قال اقام معروف الصلاة
ثم قال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم
غيرها فقال معروف انت تحدث نفسك انك تصلي صلاة اخرى
نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل فهذه احوال
الزهاد في قصر الامل وكلما قصر الامل فيها والعمل لانه يقدر ان يموت
اليوم فيستعد استعداد ميت فاذا امسى شكر الله تعالى
على السلامة وقدر ان يموت الليلة فيبادر الى العمل وقد ورد
الشرع بالحث على العمل والمبادرة اليه ففي صحيح البخاري عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وعنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا
قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك
وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال عمر رضي الله عنه
التؤدة في كل شيء خير الا ما كان من امر الاخرة وكان الحسن يقول
عجبا للقوم اسرعوا الزاد وتوادي فيهم بالرحيل وحبسوا اولهم
في انتظار اخرهم وهم قعود يلعبون وقال سليم مولى بني تميم
جلست الى عبيد الله بن عبد الملك فاوجز في صلاته ثم اقبل
علي وقال ارحني بحاجتك فانا ابادر فقلت وما تبادر قال ملك
الموت وكان يصلي كل يوم الف ركعة وكانوا يبادرون بالاعمال
الصالحة غاية ما يمكن فكان ابن عمر يقوم من الليل فيتوضا
ويصلي ويخفي الفجر ثم يقوم فيتوضا ويصلي ثم يخفي الفجر
الفجر ثم يقوم فيتوضا ويصلي ثم يخفي الفجر ثم يقوم ويصلي
يفعل ذلك مرارا وكان عمر بن هانئ يسبح في كل يوم مائة الف تسبيحة
وقال ابو بكر ابن عياش لولده يا بني اياك ان تعصي الله تعالى في
هذه الفرقة فاني قد ختمت فيها القرآن ثمانية عشر الف ختمة
انتهى كلام ابن الجوزي وفي العاقبة للامام الحافظ عبد الحق قال
ويروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابا هريرة اما اريد الدنيا جميعا قلت بلى يا رسول
الله قال فاخذ بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا منزلة
فيها روس وعظام وخرق بالية وعذرات فقال يا ابا هريرة
هذه الروس كانت تحرص كحرصكم وتؤمل كاما لكم ثم هي اليوم

عظام

عظام ولا جلد عليها ثم هي ضاربة تترابا وهذه العذرات الوان
اطعمتهم اكلوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم
فاصبحت وان الناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت
رياشهم ولباسهم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام
عظام دوابهم التي كانوا بها يتجمعون عليها اطراف البلاد فمن كان
باكيا على الموت فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا رويتا
هذا الحديث من طريق اسد بن موسى فاعلم ان طول الامل
داء مضاد ومرض مرمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه
وصعب علاجه ولا فارقه داء ولا نفع فيه دواء واعجز الاطباء انفع
الاطباء فقد ورد في ذم طول الامل وفي الحرص على العمل والترغيب
فيه ما في بعضه الكفاية وما باقل منه يوصل الى المقصود مع
اعانة الله تعالى قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام لا يزال قلب
ابن ادم شابا في ثنتين حب الدنيا وطول الامل ذكره البخاري
ومسلم وغيرهما وذكر ابو بكر بن ابي شيبة في مسنده عن عبد
الله ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطا مربعا فقال هذا الاجل وخط في وسطه خطا وقال هذا
الانسان وخط في عرضه يعني جانبه خطوطا وقال هذه الامراض
وخط خطا خارجا وقال هذا الامل قال فالامراض تنهشه وعنه
الى الامل يريد عليه الصلاة والسلام ان الانسان قد احاط
به اجله وانذر به بحيث ما توجه لقيه وان ممن الدنيا
وفتنتها تقتر وتتلقاه وتستقبله وتنهشه وهو مع ذلك
بعيد الامل معروف النظر اليه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم

اطلع ذات يوم على الناس فقال الا تستحيون قالوا وما ذاك يا رسول
الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتوملون ما لا تدركون ويروى
عن ابن سعيد الخدري انه قال اشتري يا سامة ببنار زيد بن ثابت
وليدة بماية دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الا تعجبون من اسامة بن زيد المشتري الى شهر
ان اسامة لطول الامل والذي نفسي بيده ما كفت عيني الا ظننت
ان شفري لا يلتقيان حتى تقبض روحي ولا طمحت لقمة الا ظننت
اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم
تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى فوالذي نفسي بيده انكم
توعدون لات وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس كان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم بالتراب فقولوا يا رسول
الله ان الماء قريب منك فيقول اما انه ركبني لعلي لا ابلغه ذكره
الحارث ابن اسامة في مسنده ويروى عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل
والامل وخطب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال الا وان الدنيا
قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واذنت باطلاع
الا وان الضمار اليوم والسباق غدا الا وان السبقة الجنة والغاية
النار الا وانكم في ايام مهل من ورايه اجل يغشاه عمل من عمل
في ايام مهله قبل حضور اجله ينفعه عمله ولم يضره اهله وساه
عمله وقال سلمان الفارسي ثلاث احبتني حتى اصمكتني وثلاث
احزنتني حتى ابكتني اما الثلاثة الاول فحب الدنيا والموت يطلبه
وما فلا ليس بمقبول عنه وصاحب سوء قد فيه ولا يدري اساخط
عليه رب العالمين ام راض عنه واما الثلاثة اللواتي احزنتني

فراق

فراق النبي صلى الله عليه وسلم وفراق الاحبة اصحابه
والوقوف بين يدي الله عز وجل ولا ادري ايومر بي الى الجنة
او النار يروى عن ابي الدرداء انه قام على درج جامع دمشق
فقال يا اهل دمشق الا تسمعون ما اخ لكم ناصح ان من كان
قبلكم كانوا يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويوملون بعيدا
فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا وهذه عاد قد
ملات البلاد اهلا وخيلا ورجالا فمن يشتري اليوم مني تركتهم
بدرهمين وخطب عمرو بن عبد العزيز يوما فقال ان للسفر
زادا فتزودوا التقوى في سفركم من الدنيا الى الاخرة وكونوا
كمن عاينها اعد الله له من ثوابه وعقابه وليطول عليكم
الامل فتقسوا قلوبكم وتنافسوا الى عمركم فانه والله ما
بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ويمسي بعد
صباحه وبين ذلك خطفات المنايا وهجمات المنون وانما تفاضل
عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن
اهوال يوم القيامة واما من لا يدري حبرها الا اصابه الاحبرة
من ناحية اخرى كيف يفرح انكم لتدعتم بامر لو عنيت به النجوم
انكدرت او الجبال لذابت او الارض لتشققت اما تعلمون
انه ليس الا الجنة او النار منزل والكم صائرون الى احداهما
قلت وفي معناه انشد يقول

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في اي المحلين تنزل

وانشدوا ايضا

اما والله لو علم الانام لما خلقوا لما نفدوا ونام
لقد خلقوا لما لو ابصرته عيون قلوبهم صاحوا وهاموا

مماة ثم تبر ثم حشر • وتوبيخ واهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال • فصلوا من منافقه وصامرا
ويحن اذا امرنا او زجرنا • كاهل الكهف ايقاظا نيام
قال عبد الحق ويروى عن عبد الله بن عمر قال بينما نحن
نصلح حصن لنا اذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذا فقلنا يا رسول الله قد وهى فنحن نصلحه فقال
ما ارى الامر الا اعجل من ذلك ذكره الترمذي قال عبد الحق
رحمه الله واعلم ان طول الامل يكسل عن العمل ويورث
التراخي والتواني ويميل الى الارض ويميل الى الهوى وهذا
امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان كما ان قصر الامل
يبعث على العمل ويحث على المسابقة وسنضرب لك في هذا
مثلا ملك من الملوك كتب الى رجل يقول له افعل كذا وكذا
وانظر في كذا وكذا واصلح كذا وكذا وانتظر رسولي فلانا فاني
سابعثه اليك ليأتيني بك واياك ثم اياك ان يأتيك الا وقد
نزعت من اشغالك وتخلصت من اعمالك ونظرت في ازادك
واخذت ما تحتاج اليه في سفرك والا احللت بك عقابي وانزلت
عليك سخطي وامرته ان يأتيني بك مغلولة يداك مقيدة رجلاك
مستهتا بك اعراك مسموما بالعار وجهك الى دار هواني وما
اعددته لمن عصاني وان هو وجدك قد فرغت من اعمالك
وقضيت جميع اشغالك اتاني بك مكرما مريها الى دار رضاي
وكرامتي وما اعددته لمن امتثل وعمل بطاعتي واحذران يمنعك
فلان وفلانة عن امتثال امري والاشتغال بعملي وكتب الى
رجل اخر مثل ذلك فاما الرجل الاول فقال هذا كتاب الملك جاني

يامرني

يامرني فيه بكذا وكذا وذكر لي ان رسوله يأتيني ليحملني اليه وانا
لا افهني حتى يأتيني رسوله ولعل رسوله لا يأتيني الا بعد خمسين
سنة او اكثر فانا في مهلة وسأنظر فيما امرني به فيما بعد ولم
يقع الكتاب منه بذلك الموقع ولم ينزله من نفسه بتلك المنزلة
وقال والله لقد اتى كتابه الى خلق كثير مثل ما اتاني ولم يأتهم رسوله
الا بعد السنين الكثيرة والمدة الطويلة وانا واحد منهم ولعل
رسوله سيتأخر عني كما تأخر عنهم وجعل الغالب على ظنه ان
رسوله لا يأتيه الا بعد خمسين سنة كما ظن او الى اكثر ثم اقبل
على اشغال نفسه بما لا يحتاج اليه وبما كان عيا عنه وترك ادام
الملك والشغل الذي كلفه النظر اليه وكلما دخل سنة قال انا
في هذه السنة مشغول وسأنظر في السنة المقبلة والمسافة
امامي والمهل بعيد فبينما هو كذلك في تسويفه واغتراره اذ جاء
رسول الملك فكسر بابه وهتك حجابه وحصل معه في بيته
وقال اجب الملك فقال الرجل والله لقد جاني كتابه يأمرني باكمال
اعمالها واشغال الظر فيها وما قضيت منها شغلا ولا اكملت
منها عملا الى الان فقال له الرسول ويلك وما الذي ابطأ بك عنها
وما حبسك عن الاشتغال بها والنظر فيها قال لم اكن اظن انك
تأتيني في هذا الوقت فقال له ويلك ومن اين لك هذا الظن ومن
اخبرك به ومن اعلمك اني لا اتيك الا في الوقت الذي تظنه قال
ظننت ولمعت وسولت لي نفسي وخدعني الشيطان وغرني
قال الم يحذرك الملك في كتابه وامرك ان لا تسمع من الشيطان قال
بلى والله لقد فعل ولقد حذرني في كتابه ولكني خدعت كما خدعت
وفتنت فافتتنت واريت في وقت مجيئك مقترنا بعمر فبصرت

فقال له ويلك عزك الغرور وحزعك المارع فقم واجب الملك لام
لك فقال فاشدد نكيق الملك لما تركتني حتى انظر فيما امر بي
به الملك وفيما تيسر منه حتى لا اقدم عليه في جملة المفرطين
ومصابة المقصرين وهذا مال قد كنت جمعته لنفسي واعددته
لمونة زماني فاتركني حتى اخذ منه زاد التزوده ودابة اركبها
فان الطريق شاقة والمفازة صعبة والعقبة كؤودة والمنزل
فيه ما فقال له ان تركتك كنت عاصيا ملكك ثم رفعه دفقة
القاه على وجهه ثم جمع يديه الى عنقه وانطلق به يجره من
خلفه حزيان لذمان جيفان ممطشان وهو ينشد بلسان الحال
لا كمزني اذا القيت حربنا ٭ جلد خطبي لذ بيتكم ان يهونا
ضاق صدري مما بعضه واحتالا ٭ فاسلكوني بحيث الغي المنونا
زفرات هتكن جوف فؤادي ٭ وهموم قطعن مني الوتينا
خنت عهد المليك قولا وفعلا ٭ واتخذت الخلاف شرعا ودينا
عمرست في الحياة كلعي شرا ٭ فاجتنيت العقاب منه فنونا
ليتني لم اكن وابن لمثلي ٭ ظالم لنفسه بان لا يكونا
يا خليلي ولا خليل لي اليوم ٭ سوى حسرة قديم الانينا
ريح الرابحون وانقض السوق ٭ وخلوا بغبنه المغبونا
فابكوا واندموا عسى بكما يفيد ٭ او تدعني وعصبة يبكونا
واما الاخر الذي كتب اليه الملك بمثل ما كتب الي هذا فانه اخذ
كتاب الملك وقبله وقراه وتصفحه وتدبره وقال اري ايها الملك
قد كتب الي بان اعمل له كذا وكذا وهذا ابن سبقت لي هذه السابقة
عند الملك وهذا الذي انزلني منه بعد هذه المنزلة وهذا
الذي عنى به عنده حتى جعلني من خدامه والقايمين بامره

والناظر

والناظرين في اعماله والله ان هذه لسعادة عظيمة وعناية
جسيمة فالحمد لله رب العالمين ثم نظر في الكتاب فقال واسمع
الملك قال لي في كتابه وانتظر رسولي فاني سابعثه لك بغتة
لياتيني بك فاراه لم يمهلني الوقت الذي يبعثه فيه ولا سماه
لي ولعلي افرغ من قراءة كتابه الا ورسوله قد اتاني ونزل علي
وانه لاقدمت شغلا على شغل الملك ولا نظرت في شيء الا بعد
فراغي مما امرني به الملك واعددت زاد التزوده ومركوبا اركبه
اذا جاءني رسوله وحملني اليه فتعرض له رجل وقال له لمن هذه
المسارعة كلها وفيم هذه المبادرة كلها فقال له ويحك اما تري
كتاب الملك يجاء به اما تسمع ما فيه اما توقن به اما تصدقه
قال بلى سمعت وامنت وصدقت ولكنه لم يقل لك فيه ان
رسوله ياتيك اليوم ولا غدا ولا وقتا معلوما معينا ولكنه
سياتيك وقد جاء كتابه الى فلان بمثل ما جاك وقد بقي منتظرا
لرسوله اكثر من سبعين سنة ما جاه فلان بعد ثلاثين سنة
وفلان اتاه بعد مائة سنة وفلان كاد ان لا ياتيه وانت واحد
من الرسل انهم فما هذه العجلة والاسراع فقال له ويحك
اما تري انت فلانا جاه كتاب الملك بمثل هذا وجاه رسوله
الذي جاء بالكتاب وفلانا كذلك وفلانا جاه بعد سنة واقل واكثر
فقال صدقت ولكن لا تنتظر الي هو لاخامسة وانظر الى الذي
قلته لك ما قد تاخر عنهم مجيء الرسول فقال دعني يا هذا فقد
شغلتني وانه اني لاخاف ان ياتيني الرسول وانا اعالج ثم
اقبل على امره الملك فامتثله واشتغل بما يجب ان يشتغل به
واعد الزاد لسفره واخذ الاهبة لطريقه وجعل ينتظر الرسول

ان ياتيه واقبل يمينا وشمالا لينظر من اين ياتيه ومن اين يقبل
عليه فبينما هو كذلك واذا برسول الملك قد اتاه فقال له اجب الملك
فقال نعم فقال السامة قال السامة قال اوفزعت مما امرك به وعلمت
ما حذره لك ان تفعله قال نعم فقال فانطلق معه الى الملك فجعل عليه
خلع الاوليا وكساه كسوة الاصفيا واعطاه مركوبا يليق به
ويتجمل بمثله فانطلق في حبور وسرور وهو ينشد ويقول
هنوف بنبطة وسرور فجد بربات بها مثلي مربحت صفقتي
وزكي سعيي وارتقى للاله قولي ونعلي كيف لي ان اصير اليوم
عني بمقاد بين صف محلل ضاقت الكتب ان تضم حديثي
بل ثلاثت عن بعض ما انا املي فاذا بلغت المنى ورزقت عليها
وتمليت بالمسرات كلي فليبت قومي يعلمون بانه من نعمة
علي وفضلي طاب عيشي وقر فيه قراري وتقلبت بين ماء
ونخيلي انا هو ذا حقيقة ام سواي فسروني فقد تزهل عقلي
قوله وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح
واذا اصبحت فلا تنتظر المسا وخذ من صحتك لمرضك
ومن حياتك لموتك رواه البخاري هذا اشارة الى يقظة قلب
الصحابة وما كانوا عليه من حسن التلقي والفهم عن نبينا
عليه الصلاة والسلام لما علم ابن عمر المنور القلب ان النبي
صلى الله عليه وسلم انما قصد بهذا تقصير الامل والمبادرة
بحسن العمل انتصب ابن عمر واعظا لنفسه ولغيره فقال
اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المسا
وخذ من صحتك لمرضك اي اغتنم صحتك واعمل فيها عملا صالحا
قبل ان تشتغل بالمرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نعمتان

مغبون

وقف الله تعالى عمي طلبة العلم بالازهر ومعهد بر واق البهو
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ثم قال وخذ من حياتك
لموتك اي اعمل في حياتك عملا ينتفعك بعد موتك فان الموت يقطع به
العمل الا ما استثناه الشارع صلوات الله عليه وقد روي من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينتظر احدكم
عن الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او هرما مفندا او مرضا
مفسدا او موتا مجهزا او الدجال شر غايب ينتظر او الساعة
والساعة ادهى وامر وبالجملة هذا الدنيا دار نفاد لا محل اخلاد ومركب
عبور لا منزل حبور ومشرع انفصال لا موطن دوام قال الله
تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما الى قوله تعالى
لقوم يتفكرون ومقصود المثل ان الله ضرب للدنيا الفانية
فشبهها بمطر نزل من السما فاختلط به نبات الارض اي التقى
النبات بالمطر وكثير مما ياكل الناس منها وغيرها والانعام
والمرعى حتى اذا اخذت زينتها الارض اتاها القضا بالهلاك فصارت
محصودة لا شي فيها كان لم تغمر ومقصود المثل ان ساكن
الدنيا اذا جمع ماله وتم مراده سلب احد الرفيقين اما الزبا
عن المالك او المالك عن المال قال ابن الجوزي في منتخبه
وفي وجه الحكمة في تشبيه الدنيا بالما عشرة اشوال احدها
ان الما بالطبع يجري ولا يستقر وكذلك الدنيا لا تستقر على حال
او كظل زايل اذ اللبيب بمثلها لا يخدع الثاني ان قليل الما يكفي
وكثيره يهلك وكذلك الدنيا قليلها يكفي وكثيرها يلهي الثالث
ان الما اذا طال حبسه تغير وفسد واستحال فلحق متناوله
سقما وكذلك الدنيا لما سكنها بلا وازع الرابع ان اذا سقي الشجر
ابان عن جواهرها بانمها ثمرها وكذلك الدنيا تبرز جواهر الرجال

من كريم وسخي يسمحوا وليم يجد الماس ان المايستر عيب
الارض والمايستر عيوب الرجال السادس ان المطر لا يأتي
محال كذا لك الدنيا لا تجلب بغير الاقدار السابع ان الانسان
لا يقدر على دفع المطر كذلك لا يقدر على رد ما قسم له من الدنيا
الثامن ان البرغ يفسد اذا كثر عليه الماء كذلك القلب يفسد
بالمال اذا كثر التاسع ان الماء يطهر الانجاس وكذلك التصدق
بالمال يزيد الا وساخ العاشر ان الماء اذا اجتمع سال كما ان
الدنيا اذا تمت مرت ثم قال الدنيا خراب واخرب منها قلب من يعمرها
هي الدنيا تقول بملء فيها ، حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسامي ، فقولي مضمحل والفعل مبكي
وما احسن ما قال القائل ،

ان لله عبادا فطنا ، طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ، انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ، صالح الاعمال فيها سفنا

وروي الترمذي وصححه لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وفي حديث
اخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وفي منهاج
ابن الجوزي وروي ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من احب اخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه
اضر باخرته واثر ما بقي على ما يفنى وكتب الحسن الى عمرو
ابن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار
مقام وانما انزل اليها ادم عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين
فان الزاد منها تركها والغنى فيها فقدها تزلف منا عمرها

وتفقد من جمعها كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه فاحذر
هذه الدار الغدارة المكارة الخداعة وكن اسر ما يكون فيها
احذر ما يكون لها سرورها مشوب بالحزن وصفوها مشوب
بالكدر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا لم يضرب لها مثلا لكانت
قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله
عز وجل عنها زاجرا وفيها واعظا فما لها عند الله سبحانه
قدر ولا وزن ولا نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على
نبينا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه
عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها كره ان يحب ما يغض
خالقه او يرفع ما وضع ما يراها الله عند الصالحين اختبارا
ويبسطها لاعدائه اغترارا فطلق المغرور بها المغتر عليها
انه اكرم بها وشي صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم
حين شد على بطنه الحجر والله ما احد من الناس بسط له
في الدنيا فلم يتحقق ان يكون قد مكر به فيها الا كان قد نقص
عقله وعجز رايه وما امسك عن عبد فلم يظن انه قد خير
له فيها قد نقص عقله وعجز رايه وقال مالك ابن دينار
اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال
يونس ابن عبيد الله ما شيمت الدنيا الا كرجل نائم
فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك انتبه ومثل
هذا مثل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمعنى انهم
يتنبهون بالموت وليس في ايديهم شي مما كانوا اليه وفرحوا
به قيل ان عيسى عليه السلام راى الدنيا في صورة عجوز
هتما عليها من الزينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم

قال لهم ما ان عندا ولهم طلقك قالت بل لهم قتلت فقال بئسي
بوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين
كيف تهلكهم واحدا بعد واحدا ولا يكونون منك على حذر وروى
عن ابن عباس رضي الله عنهم قال يوتى بالدنيا يوم القيامة
في صورة عجوز شطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها.
فتشرف على الخلايق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ
بالله من معرفة هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي تنافستم
عليها وبها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم
وامتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي
واشياعي فيقول اكفوا بها اتباعها واشياعها وعن ابي
العلي رحمه الله قال رايت في النوم عجوزا كبيره عليها من
كل زينة والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها
فقلت لها من انت ويلك قالت اما تعرفني قلت لا قالت
فاي الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت ان اجبت
ان تقاذف من شري فابغض الدرهم والدينار انتهى وما
احسن ما انشد بعضهم في هذا المعنى شعر
النار اخذ دينار نطقت به والهم اخر هذا الدرهم الجاري
والمرء ما دام مشغولا بحبهما معذب القلب بين الهم والنار
قال ابن الجوزي واعلم ان احوال الثلاثة حالة لم يكن فيها
شيا وهو قبل وجودك وحالة اخري وهي من ساعة موتك
الى ما لا نهاية له في البقا السرمدي فان لنفسك وجودا
بعد خروجها من بدنك اما في الجنة او النار وهو الخلود
الدايم وبين هاتين الحالتين حالة متوسطه وهي ايام

حياتك

حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار ذلك والنسبه الى الحالتين
تعلم انه اقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا وصراي
الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبالي كيف تقضت ايامه
في ضر وضيق او سعة ورفاهية ولهذا لم يضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنه ولا قصبة
على قصبه وقال ما لي وللدنيا انما مثلي والدنيا كراكب
استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وقال عيسى عليه السلام
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثل واضح
فان الحياة الدنيا معبرة الى الاخره والمهد الركن الاول
اول القنطره واللحد هو الركن الثاني على اخر القنطرة
ومن الناس من قطع نصف القنطره ومنهم من قطع ثلثيها
ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحده وهو
ما قد عاينته كيف ما كان فلا بد من العبور فمن وقف بيني
على القنطرة وبين بينها وهو يتحسر للعبور عليها مشغوف
غاية الجهل والسفه وقيل مثل طالب الدنيا مثل شارب
ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله وروي
عن الحسن رحمه الله قال بلغني عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة عبروا حتى لم يدروا ما سلكوا
منها اكثر ما بقي انفدوا الزاد وخسروا الظهر وبقوا بين
ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم
كذلك اذ طلع عليهم رجل في رحلة ما وهو ينظر براسه فقالوا
ان هذا قريب عهد بريف وما حاكم الا من قريب فلما انتهى

اليهم قال ياهولاي غلام انتم قالوا على ما ترى قال اراايتكم ان
هذا اتاكم الى ماء ورياض حضر ما تعملون قالوا لانعصيه
شيا قال اتعطوني عهودكم ومواثيقكم قال فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله لايعصونه شيا قال فاوردهم ماء ورياضا
حضرا فلبث فيهم ما شا الله ثم قال ياهولاي الرجل قالوا
الى اين قال الى ماليس كمائكم والى رياض ليس كرياضكم فقال
اكثر القوم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لانجده وما
نصنع بعيش خير من هذا وقالت طايفة قليلة الم يعطوا
هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لاتعصوه وقدمكم
في اول حديثه مواثيقه ليصدقنكم في اخره قال فراحوا فيمن
اتبعه وتخلف بقيتهم فقدر بهم عدوهم فاصبحوا من بين وقتيل
الحديث الحاري والاربعون عن ابي محمد عبد الله ابن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لايومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت به
هذا الحديث اصل كبير من اصول الهدى وقاعدة جليلة
من قواعد التقى وحله على سبيل الاختصار هو ما قاله
ابو حازم رضي الله عنه قال شيان هما خير الدنيا والاخرة
اذا عملت بهما التامل لك بالجنة ولا اطول عليك قيل وما هما
قال تحمل ما تكره اذا احبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله
انتهى ذكره عنه في سير السلف وجملة الامر ان النفس
اذا هويت شيا فاعرضه على الشرع فان وافق فاعمله
الله شرع لا لانه هو وكرجل نظر امراة جميلة هو زوجها
فليتزوجها على ان هذا حيا السنة واقامة للفريضة ان

كان

كان النكاح في حقه فرضا فيدخل تحت قوله عليه الصلاة
والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله لانه هجر ما نهاه الله عنه من الزنا وفعل ما امره
به الشرع وان تزوج بها على الهوى ولم ينو اقامة السنة
ولا شيا من الشرعيات كان داخلا تحت قوله عليه الصلاة
والسلام ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه واعلم انه قد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال الهوى اله يعبد في الارض
ثم تلى افرايت من اتخذ الهه هواه قال سبحانه واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
وعن فضالة ابن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من اتبع
هواها وتمنى على الله عز وجل الاماني وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
من غلب الناس ولكن الشديد من غلب نفسه وانشدوا ابو
الفضل الهاشمي شعرا يقول

واني وصبري عنك والشوق ناره ... لكالمتيمم الممنوع برد الشرايه
وراكب هوى يعلم ما الذي ... يجي به في عشته اليوم او غد
فما هو الا ان موت صبابة ... وشوقا ولم يقلب هواك تجلدي

وعن عبد الصمد ابن معدل

اذا العيون اذا امكن من رجله ... فعلن في القلب ما لا تفعل الاسل
وليس بالبطل الماشي من بطل ... في الحرب يحمد احيانا وتشتعل

لكنه من قوى قلبا اذا ارتشفت منه العيون فدراك الفارس البطل
عن وهب ابن منبه قال قالت امراة العزيز ليوسف عليه
السلام ادخلوني القيطون قال ان القيطون لا يستر ذو من
ربي قال ابراهيم بن الجنيد شيخنا يكني ابا عبد الرحمن قال
خرجت في بعض الليالي المظلمة واذا انا بجارية كانها مصباح
فراودتها عن نفسها قالت ويلك اما كان لك زاجر من
عقل اذ لم يكن لك ناه من دين قلت انه والله ما يرانا الا
الكواكب قالت فاين مكوكبها قال الاصمعي حكى رجل من
الاعراب بامراة فهم حتى تمكن منها ثم تنحى عنها سليما وجعل
يقول ان امرءا باع جنة عرضها السموات والارض بفتة
ما بين رجليك القليل بالبصر بالمباحة واعلم انه قد ورد
في ذم اتباع الهوى احاديث ذكرها الامام الحافظ ابو بكر
الخامري في كتابه اعلال القلوب باسناده عن ابي امامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء الهة يعبد
اعظم عند الله من هوى متبع واسند عن ابي هريرة رضي
الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف
ما اخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات
الهوى واسند عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اترون ما اكثر ما يدخل
الناس النار قالوا الله ورسوله اعلم قال الاجوفان الفرج
والفم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وعن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول

الله

صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد عبد تخيل واختال
ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر
والبلا بئس العبد عبد بغى وعتى ونسي المبدء والمنتهى بئس
العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله هذا
ما نقلته من كتاب اعلال القلوب وهذه الاحاديث وان
كانت مشهورة مسندة في غير هذا الكتاب اسمعنا بها على
عجل وما احسن ما قال بعضهم لما سئل عن العشق فقال
قلوب خلت من محبة الله فسلط الله عليها محبة غيره
فاورثها شقاء لا سعادة فيه وذلا لا عز معه وهوانا لا كرامة
فيه وانشد وافي ذلك شعرا

وما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى عذب المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة او اشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا خوف الفراق

وقال بعضهم الهوى هوان ان اذلت النون
قال عمرو المحسن الصوري

وكان ابتدا الذي مجونا ... فلما تمكن اسي مجونا
وكنت اظن الهوى هينا ... فلاقيت منه عذابا مهينا

والحاصل ان الهوى اصل كل بلية وفيه ذل كل نفس ابية
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يذل
نفسه فحسبه الامام احمد بان يتعرض من البلاء ما لا يطيقه

شعرا

الحب اول ما يكون مجانة ... تاتي به وتسوقه الاقدار
حتى اذا ارتكت الفتى بحبالها ... عجزت عن الحالات فيه حيل

واذا نظرت الي المحب عرفته ، وبدت عليه للهوي اثار
قلما بدا الكتمان تقول فدعما ، ساق القضا الي الفتى المقدار
واعلم انه ما وقعت معصية ما من كفر فما دونه الا واصلها
اتباع الهوى ولهذا قال ابو حازم قاتل هواك اشد ما تقاتل
عدوك وقال له رجل انك لرجل مسدد فقال ما لي لا اسدد
وقد رصد لي اربعة عشر عدوا اما اربعة منها فشيطان
يفتنني ومؤمن يحسدني وكافر يقاتلني ومنافق يبغضني
واما العشرة فالجوع والعطش والعري والحر والبرد
والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا اطيقهن الا
بسلاح ولا اجد لهن سلاحا افضل من التقوي انتهى
ذكره عنه في سير السلف واساس الهوى اجتناب الهوى
الهوى هو البلية العظمى وكذلك الشيطان والنفس والدنيا
الى بليت باربع ما سلطوا ، الا لعظم بليتي وشقاي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ، كيف الخلاص وهم اعدائي
قال العلماء ان كفر الكافر ومعصية العاصي انما تنشأ عن اتباع
الهوى فاما كفر الكافر فقد علم ما له من الخلود في النار مع
حرمان الجنان ومنع النظر الي وجه الرحمن واما العاصي فقد
قال النبي صلي الله عليه وسلم المقيم علي الزنا كعابد وثن
وقال شارب الخمر كعابد وثن وقال اربعة يشمون في سخط
الله ويصبحون في غضبه قال تقدي الهوى الي ايتان ذات
المحارم فتلك المصيبة العظمى وعن عمرو بن شعيب عن
ابيه عاص قال قال النبي صلي الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
من الى ذات محرم وافات المحرمات في الدنيا كثيرة ولهذا

ردي

روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اياكم والزنا فان فيه
ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما التي
في الدنيا فتذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في
الاخرة فسخط الرب وسوء الحساب ودخول النار وروي
عن سعد عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اللهم اني اعوذ
بك من فتنة النساء واعوذ بك من عذاب القبر وقيل لعمر
تعالي ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال هي المحبة وعن
ابن عباس رضي الله عنه لم يكن كفر من معنى الا قد قبل النساء وقال
النبي صلي الله عليه وسلم ما تركت علي امتي من بعدي اضر
من النساء علي الرجال وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم يا معاشر النساء ما رايت من ناقصات
عقل ودين اذهب بعقول ذوي الالباب منكن وعن ابن
الزبير قال لقام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه علي باب الحجابة
فقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قام فينا كمقامي فيكم
ثم قال الا لا يخلون رجل بامراة فان ثالثهما الشيطان واعلم
ان النظر الي الصورة الجميلة داعي عظيم من دواعي الهوي
وهاو يصاحبه في اودية الردي قتيله لا يودي واسيره لا يفدا
قال المتنبي وانا الذي اجتلت المنية طرفه فمن الطعان والقتل
والقاتل وقال الاخر عميني ساطت بدمي في الهوي فابكوا قتيلا
بعينه قاتله وقال اخر عاتبت طرفي لما رايت جسمي نحيلا
فقال طرفي لقلبي قد كنت انت الدليلا وقال قلبي لطرفي بل كنت
انت الرسولا نقلت كتابي تتيلا وعن حذيفة
ابن اليماني قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم النظرة في

المراة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركه خوفا لله تعالى
اثابه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وعن الاصمعي قال رايت
جارية بالطواف كانها مهاة رمل فجعلت انظر اليها واملا عيني
من محاسنها فقالت ياهذا ما شانك قلت وما عليك من
النظر فانشدت وجعلت تقول
وكنت متى ارسلت طرفك رايدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر
وبالجملة فالمعاصي كلها متولدة عن اتباع الهوى وقد اخبر
الذي لا ينطق عن الهوى ان احدنا لا يكون مومنا حتى يكون
هواه تبعا لما جيت به وقد قال الله تعالى في هذا المعنى فلا
وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وكان سبب نزولها ما هو
ثابت في الصحيح ان رجلا خاصم الزبير في خداج الحره فقضى
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بالحق الممض فغضب ذو
الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتغير رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فاقسم الله بربوبيته انه لا يومن
عبد من يكون بهذا لا يجد في نفسه منيقا ولا شاكا بما قضى عليه
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتقد اعتقادا جازما
ان ذلك هو الحق الممض وينقاد له كرهته النفوس ام احبته
رضيت به ام سمطته كان في ذلك هواها اولم يكن فتنبه
ايها العاقل واذكر ايها الفاضل فليس الا الرضى والتسليم
لاحكام الرؤف الرحيم قال الحكيم الترمذي في تفسيره فاذا كان

هذا شان الرسول هكذا فكيف يكون في قضية الله تعالى على
عبده من المكاره فلا تملوا النفس من هرب ومضيق ومكروه
ولكن يسلم تسليما وانما يصير هذا الضيق كفرا اذا قتله القلب
من النفس فاذا ضاقت النفس وكرهت امرا فاكرهها القلب
على ذلك ولم يتابعها ورد عليها ذلك ومضى لامر الله فهو صابر
والذي يحتاج الى رد ولا تضيق نفسه فهو صديق قد رض
نفسه وقهرها وماتت شهواته فهو راض بالمكاره انتهى
قلت كما قال ابن مسعود يا جنيدا لمكروهات الغر والموت
وكما قال احبه الى احبه الى الله تعالى شعر
ان كان هجران القضا ... منوا بقتلي فرضا والله ما كنت
لما يرضى الحبيب مبغضا ... انا لهم عبد وما للعبد ان يتعرضا
فمقتضى مقام الربوبية القهر لمقام العبودية والحكم
عليها بما يشاء وعلى مقام العبودية التسليم لاحكام
الربوبية وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة سبحان الله تعالى عما يشركون دل صريح العبارة
ومضمون الاشارة ان الذي له الاختيار مع الله هو مشترك
به اي في اختياره والكيس الماهر من انقاد لاحكام القادر
القاهر فان معارضة الدليل طبيبه توجب تعذيبه
فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتكلم عن الله والتسليم
لاحكامه تسليم لاحكام الله وحبه هو الكاشف لما به نسيب
عظيم في الوصول الى الله قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

هذا

الله من يطع الرسول فقد اطاع الله فكن دايما تحت لوا السنة
تحظى بدخول الجنة واياك والانحراف عنها فتهلك مع الهالكين قال
صلى الله عليه وسلم وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
كلهم في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا عليه
واصحابي قال الترمذي حسن غريب ورواه ابو داود
وفيه وانه سيخرج من امتي اقوام تجاري بهم تلك الاهوا
كما يتجاري الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا
دخله وقال ابن المبارك عن كعب قال عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله ابدا
ولا قال ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في
نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديد فتحات
عنها ورقها الا حطها الله عنه خطاياه كما تحت عن تلك الشجرة
ورقها وان اقتصادا في سبيل الله وسنته خير من اجتهاد
في خلاف سبيل الله سنة فانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا
او اقتصادا ان كان على منهاج الانبياء وسنتهم وقال ابن مسعود
الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وعن ابن
عباس قال النظر الى الرجل من اهل السنة يدعو الى السنة
وينهى عن البدعة عبادة وقال ابو العالية عليكم بالامر الاول
الذي كانوا عليه قبل ان يتفرقوا قال عاصم فحدثت به الحسن
فقال قد نصحك والله ومحقد وقال الاوزاعي اصبر نفسك
على السنة وقف حيث وقف القوم وقد بما قالوا وكف عما

كفوا

كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسعك ما يسعهم
وقال سفيان لا يستقيم قول الا بعمل ولا يستقيم قول وعمل الا
ولا يستقيم قول وعمل ونية الا بموافقة السنة وقال الجنيد
ابن محمد الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر
الرسول واتبع سنته ولزم طريقته فان طرق الخيرات كلها
مفتوحة عليه وجمع هذه الآثار مذكورة في كتاب الطبري
وبعضها في جمع العباد للقرطبي فالسنة رحمكم الله هي
الدين ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة وحده
والائمة انما هم وسايط بيننا وبينه فنحن مقتدون برسول
الله صلى الله عليه وسلم لا بغيره ولا يحل لمعتقدينا اذا
علمنا ان احدا خالفه كائنا ما كان ان نتبع ذلك المخالف ومن
الاوائل الشرعية التي لا يجوز الاخلال بها ان لا يعارض قول
سيد الانام بقول احد من علماء الاسلام كما انشد حافظ
السنة الشيخ شمس الدين الذهبي حيث قال

العلم قال الله ثم رسوله ٭ ان صح والاجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة ٭ بين الرسول وبين رأي فقيه
فالسنة رحمكم الله لولوا الاسلام وواسطة عقد النظام
اما تنا عليها وعلى الاسلام امين الحديث الثاني
والاربعون عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم
انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما منك ولا ابالي
يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني
غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا

ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لا تبتئك بقرابها مغفرة رواه الترمذي
وقال الحسن وعن انس رضي الله عنه تقدمت ترجمته والكلام
على اداب الدعا تقدم مستوفى عند الكلام على قوله تعالى ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث الحديث والرجا تعلق وهو القلب بامر
مرغوب فيه وقال ابن قيم الجوزية في شرح المنازل الرجا حاد
يحدو القلوب الى الله تعالى والدار الاخرة والطيب لها السير
وقيل هو الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى والارتياح
لمطالعة كرمه وقيل هو الثقة بجواب الرب انتهى وقال ابن
الجوزي في مناهج الرجا ارتياح الانتظار لما هو محبوب عنده
ولكنه لابد من ذلك التوقع من سبب حاصل فان لم يكن السبب
معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمي تمنيا لانه تنتظر من
غير سبب ثم قال وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة
الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعة جارية
مجرى تنقية الارض وتطهيرها وكبرى جعزال نهار وسياقة الما
اليها وان القلب المستغرق بالدنيا كالارض السبخة التي لا
ينمو فيها البذر ويوم القيامة هو يوم الحصاد لا يحصد
احد الا ما زرع ولا ينمو الا الزرع الا من بذر الايمان وقل ان
ينفع ايمان مع خبث القلب ودنس اخلاقه كما لا ينمو البذر في
الارض السبخة فينبغي ان يقاس رجا العبد المغفرة بحال صاحب
الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير مسوس
ولا منقب ثم ساق اليها الماء في اوقات الحاجة ونقى الارض من الشوك
والحشيش وما يفسد الزرع ثم جلس ينتظر من فضل الله
تعالى وقع الصوارع والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ

غايته

غايته فهذا يسمى انتظاره رجاء فان حاد عن بذر في ارض سبخة
صلبة مرتفعة لا يصل اليها الماء ولا ينتفاهر بها اصلا ثم انتظر
الحصاد فهذا يسمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء فان ثبت هذا
البذر في ارض طيبة ولكن لم يأت بها واخذ ينتظر حياة الامطار
يسمى انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجا انما يصدق على انتظار
محبوب تمهدت اسبابه الداخلة تمت اختيار العبد ولم يبق
الا ما ليس الى اختياره وهو فضل الله سبحانه وتعالى بصرف
الموانع المفسدات والعبد اذا ثبت بذر الايمان وسقاه ما
الطاعات وطهر القلب من شرك الاخلاق الرديئة وانتظر من
فضل الله سبحانه تنشيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة
المفضية الى المغفرة كان انتظاره لذلك رجاء محبوبا باعثا على
المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الايمان الى الموت
وان قطع عن بذر الايمان تعهده بالطاعات او تدنس القلب
بمعاصي نزايل الاخلاق والتمكن في طلب لذات الدنيا ثم انتظر
المغفرة كان ذلك حمقا وغرورا قال النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وقال معروف الكرخي رجاؤك لرحمة عبد لا
تطيعه فذلك منك حمق وكذلك قال تعالى ان الذين امنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله المعنى اولئك
الذين يستحقون ان يرجوا رحمة الله ولم يرد به تخصيص وجود
الرجاء غيرهم ايضا قد يرجوا ذلك من فضل الله تعالى ومن الرجا
فضيلة ما ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي

بي وفي رواية مسلم واوشي فليظن ظانا ماشاء وفي حديث اخر
من رواية مسلم لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى
والظن هو ترجيح احد العارفين عملي الاخر يعني ان ترجح عنده
اني ارحمه فاظن ارحمه وان ترجح عنده اني اعذبه فانا عند ظنه بي
فالراجح يسمى يظن به خيرا والقانط من رحمة الله يظن به سوا
فلهذا عظم الشرع القنوط وجعله من الكبائر قال القرطبي في
تذكرته وروي عن ابن عمر قال عمود الدين وغاية معجزه
وذروة سنامه حسن الظن بالله تعالى فمن مات منكم
وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة وعن هلال كريما وقال عبد
الله ابن مسعود والذي لااله غيره لايحسن احدكم الظن
بالله الا اعطاه الله ظنه وذكر ابن المبارك
عن ابن عباس قال اذا رايتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى
ربه وهو يحسن الظن به واذا كان خائفا فخوفوه وعن ابراهيم
كانوا يستحبون ان يلقنوا الميت محاسن عمله عند الموت
حتى يحسن ظنه بربه عز وجل وقال ثابت البناني كان شاب
به وهف فلما نزل به الموت انكبت امه عليه وهي تقول يابني
قد كنت احذرك مصرعك هذا فاذا ياامام اني ربا كثيرا المعروف
وانى لارجوا اليوم ان لايعذبني بعض معروفه وقال عمير
ابن اني ذريوما في كلامه وعنده ابن ابي داود ابو حنيفة انقذ
بنا وفي اجوافنا التوحيد لااراك تفعل الكريم اعرفي لم يزل
على مثل حال الصبرة في السماوات التي غفرت لهم فانهم قالوا امنا
برب العالمين فقال ابو حنيفة رحمه الله التصديق بعدك
حرام انتهى ماذكره القرطبي وفي هذا المعنى

حاشاك

حاشاك حاشاك يارسول الجميل ويا هادي السبيل ومن للحق ارشدني
ان تجعل الكامل التوحيد مقترنا بالكامل الكفر مكدوزين في فزن
وقصيده سنأتي ان شاء الله تعالى في اخر هذا الشرح قال ابن
الجوزي في منهاجه اعلم ان اسباب الرجا منها ما هو من طريق
الاعتبار وما هو من طريق الاختيار اما الاعتبار فصورات ان تتامل
جميع ماذكرناه من اصناف النعم في كتاب الشكر فاذا علم
لطايف الله تعالى بعباده في الدنيا فليرج لطفه به في الاخرة
فان مدبر الدارين واحد ولما استقرا الايات قل ياعبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا وردي والملايكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الارض وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم ومن الاخبار ما روي ابو سعيد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابليس لعنه الله
قال لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني ادم
ما دامت الارواح فيهم فقال الله عز وجل فبعزتي وجلالي
لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو
لم تذنبوا لذهب بكم ولجاء بقوم يذنبون ليستغفرون فيغفر
لهم رواه مسلم وفي الصحيحين سددوا وقاربوا وابشروا
فانه لن يدخل الجنة احدا عمله قالوا ولا انت يارسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وفي الصحيحين لما ذكر
بعث النار قال ابشروا فان من ياجوج ومأجوج تسعمائة
وتسعة وتسعين وواحد منكم فقال الناس الله اكبر وقال

النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لارجو ان تكونوا ربع اهل
الجنة والله اني لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة والله اني
لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبر الناس فقال ما انتم
يومئذ في الناس الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود او كالشعرة
السوداء في الثور الابيض وقال ابن مسعود والله ليغفرن
الله يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر وروي ان
محمديا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فلم يضيفه
وقال ان اسلمت اضفتك فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم منذ
تسعين سنة اطعمه على كفره فسعى ابراهيم خلفه فرده واجره
بالكمال فتعجب من لطف الله تعالى فاسلم وقال الامام عبد الجليل
القصري في شعب الايمان ما يلخصه ان العبد فيما اعطاه الله من
الايمان الذي لو اجتمع الخلق كلهم على ان يدخلوه قلب عبد لم
يقدروا على ذلك وصرفه عنه من الكفر وكرهه اليه وذكر رحمة الله
تعالى واستمر ذلك له من عظيم لطف الله تعالى به ثم بعد ذلك في تسخير
الله تعالى له تعالى من المسلمين يقومون بمصالحه حيا ثم
اذا مات قاموا بتغسيله وتكفينه وقاموا على اقدامهم شافعين
له ثم ينتظر في قيام الناس محشورين لرب العالمين في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فترى المتولي لذلك هو الرؤف الرحيم
الكريم الحليم ولا شك انه خير له في المحاسبة من كل احد ولو كان
المحاسب له والداه وارحم الناس به لانه سبحانه عند المحاسبة
كريم سمح متجاوز الا تراه يامر بالسمح والعفو والصفح لعباده
فيما بينهم ويثني عليهم بفعل ذلك افتراه يكون لما يامره به من
النعالغين تعالى وجل عن ذلك فانه اكرم الاكرمين الا تراه كيف

اثني على

وقف عبده تعالى على طلبة العلم بالازهر وسرد بروايق الصبيان
اثني على صديقه يوسف عليه السلام حين اخرجه اخوته على
صغر سنه والصغير مرحوم ففرقوا بينه وبين ابيه واستولوه
على قدميه جايعا وابكوه واجاعوه واعطشوه ثم القوه في ظلمات
الجب ثم باعوه على ممتاقة رخيصة وحسن صورته وحرية
نفسه بالحبس السير واوحشوا منه اباه وعرضوه الى السجن
والفتن ثم ظفر بهم واعترفوا بين يديه قال لهم لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم فازال عن قلوبهم بقوله اليوم خجلة الحياء من
افعالهم القبيحة وخشية العتاب باقوالهم المليحة اسمعه
ثم زادهم بقوله يغفر الله لكم فرفع عنهم لومة اللائمين ثم زادهم
بيانا اخر بقوله وهو ارحم الراحمين اي هو ارحم بكم مني فهذا
فعل عبد من عباده المحسنين فكيف يخالف الاحسان ورد
المحسنين مع ما صح وثبت من شفاعة المصطفى المختار محمد
صلى الله عليه وسلم في تلك المواطن كلها بامته افتراه يرد خايبا
على سعة جاهه وقبول شفاعته وهو القايل الصادق
المصدوق امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة
عذابها في الدنيا الزلازل والفتن وهو عليه الصلاة والسلام
رحمة صرف كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وقد امره الله تعالى بالاستغفار لامته فقال واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات ايامره بان لا يريد ان يفعله ايامره
بالاستغفار فلا يغفر لهم وقد صح استغفاره لهم وشفاعته
التي اختارها لهم الى يوم القيامة وكذلك ابراهيم الخليل
وهود ورجاه عند الخليل قد استغفر لهم فيما قبله فقال رب
اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب وامة

محمد ابناوه واحباوه واتباعه على دينه الحنيفي وكذلك نوح
عليه السلام في قوله وللمومنين والمومنات وقال
عليه الصلاة والسلام شفاعتي لاهل الكبايرمن امتي اذ رويها
للمتقين المصطفين الناهي للتسلطين والملوثين فاذا نظر
الراجي بايمانه الي يوم القيامة واهوالها وشدايدها ورايه
من المحاسب فيها ومن الشافع وان رجلا واحدا من امته
يوم القيامة يشفع في عدد ربيعة ومضر هذا رجل واحد
كريم فكيف بجملة الابدال والاوتاد والشفعا الرحما على كثرتهم
من اول الاسلام الي يوم المعاد مثل الصديق الرحيم والفاروق
الكريم وعثمان الحليم وعلي العليم وبقية العشرة العدول
وابنا فاطمة البتول واهل السابقة المهاجرين والانصار
وخيار التابعين والمطهرات المكرمات امهات المومنين
وسايرالعلما العمال الاوليا الي يوم الدين وورد في الصحابة
رضي الله عنهم ان ابابكر يعطي باب الجنة فيقال له ادخل من
شيت برحمة الله وامرف من شيت بعدل الله ويعطي
الميزان لعمر فيقال له ثقل ميزان من شيت برحمة الله
وخفف ميزان من شيت بعدل الله ويعطي الصراط لعثمان
فيقال له جوز من شيت برحمة الله واترك من شيت بعدل
الله ويعطي الحوض لعلي ومن الصحابة اجمعين فيقال له
اسق من شيت برحمة الله واترك من شيت بعدل الله
فهذه الاربعة مواطن هي اعظم مواطن القيامة فاعطيت
للاربعة لعظم جاههم وهنا تظهر شفاعتهم في مجيبهم وورد
في فاطمة الزهرا رضي الله عنها وانما سميت فاطمة الزهرا

من اجل

من اجل انها فطمت محبيها من النار وهكذا امهات المومنين كيف
تكون رفقتهن علي المحبين لهن البارين بهن الراضين عنهن جميعا
والمصلين عليهن متى ما ذكرن وهن وكيف تكون قلوبهن علي
اولادهن ولا يخفى على ذي عقل شفقة الام على ولدها فداوه
بنفسها فهكذا شفقة الرجال والنسا للرجال والنسا من
هذه الامة حتى يظهر من رحمة الله وفضله ما لا يخطر على بال
احد والكل من عند الله الكريم وورد ان الكعبة تحشر يوم
القيامة كالعروس المجلاة والحجاج متمسكون باذيالها
فيقول لمحمد صلى الله عليه وسلم شانك بباقي امتك فقد
كفيك الحجاج فتسير بهم الى الجنة وهم متعلقون بها واعظم من ذلك
كله ان امة محمد عليه الصلاة والسلام يقاومون في المحشر
مقام الشهود والعدول على من ساواهم من الامم والعدل المقبول
شهادته مكرم غير مهان مع ما ثبت في القرآن والسنة
ان الله يجازي بالحسنة عشر الي سبعماية الي ما لا يحصى والله
يضاعف لمن يشا ويجازي بالسيية مثلها ان اخذ بها ويغفر
او يصفح ان هذا لهو الفضل المبين والدجا المتين واذا نظرت
الى اسمه المحسن علمت انه يفيض فيض الاحسان والى اسمه
المنعم والغفار والستار والحليم والعفو والكريم علمت
فيضانها على هذا الوجود وهو القايل سبحانه وتعالى
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسالوني فاعطيت كل واحد مسيلته ما نقص ذلك
ما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر وذلك اني واجد
ماجد عطايي كلامي وعذابي كلامي انما امري لشي اذا اردته ان اقول

له كن فيكون وفي الحديث ان الله عز وجل خلق مائة رحمة
كل رحمة منها طباق ما بين السما والارض فانزل
منها في الارض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها
والطير على فرخه حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها
خشية ان تصيبه وامسك عنده تسعة وتسعين رحمة
فاذا كان يوم القيامة اضاف اليها هذه الرحمة فيصيرها
مائة فيرحم بها عباده قيل ان هذه المائة رحمة هي منتهى
اسمه الرحمن الرحيم وكل رحمة منها قد ملات الجو كاملا البحر
غايته والجو هوايه فكيف بسايد الاسما ما علم منها وما لم
يعلم الا تسمع الى قول حملة العرش والحافين به والروحانيين
ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما انزاهم يعنون بقولهم وسعت
سعة الظرفية الجسمانية حاشاهم من ذلك بل يعنون الى
سعت الصفات والاخلاق مثل الصفح والعفو والحلم
والسمح واللطف والرحمة وغير ذلك من صفاته الرضوانية
والحنانية والرحمانية ولقد روي عن معاوية ابن ابي
سفيان رضي الله عنه وكان حليما انه قال يوما لجلسايه
اني لا انور ان يكون في الوجود سعة لا يسعه حلمي وكذلك كان
يوزي في وجهه فلا يتضر لنفسه وهو في رتبة الملك على قدرته
على الانتصار فاذا كان عبد ضعيف مخلوق يقول هذا مع
ان صفته مخلوقة ضعيفة مثله فما ظنك بعبد صفاته
مخلوقة ضعيفة مثله فما ظنك بين صفاته على سعة عظمه
وهم غير مكتسبة ولا مخلوقة ولا تلحقه في ذاته مشقة الغضب
فيزيلها بكظم الغيظ ولا يعصي كرها فيزيل الاكراه بتعذيب

من اكرهه

من اكرهه كما في الصحيحين عن الله عز وجل يا عبادي انكم
لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني فالباري
لا يضر بالمعصية ولا ينتفع بالطاعة فما تبته الملايكة العافون
بلطف التلوه والدعا والتواضع والاخبار في قولهم ربنا يقتضي
صفة الرحمة التي لا بد لها ان تفعل مقتضاها في الوجود
وهو صدور الرحمة عن الرحمن الرحيم ويقتضي اسمه الغفور
فقالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الى اخر المعنى
لا سيما وهو الرحمن الرحيم وهذان الاسمان يدلان على كثرة
رحمته وعظم سعتها لان فعيلا في اللغة للتكثير ورحمن
الذي هو على وزن فعلان بناوه اعجب شي في هذا المعنى
لانه لا يقال غضبان الا لمن امتلا غضبا ولا سكران الا
لمن امتلا سكرا ولا عطشان الا لمن امتلا عطشا ورحمن
مخصوص بالباري فهو يدل على سعة رحمة ذاته وعظمها
وكذلك صفة العفو والحلم وجميع الصفات الحسنى انتهى
وقد نقل عن يحيى بن معاذ انه كان يقول الهي لو اتاني
الخبر عنك انك غير قابل دعاي ولا راحم بكاي ما تركت
سوالك اين يذهب العقير الا الى الغني يا هذا الندم
توبة من سيرته حسنة وسايته سيية فهو المومن
فاذا اذنب العبد دنبا ثم دعا الله تعالى بندم ورجاه
بخضوع كان ذلك استقالة من الذنب فهو توبة مجيد
يعترف الله له والتوبة من جميع الذنوب واجبة قال
الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم
تفلحون ومن لم يتب فاولايك هم الظالمون ومن استغفر لي

وهو يعلم انه ذو قدرة علي اني اغفر له غفرت له ولا ابالي
رواه البيهقي عن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم
عن ربه عز وجل خ والله اني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة م انه ليغان علي قلبي
واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة م لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم وقال ابن عمر انا كنا لنعد لرسول الله صلي
الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب
اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم رواه الاربعة
وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حسن صحيح وهذا
لفظ ابي داود وعند الترمذي والنسائي وابن ماجه
انك انت التواب الغفور وردت ما قال استغفر الله
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلاث مرات
غفرله وان كان فر من الزحف قال الحاكم صحيح علي شرطهما
دون مجيء من لزم الاستغفار حجلا الله له مما كل منيف مخرجا
ومما كلهم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ما من عبد
منكم يعمل ذنبا الا وقف الملك الموكل باحصاء ذنوبه ثلاث
ساعات فان استغفر الله من ذنبه ذلك في شيء من
تلك الساعات لم يقف عليه ولم يعد به يوم القيامة رواه
الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي المستدرك الندم توبة
وان الله يحب الاعتذار اليه وفي بعض الاثار ان العبد
اذا اذنب فقال يا رب هذا قضاؤك وانت قدرته علي
وانت حكمت علي وانت اردت واجتهد وانا اعافيك

عليه

عليه واذا قال يا رب انا اخطات واما اعتديت وانا فعلت
يقول الله عز وجل قدرت عليك وقضيت وكتبت وانا
اغفر لك واذا عمل حسنة فقال يا رب انا عملتها وانا
تصدقت وانا صليت وانا اعطيت يقول الله وانا ار
وفقتك وانا اعنتك واذا قال يا رب انت اعنتني وانت
وفقتني وانت منيت علي يقول الله تعالي وانت عملتها
وانت اردتها وانت كتبتها فاذا اذنب العبد المومن الخاين
المذنب انكسر قلبه كسرة خاصة تحصل للقلب لا ير
يشبهها شيء ولا يكون لغير الذنب لا تحصل بجوع ولا رياضة
ولا تعب مجرد وانما ينكسر القلب بين يدي ربه لكسرة
تامة وقد احاطت به من جميع جهاته والفته بين
يدي الله تعالي طريحا ذليلا خاشعا كما لعبد خايف
ابق من سيده فاخذ واحضر بين يدي سيده ولم يجد
من ينجيه من سطواته ولم يجد منه بدا ولا عنه عتى ولا منه
مهربا وعلم ان حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه
في رضاه عنه وقد علم احاطت سيده بتفاصيل جنايا ته
هذا مع حبه لسيده وشدة حاجته اليه وعلمه بضعفه
وعجزه وقوة سيده وذله فيجتمع من هذه الاحوال
كسرة وذلة وخضوع وما انفعها للعبد وما احزل
عما يدها عليه وما اعظم جبره بها وما اقربه بها من
سيده فليس شيء احب الي سيده من هذه الكسرة
والخضوع والتذلل والانكسار والانطراح بين يديه
والاستسلام فلله ما احلى قوله في هذه الحالة اسكر

بعزتك وذلي لك الا رحمتني اسالك بقوتك وضعفي وبغناك
عني وفقري اليك هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك
عبد سواي كثير وليس سيد سواك لا ملجا ولا منجا منك
الا اليك اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال
الخاضع الذليل وادعوك دعا الخائف الضرير دعاء من
خضعت لك رقبته ورغم لك انفه وفاضت لك
عيناه وذل لك قلبه شعرا
يا من الوذ به فيما املمه، ومن اعوذ به فيما احاذره
لا يجبر الناس عظما انت كاسره، ولا يهيضون عظما انت جابره
فهذا وامثاله من اثار التوبة المقبوله من لم يجد ذلك
في قلبه فليهتم توبة وليرجع الى تصحيحها ما اصعب
التوبة الصحيحه بالحقيقه وما اسهلها باللسان
والدعوى وما اعالج الصديقون شيئا اشد عليهم
من التوبة الخالصة الصادقه فانكسار قلب
المذنب لربه سبب عظيم من اسباب الخير فاقرب
ما يكون الرب لعبده اعظم ما يكون العبد منكسرا
له كما في الاثر الاسرائيلي يا رب اين اجدك قال عند
المنكسرة قلوبهم من اجلي ولاجل هذا اقرب ما يكون
العبد من ربه وهو ساجد لانه مقام ذل وانكسار
بين يدي الله وتامل قوله صلى الله عليه وسلم فيما
يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه يقول يوم القيامة
ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال رب وكيف اطعمك
وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم
تطعمه

فلم تطعمه اما لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ابن ادم استسقيتك
فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين
قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما لو سقيته
لوجدت ذلك عندي ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب
كيف اعودك وانت رب العالمين قال ان عبدي فلانا مرض
فلم تعده اما لو عدته لوجدتني عنده فقال في عيادة المريض
لوجدتني عنده وقال في الاطعام والاستسقا لوجدت
ذلك عندي فقرق بينهما فان المريض مكسور القلب
ولو كان ما كان فلا بد من ان يكسره المرض فاذا مرضنا
فقد انكسر قلبه بالمرض كان الله عنده وهذا والله
اعلم هو السر في استجابه دعوة الثلاثة المظلوم
والمسافر والصايم للكسرة التي في قلبه كل واحد منهم
فان غربة المسافر وكسرته ما يجدها العبد في نفسه
وكذلك الصوم فانه يكسر صورة النفس السبعية
الحيوانية ويذلها والمقصد ان سعة الخير والفضل
والعطايا انما تنزل في ميدان الانكسار وللعاصي التايب
من ذلك نصيب وافر ولهذا قال بعض السلف قد يعمل
العبد الذنب فيدخل به الجنة ويعمل الطاعة فيدخل
بها النار قالوا وكيف ذلك قال يعمل الذنب فلا يزال نصب
عينيه ان قام او قعد وان مشى كلما ذكره احدث له توبة
واستغفارا وندما فيكون ذلك سبب نجاته ويعمل
الحسنة فلا تزال نصب عينيه ان قام او قعد وان مشى
كلما ذكرها او رئيته عجبا وكبرا ومنة فيكون سبب

هلاكه فيكون هذا الذنب الذي اقترنت به التوبة والا
ستغفار انفع لهذا المذنب من كثير من طاعات يقترن
بها العجب والاستكبار ويكون ابتلاوه بالذنب بمنزلة
شرب الدوا ويستخرج به الداء العضال كما قيل بلسان
الحال قصة ادم عليه السلام يا ادم ما اهبطتك من
الجنة الا لتتوسل الي في الصعود وما اخرجتك منها
نفيا لك عنها ما اخرجتك الا لتعود وانشد
ان جرا بيننا وبينك عتب ، اوثنات منا ومنك الربار
فالوداد الذي عهدت مقيم ، والعثار الذي اصبت جبار
ولسان حال ادم ايضا عليه السلام يقول
ولو حامن القلب منكم بعودة ، فان تمنى قربكم سبب عن قرب
وما عشت بعد البعد الا بنية ، اذا اشتقت روحي نظرت الى قلب
يا ادم امر تدل به الينا احب الينا من طاعة تذل به علينا
يا ادم انين المذنبين احب الينا من تسبيح المدلين وعن
بعض العباد انه كان يطوف ليلة يسأل ربه في الطواف
ان يعصمه عن معصية ثم غلبته عيناه فنام فسمع
قايلا يقول انت تسالني العصمة وكل عبادي يسالوني
العصمة فاذا عصمتهم فعلي من اجود بمغفرتي وعلي من
اتوب واين كرمي وعفوي ومغفرتي وفضلي يا ادم
اذا امنت بي ولم تشرك بي شيا اقبلت حملة العرش
ومن حوله يسبحون بحمدي ويستغفرون لك وانت
علي فراسك خاتمة خير فمن وفقه الله تعالى
بعد المعصية لتوبة مقرونة بالاستغفار فذاك

الذي

الذي حطت عنه الاثقال والاوزار ومن ذهب يتلاعب
بالدين ويستقل الاستغفار المجدد الذي هو توبة
الكذابين وهو مصر على المعاصي والذنوب غير تايب
منها لعلام الغيوب فذلك الذي ينبغي نفسه وخدعها واوثق
نفسه في المهالك وصارحبها فاجتهد في توبة نصوح
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين واكثر من الحسنات
ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال جامعه
محمد ابن احمد المسعودي اسعده الله في الدارين
وجعله من خير الفريقين قد انتهى ما فتح الله به من
التعليق على كتاب الاربعين للشيخ الامام محي الدين
وقد اودع ما لا يحصى من الفوايد السنيه والايات الالهيه
والاحاديث النبوية والاثار المرضية والحكايات النقلية
والمسايل الفقهية والاداب اللغوية والنكت الحديثية
والحقايق الصوفية والاسرار القدسيه وكيف لا وهو
مستخرج من كلام من اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع
الحكم واثاره الله به الظلم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم ومجد وعظم وقد كنت نظمت قصيدة
تضرع قديما فاحببت ان اذكرها هنا لتكون خاتمة
بالتضرع والاستكانه فقد ذكر جماعة من السلف عن
الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى ان جماعة اجتمعوا
على بابه ليسمعوا منه الحديث فاطلع لهم راسه من كوة
وهو يبكي وقد ميته ترجف فقال عليكم بالصلاة عليكم

بالطواف ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكا
وتضرع واستكانه ودعاكه عما الغريق انما هذا زمان
احفظ لسانك واحق مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر فيا ايقاظ الافهام و يا ذوي النهى والاحلام
الا تنظرون الى هذا الكلام انحن في يقظة ام نوم نيام اذا كان
هذا بقوله الفضيل في زمانه الذي يزاد على السنماية عام
فما ظنكم بمن عاش حتى ادرك هذه الايام والله لو لم
يدركنا مولانا برحمته والا هلكنا والسلام وهذه
القصيدة التي اشار اليها فقال

يا خالق الخلق يا ذا الفضل والمنن
يا واسع الطول بعدا عنك يقلقني
يا رازق الدود والنمل الضعيف ومن
يسوا عليه لسان السر والعلن
انت العليم بما اخفيه من الم
في داخل الجوف يوذيني ويولمني
اني الافيك بالتوحيد اخلصه
ونور ك الصادق المكنون يحفظني
اعوذ بالجود واللطف الجميل وبا
الحلم الجزيل وبالآلاء والمنن
من ان اصير بدار الخزي مرتهنا
معذبا وجحيم النار تحرقني
حاشاك حاشاك يا مولي الجميل وبا
هادي السبيل ومن للحق ارشدني

ان تجعل

ان تجعل الكامل التوحيد مقترنا
يا كامل الكفر مكدود ومزين في قرني
يا وتر يا فرد يا قدوس يا احد
يا دايم الملك يا ربي ويا سكني
اني اناديك يا ربي وقد ملئت
جوارحي بالمعاصي وهي من سمني
ابيت واصبح في العصيان منغمسا
وقد عمري طاعتي وهنا علي وهني
حالي يبكي قلوب الناظرين له
فانه يلطف لي لطفا يدبرني
ان ارتجائي بالي تقوى ولا عملا
وما تزودت غير القطن والكفني
يا رب فاغفر بفضل منك ما اجترحت
جوارحي من خطايا السوء في سمني
وامنن بعفو ثم مغفرة
فانت مولي عظيم العفو عن احني
اني اومل ان القاك يا صمد
بحسن ظني فيك حسن لي
ديني العظيم اذا افضى الى نحر
عسى بفضلك يا ذا العرش ترحمني
من للغريب اذا امسى بحفرته
وفارق الاهل والاولاد والوطن
الا الكريم العظيم العفو بجيره

من بعد كسر مضى في سالف الزمن
شفاعة ارتجوها اوا وملها
من الى امرا بالفرض والسنن
عساي امن في يوم الحساب بها
يوما اخاف من النيران تحرقني
صلي عليه الهي كلما هتفت
حمامة فوق اعواد من الغصن
والال والصحب والاتباع اجمعهم
ماهبت الريح واحتارت على السفن
ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
تم هذا الشرح العظيم على الاربعين
النووية بفضل الله وعونه
وحسن توفيقه
والله اعلم
بالحال
امين
م